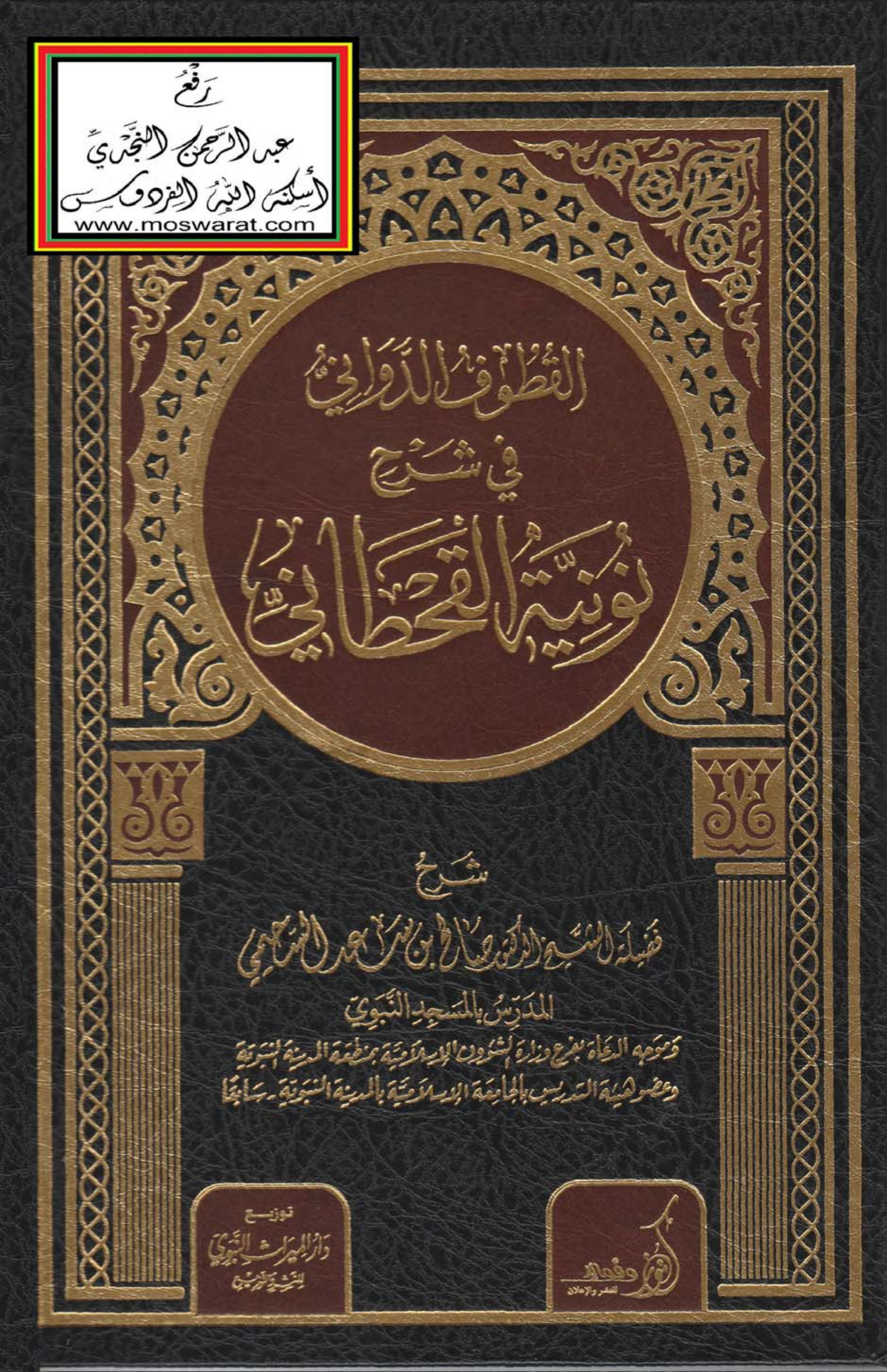
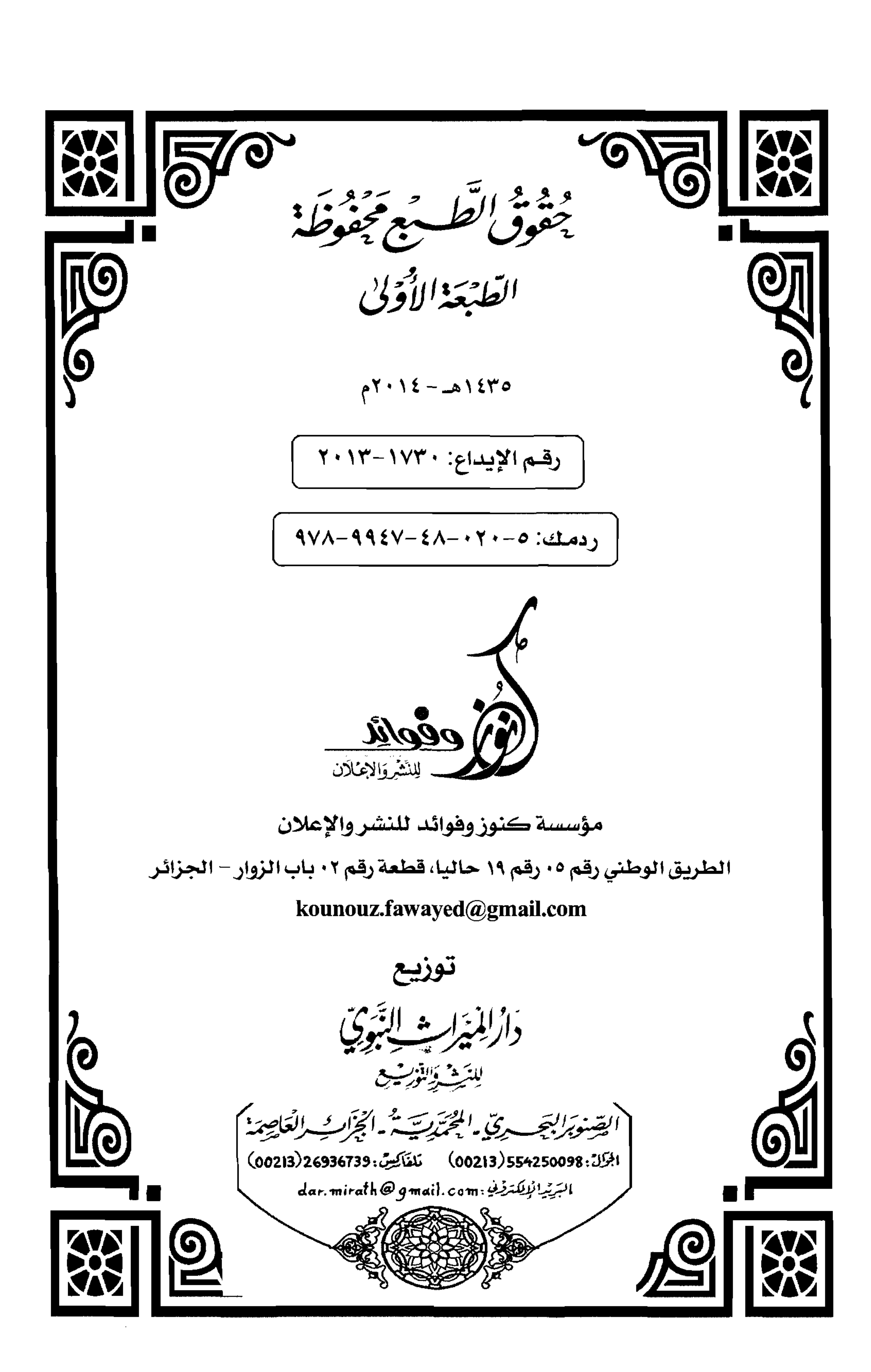

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com
القطوف الدواني
في شرح
نونية القحطاني
شرح
فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن سعد السحيمي
المدرس بالمسجد النبوي
وموجه الدعاة بفرع وزارة الشؤون الإسلامية بمنطقة المدينة النبوية
وعضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقًا
توزيع
دار الميراث النبوي
للنشر والتوزيع
للنشر والإعلان





القطوف الدواني
في شرح
نونية القحطاني



الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

رقم الإيداع: ١٧٣٠-٢٠١٣

ردمك: ٥-٠٢٠-٤٨-٩٩٤٧-٩٧٨

كنوز وفوائد للنشر والإعلان

مؤسسة كنوز وفوائد للنشر والإعلان

الطريق الوطني رقم ٠٥ رقم ١٩ حاليا، قطعة رقم ٠٢ باب الزوار - الجزائر

kounouz.fawayed@gmail.com

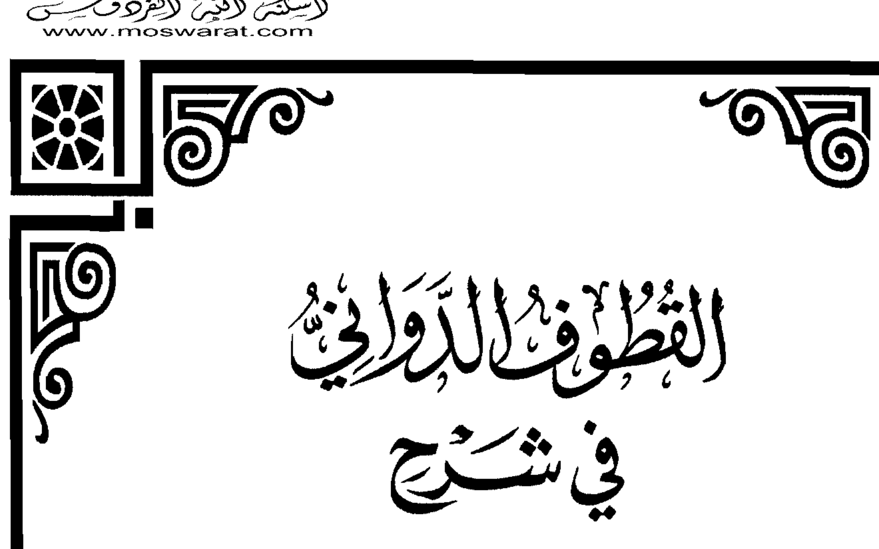
توزيع

دار الميراث النبوي للنشر والتوزيع

الصنوبر البحري ـ المحمدية ـ الجزائر العاصمة

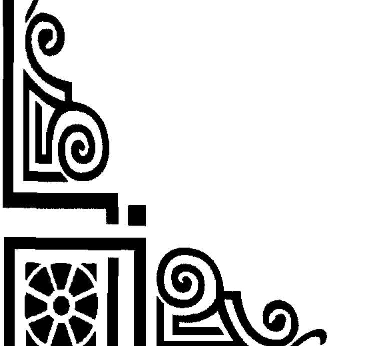
الجوال: 554250098 (00213) تلفاكس: 26936739 (00213)

البريد الإلكتروني: dar.mirath@gmail.com





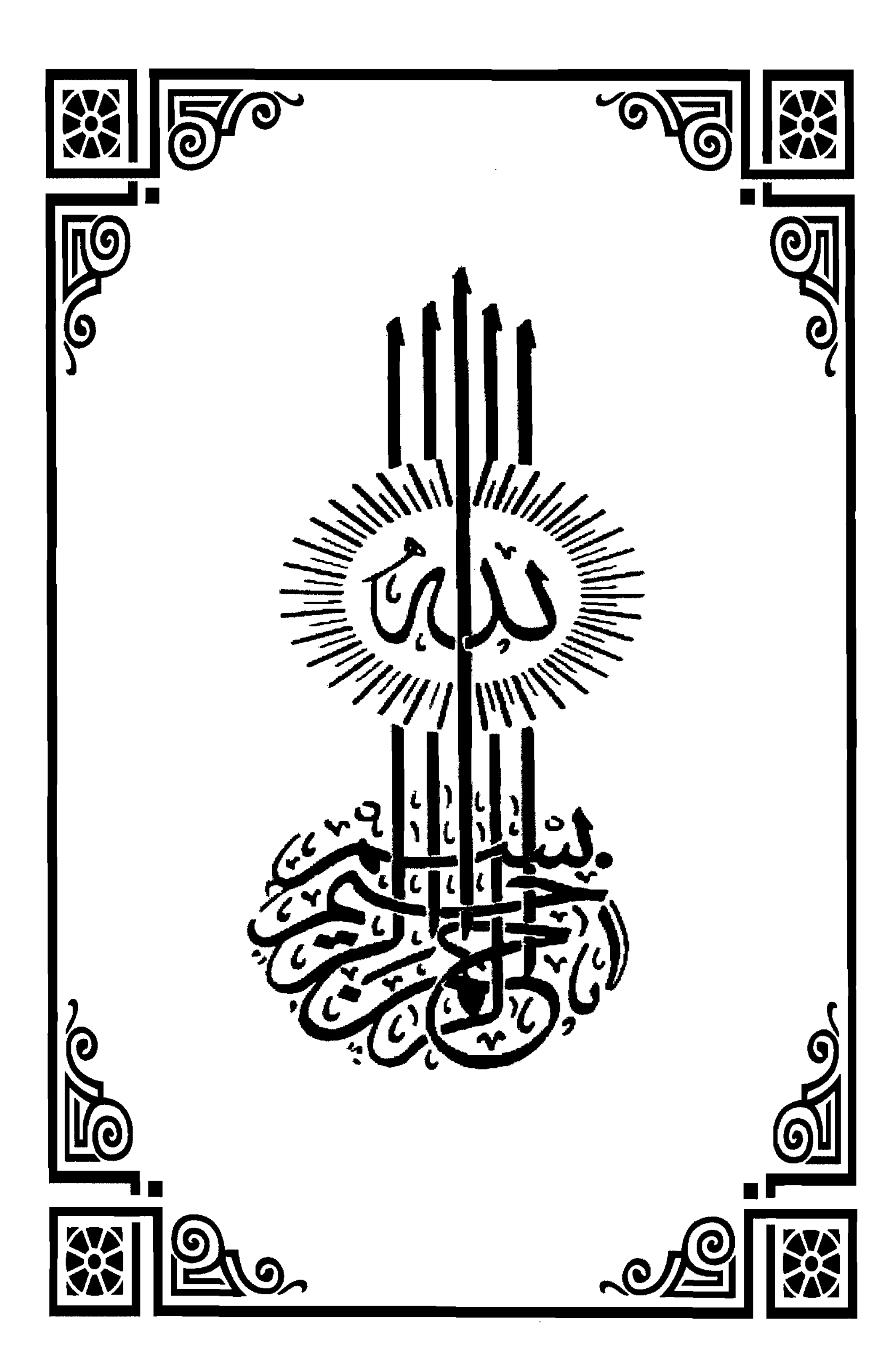
شرح
فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن سعد السحيمي
المدرس بالمسجد النبوي
وموجه الدعاة بفرع وزارة الشؤون الإسلامية بمنطقة المدينة النبوية
وعضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية - سابقا










الله
بسم الله الرحمن الرحيم



د. صالح بن سعد السحيمي الحربي
المدرس بالمسجد النبوي
موجه الدعاة بفرع وزارة الشؤون الإسلامية
بالمدينة النبوية
عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية (سابقاً)

Dr. Salih Saad Al-Suhaimi Al-Harbi
Teacher at the Mosque of the Prophet
Inspector of the Preachers in the Ministry of Islamic Affairs, Madinah Branch
Member, Teaching Staff at the Islamic University of Madinah Munawwarah

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد

فقد أذنتُ للأخ الشيخ العياشي العربي براهمي بطباعة كتابي الموسوم" القُطُوف الدّواني شرح نونية القحطاني" الطبعة الأولى، ولا أجيز لأحد طباعة الكتاب إلا بإذن مسبق مني، وفق الله الجميع للعلم النافع والعمل الصالح، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أملاه الفقير إلى عفو ربه د. صالح بن سعد السحيمي الحربي حرر في ٢٦/٤/١٤٢٩

المملكة العربية السعودية - المدينة المنورة - ص.ب ٦٤٧ - فاكس ٨٤٧٣٦٣٤ جوال ٠٥٠٥٣١٠٦٩٢
Saudi Arabia - Al-Madina Al-Munawarah - P.O.Box 647 - Fax 8473634 - Mob. 0505310692

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فإنَّ أصدقَ الحديث كتابُ الله وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ صلى الله عليه وسلم وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار[١].

أَمَّا بَعْدُ:

فقد منَّ الله سبحانه وتعالى عليَّ وفرغت من شرح بعض كتب السَّلف في المسجد النبوي وآخرها الرسالة التدمريَّة لشيخ الإسلام ابن تيميّة رحمه الله الذي تمّ بفضل الله عز وجل الانتهاء

---

(١) هذه هي خطبة الحاجة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمها أصحابه، ودرج السلف رحمهم الله على افتتاح خطبهم ودروسهم وكتبهم بها؛ وقد أخرجها مسلم [٨٦٧]، وأبو داود [٢١٢٠]، والنسائي [١٥٧٨]. وأفردها الشيخ الألباني رحمه الله برسالة لطيفة جمع الأحاديث الواردة فيها وأسماها «خطبة الحاجة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمها أصحابه».

منه ليلة الأوّل من هذا الشّهر المبارك شهر رمضان لعام ١٤٢٣هـ، ونزولًا عند رغبة بعض الإخوة رأيت أن نبدأ في شرح القصيدة النونيّة للشيخ محمد بن عبد الله القحطاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ منبِّهًا في هذا اليوم علىٰ أهميَّة دراسة كتب السَّلف والاشتغال بها؛ لأن فيها الخير كل الخير، فالاهتمام بكتب السلف التي تتضمن الكلام في العقيدة والسنَّة والفقه والأدب وعليها طابع الإخلاص والتقىٰ والورع والإتقان ولا تكاد تمر جملة إلاَّ وتجد فيها إشارة إلىٰ آية أو حديث أو أثر عن السلف الصالح؛ بل ربما كان بعض الكلمات أو الجمل هي نصوص بعينها تُضمَّن في هذا الكتاب أو ذاك؛ لذلك فإن هذه الكتب عليها نور وفيها بركة ونفع كبير لطلاب العلم؛ فعلينا أن نشتغل بها بعد كتاب الله تَعَالَىٰ وسنَّة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنَّها بمثابة الشروح لهذين الوحيين؛ **أعني**: الكتاب والسنة؛ فإذا اهتمَّ بها المؤمنون عامّة وطلاب العلم خاصّة، فإنهم سيجدون عندهم حصيلة علميّة وافرة نافعة بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فهي كتب تنطق بهَدْي الكتاب والسنة إما لفظا وإما معنىٰ، ولذلك تبرز أهميتها وتعظم فائدتها لأنَّها إما أن تكون شرحًا لآية أو حديث أو تقريرًا لحكم دلت عليه الآية أو الحديث أو بيانًا لمدلول تلك الآية أو ذلك الحديث.

لذلك عندما يقرأ طالب العلم هذه الكتب يجد في قراءتها لذَّة خاصّة.

ويدرك من خلال ذلك أنَّ أهلها قد خالط هدي الكتاب والسنّة دماءهم وجرىٰ في عروقهم واطمأنت إليه قلوبهم، وانشرحت له صدورهم، خلافًا لأهل الأهواء والبدع الذين ليس لأحدهم إلاّ ما أُشرب من هواه «**تتجارىٰ بهم الأهواء كما يتجارىٰ الكَلَب بصاحبه**»[1]، أما علماء أهل السنة فإنَّ كتبهم تنطق بالهدىٰ والحقِّ؛ لأن أساسها ومبناها

---

(١) جزء من حديث أخرجه أحمد [١٦٩٧٩]، والطبراني [٨٨٥]، والحاكم [٤٤٣] من حديث معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.
وقال الحاكم: هذه أسانيد تقام بها الحجة في تصحيح هذا الحديث. ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» [٤٨].

ومستندها ومنتهاها وقطب رحاها هو ذلكم الأساس المتين والحرز العظيم والركن الركين ألا وهو كتاب الله سُبْحَانَهُ الذي: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فُصِّلَت: ٤٢]، وسنة رسوله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوىٰ إن هو إلَّا وحي يوحىٰ، فالاهتمام بذلك يُثري العقول والقلوب واللغة واللسان والجوارح بالتقىٰ والإيمان والعلم والفقه في الدِّين؛ لأنَّها ترجمة صادقة وصورة ناصعة وبيان واضح لما كان عليه القوم من تمسُّك بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة رسوله ﷺ؛ لذلك قلّ عندهم الخطأ وإن كنَّا لا نعتقد العصمة لأحد بعد الرسل عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ لكن أقول: يَقلُّ عندهم الخطأ إذا قورنوا بمن جاء بعدهم وكيف لا يَقلُّ عندهم الخطأ ومنهلهم ومشربهم وأساس دعوتهم ومنهج عقيدتهم وأساس وحدتهم هو كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة رسوله ﷺ، ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [التَّوْبَة: ١٠٩].

لذلك فإننا عندما نقرأ هذه الكتب ونتمعَّن فيها نلمس فيها الخير وصدق اللهجة وقوَّة الإيمان؛ لأنَّهم يهدفون إلىٰ أن يفهم النَّاس هذا الدِّين الصَّحيح الذي لا إفراط فيه ولا تفريط، الذي لا غلوَّ فيه ولا تقصير، الذي لا وكس فيه ولا شطط، الدِّين الوسط الذي اختاره الله عَزَّوَجَلَّ لهذه الأمَّة ببعثةِ نبينا محمد ﷺ؛ ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عِمرَان: ١٦٤].

فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لو لا أن هدانا الله، لقد جاءت رسل ربنا بالحق، والحمد لله الذي هدانا للإيمان، والحمد لله الذي هدانا لأن نكون من أهل السنَّة والجماعة أصحاب الطريق الوسط فإنَّ أهل السنة وسط بين الفرق كما أنَّ أمَّة نبينا محمَّد

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسط بين الأمم؛ كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

قال المفسِّرون في قوله: ﴿ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ أي: عدولًا خيارًا، عدول خيار بين الأمم السَّابقة، فعلينا أن نفهم ذلك، فإذا تمعّنا في كتب السّلف التي أُلِّفت في العقيدة نجدها علىٰ هذا المنوال، بل لو استعرضتها - أيها الأخ المسلم - منذ صدور أول مؤلف في التوحيد إلىٰ ما أَلَّفه وسطّره مشايخنا وعلماؤنا في هذا الزمان؛ لوجدتها تنطق بأسلوب واحد علىٰ منهج واحد، وتدعو إلىٰ هدف واحد؛ هو تحقيق التوحيد وتخليصه من شوائب الشرك والبدع والمعاصي والسير علىٰ الصراط المستقيم الذي أمرنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن نسير عليه بقوله: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٦ - ٧].

وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٤]

وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

فكُتب السلف كلها علىٰ هذا المنوال لا تخرج عنه يمنة ولا يسرة، بل كلها تدعو إلىٰ هذا الأمر الذي دعت إليه الرسل عليهم الصلاة والسلام؛ فينبغي لنا أن نسير علىٰ منهجهم وأن نحذو حذوهم وأن نسلك الطريق المستقيم الذي سلكوه، والذي من حاد عنه يمينًا أو شمالًا؛ شذَّ وضاع وضلَّ وأضلَّ وبَعُد عن منهج الله المستقيم، فهو

سبيل النّجاة وطريق السَّلامة، وأي منحىٰ يأخذ بصاحبه عن هذا الطَّريق، فإنَّه سيورده حياض الردىٰ ويبعده عن طريق النّجاة والهدىٰ، من ابتغىٰ الهدىٰ من غيره أضله الله، ومن طلب الهدىٰ من سواه أبعده الله؛ فهو صراط الله المستقيم ونوره المبين وهديه القويم وطريق السّالكين إلىٰ مرضاة رب العالمين، وهو الذي عناه ابن القيّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعنوان كتابه: «مدارج السالكين شرح منازل السائرين بين إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين» للهروي. هذا هو الطَّريق الذي يجب أن نسير عليه وهو الذي يعنيه الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بقوله: «**إنَّ هذا الدين يسر ولن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة**[١] **والروحة**[٢] **وشيء من الدلجة**[٣]»[٤]، وهو المعنيُّ بقول عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ عندما قال: «سنَّ رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وولاة الأمر من بعده سننًا؛ الأخذ بها قوة علىٰ دين الله واستكمال لطاعة الله وتصديق بكتاب الله ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النَّظر في شيء خالفها، من استنصر بها فهو منصور، ومن اهتدىٰ بها فهو المهتدي، ومن خالفها وبدَّلها وغيَّرها واتبع غير سبيل المؤمنين؛ ولاَّه الله ما تولىٰ وأصلاه جهنَّم وساءت مصيرًا»[٥].

فيجب أن نسلك هذا السبيل، وأن نجتهد فيما يقرِّبنا إلىٰ مرضاة ربِّنا بفهم كتابه جَلَّوَعَلَا وسنة رسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وفق فهم سلف الأمَّة - وفي مقدمتهم الصحابة رضوان الله عليهم الذين بهم قام القرآن وبه قاموا وبهم نطق القرآن وبه نطقوا؛ أولئك الغُرّ الميامين والسادة المتَّقين والعدول المقربين أصحاب رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الذين مدحهم الله في

---

(١) **الغَدْوَة**: المرّة من الغُدُوّ وهو سير أوّل النهار. انظر: «النهاية في غريب الأثر» (٣/ ٦٤٩).

(٢) **الروحة**: سير آخر النهار. انظر: المصدر السابق.

(٣) **الدلجة**: سَيْر الليل. انظر: «النهاية في غريب الأثر» (٢/ ٣٠٧).

(٤) أخرجه البخاري [٣٩] من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٥) انظر: «الشريعة» للآجري، ص: [٤٨]، «الإعتصام» للشاطبي (١/ ٥٠)، «جامع بيان العلم وفضله»، ص: [٢١].

كتابه وأثنىٰ عليهم رسوله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ فقال الله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال سُبْحَانَهُ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ٨ - ١٠].

وقال جَلَّوَعَلَا: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]؛ وقال رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لا تسبوا أصحابي فإنَّ أحدكم لو أنفق مثل أُحدٍ ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**»(١)، فعلينا إخوة الإيمان أن نعرف لهم حقَّهم وأن نسير علىٰ هديهم ومِنوالهم وأن نجتهد في أن نكون علىٰ مثل ما تركهم عليه رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، حيث تركهم علىٰ مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء(٢)، فهم أمناؤه علىٰ تبليغ ما أوحىٰ إليه به ربُّه؛ الصّحابة هم الأمناء علىٰ الوحي بعد رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وأيُّ قدح فيهم أو نيل منهم هو نيل من الدين كله.

ونعود إلىٰ أهمية قراءة ودراسة كتب السّلف والمتون التي سطَّروها بأحرف من نور وفق هدي الكتاب والسنّة؛ ومن ذلكم ما نحن بصدد شرحه، وهي القصيدة النونية للشيخ

(١) أخرجه البخاري [٣٦٧٣]، ومسلم [٢٢١] من حديث أبي سعيد الخدري.
(٢) أخرجه ابن ماجه [٥] من حديث العرباض بن سارية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. وحسنه الألباني في «الصحيحة» برقم [٦٨٨].

محمد بن عبد الله القحطاني؛ تلكم القصيدة السلفية المشتملة علىٰ علوم شتىٰ من علوم القرآن والسنة والعقيدة وكثير من الأحكام والآداب والأخلاق، بل وجملة من علوم الطب والفَلَك والتاريخ...، فهي كما قال ناظمها:

جاءتكم سنية مأمونة	من شاعر ذَرِبِ اللسان مُعان
يَهْوِي فصيحُ القولِ من لهَواته	كالصخر يهبط من ذُرىٰ كَهْلان
هي للروافض دُرَّة عُمَرِيَّة	تركت رؤوسَهُمُ بلا آذان
هي للمنجِّم والطبيب منيّة	فكلاهما مُلْقان مختلفان
هي في رؤوس المارقين شقيقةٌ	ضربت لفَرْط صُداعها الصُدغان
هي في قلوب الأشعرية كلِّهم	صاب وفي الأجساد كالسَّعدان
لكن لأهل الحق شهدًا صافيا	أو تمرَ يثربَ ذلك الصَّيحاني
معْ أنها جمعت علوما جَمَّة	مما يضيق لشرحها ديواني
أبياتها مثلُ الحدائق تُجتنَىٰ	سمعا وليس يملهنَّ الجاني

وصاحب هذه المنظومة الغراء لم أقف له علىٰ ترجمة فيما اطلعت عليه من كتب التراجم والرجال، ولعله نظمها في وقت لأهل الباطل والبدع فيه صولة وغلبة مما جعله لا يظهر اسمه في هذه القصيدة، وإنما اكتفىٰ بلقبه القحطاني.

وأما ما ذكره الشيخ محمد بن أحمد سيد أحمد المدرس بدار الحديث الخيرية، بمكة المكرمة في مقدمته لهذه القصيدة، والتي عُنِي فيها بضبطها بالشَّكل دون شرح أو تعليق حيث قال: «تنسب هذه القصيدة للإمام الحبر، العالم الرباني، أبي محمد عبد الله بن محمد الأندلسي القحطاني السلفي المالكي. وقال صاحب («أربح البضاعة في معتقد أهل السنة والجماعة» ط: [١] المكتب الإسلامي): إن ناظم هذه القصيدة «لعله محمد بن صالح القحطاني المعافري الأندلسي المالكي أبو عبد الله» قلت: قال غُنجار: كان فقيهًا حافظًا، جمع

تاريخا لأهل الأندلس. وقال أبو سعيد الإدريسي في تاريخ سمرقند: إنه كان من أفاضل الناس ومن ثقاتهم. وقال السمعاني فيه: كان فقيهًا حافظًا، رحل في طلب العلم إلىٰ المشرق والمغرب. وذكره الحاكم أبو عبد الله في تاريخ نيسابور. وقال: اجتمعنا به بهمذان. كما روىٰ عنه أبو القاسم بن حبيب النيسابوري وغيره. كما ذكره ابن عساكر وأسند إليه قوله:

ودعت قلبي ساعة التوديع ... وأطعت قلبي وهو غير مطيعي

إن لم أشيعهم فقد شيعتهم ... بمشيعين تنفسي ودموعي[1]

وقد أشار الزركلي إلىٰ محمد بن صالح القحطاني في كتابه «الأعلام» وذكر أن وفاته كانت سنة ٣٨٧هـ».

أقول: إنما أورده عن صاحب «أربح البضاعة» وما نقله عن الزركلي من أن وفاته كانت سنة ٣٨٧هـ محال؛ لأن الوقائع والأحداث والأشخاص الذين ردّ عليهم القحطاني مثل المعرّي الهالك سنة ٤٤٩هـ، وابن تومرت المتوفىٰ ٥٢٤هـ، أو من أدخل الأشعرية إلىٰ بلاد المغرب والأندلس بين القرنين الخامس والسادس الهجري... الأمر الذي يؤكد أن القحطاني كان بعد ذلك الوقت يقينًا.

هذا وقد أشار ابن القيم إلى هذه النونية بقوله:

ولقد أتىٰ في نظمه من قال قو ... ل الحق والإنصاف غير جبان

أن الذي هو في المصاحف مثبت ... بأنامل الأشياخ والشبان

هو قول ربي آيه وحروفه ... ومدادنا والرَّق مخلوقان

فشفىٰ وفرق بين متلو ومصنـ ... ـوع وذاك حقيقة العرفان

الكل مخلوق وليس كلامه ... المتلو مخلوقا هنا شيئان

قد أفسدا هذا الوجود وخبَّطا الـ ... ـأذهان والآراء كل زمان

---

(١) «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب» للمقري التلمساني، (٢/ ١٥٢).

وفي قوله أيضًا:

ولقد شفانا قول شاعرنا الذي	**قال الصواب وجاء بالإحسان**
إن الذي هو في المصاحف مثبت	**بأنامل الأشياخ والشبان**
هو قول ربي آيه وحروفه	**ومدادنا والرَّق مخلوقان**

... إلخ، بل وضَمَّن نونيته بعض أبياتها؛ فانظر مثلا الأبيات رقم (١٧٤ - ١٧٨، ١٨٨ - ١٩٧، ٢١٧، ٤٢٨، ٤٣٠، ٤٥١، ٥٥٦، ٥٦٢ - ٥٦٣، ٧٦٩، ٧٧٥..).

فعلينا طلبة العلم أن نشتغل بذلك وأن ننأىٰ بأنفسنا عما يشغل عن ذلك من كثرة القيل والقال، وما لا فائدة فيه، وإذا أشكل أمر ما أو عَنّت مسألة وبخاصة ما يتعلق بالأمور الكبار ومصالح المسلمين أو له علاقة بالفتن، فالواجب ترك معالجة ذلك للعلماء الربانيين، الذين «ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»(١)، الذين هم أكبر منّا، وأعلم منّا، وأفقه بمعاني الكتاب والسنة منّا، وأعرف بما يتعلق بالشريعة من قواعد ومقاصد، وأدرىٰ بمراعاة المصالح والمفاسد، وأدرىٰ بمراعاة درء الفتن، فإنهم يزنون الأمور بميزان الشَّرع؛ فربّما تطلّب الأمر عندهم «ما بال أقوام يقولون كذا وكذا»(٢) دون التصريح، وربَّما تطلَّب الأمر مجرَّد التلميح والتلويح، وربَّما تطلَّب الأمر بيان الحق بدليله دون الخوض فيما يخالفه، وربما تطلب المقام الرد بطريقة علميَّة جيدة تراعىٰ فيها مقتضيات الأحوال، وربما تطلب الأمر «بئس الخطيب أنت»(٣)؛ فهم أعلم بمراعاة مقتضيات الأحوال؛ وقديمًا قيل: أعط القوس باريها.

---

(١) أخرجه البيهقي [٢٠٧٠٠]، وابن عساكر (٧/ ٣٨) من حديث إبراهيم بن عبد الرحمن العُذري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الإمام أحمد كما في «جامع الأحاديث» للسيوطي برقم [٢٦٦٤٣]، وصححه الألباني في «المشكاة» [٢٤٨].

(٢) أخرجه أبو داود [٤٧٨٨]، والنسائي [٣٢١٧] من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وصححه الألباني. انظر: «صحيح الجامع» [٤٦٩٢].

(٣) طرف من حديث أخرجه مسلم [٨٧٠] من حديث عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ذُكر عن أبي الأسود الدُؤلي قال:

إنّ الأمــور إذا الأحـــداث دبّـرهـا   دون الشيوخ ترىٰ في سيرها الخللا(١)

فإنـك لتجـد أحيانًا بعـض المتسرِّعين يقحمون أنفسـهم في مسـائل لا قِبل لهم بها، ويَدخلون في إثارة مسـائل لا يدركون عواقب الأمور الناتجة عن الخوض فيها فيدورون في حلقة مفرغة «**رَحِمَ الله امرأً عرف قدر نفسه**»(٢)! يختلفون في مسألة ما أو في شخص ما، فينقسمون إلىٰ قسمين ثم ينشطر الآخرون إلىٰ أقسام ثم ينشطرون إلىٰ أقسام - والعياذ بـالله - وهذا هو شـأن أهل البدع والأهـواء، حيث إنهم يتفرقـون ويتناحرون ويختلفون عند أدنىٰ سـبب أو بلا سبب فيصيرون شيعًا وأحزابًا، كل حزب بما لديهم فرحون، وقد ذم الله أصحاب هذا المسلك، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، وقال سُبحَانَهُ: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

ولا تلتفت يا عبد الله إلىٰ أولئك الرعاع والشُّذَّاذ؛ شُذَّاذ الآفاق وشر الطَّوائف الذين يهوِّنـون من شـأن علماء الأمَّة، فإذا رأيـت النَّاس يتكلَّمون في العلـماء والولاة؛ فاعلم أنهم أصحـاب بدعة وضلالة. قال الخليفة الراشـد عمر بن عبد العزيـز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا رأيت القوم يتناجون في دينهم دون العامة فاعلم أنهم علىٰ تأسيس ضلالة»(٣).

ومـن صفات أصحاب البدع الخوض في أمر علماء الأمّة وولاة أمورها ومن يدعو إلىٰ السـنة بالقدح والتنقص، فإذا رأيت من يغتابهـم ويتكلم فيهم أو يغمزهم، فاعلم أنه صاحب بدعة ومفتتح باب ضلالة؛ فابتعد وانأ بنفسك عنه؛ لأنَّه دنيء يُجرِب، ومن خالط الجرباء جَرِب - بإذن الله -.

---

(١) «الطيوريات» لأبي الحسين الطيوري الحنبلي، ص: [٣٥].

(٢) أثر عن عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ. انظر: «فيض القدير» [٤٤٣٩].

(٣) انظر: «الزهد» للإمام أحمد، ص: [٢٨٩]، و«شرح السنة» للالكائي (١/ ١٣٥).

قال أبو العلا المعري:

واحذر معاشرة الدنيء فإنها ... تُعدي كما يعدي الصحيحَ الأجربُ(١)

قيل للإمام الأوزاعي: إن رجلًا يقول: أنا أجالس أهل السنة وأجالس أهل البدع فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا رجل يريد أن يساوي بين الحق والباطل»، قال ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما أورد كلامه هذا: «صدق الأوزاعي، إن هذا رجل لا يعرف الحق من الباطل»(٢).

و«**الرجل علىٰ دين خليله**»(٣)، و«**المرء مع من أحب**»(٤).

وللسلامة من ذلك ولحفظ وقتك أيها المسلم عليك بالعلم والتعلم والفقه في دين الله تَعَالَىٰ؛ قال رسول الله ﷺ: «**إنّما العلم بالتعلُّم وإنّما الحلم بالتحلُّم**»(٥)، وقال: «**من يُرد الله به خيرًا يُفقِّهه في الدِّين**»(٦).

أسأل الله الكريم، رب العرش العظيم أن يرزقنا وإياكم تلك الخيرية، وأن يعلمنا ما ينفعنا في ديننا ودنيانا، وأن يلهمنا رشدنا، ويقينا شر أنفسنا؛ كما أسأله سُبْحَانَهُ أن يستعملنا في طاعته حتىٰ يختم لنا بخير، وأن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابه، وأن لا يجعله ملتبسا علينا فنَضِلّ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ سيدنا ونبينا محمد ﷺ وعلىٰ آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلىٰ يوم الدين.

---

(١) «مجمع الحكم والأمثال»، ص: [١١].

(٢) أخرجه بن بطة في «الإبانة» (٢/ ٤٥٦)، واللالكائي [٢٥٢] في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة».

(٣) أخرجه أبو داود [٤٨٣٣]، والترمذي [٢٣٧٨] من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: حسن غريب. وحسنه الألباني بمجموع طرقه. انظر: «الضعيفة» برقم [٩٢٧].

(٤) أخرجه البخاري [٦١٦٩]، ومسلم [٢٦٤٠] من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٥) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٩/ ١٢٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٢٣٢٨].

(٦) أخرجه البخاري [٧١]، ومسلم [١٠٣٧] من حديث معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.


متن نونية القحطاني



بسم الله الرحمن الرحيم

وَبِهِ نَسْتَعِينُ

١- يَا مُنْزِلَ الْآيَاتِ وَالْفُرْقَانِ ... بَيْنِي وَبَيْنَكَ حُرْمَةُ الْقُرْآنِ

٢- اشْرَحْ بِهِ صَدْرِي لِمَعْرِفَةِ الْهُدَىٰ ... وَاعْصِمْ بِهِ قَلْبِي مِنَ الشَّيْطَانِ

٣- يَسِّرْ بِهِ أَمْرِي وَاقْضِ مَآرِبِي ... وَأَجِرْ بِهِ جَسَدِي مِنَ النِّيرَانِ

٤- وَاحْطُطْ بِهِ وِزْرِي وَأَخْلِصْ نِيَّتِي ... وَاشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَصْلِحْ شَانِي

٥- وَاكْشِفْ بِهِ ضُرِّي وَحقِّقْ تَوْبَتِي ... وَارْبِحْ بِهِ بَيْعِي بِلَا خُسْرَانِ

٦- طَهِّرْ بِهِ قَلْبِي وَصَفِّ سَرِيرَتِي ... أَجْمِلْ بِهِ ذِكْرِي وَأَعْلِ مَكَانِي

٧- وَاقْطَعْ بِهِ طَمَعِي وَشَرِّفْ هِمَّتِي ... كَثِّرْ بِهِ وَرَعِي وَأَحْيِ جَنَانِي

٨- أَسْهِرْ بِهِ لَيْلِي وَأَظْمِ جَوَارِحِي ... أَسْبِلْ بِفَيضِ دُمُوعِهَا أَجْفَانِي

٩- امْزُجْهُ يَا رَبِّي بِلَحْمِي مَعْ دَمِي ... وَاغْسِلْ بِهِ قَلْبِي مِنَ الْأَضْغَانِ

١٠- أَنْتَ الَّذِي صَوَّرْتَنِي وَخَلَقْتَنِي ... وَهَدَيْتَنِي لِشَرَائِعِ الْإِيمَانِ

١١- أَنْتَ الَّذِي عَلَّمْتَنِي وَرَحِمْتَنِي ... وَجَعَلْتَ صَدْرِي وَاعِيَ الْقُرْآنِ

١٢- أَنْتَ الَّذِي أَطْعَمْتَنِي وَسَقَيْتَنِي ... مِنْ غَيْرِ كَسْبِ يَدٍ وَلَا دُكَّانِ

١٣- وَجَبَرْتَنِي وَسَتَرْتَنِي وَنَصَرْتَنِي ... وَغَمَرْتَنِي بِالْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ

١٤- أَنْتَ الَّذِي آوَيْتَنِي وَحَبَوْتَنِي ... وَهَدَيْتَنِي مِنْ حَيْرَةِ الْخِذْلَانِ

١٥- وَزَرَعْتَ لِي بَيْنَ الْقُلُوبِ مَوَدَّةً ... وَالْعَطْفَ مِنْكَ بِرَحْمَةٍ وَحَنَانِ

١٦- ونَشَرْتَ لِي فِي الْعَالَمِينَ مَحَاسِنًا ... وَسَتَرْتَ عَنْ أَبْصَارِهِمْ عِصْيَانِي

١٧- وَجَعَلْتَ ذِكْرِي فِي الْبَرِيَّةِ شَائِعًا ... حَتَّى جَعَلْتَ جَمِيعَهُمْ إِخْوَانِي

١٨- وَاللهِ لَوْ عَلِمُوا قَبِيحَ سَرِيرَتِي ... لَأَبَىٰ السَّلَامَ عَلَيَّ مَنْ يَلْقَانِي

١٩- وَلَأَعْرَضُوا عَنِّي وَمَلُّوا صُحْبَتِي ... وَلَبُؤْتُ بَعْدَ كَرَامَةٍ بِهَوَانِ

٢٠- لَكِنْ سَتَرْتَ مَعَايِبِي وَمَثَالِبِي ... وَحَلُمْتَ عَنْ سَقَطِي وَعَنْ طُغْيَانِي

٢١- فَلَكَ الْمَحَامِدُ وَالْمَدَائِحُ كُلُّهَا ... بِخَوَاطِرِي وَجَوَارِحِي وَلِسَانِي

٢٢- وَلَقَدْ مَنَنْتَ عَلَيَّ رَبِّ بِأَنْعُمٍ ... مَا لِي بِشُكْرِ أَقَلِّهِنَّ يَدَانِ

٢٣- فَوَحَقِّ حِكْمَتِكَ الَّتِي آتَيْتَنِي ... حَتَّىٰ شَدَدْتَ بِنُورِهَا بُرْهَانِي

٢٤- لَئِنِ اجْتَبَتْنِيَ مِنْ رِضَاكَ مَعُونَةٌ ... حَتَّىٰ تُقَوِّي أَيْدُهَا إِيمَانِي

٢٥- لَأُسَبِّحَنَّكَ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً ... وَلَتَخْدُمَنَّكَ فِي الدُّجَىٰ أَرْكَانِي

٢٦- وَلَأَذْكُرَنَّكَ قَائِمًا أَوْ قَاعِدًا ... وَلَأَشْكُرَنَّكَ سَائِرَ الْأَحْيَانِ

٢٧- وَلَأَكْتُمَنَّ عَنِ الْبَرِيَّةِ خَلَّتِي ... وَلَأَشْكُوَنَّ إِلَيْكَ جَهْدَ زَمَانِي

٢٨- وَلَأَقْصِدَنَّكَ فِي جَمِيعِ حَوَائِجِي ... مِنْ دُونِ قَصْدِ فُلَانَةٍ وَفُلَانِ

٢٩- وَلَأَحْسِمَنَّ عَنِ الْأَنَامِ مَطَامِعِي ... بِحُسَامِ يَأْسٍ لَمْ تَشُبْهُ بَنَانِي

٣٠- وَلَأَجْعَلَنَّ رِضَاكَ أَكْبَرَ هِمَّتِي ... وَلَأَضْرِبَنَّ مِنَ الْهَوَىٰ شَيْطَانِي

٣١- وَلَأَكْسُوَنَّ عُيُوبَ نَفْسِي بِالتُّقَىٰ ... وَلَأَقْبِضَنَّ عَنِ الْفُجُورِ عِنَانِي

٣٢- وَلَأَمْنَعَنَّ النَّفْسَ عَنْ شَهَوَاتِهَا ... وَلَأَجْعَلَنَّ الزُّهْدَ مِنْ أَعْوَانِي

٣٣- وَلَأَتْلُوَنَّ حُرُوفَ وَحْيِكَ فِي الدُّجَىٰ ... وَلَأُحْرِقَنَّ بِنُورِهِ شَيْطَانِي

٣٤- أَنْتَ الَّذِي يَا رَبِّ قُلْتَ حُرُوفَهُ ... وَوَصَفْتَهُ بِالْوَعْظِ وَالتِّبْيَانِ

٣٥- وَنَظَمْتَهُ بِبَلَاغَةٍ أَزَلِيَّةٍ ... تَكْيِيفُهَا يَخْفَىٰ عَلَىٰ الْأَذْهَانِ

٣٦- وَكَتَبْتَ فِي اللَّوْحِ الْحَفِيظِ حُرُوفَهُ ... مِنْ قَبْلِ خَلْقِ الْخَلْقِ فِي أَزْمَانِ

٣٧- فَاللهُ رَبِّي لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا ... حَقًّا إِذَا مَا شَاءَ ذُو إِحْسَانِ

٣٨- نَادَىٰ بِصَوْتٍ حِينَ كَلَّمَ عَبْدَهُ ... مُوسَىٰ فَأَسْمَعَهُ بِلَا كِتْمَانِ

٣٩- وَكَذَا يُنَادِي فِي الْقِيَامَةِ رَبُّنَا ... جَهْرًا فَيَسْمَعُ صَوْتَهُ الثَّقَلَانِ

٤٠- أَنْ يَا عِبَادِي أَنْصِتُوا لِي وَاسْمَعُوا ... قَوْلَ الْإِلَٰهِ الْمَالِكِ الدَّيَّانِ

٤١- هَـذَا حَـدِيـثُ نَبِـيِّنَا عَـنْ رَبِّـهِ ... صِـدْقًـا بِـلَا كَـذِبٍ وَلَا بُـهْـتَـانِ

٤٢- لَسْنَـا نُشَبِّـهُ صَـوْتَـهُ بِكَلَامِنَا ... إِذْ لَـيْـسَ يُـدْرَكُ وَصْـفُـهُ بِعِـيَـانِ

٤٣- لَا تَحْـصُـرُ الْأَوْهَـامُ مَبْلَغَ ذَاتِـهِ ... أَبَـدًا وَلَا يَحْـوِيـهِ قُـطْـرُ مَـكَـانِ

٤٤- وَهُوَ الْمُحِيطُ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمُهُ ... مِـنْ غَـيْـرِ إِغْـفَـالٍ وَلَا نِـسْـيَـانِ

٤٥- مَـنْ ذَا يُـكَـيِّـفُ ذَاتَـهُ وَصِفَاتِهِ ... وَهُــوَ الْـقَـدِيـمُ مُـكَـوِّنُ الْأَكْـوَانِ

٤٦- سُبْحَانَهُ مَلِكًا عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ... وَحَـوَىٰ جَمِيعَ الْـمُـلْـكِ وَالسُّلْطَانِ

٤٧- وَكَـلَامُـهُ الْـقُـرْآنُ أَنْـزَلَ آيَـهُ ... وَحْـيًـا عَلَىٰ الْـمَـبْـعُـوثِ مِـنْ عَدْنَانِ

٤٨- صَلَّىٰ عَلَـيْـهِ اللهُ خَـيْـرَ صَلَاتِهِ ... مَـا لَاحَ فِي فَلَـكَـيْـهِـمَـا الْـقَـمَـرَانِ

٤٩- هُوَ جَاءَ بِالْقُرْآنِ مِنْ عِنْدِ الَّذِي ... لَا تَـعْـتَـرِيـهِ نَـوَائِـبُ الْـحَـدَثَـانِ

٥٠- تَـنْـزِيـلُ رَبِّ الْـعَـالَمِـينَ وَوَحْـيُـهُ ... بِـشَـهَـادَةِ الْأَحْـبَـارِ وَالـرُّهْـبَـانِ

٥١- وَكَـلَامُ رَبِّـي لَا يَجِـيءُ بِمِثْلِهِ ... أَحَــدٌ وَلَــوْ جُـمِـعَـتْ لَـهُ الـثَّـقَـلَانِ

٥٢- وَهُوَ الْمَصُونُ مِنَ الْأَبَاطِلِ كُلِّهَا ... وَمِــنَ الـزِّيَـادَةِ فِـيـهِ وَالـنُّـقْـصَـانِ

٥٣- مَنْ كَانَ يَزْعُمُ أَنْ يُبَارِي نَظْمَهُ ... وَيَــرَاهُ مِـثْـلَ الـشِّـعْـرِ وَالْـهَـذَيَـانِ

٥٤- فَـلْـيَـأْتِ مِـنْـهُ بِـسُـورَةٍ أَوْ آيَـةٍ ... فَـإِذَا رَأَىٰ الـنَّـظْـمَـيْـنِ يَشْتَبِهَانِ

٥٥- فَلْيَنْفَرِدْ بِاسْمِ الْأُلُوهَةِ وَلْيَكُنْ ... رَبَّ الْـبَـرِيَّـةِ وَلْـيَـقُـلْ سُبْحَانِـي

٥٦- فَإِذَا تَنَاقَضَ نَظْمُهُ فَلْيَلْبَسَنْ ... ثَـوْبَ الـنَّـقِـيـصَـةِ صَـاغِـرًا بِـهَـوَانِ

٥٧- أَوْ فَـلْـيُـقِـرَّ بِـأَنَّـهُ تَـنْـزِيـلُ مَـنْ ... سَمَّـاهُ فِي نَـصِّ الْـكِـتَـابِ مَـثَـانِـي

٥٨- لَا رَيْـبَ فِـيـهِ بِـأَنَّـهُ تَـنْـزِيـلُـهُ ... وَبِـدَايَـةُ الـتَّـنْـزِيـلِ فِي رَمَـضَـانِ

٥٩- اللهُ فَـصَّـلَـهُ وَأَحْـكَـمَ آيَـهُ ... وَتَــلَاهُ تَـنْـزِيـلًا بِـلَا أَلْحَـانِ

٦٠- هُـوَ قَـوْلُـهُ وَكَـلَامُـهُ وَخِطَابُهُ ... بِـفَـصَـاحَـةٍ وَبَـلَاغَـةٍ وَبَـيَـانِ

٦١- هُـوَ حُـكْـمُـهُ هُـوَ عِـلْـمُـهُ هُـوَ نُـورُهُ ... وَصِـرَاطُـهُ الْـهَـادِي إِلَىٰ الـرِّضْـوَانِ

٦٢- جَمَعَ الْعُلُومَ دَقِيقَهَا وَجَلِيلَهَا ... فَبِهِ يَصُولُ الْعَالِمُ الرَّبَّانِي

٦٣- قَصَصٌ عَلَىٰ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ قَصَّهُ ... رَبِّي فَأَحْسَنَ أَيَّمَا إِحْسَانِ

٦٤- كَلِمَاتُهُ مَنْظُومَةٌ وَحُرُوفُهُ ... بِتَمَامِ أَلْفَاظٍ وَحُسْنِ مَعَانِ

٦٥- وَأَبَانَ فِيهِ حَلَالَهُ وَحَرَامَهُ ... وَنَهَىٰ عَنِ الْآثَامِ وَالْعِصْيَانِ

٦٦- مَنْ قَالَ إِنَّ اللهَ خَالِقُ قَوْلِهِ ... فَقَدِ اسْتَحَلَّ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ

٦٧- مَنْ قَالَ فِيهِ عِبَارَةٌ وَحِكَايَةٌ ... فَغَدًا يُجَرَّعُ مِنْ حَمِيمٍ آنِ

٦٨- مَنْ قَالَ إِنَّ حُرُوفَهُ مَخْلُوقَةٌ ... فَالْعَنْهُ ثُمَّ اهْجُرْهُ كُلَّ أَوَانِ

٦٩- لَا تَلْقَ مُبْتَدِعًا وَلَا مُتَزَنْدِقًا ... إِلَّا بِعَبْسَةِ مَالِكِ الْغَضْبَانِ

٧٠- وَالْوَقْفُ فِي الْقُرْآنِ خُبْثٌ بَاطِلٌ ... وَخِدَاعُ كُلِّ مُذَبْذَبٍ حَيْرَانِ

٧١- قُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلَامُ إِلَهِنَا ... وَاعْجَلْ وَلَا تَكُ فِي الْإِجَابَةِ وَانِي

٧٢- أَهْلُ الشَّرِيعَةِ أَيْقَنُوا بِنُزُولِهِ ... وَالْقَائِلُونَ بِخَلْقِهِ شَكْلَانِ

٧٣- وَتَجَنَّبِ اللَّفْظَيْنِ إِنَّ كِلَيْهِمَا ... وَمَقَالَ جَهْمٍ عِنْدَنَا سِيَّانِ

٧٤- يَأَيُّهَا السُّنِّيُّ خُذْ بِوَصِيَّتِي ... وَاخْصُصْ بِذَلِكَ جُمْلَةَ الْإِخْوَانِ

٧٥- وَاقْبَلْ وَصِيَّةَ مُشْفِقٍ مُتَوَدِّدٍ ... وَاسْمَعْ بِفَهْمٍ حَاضِرٍ يَقْظَانِ

٧٦- كُنْ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا مُتَوَسِّطًا ... عَدْلًا بِلَا نَقْصٍ وَلَا رُجْحَانِ

٧٧- وَاعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ رَبٌّ وَاحِدٌ ... مُتَنَزِّهٌ عَنْ ثَالِثٍ أَوْ ثَانِ

٧٨- الْأَوَّلُ الْمُبْدِي بِغَيْرِ بِدَايَةٍ ... وَالْآخِرُ الْمُفْنِي وَلَيْسَ بِفَانِ

٧٩- وَكَلَامُهُ صِفَةٌ لَهُ وَجَلَالَةٌ ... مِنْهُ بِلَا أَمَدٍ وَلَا حَدَثَانِ

٨٠- رُكْنُ الدِّيَانَةِ أَنْ تُصَدِّقَ بِالْقَضَا ... لَا خَيْرَ فِي بَيْتٍ بِلَا أَرْكَانِ

٨١- اللهُ قَدْ عَلِمَ السَّعَادَةَ وَالشَّقَا ... وَهُمَا وَمَنْزِلَتَاهُمَا ضِدَّانِ

٨٢- لَا يَمْلِكُ الْعَبْدُ الضَّعِيفُ لِنَفْسِهِ ... رَشَدًا وَلَا يَقْدِرْ عَلَىٰ خِذْلَانِ

٨٣- سُبْحَانَ مَنْ يُجْرِي الْأُمُورَ بِحِكْمَةٍ ... فِي الْخَلْقِ بِالْأَرْزَاقِ وَالْحِرْمَانِ

٨٤- نَفَذَتْ مَشِيئَتُهُ بِسَابِقِ عِلْمِهِ ... فِي خَلْقِهِ عَدْلًا بِلَا عُدْوَانِ

٨٥- وَالْكُلُّ فِي أُمِّ الْكِتَابِ مُسَطَّرٌ ... مِنْ غَيْرِ إِغْفَالٍ وَلَا نُقْصَانِ

٨٦- فَاقْصِدْ هُدِيتَ وَلَا تَكُنْ مُتَغَالِيًا ... إِنَّ الْقُدُورَ تَفُورُ بِالْغَلَيَانِ

٨٧- دِنْ بِالشَّرِيعَةِ وَالْكِتَابِ كِلَيْهِمَا ... فَكِلَاهُمَا لِلدِّينِ وَاسِطَتَانِ

٨٨- وَكَذَا الشَّرِيعَةُ وَالْكِتَابُ كِلَاهُمَا ... بِجَمِيعِ مَا تَأْتِيهِ مُحْتَفِظَانِ

٨٩- وَلِكُلِّ عَبْدٍ حَافِظَانِ لِكُلِّ مَا ... يَقَعُ الْجَزَاءُ عَلَيْهِ مَخْلُوقَانِ

٩٠- أُمِرَا بِكَتْبِ كَلَامِهِ وَفِعَالِهِ ... وَهُمَا لِأَمْرِ اللهِ مُؤْتَمِرَانِ

٩١- وَاللهُ صِدْقٌ وَعْدُهُ وَوَعِيدُهُ ... مِمَّا يُعَايِنُ شَخْصَهُ الْعَيْنَانِ

٩٢- وَاللهُ أَكْبَرُ أَنْ تُحَدَّ صِفَاتُهُ ... أَوْ أَنْ يُقَاسَ بِجُمْلَةِ الْأَعْيَانِ

٩٣- وَحَيَاتُنَا فِي الْقَبْرِ بَعْدَ مَمَاتِنَا ... حَقٌّ وَيَسْأَلُنَا بِهِ الْمَلَكَانِ

٩٤- وَالْقَبْرُ صَحَّ نَعِيمُهُ وَعَذَابُهُ ... وَكِلَاهُمَا لِلنَّاسِ مُدَّخَرَانِ

٩٥- وَالْبَعْثُ بَعْدَ الْمَوْتِ وَعْدٌ صَادِقٌ ... بِإِعَادَةِ الْأَرْوَاحِ فِي الْأَبْدَانِ

٩٦- وَصِرَاطُنَا حَقٌّ وَحَوْضُ نَبِيِّنَا ... صِدْقٌ لَهُ عَدَدُ النُّجُومِ أَوَانِي

٩٧- يُسْقَىٰ بِهَا السُّنِّي أَعْذَبَ شَرْبَةٍ ... وَيُذَادُ كُلُّ مُخَالِفٍ فَتَّانِ

٩٨- وَكَذَلِكَ الْأَعْمَالُ يَوْمَئِذٍ تُرَىٰ ... مَوْضُوعَةً فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ

٩٩- وَالْكُتْبُ يَوْمَئِذٍ تَطَايَرُ فِي الْوَرَىٰ ... بِشَمَائِلِ الْأَيْدِي وَبِالْأَيْمَانِ

١٠٠- وَاللهُ يَوْمَئِذٍ يَجِيءُ لِعَرْضِنَا ... مَعَ أَنَّهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ دَانِ

١٠١- وَالْأَشْعَرِيُّ يَقُولُ يَأْتِي أَمْرُهُ ... وَيَعِيبُ وَصْفَ اللهِ بِالْإِتْيَانِ

١٠٢- وَاللهُ فِي الْقُرْآنِ أَخْبَرَ أَنَّهُ ... يَأْتِي بِغَيْرِ تَنَقُّلٍ وَتَدَانِ

١٠٣- وَعَلَيْهِ عَرْضُ الْخَلْقِ يَوْمَ مَعَادِهِمْ ... لِلْحُكْمِ كَيْ يَتَنَاصَفَ الْخَصْمَانِ

١٠٤- وَاللهُ يَـوْمَئِـذٍ نَـرَاهُ كَمَا نَرَىٰ قَـمَـرًا بَـدَا لِـلسِّـتِّ بَـعْـدَ ثَمَـانِ
١٠٥- يَـوْمُ الْقِيَامَةِ لَـوْ عَلِمْتَ بِهَوْلِهِ لَـفَـرَرْتَ مِـنْ أَهْـلٍ وَمِـنْ أَوْطَـانِ
١٠٦- يَـوْمٌ تَـشَـقَّقَتِ الـسَّمَـاءُ لِهَوْلِهِ وَتَـشِـيـبُ فِـيـهِ مَـفَـارِقُ الْـوِلْـدَانِ
١٠٧- يَـوْمٌ عَـبُـوسٌ قَـمْـطَـرِيـرٌ شَـرُّهُ فِي الْخَـلْـقِ مُـنْـتَـشِـرٌ عَـظِـيمُ الشَّانِ
١٠٨- وَالْجَـنَّـةُ الْـعُـلْـيَـا وَنَـارُ جَهَنَّمٍ دَارَانِ لِـلْـخَـصْـمَـيْـنِ دَائِـمَـتَـانِ
١٠٩- يَـوْمٌ يَجِـيءُ الْـمُـتَّـقُونَ لِرَبِّهِمْ وَفْـدًا عَلَىٰ نُجُـبٍ مِـنَ الْـعِـقْـيَـانِ
١١٠- وَيَجِيءُ فِيهِ الْمُجْرِمُونَ إِلىٰ لَظَىٰ يَـتَـلَـمَّـظُـونَ تَـلَـمُّـظَ الْـعَـطْـشَـانِ
١١١- وَدُخُولُ بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ جَهَنَّمًا بِـكَـبَـائِـرِ الْآثَـــامِ وَالـطُّـغْـيَـانِ
١١٢- وَاللهُ يَـرْحَمُهُمْ بِصِحَّةِ عَقْدِهِم وَيُـبَـدَّلُـوا مِـنْ خَـوْفِـهِـم بِـأَمَـانِ
١١٣- وَشَفِيعُهُمْ عِنْدَ الْخُرُوجِ مُحَمَّدٌ وَطُـهُـورُهُـمْ فِي شَـاطِـئِ الْحَـيَـوَانِ
١١٤- حَتَّىٰ إِذَا طَهُرُوا هُنَالِكَ أُدْخِلُوا جَـنَّـاتِ عَـدْنٍ وَهْـيَ خَـيْـرُ جِـنَـانِ
١١٥- فَـاللهُ يَجْـمَـعُـنَـا وَإِيَّـاهُـمْ بِهَا مِـنْ غَـيْرِ تَـعْـذِيـبٍ وَغَـيْرِ هَـوَانِ
١١٦- وَإِذَا دُعِيتَ إِلىٰ أَدَاءِ فَرِيضَةٍ فَـانْـشَـطْ وَلَا تَـكُ فِي الْإِجَـابَـةِ وَانِـي
١١٧- قُمْ بِالصَّلَاةِ الْخَمْسِ وَاعْرِفْ قَدْرَهَا فَـلَـهُـنَّ عِـنْـدَ اللهِ أَعْـظَـمُ شَـانِ
١١٨- لَا تَـمْـنَـعَـنَّ زَكَـاةَ مَـالِكَ ظَالِمًا فَـصَـلَاتُـنَـا وَزَكَـاتُـنَـا أُخْـتَـانِ
١١٩- وَالْوِتْرُ بَعْدَ الْفَرْضِ آكَدُ سُنَّةٍ وَالْجُـمْـعَـةُ الـزَّهْـرَاءُ وَالْـعِـيـدَانِ
١٢٠- مَـعَ كُـلِّ بَـرٍّ صَلِّهَا أَوْ فَاجِرٍ مَـا لَمْ يَـكُـنْ فِي دِيـنِـهِ بِمُـشَـانِ
١٢١- وَصِيَامُنَا رَمَضَانَ فَرْضٌ وَاجِبٌ وَقِـيَـامُـنَـا الْـمَـسْـنُونُ فِي رَمَـضَـانِ
١٢٢- صَلَّىٰ النَّبِـيُّ بِـهِ ثَـلَاثًـا رَغْبَةً وَرَوَىٰ الْجَـمَـاعَـةُ أَنَّـهَـا ثِـنْـتَـانِ
١٢٣- إِنَّ الـتَّـرَاوِحَ رَاحَـةٌ فِي لَيْلِهِ وَنَـشَـاطُ كُـلِّ عُـوَيْجِـزٍ كَـسْـلَانِ
١٢٤- وَاللهِ مَا جَعَلَ الـتَّـرَاوِحَ مُنْكَرًا إِلَّا الْـمَـجُـوسُ وَشِـيـعَـةُ الصُّلْبَانِ

١٢٥- وَالْحَجُّ مُفْتَرَضٌ عَلَيْكَ وَشَرْطُهُ أَمْنُ الطَّرِيقِ وَصِحَّةُ الْأَبْدَانِ
١٢٦- كَبِّرْ هُدِيتَ عَلَىٰ الْجَنَائِزِ أَرْبَعًا وَاسْأَلْ لَهَا بِالْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ
١٢٧- إِنَّ الصَّلَاةَ عَلَىٰ الْجَنَائِزِ عِنْدَنَا فَرْضُ الْكِفَايَةِ لَا عَلَىٰ الْأَعْيَانِ
١٢٨- إِنَّ الْأَهِلَّةَ لِلْأَنَامِ مَوَاقِتٌ وَبِهَا يَقُومُ حِسَابُ كُلِّ زَمَانِ
١٢٩- لَا تُفْطِرَنَّ وَلَا تَصُمْ حَتَّىٰ يَرَىٰ شَخْصَ الْهِلَالِ مِنَ الْوَرَىٰ إِثْنَانِ
١٣٠- مُتَثَبِّتَانِ عَلَىٰ الَّذِي يَرَيَانِهِ حُرَّانِ فِي نَقْلَيْهِمَا ثِقَتَانِ
١٣١- لَا تَقْصِدَنَّ لِيَوْمِ شَكٍّ عَامِدًا فَتَصُومَهُ وَتَقُولُ مِنْ رَمَضَانِ
١٣٢- لَا تَعْتَقِدْ دِينَ الرَّوَافِضِ إِنَّهُمْ أَهْلُ الْمُحَالِ وَحِزْبَةُ الشَّيْطَانِ
١٣٣- جَعَلُوا الشُّهُورَ عَلَىٰ قِيَاسِ حِسَابِهِمْ وَلَرُبَّمَا كَمُلَا لَنَا شَهْرَانِ
١٣٤- وَلَرُبَّمَا نَقَصَ الَّذِي هُوَ عِنْدَهُمْ وَافٍ وَأَوْفَىٰ صَاحِبُ النُّقْصَانِ
١٣٥- إِنَّ الرَّوَافِضَ شَرُّ مَنْ وَطِئَ الْحَصَىٰ مِنْ كُلِّ إِنْسٍ نَاطِقٍ أَوْ جَانِ
١٣٦- مَدَحُوا النَّبِيَّ وَخَوَّنُوا أَصْحَابَهُ وَرَمَوْهُمُ بِالظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ
١٣٧- حَبُّوا قَرَابَتَهُ وَسَبُّوا صَحْبَهُ جَدَلَانِ عِنْدَ اللهِ مُنْتَقِضَانِ
١٣٨- فَكَأَنَّمَا آلُ النَّبِيِّ وَصَحْبُهُ رُوحٌ يَضُمُّ جَمِيعَهَا جَسَدَانِ
١٣٩- فِئَتَانِ عَقْدُهُمَا شَرِيعَةُ أَحْمَدٍ بِأَبِي وَأُمِّي ذَانِكَ الْفِئَتَانِ
١٤٠- فِئَتَانِ سَالِكَتَانِ فِي سُبُلِ الْهُدَىٰ وَهُمَا بِدِينِ اللهِ قَائِمَتَانِ
١٤١- قُلْ إِنَّ خَيْرَ الْأَنْبِيَاءِ مُحَمَّدٌ وَأَجَلَّ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ الْكُثْبَانِ
١٤٢- وَأَجَلُّ صَحْبِ الرُّسْلِ صَحْبُ مُحَمَّدٍ وَكَذَاكَ أَفْضَلُ صَحْبِهِ الْعُمَرَانِ
١٤٣- رَجُلَانِ قَدْ خُلِقَا لِنَصْرِ مُحَمَّدٍ بِدَمِي وَنَفْسِي ذَانِكَ الرَّجُلَانِ
١٤٤- فَهُمَا اللَّذَانِ تَظَاهَرَا لِنَبِيِّنَا فِي نَصْرِهِ وَهُمَا لَهُ صِهْرَانِ
١٤٥- بِنْتَاهُمَا أَسْنَىٰ نِسَاءِ نَبِيِّنَا وَهُمَا لَهُ بِالْوَحْيِ صَاحِبَتَانِ

١٤٦- أَبَوَاهُمَا أَسْنَىٰ صَحَابَةِ أَحْمَدٍ يَا حَبَّذَا الأَبَوَانِ وَالْبِنْتَانِ
١٤٧- وَهُمَا وَزِيرَاهُ اللَّذَانِ هُمَا هُمَا لِفَضَائِلِ الأَعْمَالِ مُسْتَبِقَانِ
١٤٨- وَهُمَا لأَحْمَدَ نَاظِرَاهُ وَسَمْعُهُ وَبِقُرْبِهِ فِي الْقَبْرِ مُضْطَجِعَانِ
١٤٩- كَانَا عَلَىٰ الإِسْلَامِ أَشْفَقَ أَهْلِهِ وَهُمَا لِدِينِ مُحَمَّدٍ جَبَلَانِ
١٥٠- أَصْفَاهُمَا أَقْوَاهُمَا أَخْشَاهُمَا أَتْقَاهُمَا فِي السِّرِّ وَالإِعْلَانِ
١٥١- أَسْنَاهُمَا أَزْكَاهُمَا أَعْلَاهُمَا أَوْفَاهُمَا فِي الْوَزْنِ وَالرُّجْحَانِ
١٥٢- صِدِّيقُ أَحْمَدَ صَاحِبُ الْغَارِ الَّذِي هُوَ فِي الْمَغَارَةِ وَالنَّبِيُّ اثْنَانِ
١٥٣- أَعْنِي أَبَا بَكْرٍ الَّذِي لَمْ يَخْتَلِفْ مِنْ شَرْعِنَا فِي فَضْلِهِ رَجُلَانِ
١٥٤- هُوَ شَيْخُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ وَخَيْرُهُمْ وَإِمَامُهُمْ حَقًّا بِلَا بُطْلَانِ
١٥٥- وَأَبُو الْمُطَهَّرَةِ الَّتِي تَنْزِيهُهَا قَدْ جَاءَنَا فِي النُّورِ وَالْفُرْقَانِ
١٥٦- أَكْرِمْ بِعَائِشَةَ الرِّضَا مِنْ حُرَّةٍ بِكْرٍ مُطَهَّرَةِ الإِزَارِ حَصَانِ
١٥٧- هِيَ زَوْجُ خَيْرِ الأَنْبِيَاءِ وَبِكْرُهُ وَعَرُوسُهُ مِنْ جُمْلَةِ النِّسْوَانِ
١٥٨- هِيَ عِرْسُهُ هِيَ أُنْسُهُ هِيَ إِلْفُهُ هِيَ حِبُّهُ صِدْقًا بِلَا إِدْهَانِ
١٥٩- أَوَلَيْسَ وَالِدُهَا يُصَافِي بَعْلَهَا وَهُمَا بِرُوحِ اللهِ مُؤْتَلِفَانِ
١٦٠- لَمَّا قَضَىٰ صِدِّيقُ أَحْمَدَ نَحْبَهُ دَفَعَ الْخِلَافَةَ لِلإِمَامِ الثَّانِي
١٦١- أَعْنِي بِهِ الْفَارُوقَ فَرَّقَ عَنْوَةً بِالسَّيْفِ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالإِيمَانِ
١٦٢- هُوَ أَظْهَرَ الإِسْلَامَ بَعْدَ خَفَائِهِ وَمَحَا الظَّلَامَ وَبَاحَ بِالْكِتْمَانِ
١٦٣- وَمَضَىٰ وَخَلَّىٰ الأَمْرَ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ فِي الأَمْرِ فَاجْتَمَعُوا عَلَىٰ عُثْمَانِ
١٦٤- مَنْ كَانَ يَسْهَرُ لَيْلَةً فِي رَكْعَةٍ وِتْرًا فَيُكْمِلُ خَتْمَةَ الْقُرْآنِ
١٦٥- وَلِيَ الْخِلَافَةَ صِهْرُ أَحْمَدَ بَعْدَهُ أَعْنِي عَلِيَّ الْعَالِمَ الرَّبَّانِي
١٦٦- زَوْجَ الْبَتُولِ أَخَا الرَّسُولِ وَرُكْنَهُ لَيْثَ الْحُرُوبِ مُنَازِلَ الأَقْرَانِ

١٦٧- سُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ الْخِلَافَةَ رُتْبَةً ... وَبَنَىٰ الْإِمَامَةَ أَيَّمَا بُنْيَانِ

١٦٨- وَاسْتَخْلَفَ الْأَصْحَابَ كَيْ لَا يَدَّعِي ... مِنْ بَعْدِ أَحْمَدَ فِي النُّبُوَّةِ ثَانِ

١٦٩- أَكْرِمْ بِفَاطِمَةَ الْبَتُولِ وَبَعْلِهَا ... وَبِمَنْ هُمَا لِمُحَمَّدٍ سِبْطَانِ

١٧٠- غُصْنَانِ أَصْلُهُمَا بِرَوْضَةِ أَحْمَدٍ ... لِلَّهِ دَرُّ الْأَصْلِ وَالْغُصْنَانِ

١٧١- أَكْرِمْ بِطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ وَسَعْدِهِمْ ... وَسَعِيدِهِمْ وَبِعَابِدِ الرَّحْمَنِ

١٧٢- وَأَبِي عُبَيْدَةَ ذِي الدِّيَانَةِ وَالتُّقَىٰ ... وَامْدَحْ جَمَاعَةَ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ

١٧٣- قُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي صَحَابَةِ أَحْمَدٍ ... وَامْدَحْ جَمِيعَ الْآلِ وَالنِّسْوَانِ

١٧٤- دَعْ مَا جَرَىٰ بَيْنَ الصَّحَابَةِ فِي الْوَغَىٰ ... بِسُيُوفِهِمْ يَوْمَ الْتَقَىٰ الْجَمْعَانِ

١٧٥- فَقَتِيلُهُمْ مِنْهُمْ وَقَاتِلُهُمْ لَهُمْ ... وَكِلَاهُمَا فِي الْحَشْرِ مَرْحُومَانِ

١٧٦- وَاللهُ يَوْمَ الْحَشْرِ يَنْزِعُ كُلَّ مَا ... تَحْوِي صُدُورُهُمُ مِنَ الْأَضْغَانِ

١٧٧- وَالْوَيْلُ لِلرَّكْبِ الَّذِينَ سَعَوْا إِلَىٰ ... عُثْمَانَ فَاجْتَمَعُوا عَلَىٰ الْعِصْيَانِ

١٧٨- وَيْلٌ لِمَنْ قَتَلَ الْحُسَيْنَ فَإِنَّهُ ... قَدْ بَاءَ مِنْ مَوْلَاهُ بِالْخُسْرَانِ

١٧٩- لَسْنَا نُكَفِّرُ مُسْلِمًا بِكَبِيرَةٍ ... فَاللهُ ذُو عَفْوٍ وَذُو غُفْرَانِ

١٨٠- لَا تَقْبَلَنَّ مِنَ التَّوَارِخِ كُلَّ مَا ... جَمَعَ الرُّوَاةُ وَخَطَّ كُلُّ بَنَانِ

١٨١- ارْوِ الْحَدِيثَ الْمُنْتَقَىٰ عَنْ أَهْلِهِ ... سِيمَا ذَوِي الْأَحْلَامِ وَالْأَسْنَانِ

١٨٢- كَابْنِ الْمُسَيِّبِ وَالْعَلَاءِ وَمَالِكٍ ... وَاللَّيْثِ وَالزُّهْرِيِّ أَوْ سُفْيَانِ

١٨٣- وَاحْفَظْ رِوَايَةَ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ ... فَمَكَانُهُ فِيهَا أَجَلُّ مَكَانِ

١٨٤- وَاحْفَظْ لِأَهْلِ الْبَيْتِ وَاجِبَ حَقِّهِمْ ... وَاعْرِفْ عَلِيًّا أَيَّمَا عِرْفَانِ

١٨٥- لَا تَنْتَقِصْهُ وَلَا تَزِدْ فِي قَدْرِهِ ... فَعَلَيْهِ تَصْلَىٰ النَّارَ طَائِفَتَانِ

١٨٦- إِحْدَاهُمَا لَا تَرْتَضِيهِ خَلِيفَةً ... وَتَنُصُّهُ الْأُخْرَىٰ إِلَهًا ثَانِي

١٨٧- وَالْعَنْ زَنَادِقَةَ الْجَهَالَةِ إِنَّهُمْ ... أَعْنَاقُهُمْ غُلَّتْ إِلَىٰ الْأَذْقَانِ

١٨٨- جَحَدُوا الشَّرَائِعَ وَالنُّبُوَّةَ وَاقْتَدَوْا بِفَسَادِ مِلَّةِ صَاحِبِ الإِيوَانِ
١٨٩- لَا تَرْكَنَنَّ إِلَىٰ الرَّوَافِضِ إِنَّهُمْ شَتَمُوا الصَّحَابَةَ دُونَ مَا بُرْهَانِ
١٩٠- لَعَنُوا كَمَا بَغَضُوا صَحَابَةَ أَحْمَدٍ وَوِدَادُهُمْ فَرْضٌ عَلَىٰ الإِنْسَانِ
١٩١- حُبُّ الصَّحَابَةِ وَالْقَرَابَةِ سُنَّةٌ أَلْقَىٰ بِهَا رَبِّي إِذَا أَحْيَانِي
١٩٢- احْذَرْ عِقَابَ اللهِ وَارْجُ ثَوَابَهُ حَتَّىٰ تَكُونَ كَمَنْ لَهُ قَلْبَانِ
١٩٣- إِيمَانُنَا بِاللهِ بَيْنَ ثَلَاثَةٍ عَمَلٍ وَقَوْلٍ وَاعْتِقَادِ جَنَانِ
١٩٤- وَيَزِيدُ بِالتَّقْوَىٰ وَيَنْقُصُ بِالرَّدَىٰ وَكِلَاهُمَا فِي الْقَلْبِ يَعْتَلِجَانِ
١٩٥- وَإِذَا خَلَوْتَ بِرِيبَةٍ فِي ظُلْمَةٍ وَالنَّفْسُ دَاعِيَةٌ إِلَىٰ الطُّغْيَانِ
١٩٦- فَاسْتَحْيِ مِنْ نَظَرِ الإِلَهِ وَقُلْ لَهَا إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الظَّلَامَ يَرَانِي
١٩٧- كُنْ طَالِبًا لِلْعِلْمِ وَاعْمَلْ صَالِحًا فَهُمَا إِلَىٰ سُبُلِ الْهُدَىٰ سَبَبَانِ
١٩٨- لَا تَتَّبِعْ عِلْمَ النُّجُومِ فَإِنَّهُ مُتَعَلِّقٌ بِزَخَارِفِ الْكُهَّانِ
١٩٩- عِلْمُ النُّجُومِ وَعِلْمُ شَرْعِ مُحَمَّدٍ فِي قَلْبِ عَبْدٍ لَيْسَ يَجْتَمِعَانِ
٢٠٠- لَوْ كَانَ عِلْمٌ لِلْكَوَاكِبِ أَوْ قَضَا لَمْ يَهْبِطِ الْمِرِّيخُ فِي السَّرَطَانِ
٢٠١- وَالشَّمْسُ فِي الْحَمَلِ الْمُضِيءِ سَرِيعَةٌ وَهُبُوطُهَا فِي كَوْكَبِ الْمِيزَانِ
٢٠٢- وَالشَّمْسُ مُحْرِقَةٌ لِسِتَّةِ أَنْجُمٍ لَكِنَّهَا وَالْبَدْرَ يَنْخَسِفَانِ
٢٠٣- وَلَرُبَّمَا اسْوَدَّا وَغَابَ ضِيَاهُمَا وَهُمَا لِخَوْفِ اللهِ يَرْتَعِدَانِ
٢٠٤- ارْدُدْ عَلَىٰ مَنْ يَطْمَئِنُّ إِلَيْهِمَا وَيَظُنُّ أَنَّ كِلَيْهِمَا رَبَّانِ
٢٠٥- يَا مَن يُحِبُّ الْمُشْتَرِي وَعُطَارِدًا وَيَظُنُّ أَنَّهُمَا لَهُ سَعْدَانِ
٢٠٦- لَمْ يَهْبِطَانِ وَيَعْلُوَانِ تَشَرُّفًا وَبِوَهْجِ حَرِّ الشَّمْسِ يَحْتَرِقَانِ
٢٠٧- أَتَخَافُ مِنْ زُحَلٍ وَتَرْجُو الْمُشْتَرِي وَكِلَاهُمَا عَبْدَانِ مَمْلُوكَانِ
٢٠٨- وَاللهِ لَوْ مَلَكَا حَيَاةً أَوْ فَنَا لَسَجَدْتُ نَحْوَهُمَا لِيَصْطَنِعَانِي

٢٠٩- وَلِيَفْسَحَا فِي مُدَّتِي وَيُوَسِّعَا رِزْقِي وَبِالْإِحْسَانِ يَكْتَنِفَانِي
٢١٠- بَلْ كُلُّ ذَلِكَ فِي يَدِ اللهِ الَّذِي ذَلَّتْ لِعِزَّةِ وَجْهِهِ الثَّقَلَانِ
٢١١- فَقَدِ اسْتَوَىٰ زُحَلٌ وَنَجْمُ الْمُشْتَرِي وَالرَّأْسُ وَالذَّنَبُ الْعَظِيمُ الشَّانِ
٢١٢- وَالزُّهَرَةُ الْغَرَّاءُ مَعْ مِرِّيخِهَا وَعُطَارِدُ الْوَقَّادُ مَعْ كِيوَانِ
٢١٣- إِنْ قَابَلَتْ وَتَرَبَّعَتْ وَتَثَلَّثَتْ وَتَسَدَّسَتْ وَتَلَاحَقَتْ بِقِرَانِ
٢١٤- أَلَهَا دَلِيلُ سَعَادَةٍ أَوْ شِقْوَةٍ لَا وَالَّذِي بَرَأَ الْوَرَىٰ وَبَرَانِي
٢١٥- مَنْ قَالَ بِالتَّأْثِيرِ فَهْوَ مُعَطِّلٌ لِلشَّرْعِ مُتَّبِعٌ لِقَوْلِ ثَانِ
٢١٦- إِنَّ النُّجُومَ عَلَىٰ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ فَاسْمَعْ مَقَالَ النَّاقِدِ الدِّهْقَانِ
٢١٧- بَعْضُ النُّجُومِ خُلِقْنَ زَيْنًا لِلسَّمَا كَالدُّرِّ فَوْقَ تَرَائِبِ النِّسْوَانِ
٢١٨- وَكَوَاكِبٌ تَهْدِي الْمُسَافِرَ فِي السُّرَىٰ وَرُجُومُ كُلِّ مُشَابِرٍ شَيْطَانِ
٢١٩- لَا يَعْلَمُ الْإِنْسَانُ مَا يُقْضَىٰ غَدًا إِذْ كُلَّ يَوْمٍ رَبُّنَا فِي شَانِ
٢٢٠- وَاللهُ يُمْطِرُنَا الْغُيُوثَ بِفَضْلِهِ لَا نَوْءَ عَوَّاءٍ وَلَا دَبَرَانِ
٢٢١- مَنْ قَالَ إِنَّ الْغَيْثَ جَاءَ بِهَنْعَةٍ أَوْ صَرْفَةٍ أَوْ كَوْكَبِ الْمِيزَانِ
٢٢٢- فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا وَبُهْتَانًا وَلَمْ يُنْزِلْ بِهِ الرَّحْمَنُ مِنْ سُلْطَانِ
٢٢٣- وَكَذَا الطَّبِيعَةُ لِلشَّرِيعَةِ ضِدُّهَا وَلَقَلَّمَا يَتَجَمَّعُ الضِّدَّانِ
٢٢٤- وَإِذَا طَلَبْتَ طَبَائِعًا مُسْتَسْلِمًا فَاطْلُبْ شُوَاظَ النَّارِ فِي الْغُدْرَانِ
٢٢٥- عِلْمُ الْفَلَاسِفَةِ الْغُوَاةِ طَبِيعَةٌ وَمَعَادُ أَرْوَاحٍ بِلَا أَبْدَانِ
٢٢٦- لَوْلَا الطَّبِيعَةُ عِنْدَهُمْ وَفِعَالُهَا لَمْ يَمْشِ فَوْقَ الْأَرْضِ مِنْ حَيَوَانِ
٢٢٧- وَالْبَحْرُ عُنْصُرُ كُلِّ مَاءٍ عِنْدَهُمْ وَالشَّمْسُ أَوَّلُ عُنْصُرِ النِّيرَانِ
٢٢٨- وَالْغَيْثُ أَبْخِرَةٌ تَصَاعَدُ كُلَّمَا دَامَتْ بِهَطْلِ الْوَابِلِ الْهَتَّانِ
٢٢٩- وَالرَّعْدُ عِنْدَ الْفَيْلَسُوفِ بِزَعْمِهِ صَوْتُ اصْطِكَاكِ السُّحْبِ فِي الْأَعْنَانِ

٢٣٠- وَالْـبَرْقُ عِـنْـدَهُمْ شُـوَاظٌ خَارِجٌ ... بَـيْنَ الـسَّحَـابِ يُـضِـيءُ فِي الأَحْـيَـانِ
٢٣١- كَـذَبَ أَرِسْطَالِيسُهُمْ فِي قَوْلِهِ ... هَـذَا وَأَسْـرَفَ أَيَّمَا هَـذَيَـانِ
٢٣٢- الْغَيْثُ يُفْرَغُ فِي السَّحَابِ مِنَ السَّمَا ... وَيَـكِـيلُـهُ مِـيكَـالُ بِـالْـمِـيزَانِ
٢٣٣- لَا قَـطْـرَةٌ إِلَّا وَيَـنْـزِلُ نَحْوَهَا ... مَـلَـكٌ إِلَىٰ الآكَـامِ وَالْـفَـيَـضَـانِ
٢٣٤- وَالرَّعْدُ صَيْحَةُ مَالِكٍ وَهوَ اسْمُهُ ... يُزْجِي السَّحَابَ كَسَائِقِ الأَظْعَانِ
٢٣٥- وَالْبَرقُ شُوظُ النَّارِ يَزْجُرُهَا بِهِ ... زَجْـرَ الْحُـدَاةِ الْعِيسِ بِالقُضْبَانِ
٢٣٦- أَفَكَانَ يَعْلَمُ ذَا أَرِسْطَالِيسُهُمْ ... تَـدْبِـيرَ مَـا انْـفَـرَدَتْ بِـهِ الْجِـهَـتَـانِ
٢٣٧- أَمْ غَابَ تَحْتَ الأَرْضِ أَمْ صَعِدَ السَّمَا ... فَـرَأَىٰ بِـهَـا الْـمَـلَـكُوتَ رَأْيَ عِيَانِ
٢٣٨- أَمْ كَـان دَبَّـرَ لَـيْـلَـهَـا وَنَهَارَهَا ... أَمْ كَـانَ يَـعْـلَـمُ كَـيْـفَ يَخْتَلِفَانِ
٢٣٩- أَمْ سَارَ بَطْلَيْمُوسُ بَيْنَ نُجُومِهَا ... حَتَّىٰ رَأَىٰ الـسَّـيَّـارَ وَالْـمُـتَـوَانِي
٢٤٠- أَمْ كَانَ أَطْلَعَ شَمْسَهَا وَهِلَالَهَا ... أَمْ هَـلْ تَـبَـصَّـرَ كَـيْـفَ يَعْتَقِبَانِ
٢٤١- أَمْ كَانَ أَرْسَلَ رِيحَهَا وَسَحَابَهَا ... بِـالْـغَـيْـثِ يَـهْـمِـلُ أَيَّمَا هَـمَـلَانِ
٢٤٢- بَلْ كَانَ ذَلِكَ حِكْمَةَ اللهِ الَّذِي ... بِـقَـضَـائِـهِ مُـتَـصَـرَّفُ الأَزْمَـانِ
٢٤٣- لَا تَسْتَمِعْ قَوْلَ الضَّوَارِبِ بِالْحَصَا ... وَالـزَّاجِـرِيـنَ الـطَّـيْرَ بِـالـطَّـيَرَانِ
٢٤٤- فَالْفِرْقَتَانِ كَذُوبَتَانِ عَلَىٰ الْقَضَا ... وَبِـعِـلْـمِ غَـيْـبِ اللهِ جَـاهِـلَـتَـانِ
٢٤٥- كَذَبَ الْمُهَنْدِسُ وَالْمُنَجِّمُ مِثْلُهُ ... فَـهُـمَـا لِـعِـلْـمِ اللهِ مُـدَّعِـيَـانِ
٢٤٦- الأَرْضُ عِنْدَ كِلَيْهِمَا كُرَوِيَّةٌ ... وَهُـمَـا بِـهَـذَا الْـقَـوْلِ مُـقْـتَرِنَـانِ
٢٤٧- وَالأَرْضُ عِنْدَ أُولِي النُّهَىٰ لَسَطِيحَةٌ ... بِـدَلِـيـلِ صِـدْقٍ وَاضِـحِ الْـقُـرْآنِ
٢٤٨- وَاللهُ صَيَّرَهَا فِرَاشًا لِلْوَرَىٰ ... وَبَـنَـىٰ الـسَّـمَـاءَ بِأَحْسَنِ الْبُنْيَانِ
٢٤٩- وَاللهُ أَخْـبَـرَ أَنَّـهَـا مَسْطُوحَةٌ ... وَأَبَـانَ ذَلِـكَ أَيَّمَا تِـبْـيَـانِ
٢٥٠- أَأَحَاطَ بِالأَرْضِ الْمُحِيطَةِ عِلْمُهُمْ ... أَمْ بِـالْجِـبَـالِ الـشُّـمَّـخِ الأَكْـنَـانِ

٢٥١- أَمْ يُخْبِرُونَ بِطُولِهَا وَبِعَرْضِهَا ... أَمْ هَلْ هُمَا فِي الْقَدْرِ مُسْتَوِيَانِ

٢٥٢- أَمْ فَجَّرُوا أَنْهَارَهَا وَعُيُونَهَا ... مَاءً بِهِ يُرْوَىٰ صَدَىٰ الْعَطْشَانِ

٢٥٣- أَمْ أَخْرَجُوا أَثْمَارَهَا وَنَبَاتَهَا ... وَالنَّخْلَ ذَاتَ الطَّلْعِ وَالْقِنْوَانِ

٢٥٤- أَمْ هَلْ لَهُمْ عِلْمٌ بِعَدِّ ثِمَارِهَا ... أَمْ بِاخْتِلَافِ الطَّعْمِ وَالْأَلْوَانِ

٢٥٥- اللهُ أَحْكَمَ خَلْقَ ذَلِكَ كُلِّهِ ... صُنْعًا وَأَتْقَنَ أَيَّمَا إِتْقَانِ

٢٥٦- قُلْ لِلطَّبِيبِ الْفَيْلَسُوفِ بِزَعْمِهِ ... إِنَّ الطَّبِيعَةَ عِلْمُهَا بُرْهَانِ

٢٥٧- أَيْنَ الطَّبِيعَةُ عِنْدَ كَوْنِكَ نُطْفَةً ... فِي الْبَطْنِ إِذْ مُشِجَتْ بِهِ الْمَاءَانِ

٢٥٨- أَيْنَ الطَّبِيعَةُ حِينَ عُدْتَ عُلَيْقَةً ... فِي أَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِينَ تَوَانِي

٢٥٩- أَيْنَ الطَّبِيعَةُ عِنْدَ كَوْنِكَ مُضْغَةً ... فِي أَرْبَعِينَ وَقَدْ مَضَىٰ الْعَدَدَانِ

٢٦٠- أَتُرَىٰ الطَّبِيعَةَ صَوَّرَتْكَ مُصَوَّرًا ... بِمَسَامِعٍ وَنَوَاظِرٍ وَبَنَانِ

٢٦١- أَتُرَىٰ الطَّبِيعَةَ أَخْرَجَتْكَ مُنَكَّسًا ... مِنْ بَطْنِ أُمِّكَ وَاهِيَ الْأَرْكَانِ

٢٦٢- أَمْ فَجَّرَتْ لَكَ بِاللِّبَانِ ثُدَيَّهَا ... فَرَضَعْتَهَا حَتَّىٰ مَضَىٰ الْحَوْلَانِ

٢٦٣- أَمْ صَيَّرَتْ فِي وَالِدَيْكَ مَحَبَّةً ... فَهُمَا بِمَا يُرْضِيكَ مُغْتَبِطَانِ

٢٦٤- يَا فَيْلَسُوفُ لَقَدْ شُغِلْتَ عَنِ الْهُدَىٰ ... بِالْمَنْطِقِ الرُّومِيِّ وَالْيُونَانِي

٢٦٥- وَشَرِيعَةُ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ شِرْعَةٍ ... دِينُ النَّبِيِّ الصَّادِقِ الْعَدْنَانِ

٢٦٦- هُوَ دِينُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَشَرْعُهُ ... وَهُوَ الْقَدِيمُ وَسَيِّدُ الْأَدْيَانِ

٢٦٧- هُوَ دِينُ آدَمَ وَالْمَلَائِكِ قَبْلَهُ ... هُوَ دِينُ نُوحٍ صَاحِبِ الطُّوفَانِ

٢٦٨- وَلَهُ دَعَا هُودُ النَّبِيُّ وَصَالِحٌ ... وَهُمَا لِدِينِ اللهِ مُعْتَقِدَانِ

٢٦٩- وَبِهِ أَتَىٰ لُوطٌ وَصَاحِبُ مَدْيَنٍ ... فَكِلَاهُمَا فِي الدِّينِ مُجْتَهِدَانِ

٢٧٠- هُوَ دِينُ إِبْرَاهِيمَ وَابْنَيْهِ مَعًا ... وَبِهِ نَجَا مِنْ نَفْحَةِ النِّيرَانِ

٢٧١- وَبِهِ حَمَىٰ اللهُ الذَّبِيحَ مِنَ الْبَلَا ... لَمَّا فَدَاهُ بِأَعْظَمِ الْقُرْبَانِ

٢٧٢- هُوَ دِينُ يَعْقوبَ النَّبيِّ وَيُونُسٍ وَكِلاهُمَا في اللهِ مُبْتَلَيَانِ
٢٧٣- هُوَ دِينُ دَاوُدَ الْخَلِيفَةِ وَابْنِهِ وَبِهِ أَذَلَّ لَهُ مُلُوكَ الْجَانِ
٢٧٤- هُوَ دِينُ يَحْيَىٰ مَعْ أَبِيهِ وَأُمِّهِ نِعْمَ الصَّبِيُّ وَحَبَّذَا الشَّيْخَانِ
٢٧٥- وَلَهُ دَعَا عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ قَوْمَهُ لَمْ يَدْعُهُمْ لِعِبَادَةِ الصُّلْبَانِ
٢٧٦- وَاللهُ أَنْطَقَهُ صَبِيًّا بِالْهُدَىٰ في الْمَهْدِ ثُمَّ سَمَا عَلَىٰ الصِّبْيَانِ
٢٧٧- وَكَمَالُ دِينِ اللهِ شَرْعُ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ عَلَيْهِ مُنَزِّلُ الْقُرْآنِ
٢٧٨- الطَّيِّبُ الزَّاكِي الَّذي لَمْ يَجْتَمِعْ يَوْمًا عَلَىٰ زَلَلٍ لَهُ أَبَوَانِ
٢٧٩- الطَّاهِرُ النِّسْوَانِ وَالْوَلَدِ الَّذي مِنْ ظَهْرِهِ الزَّهْرَاءُ وَالْحَسَنَانِ
٢٨٠- وَأُولُو النُّبُوَّةِ وَالْهُدَىٰ مَا مِنْهُمُ أَحَدٌ يَهُودِيٌّ وَلا نَصْرَانِي
٢٨١- بَلْ مُسْلِمُونَ وَمُؤْمِنُونَ بِرَبِّهِمْ حُنَفَاءُ في الإِسْرَارِ وَالإِعْلانِ
٢٨٢- وَلِمِلَّةِ الإِسْلام خَمْسُ عَقَائِدٍ وَاللهُ أَنْطَقَنِي بِهَا وَهَدَانِي
٢٨٣- لَا تَعْصِ رَبَّكَ قَائِلًا أَوْ فَاعِلا فَكِلاهُمَا في الصُّحْفِ مَكْتُوبَانِ
٢٨٤- جَمِّلْ زَمَانَكَ بِالسُّكُوتِ فَإِنَّهُ زَيْنُ الْحَلِيمِ وَسُتْرَةُ الْحَيْرَانِ
٢٨٥- كُنْ حِلْسَ بَيْتِكَ إِنْ سَمِعْتَ بِفِتْنَةٍ وَتَوَقَّ كُلَّ مُنَافِقٍ فَتَّانِ
٢٨٦- أَدِّ الْفَرَائِضَ لَا تَكُنْ مُتَوَانِيًا فَتَكُونَ عِنْدَ اللهِ شَرَّ مُهَانِ
٢٨٧- أَدِمِ السِّوَاكَ مَعَ الْوُضُوءِ فَإِنَّهُ مُرْضِي الإِلَهِ مُطَهِّرُ الأَسْنَانِ
٢٨٨- سَمِّ الإِلَهَ لَدَىٰ الْوُضُوءِ بِنِيَّةٍ ثُمَّ اسْتَعِذْ مِنْ فِتْنَةِ الْوَلْهَانِ
٢٨٩- فَأَسَاسُ أَعْمَالِ الْوَرَىٰ نِيَّاتُهُمْ وَعَلَىٰ الأَسَاسِ قَوَاعِدُ الْبُنْيَانِ
٢٩٠- أَسْبِغْ وُضُوءَكَ لا تُفَرِّقْ شَمْلَهُ فَالْفَوْزُ وَالإِسْبَاغُ مُفْتَرِضَانِ
٢٩١- فَإِذَا انتَشَقْتَ فَلَا تُبَالِغْ جَيِّدًا لَكِنَّهُ شَمٌّ بِلا إِمْعَانِ
٢٩٢- وَعَلَيْكَ فَرْضًا غَسْلُ وَجْهِكَ كُلِّهِ وَالْمَاءُ مُتَّبِعٌ بِهِ الْجَفْنَانِ

٢٩٣- وَاغْسِلْ يَدَيْكَ إِلَىٰ الْمَرَافِقِ مُسْبِغًا ... فَكِلَاهُمَا فِي الْغَسْلِ مَدْخُولَانِ

٢٩٤- وَامْسَحْ بِرَأْسِكَ كُلِّهِ مُسْتَوْفِيًا ... وَالْمَاءُ مَمْسُوحٌ بِهِ الْأُذُنَانِ

٢٩٥- وَكَذَا التَّمَضْمُضُ فِي وُضُوئِكَ سُنَّةٌ ... بِالْمَاءِ ثُمَّ تَمُجُّهُ الشَّفَتَانِ

٢٩٦- وَالْوَجْهُ وَالْكَفَّانِ غَسْلُ كِلَيْهِمَا ... فَرْضٌ وَيَدْخُلُ فِيهِمَا الْعَظْمَانِ

٢٩٧- غَسْلُ الْيَدَيْنِ لَدَىٰ الْوُضُوءِ نَظَافَةٌ ... أَمَرَ النَّبِيُّ بِهَا عَلَىٰ اسْتِحْسَانِ

٢٩٨- سِيمَا إِذَا مَا قُمْتَ فِي غَسَقِ الدُّجَىٰ ... وَاسْتَيْقَظَتْ مِنْ نَوْمِكَ الْعَيْنَانِ

٢٩٩- وَكَذَلِكَ الرِّجْلَانِ غَسْلُهُمَا مَعًا ... فَرْضٌ وَيَدْخُلُ فِيهِمَا الْكَعْبَانِ

٣٠٠- لَا تَسْتَمِعْ قَوْلَ الرَّوَافِضِ إِنَّهُمْ ... مِنْ رَأْيِهِمْ أَنْ تُمْسَحَ الرِّجْلَانِ

٣٠١- يَتَأَوَّلُونَ قِرَاءَةً مَنْسُوخَةً ... بِقِرَاءَةٍ وَهُمَا مُنَزَّلَتَانِ

٣٠٢- إِحْدَاهُمَا نَزَلَتْ لِتَنْسَخَ أُخْتَهَا ... لَكِنْ هُمَا فِي الصُّحْفِ مُثْبَتَتَانِ

٣٠٣- غَسَلَ النَّبِيُّ وَصَحْبُهُ أَقْدَامَهُمْ ... لَمْ يَخْتَلِفْ فِي غَسْلِهِمْ رَجُلَانِ

٣٠٤- وَالسُّنَّةُ الْبَيْضَاءُ عِنْدَ أُولِي النُّهَىٰ ... فِي الْحُكْمِ قَاضِيَةٌ عَلَىٰ الْقُرْآنِ

٣٠٥- فَإِذَا اسْتَوَتْ رِجْلَاكَ فِي خُفَّيْهِمَا ... وَهُمَا مِنَ الْأَحْدَاثِ طَاهِرَتَانِ

٣٠٦- وَأَرَدْتَ تَجْدِيدَ الطَّهَارَةِ مُحْدِثًا ... فَتَمَامُهَا أَنْ يُمْسَحَ الْخُفَّانِ

٣٠٧- وَإِذَا أَرَدْتَ طَهَارَةً لِجَنَابَةٍ ... فَلْتُخْلَعَا وَلْتُغْسَلِ الْقَدَمَانِ

٣٠٨- غُسْلُ الْجَنَابَةِ فِي الرِّقَابِ أَمَانَةٌ ... فَأَدَاؤُهَا مِنْ أَكْمَلِ الْإِيمَانِ

٣٠٩- فَإِذَا ابْتُلِيتَ فَبَادِرَنَّ بِغَسْلِهَا ... لَا خَيْرَ فِي مُتَثَبِّطٍ كَسْلَانِ

٣١٠- وَإِذَا اغْتَسَلْتَ فَكُنْ لِجِسْمِكَ دَالِكًا ... حَتَّىٰ يَعُمَّ جَمِيعَهُ الْكَفَّانِ

٣١١- وَإِذَا عَدِمْتَ الْمَا فَكُنْ مُتَيَمِّمًا ... مِنْ طِيبِ تُرْبِ الْأَرْضِ وَالْجُدْرَانِ

٣١٢- مُتَيَمِّمًا صَلَّيْتَ أَوْ مُتَوَضِّئًا ... فَكِلَاهُمَا فِي الشَّرْعِ مُجْزِيَتَانِ

٣١٣- وَالْغُسْلُ فَرْضٌ وَالتَّدَلُّكُ سُنَّةٌ ... وَهُمَا بِمَذْهَبِ مَالِكٍ فَرْضَانِ

٣١٤- وَالْمَاءُ مَا لَمْ تَسْتَحِلْ أَوْصَافُهُ ... بِنَجَاسَةٍ أَوْ سَائِرِ الأَدْهَانِ

٣١٥- فَإِذَا صَفَا فِي لَوْنِهِ أَوْ طَعْمِهِ ... مَعْ رِيحِهِ مِنْ جُمْلَةِ الأَضْغَانِ

٣١٦- فَهُنَاكَ سُمِّيَ طَاهِرًا وَمُطَهِّرًا ... هَذَانِ أَبْلَغُ وَصْفِهِ هَذَانِ

٣١٧- فَإِذَا صَفَا فِي لَوْنِهِ أَوْ طَعْمِهِ ... مِنْ حَمْأَةِ الآبَارِ وَالْغُدْرَانِ

٣١٨- جَازَ الْوُضُوءُ لَنَا بِهِ وَطُهُورُنَا ... فَاسْمَعْ بِقَلْبٍ حَاضِرٍ يَقْظَانِ

٣١٩- وَمَتَىٰ تَمُتْ فِي الْمَاءِ نَفْسٌ لَمْ يَجُزْ ... مِنْهُ الطُّهُورُ لِعِلَّةِ السَّيَلَانِ

٣٢٠- إِلَّا إِذَا كَانَ الْغَدِيرُ مُرَجْرِجًا ... غَدَقًا بِلَا كَيْلٍ وَلَا مِيزَانِ

٣٢١- أَوْ كَانَتِ الْمَيْتَاتُ مِمَّا لَمْ تَسِلْ ... وَالْمَا قَلِيلٌ طَابَ لِلْغُسْلَانِ

٣٢٢- وَالْبَحْرُ أَجْمَعُهُ طَهُورٌ مَاؤُهُ ... وَتَحِلُّ مَيْتَتُهُ مِنَ الْحِيتَانِ

٣٢٣- إِيَّاكَ نَفْسَكَ وَالْعَدُوَّ وَكَيْدَهُ ... فَكِلَاهُمَا لِأَذَاكَ مُبْتَدِيَانِ

٣٢٤- وَاحْذَرْ وُضُوءَكَ مُفْرِطًا وَمُفَرِّطًا ... فَكِلَاهُمَا فِي الْعِلْمِ مَحْذُورَانِ

٣٢٥- فَقَلِيلُ مَائِكَ فِي وُضُوئِكَ خَدْعَةٌ ... لِتَعُودَ صِحَّتُهُ إِلَىٰ الْبُطْلَانِ

٣٢٦- وَتَعُودَ مَغْسُولَاتُهُ مَمْسُوحَةً ... فَاحْذَرْ غُرُورَ الْمَارِدِ الْخَوَّانِ

٣٢٧- وَكَثِيرُ مَائِكَ فِي وُضُوئِكَ بِدْعَةٌ ... يَدْعُو إِلَىٰ الْوَسْوَاسِ وَالْهَمَلَانِ

٣٢٨- لَا تُكْثِرَنَّ وَلَا تُقَلِّلْ وَاقْتَصِدْ ... فَالْقَصْدُ وَالتَّوْفِيقُ مُصْطَحِبَانِ

٣٢٩- وَإِذَا اسْتَطَبْتَ فَفِي الْحَدِيثِ ثَلَاثَةٌ ... لَمْ يُجْزِنَا حَجَرٌ وَلَا حَجَرَانِ

٣٣٠- مِنْ أَجْلِ أَنَّ لِكُلِّ مَخْرَجِ غَائِطٍ ... شَرْجًا تَضُمُّ عَلَيْهِ نَاحِيَتَانِ

٣٣١- وَإِذَا الأَذَىٰ قَدْ جَازَ مَوْضِعَ عَادَةٍ ... لَمْ يُجْزِ إِلَّا الْمَاءُ بِالإِمْعَانِ

٣٣٢- نَقْضُ الْوُضُوءِ بِقُبْلَةٍ أَوْ لَمْسَةٍ ... أَوْ طُولِ نَوْمٍ أَوْ بِمَسِّ خِتَانِ

٣٣٣- أَوْ بَوْلَةٍ أَوْ غَائِطٍ أَوْ نَوْمَةٍ ... أَوْ نَفْخَةٍ فِي السِّرِّ وَالإِعْلَانِ

٣٣٤- وَمِنَ الْمَذِيِّ أَوِ الْوَدِيِّ كِلَاهُمَا ... مِنْ حَيْثُ يَبْدُو الْبَوْلُ يَنْحَدِرَانِ

٣٣٥- وَلَرُبَّمَا نَفَخَ الْخَبِيثُ بِمَكْرِهِ ... حَتَّىٰ يُضَمَّ لِنَفْخِهِ الْفَخِذَانِ

٣٣٦- وَبَيَانُ ذَلِكَ صَوْتُهُ أَوْ رِيحُهُ ... هَاتَانِ بَيِّنَتَانِ صَادِقَتَانِ

٣٣٧- وَالْغُسْلُ فَرْضٌ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ ... دَفْقُ الْمَنِيِّ وَحَيْضَةُ النِّسْوَانِ

٣٣٨- إِنْزَالُهُ فِي نَوْمَةٍ أَوْ يَقْظَةٍ ... حَالَانِ لِلتَّطْهِيرِ مُوجِبَتَانِ

٣٣٩- وَتَطَهُّرُ الزَّوْجَيْنِ فَرْضٌ وَاجِبٌ ... عِنْدَ الْجِمَاعِ إِذَا الْتَقَىٰ الْفَرْجَانِ

٣٤٠- فَكِلَاهُمَا إِنْ أَنْزَلَا أَوْ أَكْسَلَا ... فَهُمَا بِحُكْمِ الشَّرْعِ يَغْتَسِلَانِ

٣٤١- وَاغْسِلْ إِذَا أَمْذَيْتَ فَرْجَكَ كُلَّهُ ... وَالْأُنْثَيَانِ فَلَيْسَ يُفْتَرَضَانِ

٣٤٢- وَالْحَيْضُ وَالنُّفَسَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ ... عِنْدَ انْقِطَاعِ الدَّمِّ يَغْتَسِلَانِ

٣٤٣- وَإِذَا أَعَادَتْ بَعْدَ شَهْرَيْنِ الدِّمَا ... تِلْكَ اسْتِحَاضَةُ بَعْدَ ذِي الشَّهْرَانِ

٣٤٤- فَلْتَغْتَسِلْ لِصَلَاتِهَا وَصِيَامِهَا ... وَالْمُسْتَحَاضَةُ دَهْرُهَا نِصْفَانِ

٣٤٥- فَالنِّصْفُ تَتْرُكُ صَوْمَهَا وَصَلَاتَهَا ... وَدَمُ الْمَحِيضِ وَغَيْرِهِ لَوْنَانِ

٣٤٦- وَإِذَا صَفَا مِنْهَا وَأَشْرَقَ لَوْنُهُ ... فَصَلَاتُهَا وَالصَّوْمُ مُفْتَرَضَانِ

٣٤٧- تَقْضِي الصِّيَامَ وَلَا تُعِيدُ صَلَاتَهَا ... إِنَّ الصَّلَاةَ تَعُودُ كُلَّ زَمَانِ

٣٤٨- فَالشَّرْعُ وَالْقُرْآنُ قَدْ حَكَمَا بِهِ ... بَيْنَ النِّسَاءِ فَلَيْسَ يُطَّرَحَانِ

٣٤٩- وَمَتَىٰ تَرَىٰ النُّفَسَاءُ طُهْرًا تَغْتَسِلْ ... أَوْ لَا فَغَايَةُ طُهْرِهَا شَهْرَانِ

٣٥٠- مَسُّ النِّسَاءِ عَلَىٰ الرِّجَالِ مُحَرَّمٌ ... حَرْثُ السِّبَاخِ خَسَارَةُ الْحِرْثَانِ

٣٥١- لَا تَلْقَ رَبَّكَ سَارِقًا أَوْ خَائِنًا ... أَوْ شَارِبًا أَوْ ظَالِمًا أَوْ زَانِي

٣٥٢- قُلْ إِنَّ رَجْمَ الزَّانِيَيْنِ كِلَيْهِمَا ... فَرْضٌ إِذَا زَنَيَا عَلَىٰ الْإِحْصَانِ

٣٥٣- وَالرَّجْمُ فِي الْقُرْآنِ فَرْضٌ لَازِمٌ ... لِلْمُحْصَنَيْنِ وَيُجْلَدُ الْبِكْرَانِ

٣٥٤- وَالْخَمْرُ يَحْرُمُ بَيْعُهَا وَشِرَاؤُهَا ... سِيَّانِ ذَلِكَ عِنْدَنَا سِيَّانِ

٣٥٥- فِي الشَّرْعِ وَالْقُرْآنِ حُرِّمَ شُرْبُهَا ... وَكِلَاهُمَا لَا شَكَّ مُتَّبَعَانِ

٣٥٦- أَيْقِنْ بِأَشْرَاطِ الْقِيَامَةِ كُلِّهَا ... وَاسْمَعْ هُدِيتَ نَصِيحَتِي وَبَيَانِي

٣٥٧- كَالشَّمْسِ تَطْلُعُ مِنْ مَكَانِ غُرُوبِهَا ... وَخُرُوجِ دَجَّالٍ وَهَوْلِ دُخَانِ

٣٥٨- وَخُرُوجِ يَأْجُوجٍ وَمَأْجُوجٍ مَعًا ... مِنْ كُلِّ صَقْعٍ شَاسِعٍ وَمَكَانِ

٣٥٩- وَنُزُولِ عِيسَىٰ قَاتِلًا دَجَّالَهُمْ ... يَقْضِي بِحُكْمِ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ

٣٦٠- وَاذْكُرْ خُرُوجَ فَصِيلِ نَاقَةِ صَالِحٍ ... يَسِمُ الْوَرَىٰ بِالْكُفْرِ وَالإِيمَانِ

٣٦١- وَالْوَحْيُ يُرْفَعُ وَالصَّلَاةُ مِنَ الْوَرَىٰ ... وَهُمَا لِعِقْدِ الدِّينِ وَاسِطَتَانِ

٣٦٢- صَلِّ الصَّلَاةَ الْخَمْسَ أَوَّلَ وَقْتِهَا ... إِذْ كُلُّ وَاحِدَةٍ لَهَا وَقْتَانِ

٣٦٣- قَصْرُ الصَّلَاةِ عَلَىٰ الْمُسَافِرِ وَاجِبٌ ... وَأَقَلُّ حَدِّ الْقَصْرِ مَرْحَلَتَانِ

٣٦٤- كِلْتَاهُمَا فِي أَصْلِ مَذْهَبِ مَالِكٍ ... خَمْسُونَ مِيلًا نَقْصُهَا مِيلَانِ

٣٦٥- وَإِذَا الْمُسَافِرُ غَابَ عَنْ أَبْيَاتِهِ ... فَالْقَصْرُ وَالْإِفْطَارُ مَفْعُولَانِ

٣٦٦- وَصَلَاةُ مَغْرِبِ شَمْسِنَا وَصَبَاحِنَا ... فِي الْحَضْرِ وَالْأَسْفَارِ كَامِلَتَانِ

٣٦٧- وَالشَّمْسُ حِينَ تَزُولُ مِنْ كَبِدِ السَّمَا ... فَالظُّهْرُ ثُمَّ الْعَصْرُ وَاجِبَتَانِ

٣٦٨- وَالظُّهْرُ آخِرُ وَقْتِهَا مُتَعَلِّقٌ ... بِالْعَصْرِ وَالْوَقْتَانِ مُشْتَبِكَانِ

٣٦٩- لَا تَلْتَفِتْ مَا دُمْتَ فِيهَا قَائِمًا ... وَاخْشَعْ بِقَلْبٍ خَائِفٍ رَهْبَانِ

٣٧٠- وَكَذَا الصَّلَاةُ غُرُوبَ شَمْسِ نَهَارِنَا ... وَعِشَاءَنَا وَقْتَانِ مُتَّصِلَانِ

٣٧١- وَالصُّبْحُ مُنْفَرِدٌ بِوَقْتٍ مُفْرَدٍ ... لَكِنْ لَهَا وَقْتَانِ مَفْرُودَانِ

٣٧٢- فَجْرٌ وَإِسْفَارٌ وَبَيْنَ كِلَيْهِمَا ... وَقْتٌ لِكُلِّ مُطَوِّلٍ مُتَوَانِ

٣٧٣- وَارْقُبْ طُلُوعَ الْفَجْرِ وَاسْتَيْقِنْ بِهِ ... فَالْفَجْرُ عِنْدَ شُيُوخِنَا فَجْرَانِ

٣٧٤- فَجْرٌ كَذُوبٌ ثُمَّ فَجْرٌ صَادِقٌ ... وَلَرُبَّمَا فِي الْعَيْنِ يَشْتَبِهَانِ

٣٧٥- وَالظِّلُّ فِي الْأَزْمَانِ مُخْتَلِفٌ كَمَا ... زَمَنُ الشِّتَا وَالصَّيْفِ مُخْتَلِفَانِ

٣٧٦- فَاقْرَأْ إِذَا قَرَأَ الْإِمَامُ مُخَافِتًا ... وَاسْكُتْ إِذَا مَا كَانَ ذَا إِعْلَانِ

٣٧٧- وَلِكُلِّ سَهْوٍ سَجْدَتَانِ فَصَلِّهَا قَبْلَ السَّلَامِ وَبَعْدَهُ قَوْلَانِ

٣٧٨- سُنَنُ الصَّلَاةِ مُبِينَةٌ وَفُرُوضُهَا فَاسْأَلْ شُيُوخَ الْفِقْهِ وَالْإِحْسَانِ

٣٧٩- فَرْضُ الصَّلَاةِ رُكُوعُهَا وَسُجُودُهَا مَا إِنْ تَخَالَفَ فِيهِمَا رَجُلَانِ

٣٨٠- تَحْرِيمُهَا تَكْبِيرُهَا وَحَلَالُهَا تَسْلِيمُهَا وَكِلَاهُمَا فَرْضَانِ

٣٨١- وَالْحَمْدُ فَرْضٌ فِي الصَّلَاةِ قِرَاتُهَا آيَاتُهَا سَبْعٌ وَهُنَّ مَثَانِي

٣٨٢- فِي كُلِّ رَكْعَاتِ الصَّلَاةِ مُعَادَةٌ فِيهَا بِبَسْمَلَةٍ فَخُذْ تِبْيَانِي

٣٨٣- وَإِذَا نَسِيتَ قِرَاتَهَا فِي رَكْعَةٍ فَاسْتَوْفِ رَكْعَتَهَا بِغَيْرِ تَوَانِ

٣٨٤- اتْبَعْ إِمَامَكَ خَافِضًا أَوْ رَافِعًا فَكِلَاهُمَا فِعْلَانِ مَحْمُودَانِ

٣٨٥- لَا تَرْفَعَنْ قَبْلَ الْإِمَامِ وَلَا تَضَعْ فَكِلَاهُمَا أَمْرَانِ مَذْمُومَانِ

٣٨٦- إِنَّ الشَّرِيعَةَ سُنَّةٌ وَفَرِيضَةٌ وَهُمَا لِدِينِ مُحَمَّدٍ عِقْدَانِ

٣٨٧- لَكِنْ أَذَانُ الصُّبْحِ عِنْدَ شُيُوخِنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَبَيَّنَ الْفَجْرَانِ

٣٨٨- هِيَ رُخْصَةٌ فِي الصُّبْحِ لَا فِي غَيْرِهَا مِنْ أَجْلِ يَقْظَةِ غَافِلٍ وَسْنَانِ

٣٨٩- أَحْسِنْ صَلَاتَكَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا بِتَطَمْؤُنٍ وَتَرَفُّقٍ وَتَدَانِ

٣٩٠- لَا تَدْخُلَنَّ إِلَىٰ صَلَاتِكَ حَاقِنًا فَالْإِحْتِقَانُ يُخِلُّ بِالْأَرْكَانِ

٣٩١- بَيِّتْ مِنَ اللَّيْلِ الصِّيَامَ بِنِيَّةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَيَّزَ الْخَيْطَانِ

٣٩٢- يُجْزِيكَ فِي رَمَضَانَ نِيَّةُ لَيْلَةٍ إِذْ لَيْسَ مُخْتَلِطًا بِعَقْدٍ ثَانِ

٣٩٣- رَمَضَانُ شَهْرٌ كَامِلٌ فِي عَقْدِنَا مَا حَلَّهُ يَوْمٌ وَلَا يَوْمَانِ

٣٩٤- إِلَّا الْمُسَافِرُ وَالْمَرِيضُ فَقَدْ أَتَىٰ تَأْخِيرُ صَوْمِهِمَا لِوَقْتٍ ثَانِ

٣٩٥- وَكَذَاكَ حَمْلٌ وَالرَّضَاعُ كِلَاهُمَا فِي فِطْرِهِ لِنِسَائِنَا عُذْرَانِ

٣٩٦- عَجِّلْ بِفِطْرِكَ وَالسُّحُورُ مُؤَخَّرٌ فَكِلَاهُمَا أَمْرَانِ مَرْغُوبَانِ

٣٩٧- حَصِّنْ صِيَامَكَ بِالسُّكُوتِ عَنِ الْخَنَا أَطْبِقْ عَلَىٰ عَيْنَيْكَ بِالْأَجْفَانِ

٣٩٨- لَا تَمْشِ ذَا وَجْهَيْنِ مِنْ بَيْنِ الْوَرَىٰ ... شَرُّ الْبَرِيَّةِ مَنْ لَهُ وَجْهَانِ

٣٩٩- لَا تَحْسُدَنْ أَحَدًا عَلَىٰ نَعْمَائِهِ ... إِنَّ الْحَسُودَ لِحُكْمِ رَبِّكَ شَانِي

٤٠٠- لَا تَسْعَ بَيْنَ الصَّاحِبَيْنِ نَمِيمَةً ... فَلِأَجْلِهَا يَتَبَاغَضُ الْخِلَّانِ

٤٠١- وَالْعَيْنُ حَقٌّ غَيْرُ سَابِقَةٍ لِمَا ... يُقْضَىٰ مِنَ الْأَرْزَاقِ وَالْحِرْمَانِ

٤٠٢- وَالسِّحْرُ كُفْرٌ فِعْلُهُ لَا عِلْمُهُ ... مِنْ هَاهُنَا يَتَفَرَّقُ الْحُكْمَانِ

٤٠٣- وَالْقَتْلُ حَدُّ السَّاحِرِينَ إِذَا هُمُ ... عَمِلُوا بِهِ لِلْكُفْرِ وَالطُّغْيَانِ

٤٠٤- وَتَحَرَّ بِرَّ الْوَالِدَيْنِ فَإِنَّهُ ... فَرْضٌ عَلَيْكَ وَطَاعَةُ السُّلْطَانِ

٤٠٥- لَا تَخْرُجَنَّ عَلَىٰ الْإِمَامِ مُحَارِبًا ... وَلَوْ انَّهُ رَجُلٌ مِنَ الْحُبْشَانِ

٤٠٦- وَمَتَىٰ أُمِرْتَ بِبِدْعَةٍ أَوْ زَلَّةٍ ... فَاهْرُبْ بِدِينِكَ آخِرَ الْبُلْدَانِ

٤٠٧- الدِّينُ رَأْسُ الْمَالِ فَاسْتَمْسِكْ بِهِ ... فَضَيَاعُهُ مِنْ أَعْظَمِ الْخُسْرَانِ

٤٠٨- لَا تَخْلُ بِامْرَأَةٍ لَدَيْكَ بِرِيبَةٍ ... لَوْ كُنْتَ فِي النُّسَّاكِ مِثْلَ بُنَانِ

٤٠٩- إِنَّ الرِّجَالَ النَّاظِرِينَ إِلىٰ النِّسَا ... مِثْلُ الْكِلَابِ تَطُوفُ بِاللُّحْمَانِ

٤١٠- إِنْ لَمْ تَصُنْ تِلْكَ اللُّحُومَ أُسُودُهَا ... أُكِلَتْ بِلَا عِوَضٍ وَلَا أَثْمَانِ

٤١١- لَا تَقْبَلَنَّ مِنَ النِّسَاءِ مَوَدَّةً ... فَقُلُوبُهُنَّ سَرِيعَةُ الْمَيَلَانِ

٤١٢- لَا تَتْرُكَنْ أَحَدًا بِأَهْلِكَ خَالِيًا ... فَعَلَىٰ النِّسَاءِ تَقَاتَلَ الْأَخَوَانِ

٤١٣- وَاغْضُضْ جُفُونَكَ عَنْ مُلَاحَظَةِ النِّسَا ... وَمَحَاسِنِ الْأَحْدَاثِ وَالصِّبْيَانِ

٤١٤- لَا تَجْعَلَنَّ طَلَاقَ أَهْلِكَ عُرْضَةً ... إِنَّ الطَّلَاقَ لَأَخْبَثُ الْأَيْمَانِ

٤١٥- إِنَّ الطَّلَاقَ مَعَ الْعِتَاقِ كِلَاهُمَا ... قَسَمَانِ عِنْدَ اللهِ مَمْقُوتَانِ

٤١٦- وَاحْفِرْ لِسِرِّكَ فِي فُؤَادِكَ مَلْحَدًا ... وَادْفِنْهُ فِي الْأَحْشَاءِ أَيَّ دِفَانِ

٤١٧-إِنَّ الصَّدِيقَ مَعَ الْعَدُوِّ كِلَاهُمَا ... فِي السِّرِّ عِنْدَ أُولِي النُّهَىٰ شَكْلَانِ

٤١٨- لَا يَبْدُ مِنْكَ إِلىٰ صَدِيقِكَ زَلَّةٌ ... وَاجْعَلْ فُؤَادَكَ أَوْثَقَ الْخِلَّانِ

٤١٩- لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الذُّنُوبِ صِغَارَهَا ... فَالْقَطْرُ مِنْهُ تَدَفُّقُ الْخِلْجَانِ
٤٢٠- وَإِذَا نَذَرْتَ فَكُنْ بِنَذْرِكَ مُوفِيًا ... فَالنَّذْرُ مِثْلُ الْعَهْدِ مَسْئُولَانِ
٤٢١- لَا تُشْغَلَنَّ بِعَيْبِ غَيْرِكَ غَافِلًا ... عَنْ عَيْبِ نَفْسِكَ إِنَّهُ عَيْبَانِ
٤٢٢- لَا تُفْنِ عُمْرَكَ فِي الْجِدَالِ مُخَاصِمًا ... إِنَّ الْجِدَالَ يُخِلُّ بِالْأَدْيَانِ
٤٢٣- وَاحْذَرْ مُجَادَلَةَ الرِّجَالِ فَإِنَّهَا ... تَدْعُو إِلَىٰ الشَّحْنَاءِ وَالشَّنَآنِ
٤٢٤- وَإِذَا اضْطُرِرْتَ إِلَىٰ الْجِدَالِ وَلَمْ تَجِدْ ... لَكَ مَهْرَبًا وَتَلَاقَتِ الصَّفَّانِ
٤٢٥- فَاجْعَلْ كِتَابَ اللهِ دِرْعًا سَابِغًا ... وَالشَّرْعَ سَيْفَكَ وَابْدُ فِي الْمَيْدَانِ
٤٢٦- وَالسُّنَّةَ الْبَيْضَاءَ دُونَكَ جُنَّةً ... وَارْكَبْ جَوَادَ الْعَزْمِ فِي الْجَوَلَانِ
٤٢٧- وَاثْبُتْ بِصَبْرِكَ تَحْتَ أَلْوِيَةِ الْهُدَىٰ ... فَالصَّبْرُ أَوْثَقُ عُدَّةِ الْإِنْسَانِ
٤٢٨- وَاطْعَنْ بِرُمْحِ الْحَقِّ كُلَّ مُعَانِدٍ ... لِلَّهِ دَرُّ الْفَارِسِ الطَّعَّانِ
٤٢٩- وَاحْمِلْ بِسَيْفِ الصِّدْقِ حَمْلَةَ مُخْلِصٍ ... مُتَجَرِّدٍ لِلَّهِ غَيْرِ جَبَانِ
٤٣٠- وَاحْذَرْ بِجُهْدِكَ مَكْرَ خَصْمِكَ إِنَّهُ ... كَالثَّعْلَبِ الْبَرِّيِّ فِي الرَّوَغَانِ
٤٣١- أَصْلُ الْجِدَالِ مِنَ السُّؤَالِ وَفَرْعُهُ ... حُسْنُ الْجَوَابِ بِأَحْسَنِ التِّبْيَانِ
٤٣٢- لَا تَلْتَفِتْ عِنْدَ السُّؤَالِ وَلَا تُعِدْ ... لَفْظَ السُّؤَالِ كِلَاهُمَا عَيْبَانِ
٤٣٣- وَإِذَا غَلَبْتَ الْخَصْمَ لَا تَهْزَأْ بِهِ ... فَالْعُجْبُ يُخْمِدُ جَمْرَةَ الْإِحْسَانِ
٤٣٤- فَلَرُبَّمَا انْهَزَمَ الْمُحَارِبُ عَامِدًا ... ثُمَّ انْثَنَىٰ فَسَطَا عَلَىٰ الْفُرْسَانِ
٤٣٥- وَاسْكُتْ إِذَا وَقَعَ الْخُصُومُ وَقَعْقَعُوا ... فَلَرُبَّمَا أَلْقَوْكَ فِي بُحْرَانِ
٤٣٦- وَلَرُبَّمَا ضَحِكَ الْخُصُومُ لِدَهْشَةٍ ... فَاثْبُتْ وَلَا تَنْكُلْ عَنِ الْبُرْهَانِ
٤٣٧- فَإِذَا أَطَالُوا فِي الْكَلَامِ فَقُلْ لَهُمْ ... إِنَّ الْبَلَاغَةَ لُجِّمَتْ بِبَيَانِ
٤٣٨- لَا تَغْضَبَنَّ إِذَا سُئِلْتَ وَلَا تَصِحْ ... فَكِلَاهُمَا خُلُقَانِ مَذْمُومَانِ
٤٣٩- وَإِذَا انْقَلَبْتَ عَنِ السُّؤَالِ مُجَاوِبًا ... فَكِلَاهُمَا لَا شَكَّ مُنْقَطِعَانِ

٤٤٠- وَاحْذَرْ مُنَاظَرَةً بِمَجْلِسِ خِيفَةٍ ... حَتَّىٰ تُبَدَّلَ خِيفَةٌ بِأَمَانِ

٤٤١- نَاظِرْ أَدِيبًا مُنْصِفًا لَكَ عَاقِلًا ... وَانْصِفْهُ أَنْتَ بِحَسْبِ مَا تَرَيَانِ

٤٤٢- وَيَكُونُ بَيْنَكُمَا حَكِيمٌ حَاكِمًا ... عَدْلًا إِذَا جِئْتَاهُ تَحْتَكِمَانِ

٤٤٣- كُنْ طُولَ دَهْرِكَ سَاكِتًا مُتَوَاضِعًا ... فَهُمَا لِكُلِّ فَضِيلَةٍ بَابَانِ

٤٤٤- وَاخْلَعْ رِدَاءَ الْكِبْرِ عَنْكَ فَإِنَّهُ ... لَا يَسْتَقِلُّ بِحَمْلِهِ الْكَتِفَانِ

٤٤٥- كُنْ فَاعِلًا لِلْخَيْرِ قَوَّالًا لَهُ ... فَالْقَوْلُ مِثْلُ الْفِعْلِ مُقْتَرِنَانِ

٤٤٦- مِنْ غَوْثِ مَلْهُوفٍ وَشَبْعَةِ جَائِعٍ ... وَدِثَارِ عُرْيَانٍ وَفِدْيَةِ عَانِ

٤٤٧- فَإِذَا عَمِلْتَ الْخَيْرَ لَا تَمْنُنْ بِهِ ... لَا خَيْرَ فِي مُتَمَدِّحٍ مَنَّانِ

٤٤٨- اشْكُرْ عَلَىٰ النَّعْمَاءِ وَاصْبِرْ لِلْبَلَا ... فَكِلَاهُمَا خُلُقَانِ مَمْدُوحَانِ

٤٤٩- لَا تَشْكُوَنَّ بِعِلَّةٍ أَوْ قِلَّةٍ ... فَهُمَا لِعِرْضِ الْمَرْءِ فَاضِحَتَانِ

٤٥٠- صُنْ حُرَّ وَجْهِكَ بِالْقَنَاعَةِ إِنَّمَا ... صَوْنُ الْوُجُوهِ مُرُوءَةُ الْفِتْيَانِ

٤٥١- بِاللهِ ثِقْ وَلَهُ أَنِبْ وَبِهِ اسْتَعِنْ ... فَإِذَا فَعَلْتَ فَأَنْتَ خَيْرُ مُعَانِ

٤٥٢- وَإِذَا عَصَيْتَ فَتُبْ لِرَبِّكَ مُسْرِعًا ... حَذَرَ الْمَمَاتِ وَلَا تَقُلْ لَمْ يَانِ

٤٥٣- وَإِذَا ابْتُلِيتَ بِعُسْرَةٍ فَاصْبِرْ لَهَا ... فَالْعُسْرُ فَرْدٌ بَعْدَهُ يُسْرَانِ

٤٥٤- لَا تَحْشُ بَطْنَكَ بِالطَّعَامِ تَسَمُّنًا ... فَجُسُومُ أَهْلِ الْعِلْمِ غَيْرُ سِمَانِ

٤٥٥- لَا تَتَّبِعْ شَهَوَاتِ نَفْسِكَ مُسْرِفًا ... فَاللهُ يُبْغِضُ عَابِدًا شَهْوَانِي

٤٥٦- أَقْلِلْ طَعَامَكَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّهُ ... نَفْعُ الْجُسُومِ وَصِحَّةُ الْأَبْدَانِ

٤٥٧- وَامْلِكْ هَوَاكَ بِضَبْطِ بَطْنِكَ إِنَّهُ ... شَرُّ الرِّجَالِ الْعَاجِزُ الْبَطْنَانِ

٤٥٨- وَمَنِ اسْتَذَلَّ لِفَرْجِهِ وَلِبَطْنِهِ ... فَهُمَا لَهُ مَعَ ذَا الْهَوَىٰ بَطْنَانِ

٤٥٩- حِصْنُ التَّدَاوِي الْمَجَاعَةُ وَالظَّمَا ... وَهُمَا لِفَكِّ نُفُوسِنَا قَيْدَانِ

٤٦٠- أَظْمِئْ نَهَارَكَ تَرْوَ فِي دَارِ الْعُلَا ... يَوْمًا يَطُولُ تَلَهُّفُ الْعَطْشَانِ

٤٦١- حُسْنُ الْغِذَاءِ يَنُوبُ عَنْ شُرْبِ الدَّوَا سِيمَا مَعَ التَّقْلِيلِ وَالْإِدْمَانِ
٤٦٢- إِيَّاكَ وَالْغَضَبَ الشَّدِيدَ عَلَىٰ الدَّوَا فَلَرُبَّمَا أَفْضَىٰ إِلَىٰ الْخِذْلَانِ
٤٦٣- دَبِّرْ دَوَاءَكَ قَبْلَ شُرْبِكَ وَلْيَكُنْ مُتَأَلِّفَ الْأَجْزَاءِ وَالْأَوْزَانِ
٤٦٤- وَتَدَاوَ بِالْعَسَلِ الْمُصَفَّىٰ وَاحْتَجِمْ فَهُمَا لِدَائِكَ كُلِّهِ بُرْءَانِ
٤٦٥- لَا تَدْخُلِ الْحَمَّامَ شَبْعَانَ الْحَشَا لَا خَيْرَ فِي الْحَمَّامِ لِلشَّبْعَانِ
٤٦٦- وَالنَّوْمُ فَوْقَ السَّطْحِ مِنْ تَحْتِ السَّمَا يُفْنِي وَيُذْهِبُ نَضْرَةَ الْأَبْدَانِ
٤٦٧- لَا تُفْنِ عُمْرَكَ فِي الْجِمَاعِ فَإِنَّهُ يَكْسُو الْوُجُوهَ بِحُلَّةِ الْيَرَقَانِ
٤٦٨- أُحْذِرْكَ مِنْ نَفَسِ الْعَجُوزِ وَبُضْعِهَا فَهُمَا لِجِسْمِ ضَجِيعِهَا سُقْمَانِ
٤٦٩- عَانِقْ مِنَ النِّسْوَانِ كُلَّ فَتِيَّةٍ أَنْفَاسُهَا كَرَوَائِحِ الرَّيْحَانِ
٤٧٠- لَا خَيْرَ فِي صُوَرِ الْمَعَازِفِ كُلِّهَا وَالرَّقْصِ وَالْإِيقَاعِ فِي الْقُضْبَانِ
٤٧١- إِنَّ التَّقِيَّ لِرَبِّهِ مُتَنَزِّهٌ عَنْ صَوْتِ أَوْتَارٍ وَسَمْعِ أَغَانِ
٤٧٢- وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ مِنْ أَهْلِ التُّقَىٰ سِيمَا بِحُسْنِ شَجًا وَحُسْنِ بَيَانِ
٤٧٣- أَشْهَىٰ وَأَوْفَىٰ لِلنُّفُوسِ حَلَاوَةً مِنْ صَوْتِ مِزْمَارٍ وَنَقْرِ مَثَانِ
٤٧٤- وَحَنِينُهُ فِي اللَّيْلِ أَطْيَبُ مَسْمَعٍ مِنْ نَغْمَةِ النَّايَاتِ وَالْعِيدَانِ
٤٧٥- أَعْرِضْ عَنِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ زَاهِدًا فَالزُّهْدُ عِنْدَ أُولِي النُّهَىٰ زُهْدَانِ
٤٧٦- زُهْدٌ عَنِ الدُّنْيَا وَزُهْدٌ فِي الثَّنَا طُوبَىٰ لِمَنْ أَمْسَىٰ لَهُ الزُّهْدَانِ
٤٧٧- لَا تَنْتَهِبْ مَالَ الْيَتَامَىٰ ظَالِمًا وَدَعِ الرِّبَا فَكِلَاهُمَا فِسْقَانِ
٤٧٨- وَاحْفَظْ لِجَارِكَ حَقَّهُ وَذِمَامَهُ وَلِكُلِّ جَارٍ مُسْلِمٍ حَقَّانِ
٤٧٩- وَاضْحَكْ لِضَيْفِكَ حِينَ يُنْزِلُ رَحْلَهُ إِنَّ الْكَرِيمَ يُسَرُّ بِالضِّيفَانِ
٤٨٠- وَاصِلْ ذَوِي الْأَرْحَامِ مِنْكَ وَإِنْ جَفَوْا فَوِصَالُهُمْ خَيْرٌ مِنَ الْهِجْرَانِ
٤٨١- وَاصْدُقْ وَلَا تَحْلِفْ بِرَبِّكَ كَاذِبًا وَتَحَرَّ فِي كَفَّارَةِ الْأَيْمَانِ

٤٨٢- وَتَوَقَّ أَيْمَانَ الْغَمُوسِ فَإِنَّهَا ... تَدَعُ الدِّيَارَ بَلَاقِعَ الْحِيطَانِ

٤٨٣- حَدُّ النِّكَاحِ مِنَ الْحَرَائِرِ أَرْبَعٌ ... فَاطْلُبْ ذَوَاتِ الدِّينِ وَالْإِحْصَانِ

٤٨٤- لَا تَنْكِحَنَّ مُجِدَّةً فِي عِدَّةٍ ... فَنِكَاحُهَا وَزِنَاؤُهَا شِبْهَانِ

٤٨٥- عِدَدُ النِّسَاءِ لَهَا فَرَائِضُ أَرْبَعٌ ... لَكِنْ يَضُمُّ جَمِيعَهَا أَصْلَانِ

٤٨٦- تَطْلِيقُ زَوْجٍ دَاخِلٍ أَوْ مَوْتُهُ ... قَبْلَ الدُّخُولِ وَبَعْدَهُ سِيَّانِ

٤٨٧- وَحُدُودُهُنَّ عَلَىٰ ثَلَاثَةِ أَقْرُؤٍ ... أَوْ أَشْهُرٍ وَكِلَاهُمَا جِسْرَانِ

٤٨٨- وَكَذَاكَ عِدَّةُ مَنْ تُوُفِّيَ زَوْجُهَا ... سَبْعُونَ يَوْمًا بَعْدَهَا شَهْرَانِ

٤٨٩- عِدَدُ الْحَوَامِلِ مِنْ طَلَاقٍ أَوْ فَنَا ... وَضْعُ الْأَجِنَّةِ صَارِخًا أَوْ فَانِي

٤٩٠- وَكَذَاكَ حُكْمُ السِّقْطِ فِي إِسْقَاطِهِ ... حُكْمُ التَّمَامِ كِلَاهُمَا وَضْعَانِ

٤٩١- مَنْ لَمْ تَحِضْ أَوْ مَنْ تَقَلَّصَ حَيْضُهَا ... قَدْ صَحَّ فِي كِلْتَيْهِمَا الْعِدَدَانِ

٤٩٢- كِلْتَاهُمَا تَبْقَىٰ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ ... حُكْمَاهُمَا فِي النَّصِّ مُسْتَوِيَانِ

٤٩٣- عِدَدُ الْجِوَارِ مِنَ الطَّلَاقِ بِحَيْضَةٍ ... وَمِنَ الْوَفَاةِ الْخَمْسُ وَالشَّهْرَانِ

٤٩٤- فَبِطَلْقَتَيْنِ تَبِينُ مِنْ زَوْجٍ لَهَا ... لَا رَدَّ إِلَّا بَعْدَ زَوْجٍ ثَانِ

٤٩٥- وَكَذَا الْحَرَائِرُ فَالثَّلَاثُ تُبِينُهَا ... فَيُحِلُّ تِلْكَ وَهَذِهِ زَوْجَانِ

٤٩٦- فَلْتَنْكِحَا زَوْجَيْهِمَا عَنْ غِبْطَةٍ ... وَرِضًا بِلَا دَلْسٍ وَلَا عِصْيَانِ

٤٩٧- حَتَّىٰ إِذَا امْتَزَجَ النِّكَاحُ بِدُلْسَةٍ ... فَهُمَا مَعَ الزَّوْجَيْنِ زَانِيَتَانِ

٤٩٨- إِيَّاكَ وَالتَّيْسَ الْمُحَلِّلَ إِنَّهُ ... وَالْمُسْتَحِلَّ لِرَدِّهَا تَيْسَانِ

٤٩٩- لَعَنَ النَّبِيُّ مُحَلِّلًا وَمُحَلَّلًا ... فَكِلَاهُمَا فِي الشَّرْعِ مَلْعُونَانِ

٥٠٠- لَا تَضْرِبَنْ أَمَةً وَلَا عَبْدًا جَنَىٰ ... فَكِلَاهُمَا بِيَدَيْكَ مَأْسُورَانِ

٥٠١- أَعْرِضْ عَنِ النِّسْوَانِ جُهْدَكَ وَانْتَدِبْ ... لِعِنَاقِ خَيْرَاتٍ هُنَاكَ حِسَانِ

٥٠٢- فِي جَنَّةٍ طَابَتْ وَطَابَ نَعِيمُهَا ... مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ بِهَا زَوْجَانِ

٥٠٣- أَنْهَارُهَا تَجْرِي لَهُمْ مِنْ تَحْتِهِمْ ... مَحْفُوفَةً بِالنَّخْلِ وَالرُّمَّانِ

٥٠٤- غُرُفَاتُهَا مِنْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ ... وَقُصُورُهَا مِنْ خَالِصِ الْعِقْيَانِ

٥٠٥- قُصِرَتْ بِهَا لِلْمُتَّقِينَ كَوَاعِبٌ ... شُبِّهْنَ بِالْيَاقُوتِ وَالْمَرْجَانِ

٥٠٦- بِيضُ الْوُجُوهِ شُعُورُهُنَّ حَوَالِكٌ ... حُمْرُ الْخُدُودِ عَوَاتِقُ الأَجْفَانِ

٥٠٧- فُلْجُ الثُّغُورِ إِذَا ابْتَسَمْنَ ضَوَاحِكًا ... هِيفُ الْخُصُورِ نَوَاعِمُ الأَبْدَانِ

٥٠٨- خُضْرُ الثِّيَابِ ثُدِيُّهُنَّ نَوَاهِدٌ ... صُفْرُ الْحُلِيِّ عَوَاطِرُ الأَرْدَانِ

٥٠٩- طُوبَىٰ لِقَوْمٍ هُنَّ أَزْوَاجٌ لَهُمْ ... فِي دَارِ عَدْنٍ فِي مَحَلِّ أَمَانِ

٥١٠- يُسْقَوْنَ مِنْ خَمْرٍ لَذِيذٍ شُرْبُهَا ... بِأَنَامِلِ الْخُدَّامِ وَالْوِلْدَانِ

٥١١- لَوْ تَنْظُرِ الْحَوْرَاءَ عِنْدَ وَلِيِّهَا ... وَهُمَا فُوَيْقَ الْفُرْشِ مُتَّكِئَانِ

٥١٢- يَتَنَازَعَانِ الْكَأْسَ فِي أَيْدِيهِمَا ... وَهُمَا بِلَذَّةِ شُرْبِهَا فَرِحَانِ

٥١٣- وَلَرُبَّمَا تَسْقِيهِ كَأْسًا ثَانِيًا ... وَكِلَاهُمَا بِرُضَابِهَا حُلْوَانِ

٥١٤- يَتَحَدَّثَانِ عَلَىٰ الأَرَائِكِ خَلْوَةً ... وَهُمَا بِثَوْبِ الْوَصْلِ مُشْتَمِلَانِ

٥١٥- أَكْرِمْ بِجَنَّاتِ النَّعِيمِ وَأَهْلِهَا ... إِخْوَانُ صِدْقٍ أَيُّمَا إِخْوَانِ

٥١٦- جِيرَانُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَحِزْبُهُ ... أَكْرِمْ بِهِمْ فِي صَفْوَةِ الْجِيرَانِ

٥١٧- هُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَهُ وَيَرَوْنَهُ ... وَالْمُقْلَتَانِ إِلَيْهِ نَاظِرَتَانِ

٥١٨- وَعَلَيْهِمُ فِيهَا مَلَابِسُ سُنْدُسٍ ... وَعَلَىٰ الْمَفَارِقِ أَحْسَنُ التِّيجَانِ

٥١٩- تِيجَانُهُمْ مِنْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ ... أَوْ فِضَّةٍ مِنْ خَالِصِ الْعِقْيَانِ

٥٢٠- وَخَوَاتِمٌ مِنْ عَسْجَدٍ وَأَسَاوِرٌ ... مِنْ فِضَّةٍ كُسِيَتْ بِهَا الزَّنْدَانِ

٥٢١- وَطَعَامُهُمْ مِنْ لَحْمِ طَيْرٍ نَاعِمٍ ... كَالْبُخْتِ يُطْعَمُ سَائِرَ الأَلْوَانِ

٥٢٢- وَصِحَافُهُمْ ذَهَبٌ وَدُرٌّ فَائِقٌ ... سَبْعُونَ أَلْفًا فَوْقَ أَلْفِ خِوَانِ

٥٢٣- إِنْ كُنْتَ مُشْتَاقًا لَهَا كَلِفًا بِهَا ... شَوْقَ الْغَرِيبِ لِرُؤْيَةِ الأَوْطَانِ

٥٢٤- كُنْ مُحْسِنًا فِيمَا اسْتَطَعْتَ فَرُبَّمَا تُجْزَىٰ عَنِ الْإِحْسَانِ بِالْإِحْسَانِ

٥٢٥- وَاعْمَلْ لِجَنَّاتِ النَّعِيمِ وَطِيبِهَا فَنَعِيمُهَا يَبْقَىٰ وَلَيْسَ بِفَانِ

٥٢٦- أَدِمِ الصِّيَامَ مَعَ الْقِيَامِ تَعَبُّدًا فَكِلَاهُمَا عَمَلَانِ مَقْبُولَانِ

٥٢٧- قُمْ فِي الدُّجَىٰ وَاتْلُ الْكِتَابَ وَلَا تَنَمْ إِلَّا كَنَوْمَةِ حَائِرٍ وَلْهَانِ

٥٢٨- فَلَرُبَّمَا تَأْتِي الْمَنِيَّةُ بَغْتَةً فَتُسَاقُ مِنْ فُرُشٍ إِلَىٰ الْأَكْفَانِ

٥٢٩- يَا حَبَّذَا عَيْنَانِ فِي غَسَقِ الدُّجَىٰ مِنْ خَشْيَةِ الرَّحْمَنِ بَاكِيَتَانِ

٥٣٠- لَا تَقْذِفَنَّ الْمُحْصَنَاتِ وَلَا تَقُلْ مَا لَيْسَ تَعْلَمُهُ مِنَ الْبُهْتَانِ

٥٣١- لَا تَدْخُلَنَّ بُيُوتَ قَوْمٍ حُضَّرٍ إِلَّا بِنَحْنَحَةٍ أَوِ اسْتِئْذَانِ

٥٣٢- لَا تَجْزَعَنَّ إِذَا دَهَتْكَ مُصِيبَةٌ إِنَّ الصَّبُورَ ثَوَابُهُ ضِعْفَانِ

٥٣٣- فَإِذَا ابْتُلِيتَ بِنَكْبَةٍ فَاصْبِرْ لَهَا اللهُ حَسْبِي وَحْدَهُ وَكَفَانِي

٥٣٤- وَعَلَيْكَ بِالْفِقْهِ الْمُبَيِّنِ شَرْعَنَا وَفَرَائِضِ الْمِيرَاثِ وَالْقُرْآنِ

٥٣٥- عِلْمُ الْحِسَابِ وَعِلْمُ شَرْعِ مُحَمَّدٍ عِلْمَانِ مَطْلُوبَانِ مُتَّبَعَانِ

٥٣٦- لَوْلَا الْفَرَائِضُ ضَاعَ مِيرَاثُ الْوَرَىٰ وَجَرَىٰ خِصَامُ الْوُلْدِ وَالشِّيبَانِ

٥٣٧- لَوْلَا الْحِسَابُ وَضَرْبُهُ وَكُسُورُهُ لَمْ يَنْقَسِمْ سَهْمٌ وَلَا سَهْمَانِ

٥٣٨- لَا تَلْتَمِسْ عِلْمَ الْكَلَامِ فَإِنَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ التَّعْطِيلِ وَالْهَيَمَانِ

٥٣٩- لَا يَصْحَبُ الْبِدْعِيُّ إِلَّا مِثْلَهُ تَحْتَ الدُّخَانِ تَأَجُّجُ النِّيرَانِ

٥٤٠- عِلْمُ الْكَلَامِ وَعِلْمُ شَرْعِ مُحَمَّدٍ يَتَغَايَرَانِ وَلَيْسَ يَشْتَبِهَانِ

٥٤١- أَخَذُوا الْكَلَامَ عَنِ الْفَلَاسِفَةِ الْأُلَىٰ جَحَدُوا الشَّرَائِعَ غِرَّةً وَأَمَانِ

٥٤٢- حَمَلُوا الْأُمُورَ عَلَىٰ قِيَاسِ عُقُولِهِمْ فَتَبَلَّدُوا كَتَبَلُّدِ الْحَيْرَانِ

٥٤٣- مُرْجِيُّهُمْ يُزْرِي عَلَىٰ قَدَرِيِّهِمْ وَالْفِرْقَتَانِ لَدَيَّ كَافِرَتَانِ

٥٤٤- وَيَسُبُّ مُخْتَارِيُّهُمْ دَوْرِيَّهُمْ وَالْقَرْمَطِيُّ مُلَاعِنُ الرُّفْضَانِ

٥٤٥- وَيَعِيبُ كَرَّامِيُّهُمْ وَهْبِيَّهُمْ ... وَكِلَاهُمَا يَرْوِي عَنِ ابْنِ أَبَانِ

٥٤٦- لِحِجَاجِهِمْ شُبَهٌ تُخَالُ وَرَوْنَقٌ ... مِثْلُ السَّرَابِ يَلُوحُ لِلظَّمْآنِ

٥٤٧- دَعْ أَشْعَرِيَّهُمُ وَمُعْتَزِلِيَّهُمْ ... يَتَنَاقَرُونَ تَنَاقُرَ الْغِرْبَانِ

٥٤٨- كُلٌّ يَقِيسُ بِعَقْلِهِ سُبُلَ الْهُدَىٰ ... وَيَتِيهُ تَيْهَ الْوَالِهِ الْهَيْمَانِ

٥٤٩- فَاللهُ يَجْزِيهِمْ بِمَا هُمْ أَهْلُهُ ... وَلَهُ الثَّنَا مِنْ قَوْلِهِمْ بَرَّانِي

٥٥٠- مَنْ قَاسَ شَرْعَ مُحَمَّدٍ فِي عَقْلِهِ ... قَذَفَتْ بِهِ الْأَهْوَاءُ فِي غُدْرَانِ

٥٥١- لَا تَفْتَكِرْ فِي ذَاتِ رَبِّكَ وَاعْتَبِرْ ... فِيمَا بِهِ يَتَصَرَّفُ الْمَلَوَانِ

٥٥٢- وَاللهُ رَبِّي مَا تُكَيَّفُ ذَاتُهُ ... بِخَوَاطِرِ الْأَوْهَامِ وَالْأَذْهَانِ

٥٥٣- أَمْرِرْ أَحَادِيثَ الصِّفَاتِ كَمَا أَتَتْ ... مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ وَلَا هَذَيَانِ

٥٥٤- هُوَ مَذْهَبُ الزُّهْرِي وَوَافَقَ مَالِكٌ ... وَكِلَاهُمَا فِي شَرْعِنَا عَلَمَانِ

٥٥٥- لِلهِ وَجْهٌ لَا يُحَدُّ بِصُورَةٍ ... وَلِرَبِّنَا عَيْنَانِ نَاظِرَتَانِ

٥٥٦- وَلَهُ يَدَانِ كَمَا يَقُولُ إِلَهُنَا ... وَيَمِينُهُ جَلَّتْ عَنِ الْأَيْمَانِ

٥٥٧- كِلْتَا يَدَيْ رَبِّي يَمِينٌ وَصْفُهَا ... وَهُمَا عَلَىٰ الثَّقَلَيْنِ مُنْفِقَتَانِ

٥٥٨- كُرْسِيُّهُ وَسِعَ السَّمَوَاتِ الْعُلَا ... وَالْأَرْضَ وَهْوَ يَعُمُّهُ الْقَدَمَانِ

٥٥٩- وَاللهُ يَضْحَكُ لَا كَضِحْكِ عَبِيدِهِ ... وَالْكَيْفُ مُمْتَنِعٌ عَلَىٰ الرَّحْمَنِ

٥٦٠- وَاللهُ يَنْزِلُ كُلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ ... لِسَمَائِهِ الدُّنْيَا بِلَا كِتْمَانِ

٥٦١- فَيَقُولُ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُجِيبَهُ ... فَأَنَا الْقَرِيبُ أُجِيبُ مَنْ نَادَانِي

٥٦٢- حَاشَا الْإِلَهَ بِأَنْ تُكَيَّفَ ذَاتُهُ ... فَالْكَيْفُ وَالتَّمْثِيلُ مُنْتَفِيَانِ

٥٦٣- وَالْأَصْلُ أَنَّ اللهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ ... شَيْءٌ تَعَالَىٰ الرَّبُّ ذُو الْإِحْسَانِ

٥٦٤- وَحَدِيثُهُ الْقُرْآنُ وَهْوَ كَلَامُهُ ... صَوْتٌ وَحَرْفٌ لَيْسَ يَفْتَرِقَانِ

٥٦٥- لَسْنَا نُشَبِّهُ رَبَّنَا بِعِبَادِهِ ... رَبٌّ وَعَبْدٌ كَيْفَ يَشْتَبِهَانِ

٥٦٦- فَالصَّوْتُ لَيْسَ بِمُوجِبٍ تَجْسِيمَهُ ... إِذْ كَانَتِ الصِّفَتَانِ تَخْتَلِفَانِ
٥٦٧- حَرَكَاتُ أَلْسُنِنَا وَصَوْتُ حُلُوقِنَا ... مَخْلُوقَةٌ وَجَمِيعُ ذَلِكَ فَانِ
٥٦٨- وَكَمَا يَقُولُ اللهُ رَبِّي لَمْ يَزَلْ ... حَيًّا وَلَيْسَ كَسَائِرِ الْحَيَوَانِ
٥٦٩- وَحَيَاةُ رَبِّي لَمْ تَزَلْ صِفَةً لَهُ ... سُبْحَانَهُ مِنْ كَامِلٍ ذِي الشَّانِ
٥٧٠- وَكَذَاكَ صَوْتُ إِلَهِنَا وَنِدَاؤُهُ ... حَقًّا أَتَىٰ فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ
٥٧١- وَحَيَاتُنَا بِحَرَارَةٍ وَبُرُودَةٍ ... وَاللهُ لَا يُعْزَىٰ لَهُ هَذَانِ
٥٧٢- وَقِوَامُهَا بِرُطُوبَةٍ وَيُبُوسَةٍ ... ضِدَّانِ أَزْوَاجٌ هُمَا ضِدَّانِ
٥٧٣- سُبْحَانَ رَبِّي عَنْ صِفَاتِ عِبَادِهِ ... أَوْ أَنْ يَكُونَ مُرَكَّبًا جِسَدَانِي
٥٧٤- إِنِّي أَقُولُ فَأَنْصِتُوا لِمَقَالَتِي ... يَا مَعْشَرَ الْخُلَطَاءِ وَالإِخْوَانِ
٥٧٥- إِنَّ الَّذِي هُوَ فِي الْمَصَاحِفِ مُثْبَتٌ ... بِأَنَامِلِ الأَشْيَاخِ وَالشُّبَّانِ
٥٧٦- هُوَ قَوْلُ رَبِّي آيُهُ وَحُرُوفُهُ ... وَمِدَادُنَا وَالرَّقُّ مَخْلُوقَانِ
٥٧٧- مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ ضِدَّ مَقَالَتِي ... فَالْعَنْهُ كُلَّ إِقَامَةٍ وَأَذَانِ
٥٧٨- هُوَ فِي الْمَصَاحِفِ وَالصُّدُورِ حَقِيقَةً ... أَيْقِنْ بِذَلِكَ أَيَّمَا إِيقَانِ
٥٧٩- وَكَذَا الْحُرُوفُ الْمُسْتَقِرُّ حِسَابُهَا ... عِشْرُونَ حَرْفًا بَعْدَهُنَّ ثَمَانِ
٥٨٠- هِيَ مِنْ كَلَامِ اللهِ جَلَّ جَلَالُهُ ... حَقًّا وَهُنَّ أُصُولُ كُلِّ بَيَانِ
٥٨١- حَاءٌ وَمِيمٌ قَوْلُ رَبِّي وَحْدَهُ ... مِنْ غَيْرِ أَنْصَارٍ وَلَا أَعْوَانِ
٥٨٢- مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ مَا قَدْ قَالَهُ ... عَبْدُ الْجَلِيلِ وَشِيعَةُ اللِّحْيَانِ
٥٨٣- فَقَدِ افْتَرَىٰ كَذِبًا وَإِثْمًا وَاقْتَدَىٰ ... بِكِلَابِ كَلْبِ مَعَرَّةِ النُّعْمَانِ
٥٨٤- خَالَطْتُهُمْ حِينًا فَلَوْ عَاشَرْتَهُمْ ... لَضَرَبْتَهُمْ بِصَوَارِمِي وَلِسَانِي
٥٨٥- تَعِسَ الْعَمِيُّ أَبُو الْعَلَاءِ فَإِنَّهُ ... قَدْ كَانَ مَجْمُوعًا لَهُ الْعَمَيَانِ
٥٨٦- وَلَقَدْ نَظَمْتُ قَصِيدَتَيْنِ بِهَجْوِهِ ... أَبْيَاتُ كُلِّ قَصِيدَةٍ مِئَتَانِ

٥٨٧- وَالْآنَ أَهْجُو الْأَشْعَرِيَّ وَحِزْبَهُ ... وَأُذِيعُ مَا كَتَمُوا مِنَ الْبُهْتَانِ

٥٨٨- يَا مَعْشَرَ الْمُتَكَلِّمِينَ عَدَوْتُمُ ... عُدْوَانَ أَهْلِ السَّبْتِ فِي الْحِيتَانِ

٥٨٩- كَفَّرْتُمُ أَهْلَ الشَّرِيعَةِ وَالْهُدَىٰ ... وَطَعَنْتُمُ بِالْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ

٥٩٠- فَلَأَنْصُرَنَّ الْحَقَّ حَتَّىٰ أَنَّنِي ... أَسْطُو عَلَىٰ سَادَاتِكُمْ بِطِعَانِي

٥٩١- اللهُ صَيَّرَنِي عَصَا مُوسَىٰ لَكُمْ ... حَتَّىٰ تَلَقَّفَ إِفْكَكُمْ ثُعْبَانِي

٥٩٢- بِأَدِلَّةِ الْقُرْآنِ أُبْطِلُ سِحْرَكُمْ ... وَبِهِ أُزَلْزِلُ كُلَّ مَنْ لَاقَانِي

٥٩٣- هُوَ مَلْجَئِي هُوَ مَدْرَئِي هُوَ مُنْجِئِي ... مِنْ كَيْدِ كُلِّ مُنَافِقٍ خَوَّانِ

٥٩٤- إِنْ حَلَّ مَذْهَبُكُمْ بِأَرْضٍ أَجْدَبَتْ ... أَوْ أَصْبَحَتْ قَفْرًا بِلَا عُمْرَانِ

٥٩٥- وَاللهُ صَيَّرَنِي عَلَيْكُمْ نِقْمَةً ... وَلِهَتْكِ سِتْرِ جَمِيعِكُمْ أَبْقَانِي

٥٩٦- أَنَا فِي حُلُوقِ جَمِيعِكُمْ عُودُ الْحَشَا ... أَعْيَا أَطِبَّتَكُمْ غُمُوضُ مَكَانِي

٥٩٧- أَنَا حَيَّةُ الْوَادِي أَنَا أَسَدُ الشَّرَىٰ ... أَنَا مُرْهَفٌ مَاضِي الْغِرَارِ يَمَانِي

٥٩٨- بَيْنَ ابْنِ حَنْبَلٍ وَابْنِ إِسْمَاعِيلِكُمْ ... سَخَطٌ يُذِيقُكُمُ الْحَمِيمَ الْآنِي

٥٩٩- دَارَيْتُمُ عِلْمَ الْكَلَامِ تَشَزُّرًا ... وَالْفِقْهُ لَيْسَ لَكُمْ عَلَيْهِ يَدَانِ

٦٠٠- الْفِقْهُ مُفْتَقِرٌ لِخَمْسِ دَعَائِمٍ ... لَمْ يَجْتَمِعْ مِنْهَا لَكُمْ ثِنْتَانِ

٦٠١- حِلْمٌ وَإِتْبَاعٌ لِسُنَّةِ أَحْمَدٍ ... وَتُقَىٰ وَكَفُّ أَذًىٰ وَفَهْمُ مَعَانِ

٦٠٢- آثَرْتُمُ الدُّنْيَا عَلَىٰ أَدْيَانِكُمْ ... لَا خَيْرَ فِي دُنْيَا بِلَا أَدْيَانِ

٦٠٣- وَفَتَحْتُمُ أَفْوَاهَكُمْ وَبُطُونَكُمْ ... فَبَلَعْتُمُ الدُّنْيَا بِغَيْرِ تَوَانِ

٦٠٤- كَذَّبْتُمُ أَقْوَالَكُمْ بِفِعَالِكُمْ ... وَحَمَلْتُمُ الدُّنْيَا عَلَىٰ الْأَدْيَانِ

٦٠٥- قُرَّاؤُكُمْ قَدْ أَشْبَهُوا فُقَهَاءَكُمْ ... فِئَتَانِ لِلرَّحْمَنِ عَاصِيَتَانِ

٦٠٦- يَتَكَالَبَانِ عَلَىٰ الْحَرَامِ وَأَهْلِهِ ... فِعْلَ الْكِلَابِ بِجِيفَةِ اللُّحْمَانِ

٦٠٧- يَا أَشْعَرِيَّةُ هَلْ شَعَرْتُمْ أَنَّنِي ... رَمَدُ الْعُيُونِ وَحِكَّةُ الْأَجْفَانِ

٦٠٨- أَنَا فِي كُبُودِ الْأَشْعَرِيَّةِ قَرْحَةٌ أَرْبُو فَأَقْتُلُ كُلَّ مَنْ يَشْنَانِي
٦٠٩- وَلَقَدْ بَرَزْتُ إِلَىٰ كِبَارِ شُيُوخِكُمْ فَصَرَفْتُ مِنْهُمْ كُلَّ مَنْ نَاوَانِي
٦١٠- وَقَلَبْتُ أَرْضَ حِجَاجِهِمْ وَنَثَرْتُهَا فَوَجَدْتُهَا قَوْلًا بِلَا بُرْهَانِ
٦١١- وَاللهُ أَيَّدَنِي وَثَبَّتَ حُجَّتِي وَاللهُ مِنْ شُبُهَاتِهِمْ نَجَّانِي
٦١٢- وَالْحَمْدُ لِلهِ الْمُهَيْمِنِ دَائِمًا حَمْدًا يُلَقِّحُ فِطْنَتِي وَجَنَانِي
٦١٣- أَحَسِبْتُمُ يَا أَشْعَرِيَّةُ أَنَّنِي مِمَّنْ يُقَعْقَعُ خَلْفَهُ بِشِنَانِ
٦١٤- أَفَتُسْتَرُ الشَّمْسُ الْمُضِيئَةُ بِالسُّهَا أَمْ هَلْ يُقَاسُ الْبَحْرُ بِالْخُلْجَانِ
٦١٥- عمْرِي لَقَدْ فَتَّشْتُكُمْ فَوَجَدْتُكُمْ حُمُرًا بِلَا عَنَنٍ وَلَا أَرْسَانِ
٦١٦- أَحْضَرْتُكُمْ وَحَشَرْتُكُمْ وَقَصَدْتُكُمْ وَكَسَرْتُكُمْ كَسْرًا بِلَا جُبْرَانِ
٦١٧- أَزَعَمْتُمُ أَنَّ الْقُرَانَ عِبَارَةٌ فَهُمَا كَمَا تَحْكُونَ قُرْآنَانِ
٦١٨- إِيمَانُ جِبْرِيلٍ وَإِيمَانُ الَّذِي رَكِبَ الْمَعَاصِيَ عِنْدَكُمْ سِيَّانِ
٦١٩- هَذَا الْجُوَيْهِرُ وَالْعُرَيْضُ بِزَعْمِكُمْ أَهُمَا لِمَعْرِفَةِ الْهُدَىٰ أَصْلَانِ
٦٢٠- مَنْ عَاشَ فِي الدُّنْيَا وَلَمْ يَعْرِفْهُمَا وَأَقَرَّ بِالْإِسْلَامِ وَالْفُرْقَانِ
٦٢١- أَفَمُسْلِمٌ هُوَ عِنْدَكُمْ أَمْ كَافِرٌ أَمْ عَاقِلٌ أَمْ جَاهِلٌ أَمْ وَانِ
٦٢٢- عَطَّلْتُمُ السَّبْعَ السَّمَوَاتِ الْعُلَا وَالْعَرْشَ أَخْلَيْتُمْ مِنَ الرَّحْمَنِ
٦٢٣- وَزَعَمْتُمُ أَنَّ الْبَلَاغَ لِأَحْمَدٍ فِي آيَةٍ مِنْ جُمْلَةِ الْقُرْآنِ
٦٢٤- هَذِي الشَّقَاشِقُ وَالْمَخَارِقُ وَالْهَوَىٰ وَالْمَذْهَبُ الْمُسْتَحْدَثُ الشَّيْطَانِي
٦٢٥- سَمَّيْتُمُ عِلْمَ الْأُصُولِ ضَلَالَةً كَاسْمِ النَّبِيذِ لِخَمْرَةِ الْأَدْنَانِ
٦٢٦- وَنَعَتْ مَحَارِمُكُمْ عَلَىٰ أَمْثَالِكُمْ وَاللهُ عَنْهَا صَانَنِي وَحَمَانِي
٦٢٧- إِنِّي اعْتَصَمْتُ بِحَبْلِ شَرْعِ مُحَمَّدٍ وَعَضَضْتُهُ بِنَوَاجِذِ الْأَسْنَانِ
٦٢٨- أَشَعَرْتُمُ يَا أَشْعَرِيَّةُ أَنَّنِي طُوفَانُ بَحْرٍ أَيُّمَا طُوفَانِ

٦٢٩- أَنَا هَمُّكُمْ أَنَا غَمُّكُمْ أَنَا سُقْمُكُمْ ... أَنَا سُمُّكُمْ فِي السِّرِّ وَالْإِعْلَانِ

٦٣٠- أَذْهَبْتُمُ نُورَ الْقُرْآنِ وَحُسْنَهُ ... مِنْ كُلِّ قَلْبٍ وَالِهٍ لَهْفَانِ

٦٣١- فَوَحَقِّ جَبَّارٍ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ... مِنْ غَيْرِ تَمْثِيلٍ كَقَوْلِ الْجَانِي

٦٣٢- وَوَحَقِّ مَنْ خَتَمَ الرِّسَالَةَ وَالْهُدَىٰ ... بِمُحَمَّدٍ فَزَهَا بِهِ الْحَرَمَانِ

٦٣٣- لَأُقَطِّعَنَّ بِمِعْوَلِي أَعْرَاضَكُمْ ... مَا دَامَ يَصْحَبُ مُهْجَتِي جُثْمَانِي

٦٣٤- وَلَأَهْجُوَنَّكُمُ وَأَثْلِبُ حِزْبَكُمْ ... حَتَّىٰ تُغَيِّبَ جُثَّتِي أَكْفَانِي

٦٣٥- وَلَأَهْتِكَنَّ بِمَنْطِقِي أَسْتَارَكُمْ ... حَتَّىٰ أُبَلِّغَ قَاصِيًا أَوْ دَانِي

٦٣٦- وَلَأَهْجُوَنَّ صَغِيرَكُمْ وَكَبِيرَكُمْ ... غَيْظًا لِمَنْ قَدْ سَبَّنِي وَهَجَانِي

٦٣٧- وَلَأُنْزِلَنَّ بِكُمْ أَلِيمَ صَوَاعِقِي ... وَلَتُحْرِقَنَّ كُبُودَكُمْ نِيرَانِي

٦٣٨- وَلَأَقْطَعَنَّ بِسَيْفِ حَقِّي زُورَكُمْ ... وَلَيُخْمِدَنَّ شُوَاظَكُمْ طُوفَانِي

٦٣٩- وَلَأَقْصِدَنَّ اللهَ فِي خِذْلَانِكُمْ ... وَلَيَمْنَعَنَّ جَمِيعَكُمْ خِذْلَانِي

٦٤٠- وَلَأَحْمِلَنَّ عَلَىٰ عُتَاةِ طُغَاتِكُمْ ... حَمْلَ الْأُسُودِ عَلَىٰ قَطِيعِ الضَّانِ

٦٤١- وَلَأَرْمِيَنَّكُمُ بِصَخْرِ مَجَانِقِي ... حَتَّىٰ يَهُدَّ عُتُوَّكُمْ سُلْطَانِي

٦٤٢- وَلَأَكْتُبَنَّ إِلَىٰ الْبِلَادِ بِسَبِّكُمْ ... فَيَسِيرُ سَيْرَ الْبُزْلِ بِالرُّكْبَانِ

٦٤٣- وَلَأُدْحِضَنَّ بِحُجَّتِي شُبُهَاتِكُمْ ... حَتَّىٰ يُغَطِّيَ جَهْلَكُمْ عِرْفَانِي

٦٤٤- وَلَأَغْضَبَنَّ لِقَوْلِ رَبِّي فِيكُمُ ... غَضَبَ النُّمُورِ وَجُمْلَةِ الْعُقْبَانِ

٦٤٥- وَلَأَضْرِبَنَّكُمُ بِصَارِمِ مِقْوَلِي ... ضَرْبًا يُزَعْزِعُ أَنْفُسَ الشُّجْعَانِ

٦٤٦- وَلَأُسْعِطَنَّ مِنَ الْفُضُولِ أُنُوفَكُمْ ... سَعْطًا يُعَطِّسُ مِنْهُ كُلُّ جَبَانِ

٦٤٧- إِنِّي بِحَمْدِ اللهِ عِنْدَ قِتَالِكُمْ ... لَمُحَكَّمٌ فِي الْحَرْبِ ثَبْتُ جَنَانِ

٦٤٨- وَإِذَا ضَرَبْتُ فَلَا تَخِيبُ مَضَارِبِي ... وَإِذَا طَعَنْتُ فَلَا يَرُوغُ طِعَانِي

٦٤٩- وَإِذَا حَمَلْتُ عَلَىٰ الْكَتِيبَةِ مِنْكُمُ ... مَزَّقْتُهَا بِلَوَامِعِ الْبُرْهَانِ

٦٥٠- الشَّرْعُ وَالْقُرْآنُ أَكْبَرُ عُدَّتِي ... فَهُمَا لِقَطْعِ حِجَاجِكُمْ سَيْفَانِ
٦٥١- ثِقْلَا عَلَىٰ أَبْدَانِكُمْ وَرُءُوسِكُمْ ... فَهُمَا لِكَسْرِ رُءُوسِكُمْ حَجَرَانِ
٦٥٢- إِنْ أَنْتُمُ سَالَمْتُمُ سُولِمْتُمُ ... وَسَلِمْتُمُ مِنْ حَيْرَةِ الْخِذْلَانِ
٦٥٣- وَلَئِنْ أَبَيْتُمْ وَاعْتَدَيْتُمْ فِي الْهَوَىٰ ... فَنِضَالُكُمْ فِي ذِمَّتِي وَضَمَانِي
٦٥٤- يَا أَشْعَرِيَّةُ يَا أَسَافِلَةَ الْوَرَىٰ ... يَا عُمْيُ يَا صُمٌّ بِلَا آذَانِ
٦٥٥- إِنِّي لَأُبْغِضُكُمْ وَأُبْغِضُ حِزْبَكُمْ ... بُغْضًا أَقَلُّ قَلِيلِهِ أَضْغَانِي
٦٥٦- لَوْ كُنْتُ أَعْمَىٰ الْمُقْلَتَيْنِ لَسَرَّنِي ... كَيْ لَا يَرَىٰ إِنْسَانَكُمْ إِنْسَانِي
٦٥٧- تَغْلِي قُلُوبُكُمُ عَلَيَّ بِحَرِّهَا ... حَنَقًا وَغَيْظًا أَيَّمَا غَلَيَانِ
٦٥٨- مُوتُوا بِغَيْظِكُمُ وَمُوتُوا حَسْرَةً ... وَأَسًىٰ عَلَيَّ وَعَضُّوا كُلَّ بَنَانِ
٦٥٩- قَدْ عِشْتُ مَسْرُورًا وَمِتُّ مُخَفَّرًا ... وَلَقِيتُ رَبِّي سَرَّنِي وَرَعَانِي
٦٦٠- وَأَبَاحَنِي جَنَّاتِ عَدْنٍ آمِنًا ... وَمِنَ الْجَحِيمِ بِفَضْلِهِ عَافَانِي
٦٦١- وَلَقِيتُ أَحْمَدَ فِي الْجِنَانِ وَصَحْبَهُ ... وَالْكُلُّ عِنْدَ لِقَائِهِمْ أَدْنَانِي
٦٦٢- لَمْ أَدَّخِرْ عَمَلًا لِرَبِّيَ صَالِحًا ... لَكِنْ بِإِسْخَاطِي لَكُمْ أَرْضَانِي
٦٦٣- أَنَا تَمْرَةُ الْأَحْبَابِ حَنْظَلَةُ الْعِدَا ... أَنَا غُصَّةٌ فِي حَلْقِ مَنْ عَادَانِي
٦٦٤- وَأَنَا الْمُحِبُّ لِأَهْلِ سُنَّةِ أَحْمَدٍ ... وَأَنَا الْأَدِيبُ الشَّاعِرُ الْقَحْطَانِي
٦٦٥- سَلْ عَنْ بَنِي قَحْطَانَ كَيْفَ فِعَالُهُمْ ... يَوْمَ الْهِيَاجِ إِذَا الْتَقَىٰ الزَّحْفَانِ
٦٦٧- سَلْ كَيْفَ نَثْرُهُمُ الْكَلَامَ وَنَظْمُهُمْ ... وَهُمَا لَهُمْ سَيْفَانِ مَسْلُولَانِ
٦٦٨- نُصِرُوا بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ سُلَّقٍ ... مِثْلَ الْأَسِنَّةِ شُرِّعَتْ لِطِعَانِ
٦٦٩- سَلْ عَنْهُمُ عِنْدَ الْجِدَالِ إِذَا الْتَقَىٰ ... مِنْهُمْ وَمِنْ أَضْدَادِهِمْ خَصْمَانِ
٦٧٠- نَحْنُ الْمُلُوكُ بَنُو الْمُلُوكِ وِرَاثَةً ... أُسْدُ الْهِيَاجِ وَأَبْحُرُ الْإِحْسَانِ
٦٧١- لَا قَوْمُنَا بُخَلَا وَلَا بِأَذِلَّةٍ ... عِنْدَ الْحُرُوبِ وَلَا النِّسَا بِزَوَانِ

٦٧٢- يَا أَشْعَرِيَّةُ يَا جَمِيعَ مَنِ ادَّعَىٰ ... بِـدَعًـا وَأَهْـــوَاءً بِـــلاَ بُــرْهَــانِ

٦٧٣- جَـاءَتْـكُـمُ سُـنِّـيَّـةٌ مَـأْمُـونَـةٌ ... مِـنْ شَـاعِـرٍ ذَرِبِ الـلِّـسَـانِ مُـعَـانِ

٦٧٤- خَرَزَ الْقَوَافِيَ بِالْمَدَائِحِ وَالْهِجَا ... فَـكَـأَنَّ جُمْـلَـتَـهَـا لَـدَيَّ عَـوَانِ

٦٧٥- يَهْوِي فَصِيحُ الْقَوْلِ مِنْ لَهَوَاتِهِ ... كَالصَّخْرِ يَهْبِطُ مِنْ ذُرَىٰ كَهْلَانِ

٦٧٦- إِنِّي قَصَدْتُ جَمِيعَكُمْ بِقَصِيدَةٍ ... هَـتَـكَـتْ سُـتُـورَكُـمُ عَلَىٰ الْبُـلْـدَانِ

٦٧٧- هِـيَ لِـلـرَّوَافِـضِ دِرَّةٌ عُمَرِيَّةٌ ... تَــرَكَــتْ رُءُوسَـــهُـــمُ بِـــلَا آذَانِ

٦٧٨- هِـيَ لِلْمُنَجِّمِ وَالطَّبِيبِ مَنِيَّةٌ ... فَـكِـلَاهُـمَـا مُـلْـقَـانِ مُخْـتَـلِـفَـانِ

٦٧٩- هِيَ فِي رُءُوسِ الْمَارِقِينَ شَقِيقَةٌ ... ضُرِبَتْ لِفَرْطِ صُدَاعِهَا الصُّدْغَانِ

٦٨٠- هِيَ فِي قُلُوبِ الْأَشْعَرِيَّةِ كُلِّهِمْ ... صَـابٌ وَفِي الْأَجْـسَـادِ كَالسَّعْدَانِ

٦٨١- لَكِنْ لِأَهْلِ الْحَقِّ شَهْدٌ صَافِيًا ... أَوْ تَـمْـرُ يَـثْـرِبَ ذَلِـكَ الصَّيْحَانِي

٦٨٢- وَأَنَـا الَّـذِي حَبَّرْتُـهَا وَجَعَلْتُهَا ... مَـنْـظُـومَـةً كَـقَـلَائِـدِ الْـمَـرْجَـانِ

٦٨٣- وَنَصَرْتُ أَهْلَ الْحَقِّ مَبْلَغَ طَاقَتِي ... وَصَـفَـعْـتُ كُـلَّ مُخَـالِـفٍ صَفْعَانِ

٦٨٤- مَـعَ أَنَّـهَـا جَـمَـعَـتْ عُلُومًا جَمَّةً ... مِمَّـا يَـضِـيـقُ لِـشَـرْحِـهَـا دِيـوَانِ

٦٨٥- أَبْيَاتُهَا مِثْلُ الْحَدَائِقِ تُجْتَنَىٰ ... سَمْـعًـا وَلَـيْـسَ يَمَـلُّـهُـنَّ الْجَـانِـي

٦٨٦- وَكَأَنَّ رَسْمَ سُطُورِهَا فِي طِرْسِهَا ... وَشْـــيٌ تُـنَـمِّـقُـهُ أَكُـــفُّ غَـــوَانِ

٦٨٧- وَاللهَ أَسْـأَلُـهُ قَـبُـولَ قَصِيدَتِي ... مِـــنِّي وَأَشْـــكُـــرُهُ لِمَـــا أَوْلَانِـــي

٦٨٨- صَلَّىٰ الْإِلَـٰهُ عَلَىٰ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ... مَـا نَـاحَ قُـمْـرِيٌّ عَـلَـىٰ الْأَغْـصَـانِ

٦٨٩- وَعَلَىٰ جَمِيعِ بَنَاتِهِ وَنِسَائِهِ ... وَعَلَىٰ جَمِيعِ الصَّحْبِ وَالْإِخْـوَانِ

٦٩٠- بِـاللهِ قُـولُـوا كُـلَّـمَـا أَنْـشَـدْتُمُ ... رَحِـمَ الْإِلَـٰـهُ صَـدَاكَ يَـا قَحْطَانِي

❊ ❊ ❊



توسل الناظم بكلام الله عَزَّوَجَلَّ الذي هو صفة من صفاته ويقتضي ذلك مشروعية التوسل بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى

قال الشَّيخ أبو محمَّد عبد الله بن محمَّد القحطاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١- يَا مُنْزِلَ الآيَاتِ وَالْفُرْقَانِ   بَيْنِي وَبَيْنَكَ حُرْمَةُ الْقُرْآنِ

❁ بدأ الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه القصيدة بالدعاء؛ يدعو الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بقوله:

«يَا مُنْزِلَ الآيَاتِ وَالْفُرْقَانِ   بَيْنِي وَبَيْنَكَ حُرْمَةُ الْقُرْآنِ»

❁ وهذا البيت تحته معانٍ عظيمة لو تأمّلناها فإنّه أوّل ما بدأ توسل إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بأسمائه وصفاته؛ لأنَّ منزل التوراة والإنجيل والفرقان هو الله عَزَّوَجَلَّ فهو بدأ بقوله: **«يَا مُنْزِلَ الآيَاتِ وَالْفُرْقَانِ»**.

فالآيات تشمل الآيات الكونية والآيات الشرعية؛ فتشمل الآيات التي جعلها الله دلائل علىٰ قدرته سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ وتشمل آيات الكتاب آيات القرآن الذي أنزله الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ؛ لأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ قد يُنزِّل آيات كونية؛ كما نزَّل للحواريين عندما طلبوا من عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن يدعو الله أن يُنزِّل عليهم مائدة من السماء هذا بالنسبة للآيات الكونية، وكذلك هو مُنزل الآيات القرآنية كما قال الله تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [آل عمران: ٣ - ٤]؛ ولذلك عبَّر بالفرقان، والفرقان اسم من أسماء القرآن، وكونه منزل القرآن يشتمل علىٰ أنَّ القرآن كلام الله عَزَّوَجَلَّ وكلامه صفة من صفاته سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ؛ فهو أنزله علىٰ قلب نبيِّه محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بواسطة جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ حيث تكلم به سُبْحَانَهُۥ وسمعه منه جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بعد أن تكلّم به بحرف وصوت مسموع، ثمّ نزل به وبلّغه بكلّ صدق وأمانة إلىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلغه للأمّة إذًا هذا من التوسل بصفات الله جَلَّ وَعَلَا.

أنواع التوسل

والتوسل المشروع ثلاثة أقسام:

التوسل بأسماء الله وصفاته؛ كما في هذا البيت، وكما في قول النّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا حيّ يا قيّوم برحمتك أستغيث**»(١).

والتوسل بالأعمال الصَّالحة، وقد جاء هذا في الشطر الثاني من البيت كما سنبيِّنه، والمهم أن نفهم أنَّ قول الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ: «**يا مُنْزِلَ الآياتِ وَالْفُرْقَانِ**»: توسل إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ؛ بصفته لأنَّ من صفاته الكلام، والقرآن كلام الله عَزَّوَجَلَّ فهو مُنزِّلُ القرآن، وهذا يتطلَّب أن نؤمن بأنَّ القرآن كلام الله؛ نؤمن به علىٰ النَّحو الآتي:

أولًا- نؤمن بأنَّ القرآن الذي أُنزِلَ علىٰ محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو كلام الله الذي تكلَّم به حقيقة، وليس عبارة عن كلام الله ولا حكاية عنه، بل هو كلامه الذي تكلّم به حقيقة؛ لأنَّ الله يتكلَّم بما شاء متىٰ شاء كيف شاء.

ثانيًا- أنَّ الله تكلَّم به بحرف وصوت مسموعين ولذلك لما نازع بعض المتكلِّمين في الحرف والصَّوت ردَّ عليهم السجزي رَحِمَهُ اللَّهُ برسالة سماها «**رسالة في الحرف والصوت**»، حرف وصوت يليقان بجلاله وعظمته لا نشبّه ولا نمثّل كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

ثالثًا- أنَّ جبريل سمعه من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وليس المقصود أن يُقال: إنَّ جبريل سمعه من الهواء أو إنَّ الله خلقه في الهواء كما تقول بعض المعطلة، بل إنَّ جبريل سمعه من الله مباشرة.

---

(١) أخرجه النسائي في «الكبرىٰ» [١٠٣٣٠]، والحاكم [١٨٧٥]، والبيهقي في «شعب الإيمان» [١٠٢٣١] من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» [٥٨٢٠].

رابعًا- كلام الله المنزَّل من عنده غير مخلوق.

خامسًا- أنَّ القرآن المحفوظ في الصدور هو كلام الله.

سادسًا- أن القرآن المتلوّ بالألسن هو كلام الله.

سابعًا- أنّ الكلام المكتوب في المصحف يعني أنّ القرآن المسطّر في المصحف هو كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أمّا المداد والحبر والأوراق فهذه مخلوقات كما قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نونيته:

لكن أصوات العباد وفعلهم ... كمدادهم والرَّق مخلوقان؛

ونصّ السّلف علىٰ هذا التفصيل.

وقد كان الصّحابة والسلف الصالح يكتفون بأنّه كلام الله وكفىٰ حتىٰ ظهرت الفرق المنحرفة عن الجادة كالجهمية والمعتزلة وغيرهم من المعطلة، حينئذ وجد أهل العلم أنهم مضطرون إلىٰ هذا التفصيل المبني علىٰ الأدلة الواضحة من الكتاب والسنة؛ وبناء عليه فإنّ القرآن المنزّل المتلوّ، المحفوظ، المكتوب، المسموع؛ كلّه كلام الله عَزَّوَجَلَّ، لفظه ومعناه غير مخلوق.

فقوله: «يَا مُنْزِلَ الآيَاتِ وَالْفُرْقَانِ»: نداء ودعاء.

وقوله: «بَيْنِي وَبَيْنَكَ حُرْمَةُ الْقُرْآنِ»: هذا توسّل بالأعمال الصّالحة، وفيه إشارة إلىٰ التوسُّل بأسماء الله وصفاته، لكن هو توسُّل بالعمل الصّالح.

يعني: إيماني بهذا القرآن وعملي بهذا القرآن وإيماني بأنّه كلامك المنزّل من عندك، «بَيْنِي وَبَيْنَكَ» ؛ **يعني**: أتوسّل به إليك يا رب، بمعنىٰ أتوسّل إليك بإيماني بكتابك، ولذلك قال: «**بَيْنِي وَبَيْنَكَ حُرْمَةُ الْقُرْآنِ**»؛ فشأن القرآن عظيم عند الله عَزَّوَجَلَّ كيف لا وهو كلامه الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فُصِّلَت: ٤٢].

فالناظم توسّل إلىٰ الله بأسمائه وصفاته بقوله: «يَا مُنْزِلَ الآيَاتِ وَالْفُرْقَانِ».

وتوسل إليه بالعمل الصّالح بقوله: «بَيْنِي وَبَيْنَكَ حُرْمَةُ الْقُرْآنِ».

والنوع الثالث: التوسل إلىٰ الله تَعَالَىٰ بدعاء المسلم الصالح الحي القادر علىٰ الدعاء كما جاء في حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المتفق عليه، «أن رجلًا دخل المسجد يوم جمعة من باب كان نحو دار القضاء ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قائم يخطب فاستقبل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قائمًا ثم قال يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يغثنا قال فرفع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يديه ثم قال: «**اللهم أغثنا اللهم أغثنا اللهم أغثنا**» قال أنس: «ولا والله ما نرىٰ في السماء من سحاب ولا قزعة وما بيننا وبين سلع[1] من بيت ولا دار. قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل التُّرس فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت، قال: فلا والله ما رأينا الشمس سبتا»[2].



(١) «من أشهر جبال المدينة». انظر: «معجم البلدان» (٣/ ٢٣٦).

(٢) أخرجه البخاري [١٠١٣]، ومسلم [٨٩٧].

٢- اشْرَحْ بِهِ صَدْرِي لِمَعْرِفَةِ الْهُدَىٰ وَاعْصِمْ بِهِ قَلْبِي مِنَ الشَّيْطَانِ

* القرآن الكريم فيه حياة القلوب وشرح الصّدور؛ ولذلك قال: «اِشْرَحْ بِهِ صَدْرِي لِمَعْرِفَةِ الْهُدَىٰ»؛ لأنّ أساس معرفة الهدىٰ القرآن والسنّة، لا يمكن أن نعرف طريق الهدىٰ وطريق الخير وطريق عبادة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ إلاّ من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنّة رسوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإذا دعا بأن يشرح الله صدره بالقرآن؛ فإنّ ذلك يشمل السنّة؛ لأنّ القرآن والسنّة وحيان لا ينفكّ أحدهما عن الآخر، كلاهما وحي من الله عَزَّوَجَلَّ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣ - ٤]، وقال رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنّي أوتيت القرآن ومثله معه**»(١)؛

وحي من الله كالقرآن شاهده في سورة النجم فاحفظه ولا تهم

خير الكلام ومن خير الأنام بدا من خير قلب به قد فاه خيرُ فم

ويزيدها مرّ الليالي جِدَّة وتقادم الأيام حسن شباب(٢)

ولذلك قال الناظم: «اشْرَحْ بِهِ صَدْرِي»، والضّمير في «به» يعود علىٰ القرآن وهذا دعاء لله: يا ربي اشرح بالقرآن صدري وقلبي ليتنوّر قلبي بمعرفة الهدىٰ، هدىٰ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وهو الإسلام، الهدىٰ المقصود به الإسلام كلّه والإيمان ﴿ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣]، ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠].

فهذا تُوسّل إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بأسمائه وصفاته وبالأعمال الصّالحة أن يشرح بالقرآن الكريم صدره وقلبه لهدىٰ الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنّ في القرآن شرحًا للصّدور وشفاء لما في الصّدور ودواء للقلوب، وبه تلين القلوب؛ لأنّه ذكر الله ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

---

(١) أخرجه أحمد [١٧١٧٤]، والطبراني في «مسند الشاميين» [١٠٦١] من حديث المقدام بن معدي كرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في «المشكاة»: (١٦٣، ٤٢٤٧).

(٢) «ديوان أبي تمام» لأبي تمام الطائي حبيب بن أوس المتوفي ٢٣١هـ.

ويَتوسَّل إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ أن يحفظ قلبه من تلبيس إبليس وألاعيب الشّيطان ونزغاته؛ فإنّ القلب إذا لم يُحط بالقرآن عليه خطر من الشيطان، والحصن الحصين والحرز المتين للحفظ من الشيطان إنّما هو كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يحفظك الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ به؛ إذا قرأته بصدق وإخلاص وعملت به، وأحللت حلاله وحرّمت حرامه ووقفت عند حدوده وعملت بمحكمه وآمنت بمتشابهه، ولم تتجاوز حرماته؛ فإنّ الله يعصم به قلبك من كلّ شيطان مارد، انظر يا عبد الله إلىٰ قول النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة**»[1]، وما جاء في قصة أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع الشيطان وقوله له ليتخلص منه: «**إذا أويت إلىٰ فراشك فاقرأ آية الكرسي لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتىٰ تصبح**»[2]، وقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي هريرة: «**صدقك وهو كذوب**».

فالقرآن يطهّر الله به قلبك وبيتك ونفسك وأسرتك من الشيطان؛ لكن بالقيود التي ذكرتها وهو الإيمان به والعمل به والوقوف عند حدوده وتحليل حلاله وتحريم حرامه والاجتهاد في تنفيذ أوامره والبعد عن نواهيه، بهذا يعصم الله به قلبك من الشيطان؛ لأنّ الشيطان يهرب من صاحب القرآن الذي يعمل به ويقف عند حدوده، ولذلك دعا الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَاعْصِمْ بِهِ قَلْبِي مِنَ الشَّيْطَانِ»، ومن عَصم الله قلبه من الشيطان؛ فإنّه لا يضرّه شيء - بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -؛ والشيطان يجري من ابن آدم مجرىٰ الدّم قد يجري في عروقه ودمه فيجب أن يتعاهد القرآن ليطرده بالتلاوة والحفظ والعمل والتدبّر والتأمّل والتحصّن به آناء الليل وأطراف النّهار.

---

(١) أخرجه مسلم [٧٨٠] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري [٣٢٧٥] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٣- يَسِّرْ بِهِ أَمْرِي وَاقْضِ مَآرِبِي وَأَجِرْ بِهِ جَسَدِي مِنَ النِّيرَانِ

❁ كلّ ذلك توسّل بكلام الله؛ وهو القرآن.

لأن الضّمير في «به» يعود علىٰ القرآن؛ يتوسّل إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ أن ييسّر له أمره بالقرآن الكريم. أي: سهّل به أموري التي أحتاج إلىٰ قضائها؛ ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤]، وأساس تقوىٰ الله عَزَّوَجَلَّ تلاوة كتابه والعمل به وبسنّة رسوله ﷺ، ومن عمل بالقرآن ووقف عند حدوده؛ جعل الله له من كلِّ هم فرجًا ومن كل ضيق مخرجًا ورزقه من حيث لا يحتسب.

«**يَسِّرْ بِهِ أَمْرِي وَاقْضِ مَآرِبِي**»؛ **يعني**: وفّقني للحصول علىٰ قصدي وما أريد من خير، **والمقصود بالمآرب**: المآرب التي هي خير؛ مثل طلب الهدىٰ، وطلب الرّزق الحلال، وطلب زيادة الإيمان، وطلب الخير، وطلب الجنّة، وطلب النّجاة من النّار، هذا هو مراد الناظم. و«اقضِ»، أي: به، وحُذِفَ الجار والمجرور المقدّران في السياق لدلالة ما قبله عليه، فالتقدير واقض به مآربي؛ أي: بالقرآن. المآرب: جمع مأرب، والمأرب هو القصد، وهو ما يرجوه المسلم.

وقوله: «**وَأَجِرْ بِهِ جَسَدِي مِنَ النِّيرَانِ**»، الله أكبر وأجر به جسدي من النيران؛ جاء في الحديث: «**ما استجار عبد من النار سبع مرات في يوم إلا قالت النار: يا رب إن عبدك فلانا قد استجارك مني فأجره، ولا يسأل الله عبد الجنة في يوم سبع مرات إلا قالت الجنة: يا رب! إنّ عبدك فلانا سألني فأدخله الجنة**»[1]، وهنا توسّل بالقرآن

---

(١) أخرجه أبو يعلىٰ [١٨٠٨٣]، والضياء في «صفة الجنة» - كما عزاه إليه الألباني في «الصحيحة» - من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الألباني في «الصحيحة» (٦/ ٢٢): «وقال الضياء: هذا الحديث عندي علىٰ شرط الصحيحين، وكذا قال المنذري قبله في «الترغيب» (٤/ ٢٢٢) وتبعهما ابن القيم في «حادي الأرواح» (١/ ١٤٨)، وهو كما قالوا».

الـذي هـو كلام الله عَزَّوَجَلَّ «أَجِرْ بِهِ»: بعملي به، بإيماني به، باحتجاجي به، باعتمادي عليه، بوقوفي عند حدوده؛ أجرني من النيران - نسأل الله أن يجيرنا وإيّاكم من النّار -؛ لأنّ من أجـير من النّار فقد فاز فوزًا عظيمًا، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، فهـذا أعظـم فـوز بعد رؤية المؤمنـين لربّهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خلافًا لمـن أنكر الرؤيـة من المعتزلة كالزمخشري ومن على شـاكلته؛ فإن الرؤيـة أعظم فوز يناله المسـلم في الجنـة؛ ومما جـاء في ذلك قـول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١]، وفي الدّعـاء الـذي جاء في آخر سـورة آل عمران: ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [آل عمران: ١٩١ - ١٩٢].

أعـوذ بـالله وإيّاكم مـن عذاب النّار، استعيذوا بالله مـن عذاب النّـار؛ وقد شرع لنا بعـد التشـهّد الآخر من كل صلاة أن ندعو بهذا الدعاء كما ثبـت في الصحيحين: «**اللهم إنا نعـوذ بـك من عذاب القـبر، وعذاب النار، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسـيح الدجال**»(١).

فقوله: «وَأَجِرْ بِهِ جَسَدِي مِنَ النِّيرَانِ»؛ أي: أتوسّل إليك بالقرآن الكريم وبعملي بـه وإيـماني أنّه كلامك أن تجيرني من عذاب النّار، وفي الحديث: «**اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شـفيعا لأصحابه اقرأوا الزهراوين البقرة وسـورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما**»(٢)، أسأل الله أن يجعلني وإيّاكم من أولئك.

---

(١) أخرجه البخاري [٨٣٢]، ومسلم [٥٨٩] من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
(٢) أخرجه مسلم [٨٠٤] من حديث أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٤- وَاحْطُطْ بِهِ وِزْرِي وَأَخْلِصْ نِيَّتِي   وَاشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَصْلِحْ شَانِي

❁ كلّ هذه الضّمائر تعود علىٰ القرآن، «واحْطُطْ بِهِ وِزْرِي»؛ لأنّه عمل صالح، والعمل الصّالح مما تُحَطُّ به الأوزار، وتُرفع به الدَّرجات، وتُقال به العثرات؛ ولذلك قال: «احْطُطْ بِهِ وِزْرِي» بفضل الله عَزَّوَجَلَّ وبرحمته والباء هنا يسمِّيها اللغويّون باء السببيَّة؛ أي: بسبب العمل؛ لأنَّ الإنسان لا ينال ما ينال عند الله بعمله المجرَّد؛ وإنَّما الأعمال أسباب، وأمَّا ما يناله فهو بفضل الله ورحمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فالباء في مثل هذه الأمور للسببيَّة، ويؤيِّده قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الواقعة: ٢٤]؛ أي: بسبب ما كانوا يعملون من الأعمال الصَّالحة الخالصة لوجه الله والموافقة لشرعه، ولذلك قال: «احْطُطْ بِهِ وِزْرِي» **والوزر**: هو الذنب والإثم؛ فبالأعمال الصّالحة والتوبة الصّادقة تُحطّ الأوزار وتُوضع عن أصحابها؛ كما قال الله جَلَّوَعَلَا بعد أن ذكر مجموعة من الذّنوب وعلىٰ رأسها الشرك أنَّ من تاب منها وعمل صالحا فإنّ الله يبدّل السيّئات حسنات؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖ﴾ [الفرقان: ٧٠].

وهذا اعتراف منه بذنبه، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه كل مسلم؛ - أي: الاعتراف بالذنب والخطيئة -، كما اعترف ذو النون عَلَيْهِ السَّلَامُ حينما قال: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، وهذا خلاف ما يقوله بعض العوام إذا أصابته مصيبة، يقول معترضًا: ماذا فعلت يا رب حتىٰ تفعل بي كذا وكذا؟

فهذا اعتراض على الله من وجهين:

أولًا- أنّما وقع لك إنّما هو بسبب ذنوبك.

وثانيًا- لو احتسبت ذلك عند الله؛ فإنّه تحطّ عنك به سيّئة وترفع لك به درجة.

وقوله: «وَأَخْلِصْ نِيَّتِي» تقديره: أخلص به نيَّتي؛ لأنَّ تلاوة القرآن والعمل به من أعظم الأسباب لصلاح النيّة وصفاء القلب؛ فإنّ القلب يمرض بالذنوب والموبقات،

....

ويُشفىٰ بالأعمال الصّالحة، ومن ذلك صلاح النيّة التي بصلاحها يصح العمل وبفسادها يفسد؛ كما قال رسول الله ﷺ: «**إنّما الأعمال بالنيّات، وإنّما لكلّ امرئ ما نوىٰ**»(١)، وقال في وصف القلب: «**ألا إنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كلّه وإذا فسدت فسد الجسد كلّه ألا وهي القلب**»(٢)، ويقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونيِّة**»(٣)؛ **والنيّة هنا هي**: حسن القصد وابتغاء وجه الله، لا يريد من وراء العمل جزاءً ولا شكورًا.

فالإخلاص أمر قلبيّ، وهو أمر عزيز، وهناك أمور تخدشه وتنقصه وقد تُبطله؛ فيبطله الشرك والرّياء إذا دخله كاملًا ويضعفه يسير الرّياء، وتضعفه إرادة الإنسان بعمله الدنيا إن كان يسيرًا؛ أمّا إذا توجّهت الإرادة إلىٰ الدّنيا بالكلية؛ فالعمل حابط غير مقبول؛ فيجب علىٰ المسلم أن يجتهد في إخلاص نيّته وأن يسأل الله أن يرزقه الإخلاص؛ لأنّه أمر عزيز وخطير.

وقوله: «**وَاشْدُدْ بِهِ أَزْرِي**»؛ الشد: هو الضّبط والرّبط، **والأزر**: هو الشّأن والأمر الذي أنت فيه، وهذا كدعاء موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما دعا ربّه أن يرسل معه أخاه هارون وأن يشركه معه، أي: في أمر الرِّسالة؛ ليشدّ به أزره كما قال الله تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُواْ قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ [طه: ٢٥ - ٣٥]؛ ومن ذلك قول القائل: شدَّ فلان علىٰ يد فلان؛ أي: عاضده في

---

(١) أخرجه البخاري [٨٣٢]، ومسلم [١٩٠٧] من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري [٥٢]، ومسلم [١٥٩٩] من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه البخاري [٢٧٨٣] من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

عمله الذي يعمله، ومنه قول: النبي ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضا**»(١)؛ ولذلك قال: «وَاشْدُدْ بِهِ أَزْرِي»؛ أي: بالقرآن، اشدد به جميع أموري، واجعله عونًا لي علىٰ طاعتك.

وقوله: «وَأَصْلِحْ شَانِي»؛ **والشّان**: سهّلت الهمزة وإلاّ فالأصل شأن، والتسهيل والإظهار ثابت من حيث اللّغة، وصلاح الشأن عام يشمل تضرّعه إلىٰ ربّه أن يصلح جميع أموره، دينًا ودنيا؛ ولذلك جاء في الدّعاء الصّحيح، دعاء الكرب: «**دعوات المكروب اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلىٰ نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت**»(٢)، وإذا صَلُحَ شأن المرء؛ صلحت كل أموره؛ لأنَّ شأنه يشمل جميع أحواله، فإذا أصلح الله شأنه وأعانه عليه؛ فكل بقيَّة الأمور أمرها سهل.

إذا لم يكن عون من الله للفتىٰ فأول ما يجني عليه اجتهاده

وهذا كلّه يدل علىٰ اعتماده علىٰ ربّه وصدق اللجوء إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.



---

(١) أخرجه البخاري [٤٨١]، ومسلم [٢٥٨٥] من حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الطيالسي [٩١٠]، وأحمد [٢٠٤٣٠]، وأبو داود [٥٠٩٢] من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» [٣٣٨٨].

٥- وَاكْشِفْ بِهِ ضُرِّي وَحقِّقْ تَوْبَتي وَارْبِحْ بِهِ بَيْعِي بِلاَ خُسْرَانِ

❁ قوله: «وَاكْشِفْ بِهِ ضُرِّي» الضّمير كما تقدّم يعود علىٰ القرآن، وهذا أيضًا من التوسّل بأسماء الله وصفاته والتوسّل بالعمل الصّالح؛ لأنّ تلاوة القرآن، والخشوع فيه، والوقوف عند حدوده، وتحليل حلاله، وتحريم حرامه من العمل الصّالح؛ فيكون هذا التوسّل شاملًا للتوّسل بأسماء الله وصفاته؛ حيث إنَّ القرآن كلام الله وشامل للتوسّل بالأعمال الصّالحة، وكلاهما دلَّت عليه الأدلَّة من الكتاب والسنّة كما تقدم؛ لذلك دعا الله عَزَّوَجَلَّ أن يكشف به ضرّه؛ لأنّ الذي يكشف الضّر هو الله وحده؛ قال الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧]؛ فالذي يكشف الضّر هو الله وحده لا ملك مقرَّب ولا نبيٍّ مرسل ولا السّاحر ولا الكاهن ولا الدجال؛ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ وحده الذي يكشف الضُّر ويُلجأ إليه في طلب كشف الشّدائد: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢]، هو الذي يجعل لنا من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ومن كل بلاء عافية؛ فيجب أن نُخْلِص النيّة له في طلب كشف الضُّر؛ لأنَّ الله وحده القادر علىٰ كشفه؛ فالذي قدّره هو القادر علىٰ إزالته، والضُّرُ يشمل جميع أنواع الشّر من الأمراض وتسليط الأعداء والمصائب التي تحصل للإنسان؛ فهو يتوسل إلىٰ الله أن يكشف أيَّ ضُرٍّ مسَّهُ؛ كما حكىٰ الله عن أيوّب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]؛ فيجب أن نلجأ إلىٰ الله في طلب كشف الضر.

وقوله: «وَحَقِّقْ تَوْبَتِي»؛ كلمة «وَحَقِّقْ»: وراءها ما وراءها من المعاني؛ إذ ليس المراد بالتوبة مجرّد النطق باللّسان أو ترداد الكلمات، وإنّما لابد فيها من التزام الشّروط التي دلّ عليها الكتاب والسنة، وفرقٌ بين مجرَّد التلفظ بالتوبة وبين تحقيق التوبة؛ ولذلك وصف الله عَزَّوَجَلَّ التوبة الحقيقية بالتوبة النّصوح كما قال الله تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨]؛ وكيف تتحقق التوبة؟ تتحقق بما ذكره أهل العلم من

شروط التوبة الصّادقة النّصوح وهي: الإقلاع من الذنب؛ أي: تركه بالكلّية وترك مقارفته والبعد عنه.

والعزم علىٰ عدم العودة؛أي: عندما تتلفّظ بالتوبة لا تفكر في العودة إلىٰ هذا الذنب ألبته؛ أي: أن في قلبك عزمًا أكيدًا علىٰ أن لا تعود إليه مرّة أخرىٰ.

والشّرط الثالث: النّدم علىٰ ما فات، بأن تتأسّف علىٰ ما بدر منك من تقصير في جنب الله؛ فلا تذهب تتحدّث بما اقترفت من جرائم ومعاصي علىٰ سبيل التندّر والتفكّه؛ وإنّما لا بدّ أن تندم وتتمنىٰ أنك لو لم تفعل، هذا إذا كان الذّنب المَتوب منه يتعلّق بحقوق الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وأمّا إذا كان يتعلّق بحقوق الآدميين؛ فثمّة شرط رابع وهو رد حقوق النّاس التي عليك، فإن وُجدت بعينها أعدتها، وإن لم تُوجد أعدت ما يماثلها أو بَدلها أو ثمنها أو تتحلّل من صاحبها، فإن أباحك وحللك؛ تمّت التوبة بإذن الله مع الشّروط المتقدّمة، وإن كانت تتعلّق بعِرض أو كلام أو سبّ أو شتم ونحو ذلك، فإنّك تَتحلله منها إلّا إن خشيت أن يترتّب علىٰ ذلك ضرر أو فتنة، فأكثر من الاستغفار والدعاء له وذكره بالجميل وبخاصة في المجالس التي كنت تسيء إليه فيها، لعلَّ ذلك يكون كفّارة لك.

وقد ترد هنا مسألة: تقدم أنّ شروط تحقيق التوبة هذه الأربعة، وأنّه إذا لم تتوافر هذه الشّروط؛ فالتوبة لا قيمة لها، لكن قد يرد سؤال لو أنّ هذه الشّروط توفّرت غير أنّ الإنسان عاد مرّة أخرىٰ إلىٰ الذنب بعد فترة فهل يُقال إنّ توبته الأولىٰ انتقضت ولم تُعتبر؟ الجواب: ليس الأمر كذلك، بل توبته الأولىٰ تامّة؛ وإنّما يُحاسب علىٰ ما فعل بعد ذلك؛ لأن التوبة تجبُّ ما قبلها؛ أي: تمحو ما قبلها ولكن بالشّروط التي ذكرت.

هناك شرط آخر قد لا يتنبّه له البعض، وهو أن تكون التوبة واقعة في زمان تقبل فيه التوبة، أمَّا إذا بلغت الرّوح الحلقوم أو طلعت الشّمس من مغربها فإنّ التوبة لا تُقبل؛ كما قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تُقبل توبة العبد ما لم يغرغر**»(١)، والغرغرة: بلوغ الرّوح الحلقوم؛ أي: حال الاحتضار، وجاء في الحديث الآخر: «**إن الله** عَزَّ وَجَلَّ **يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتىٰ تطلع الشمس من مغربها**»(٢) وإلّا فالإنسان يقع في الذّنوب لكن باب التوبة مفتوح؛ ولذلك يقول النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم**»(٣)؛ فالواجب علىٰ المسلم المبادرة إلىٰ التوبة وعدم التسويف فيها، قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٧].

ومعنىٰ ﴿مِن قَرِيبٍ﴾ أي: قبل بلوغ الرّوح الحلقوم، وقبل طلوع الشّمس من مغربها ثمّ قال سُبْحَانَهُ: ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ ﴾ [النساء: ١٨] لو كانت تنفع لنفعت فرعون؛ فإنّه عندما أحس بالغرق قال: ﴿ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾، فردَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عليه وكبته: ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس: ٩١].

---

(١) أخرجه أحمد [٦١٦٠]، والترمذي [٣٥٣٧]، ابن ماجه [٤٢٥٣]، وابن حبان [٦٢٨]، والحاكم [٧٦٥٩] من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وقال الترمذي: «حديث حسن». وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وصححه الذهبي.

(٢) أخرجه مسلم [٢٧٥٩] من حديث أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم [٧١٤١] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ولهذا ثبت عن رسولنا الكريم ﷺ الذي ما ترك خيرا إلا دلنا عليه، أنه قال: «**والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**»(١)، وصح عن ابن عمر قال: «إن كنا لنعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة «**رب اغفر لي وتب عليَّ إنك أنت التواب الرحيم**»(٢).

وقوله: «وَارْبِحْ بِهِ بَيْعِي بِلاَ خُسْرَانِ»؛ هذا من الأساليب العربيّة التي يسمّيها بعض اللّغويين مجازًا واستعارة، والحق أنّ المجاز طاغوت من الطّواغيت امتطته فرق أهل الكلام من الجهميّة والمعتزلة ومن قلّدهم من الأشعريّة والماتريديّة؛ فجعلوا صفات الله عَزَّوَجَلَّ مجازًا، وقد ألّف شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ رسالة نفيسة في الرّدّ علىٰ القائلين بالمجاز، هي «الرسالة المدنية في الحقيقة والمجاز»(٣)؛ كما ألّف شيخنا الشّيخ محمّد الأمين الجكني الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ رسالة عنوانها: «منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز»؛ فالمجاز حمار المعتزلة الذي ركبوه فأبحر بهم في غياهب الظلام؛ كما يقول أحد الشّعراء:

خضتم بحار الشعر دون روية — أنتم كمن ركب الحمار فأبحرا(٤)

فهذا هو شأن المتكلّمين؛ ركبوا علم الكلام والمجاز، وسبحوا في خيالاتهم حتّىٰ ألقىٰ بهم في الهاوية فأنكروا أو عطّلوا أو أوّلوا أو فوّضوا أو شبهوا في أسماء الله وصفاته؛ فوقع منهم ما الله به عليم من الإفراط والتفريط في هذا الباب؛ فنحن نسميه كما سماه علماؤنا أسلوب عربي منوّع، والعرب لم تسمه مجازًا؛ كل عربي فصيح إذا قال له أحد:

(١) أخرجه البخاري [٦٣٠٧] من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه أبو داود [١٥١٨]، وابن ماجة [٣٨١٤] من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا. وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» [١٣٥٧].
(٣) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٦/ ٣٥١).
(٤) بيت من قصيدة للشيخ د/ محمد بن عبد الله بن زربان الغامدي.

«زارني أسد» عَلِمَ بداهة أنَّ الذي زاره رجل شجاع، وكل عربي فصيح لم يتبدّل لسانه كما تبدّلت ألسنتنا في هذا العصر؛ إذا سمع قائلًا يقول: «وجدت الجود عند هذا البحر» يعلم يقينًا أنّه يقصد الإنسان الكريم السخي الجواد، وهذا يُفهم ابتداء من سياق الكلام، لا يحتاج إلىٰ قرينة ولا إلىٰ علاقة ولا إلىٰ وجه شبه ولا إلىٰ مشبّه به الأمور واضحة لكن لّما فسدت الألسن والقلوب امتطوا هذه الأشياء، نعم لا شك أن علم البلاغة وعلم النحو علوم نافعة عظيمة لكن إذا خرجت عن الشّرع أصبحت فاسدة وإذا ركبت لتغيير وتحريف كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنّة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصبحت ضارة.

وقوله: «وَارْبِحْ بِهِ بَيْعِي بِلاَ خُسْرَانِ»؛ الله عَزَّوَجَلَّ سمىٰ الأعمال الصّالحة بالتجارة الرّابحة كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [الصف: ١٠ - ١٢].

فسمّاها الله عَزَّوَجَلَّ تجارة وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في وصف المؤمنين وأنهم يتاجرون معه سُبْحَانَهُ، تلك التجارة الرّابحة؛ قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١] - جعلني الله وإيّاكم منهم -؛ فسمّاه شراء وهذا من الأساليب العربيّة المعروفة ووصف عَزَّوَجَلَّ أعمال الكفار بالتجارة الخاسرة، فقال تَعَالَىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٦].

ولذلك قال الناظم: «وَارْبِحْ بِهِ»؛ أي: بالقرآن، «بَيْعِي»؛ أي: عملي الصالح الذي أعمله خالصًا لوجه الله بلا خسران؛ لأنَّ من ربح بالأعمال الصالحة؛ فإنَّه لن يخسر والخسران الذي يشير إليه ويحذِّر منه ويخشىٰ منه؛ هو خسران الدنيا والآخرة؛ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا ۝١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣ - ١٠٤].

فالمقصود بقوله: «وَارْبِحْ بِهِ بَيْعِي بِلاَ خُسْرَانِ»؛ أي: وفقني يا ربِّ ليكون ذلك البيع، وهو عملي الصّالح عملًا رابحًا متقبلًا ينفعني عندك يوم الحاجة إلىٰ ذرّة من الأعمال؛ ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨]، ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨ - ٨٩].



٦- طَهِّرْ بِهِ قَلْبِي وَصَفِّ سَرِيرَتِي أَجْمِلْ بِهِ ذِكْرِي وَأَعْلِ مَكَانِي

* **قوله: «طَهِّرْ بِهِ قَلْبِي»**، القرآن يطهّر القلوب من الأدران والأضغان، وطهارة القلوب تنتج عنها طهارة الجوارح والأعمال كما تقدّم؛ إذ أنها تَصلُح بصلاحه، وتفسد بفساده؛ **فطهارة القلوب**: نظافتها من الغلّ والحقد والحسد والنّفاق والكفر وما أشبه ذلك من أمراض الشبهات والشهوات التي تفتك بالقلوب، والقلوب تمرض كما تمرض الأجسام؛ فتحتاج إلىٰ تطهير كما أنَّ الجسم يحتاج إلىٰ تطهير.

«**طَهِّرْ بِهِ قَلْبِي**»؛ أي: نظف به قلبي من كلِّ درن، ومن كل شائبة تخالف الشّرع.

وقوله: «وَصَفِّ سَرِيرَتِي»: السَّريرة أيضًا: هي محلُّها القلب وهو ما يكنُّه العبد مما لا يطَّلع عليه إلاّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو الذي يعلم السّر وأخفىٰ، فإذا نُقّيت سريرة العبد ونُظفت وصُفيت؛ انعكس ذلك علىٰ سائر جوارحه وأعماله التي يتقرّب بها إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وقد تُكشف سريرة العبد - نسأل الله السلامة - قال عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «ما أسرَّ عبد سريرة إلاّ أظهرها الله علىٰ صفحات وجهه وفلتات لسانه»(١).

فسلامة القلب وتنقيته من أعظم الأمور التي تُقرِّب العبد إلىٰ ربِّه؛ ولذلك وصف أحد السلف أبا بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بقوله: «ما سبق أبو بكر الناس بكثرة صيام ولا صلاة، ولكن بشيء وقر في قلبه»(٢).

والناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعا بهذه الدعوة المباركة ليأمن من أمراض القلب وأدرانه.

ومن أعظم أسباب أدران القلب تراكم الذّنوب والمعاصي عليه كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين: ١٤].

---

(١) «الآداب الشرعية» (١/ ١٧٧).

(٢) روي ذلك عن بكر بن عبدالله المزني كما جاء عند الحكيم الترمذي وأبي بكر بن عياش كما جاء في «منهاج السنة» لابن تيمية (٦/ ١٣٧)، و«مفتاح دار السعادة» لابن القيم (١/ ٨٢).

وقد فسر النبي ﷺ ذلك بقوله: «إنَّ المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر، صقل قلبه، وإن زاد زادت، حتىٰ يعلو قلبه ذاك الران الذي ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ **في القرآن:** ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]»(١).

وقد وصف الله عَزَّ وَجَلَّ قلوب الكفار بالطبع عليها، قال تعالىٰ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [النحل: ١٠٨]، وقال تعالىٰ: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩]، وقال تعالىٰ: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]، وقال تبارك وتعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ [البقرة: ٦-٧]، إلىٰ أن قال في وصف هؤلاء المنافقين: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠] - والعياذ بالله.

ومنها كذلك الوقوع في الفتن، والتعرض لها كما في الصحيح من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال: «**تعرض الفتن علىٰ القلوب كالحصير عودا عودا فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتىٰ تصير علىٰ قلبين علىٰ أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض والآخر أسود مربادا كالكوز مجخيا لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا إلا ما أشرب من هواه**»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد [٧٩٥٢]، وابن ماجه [٤٢٤٤]، والترمذي [٣٣٣٤]، والنسائي في «الكبرىٰ» [١٠٢٥١]، والحاكم [٦] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه». وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» [١٦٧٠].

(٢) أخرجه مسلم [١٤٤].

وقوله: «أَجْمِلْ بِهِ ذِكْرِي وَأَعْلِ مَكَانِي»، الذّكر الحسن ينتج عن سيرتك الحسنة، ليس المراد هنا طلب محمدة النّاس أو مدحهم أو ثنائهم:

فالناس لا يرجىٰ اجتماع قلوبهم لابد من مثنٍ عليك وقال

وإن كان ذلك من آثار الذكر الحسن، قال رسول الله ﷺ: «**أنتم شهداء الله في الأرض**» ثلاثًا[(١)]، قال الله عَزَّوَجَلَّ حكاية عن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤]، ويقول تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤]؛ أي: في القرآن تذكير لك ولقومك وشرف لكم أيضًا، أي: أجمل وشرِّف بالقرآن ذكري في الدنيا والآخرة.

وقوله: «وَأَعْلِ مَكَانِي»؛ أي: في الجنّة، ارفع به ذكري في الدّنيا والآخرة، في الدّنيا ليدعو لي النّاس ولأحصل علىٰ الدّعاء الذي هو عبادة ولأكون قدوة في الخير ليتضاعف أجري، وفي الآخرة في الجنة وأعل منزلتي فيها؛ فهو يتوسل بالقرآن إلىٰ الله أن يجعله من أهل القرآن، الذين هم أهله وخاصته، والذين هم موعودون علىٰ لسان رسوله ﷺ بالدرجات العُلىٰ في الجنة؛ «**يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها**»[(٢)]؛ - نسأل الله أن يجعلنا وإيَّاكم من أولئك -؛ هذا هو المقصود بقوله: «وَأَعْلِ مَكَانِي»، ليس المقصود أنَّه يتمنىٰ مجرد الذكر في الدنيا ورفعة المكانة في الدّنيا، وإنما المراد الرفعة الأهم في الآخرة، وما يتعلّق بالدّنيا

---

(١) أخرجه البخاري [١٣٦٧]، ومسلم [٩٤٩] من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد [٦٧٩٩]، وأبو داود [١٤٦٦]، والترمذي [٢٩١٤]، والحاكم [٢٠٣٠] من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٨١٢٢].

يكون بالذكر الجميل وبالدعاء له علىٰ ما قدَّم، سواء أكان دعاء إخوانه المسلمين أو دعاء أولاده الذين ربّاهم علىٰ طاعة الله؛ كما قال رسول الله ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له**»(١).

ومما يؤيِّد هذه الدّعوات التي هي التوسّل بالقرآن؛ ما رواه الإمام أحمد وغيره بسند صحيح من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: - وهو دعاء الكرب ما قاله مسلم وعليه كرب إلاَّ أزال الله كربه وأبدله به فرحًا - قال عليه الصلاة والسلام: «**اللهم إني عبدك، ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي**»(٢).



(١) أخرجه مسلم [١٦٣١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد [٣٧١٢]، وابن أبي شيبة [٢٩٣١٨]، والطبراني في «الكبير» [١٠٣٥٢]، وابن حبان [٩٧٢]، والحاكم [١٨٧٧] من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. وقال الحاكم: «صحيح علىٰ شرط مسلم». وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» [١٨٢٢].

٧- وَاقْطَعْ بِهِ طَمَعِي وَشَرِّفْ هِمَّتي كَثِّرْ بِهِ وَرَعِي وَأَحْيِ جَنَانِي

❁ «**وَاقْطَعْ بِهِ طَمَعِي**»؛ أي: الأطماع الدُّنيويَّة والضَّمائر كما تقدَّم في الأبيات السابقة تعود كلّها إلىٰ القرآن الكريم؛ لأنّه كلام الله والتوسل بصفات الله عَزَّوَجَلَّ مشروع؛ أي: اجعل تعلُّقي بالآخرة والبعد عن الأطماع الدنيويَّة التي تصرفني عن الآخرة؛ وليس المراد أن يترك الإنسان المسلم الدنيا كلها؛ بل يتزوَّد منها بما يعينه علىٰ طاعة الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والله عَزَّوَجَلَّ يحب أن يرىٰ أثر نعمه علىٰ عباده؛ لكن المراد: أن يقطع طمعه؛ ذلك الطَّمع الذي يجعله يُؤثر الدُّنيا علىٰ الآخرة وهذا هو المذموم، فالمذموم هو أن تُؤثَر الدُّنيا علىٰ الآخرة، وأمَّا إذا أخذ المسلم منها بالقدر الذي يعينه علىٰ طاعة الله ولو كَثُر ماله إذا كان من طرقه المشروعة والمباحة، وسخّره في طاعة الله عَزَّوَجَلَّ فهذا لا حرج عليه ولا شيء فيه، بل «**نعما المال الصالح للمرء الصالح**»(١)، وهذا فيه أيضًا لفتة عظيمة إلىٰ أمر هام؛ وهو أنَّه لا يجوز للمسلم أن يستخدم القرآن من أجل أطماع الدنيا والتكثُّر منها، فيكون ممّن يشتري بآيات الله ثمنًا قليلًا، وخير مثال علىٰ هذا، الذين سخَّروا القرآن للأطماع الدنيويَّة في هذا العصر؛ أولئك الذين يحيون بالقرآن المآتم البدعية التي تقام عند وفاة أحد من الناس، فيقيمون ثلاثة أيَّام أو أسبوعًا، وربما جدَّدوا ذلك عند الأربعين، وعند حولان الحول، وكل هذا بدع ما أنزل الله بها من سلطان، وأكل لأموال الناس بالباطل؛ فالذين يقيمون السُّرادقات عند وجود ميت عندهم:

أولًا- العمل في حدِّ ذاته بدعة.

وثانيًا- ما يأخذه هؤلاء القرَّاء الفجار سحت وحرام.

---

(١) أخرجه الطيالسي [١٠٦١]، وأحمد [١٧٨٠٢]، وابن حبان [٣٢١٠]، والحاكم [٢٠٨٩] من حديث عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح علىٰ شرط مسلم. وصححه الألباني في «غاية المرام» [٤٥٤].

وثالثًا- أنّه قد يكون فيه أكل لأموال الورثة بغير حق، فهو حرام من جميع الوجوه. وأعظم الناس طمعًا في الدّنيا القرّاء الذين يستخدمون القرآن لهذا الغرض حتىٰ وصل الحال ببعضهم إلىٰ أنه اتخذ ذلك مهنة، فإذا أصبح الصباح فتح مكتبه، وقال علىٰ الله وعلىٰ باب كريم يا رزاق؛ يبحث عن ميّت، فيفرح إذا أخبروه أنّه قد مات فلان في الحي أو المدينة حتّىٰ يساومهم علىٰ النّقود التي تُدفع ناهيك عن الذّبائح والحلوىٰ التي يبلع منها ويتجرّع ويتمايل برقبته ورأسه كما تتمايل الرّاقصة، فمثل هذا القرآن يلعنه وهو حجة عليه - والعياذ بالله - كما قال النبيّ ﷺ في الحديث الصحيح حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**والقرآن حجّة لك أو عليك**»[1]، بل وصل الأمر في ذلك في بعض بلاد المسلمين إلىٰ تصنيف القراء إلىٰ كبار وصغار؛ فالأغنياء وأهل الثراء يذهبون إلىٰ القارئ الكبير ليقرأ لهم في عزائهم، والفقراء يذهبون إلىٰ الصغار؛ لأنهم يقنعون بالقليل من المال، وربما جامل أحد القراء الكبار بعض المساكين فذهب معهم، لكن يقرأ لهم من آيات الوعيد والعذاب، فإذا ما رآهم انزعجوا قال لهم: تريدون الجنة ب (بلاش)؛ أي: بالرخص، ادفعوا أكثر لأقرأ لكم آيات الرحمة والمغفرة!! - والعياذ بالله - وكأن لسان حال هذا المفتري ومقاله أن مفاتيح الجنة والنار بيده يكرم من يشاء ويحرم من يشاء؛ أي: أن الجنة والنار تنال علىٰ قدر الجاه، والمال الذي يُدفع يشبه في ذلك بعض مشايخ المتصوفة الغلاة والرافضة في معاملتهم لأتباعهم، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وقوله: «وَشَرِّفْ هِمَّتي» ؛ أي: بالقرآن، وذلك بتلاوته والعمل به علىٰ الوجه الذي يُرضي الله، وفهمه وفق فهم السلف الصالح، فالقرآن شرف لأصحابه، وهو أعظم مقصد شريف ينشده المسلم.

---

(١) أخرجه مسلم [١٧٨٠٢].

وقوله: «**كَثِّرْ بِهِ وَرَعِي وَأَحْيِ جَنَانِي**»، القرآن إذا تعلَّمه المسلم وعمل به؛ كَثُرَ ورعه وزهده في الدنيا، وأقبل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأنَّ القرآن قد تشرَّبت به دماؤه وعروقه وشُغف به قلبه؛ فأصبح شغله الشاغل؛ لذلك يمتاز بالورع، ليس ورع المتصوِّفة البارد الذين يتركون القرآن، ويردّدون أذكارًا ابتدعوها من عند أنفسهم يترنمون ويرقصون بها ويسمُّونها ذكرًا وإنّما هو ورع أهل السنّة والجماعة الذين يعملون بالقرآن ويطبّقونه ويحلّون حلاله ويحرّمون حرامه ويعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه.

والورع: هو الوقوف عند حدود الله نتيجة لشدّة الخوف والخشية منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهذا هو شأن أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصّته[1].

وقوله: «**وَأَحْيِ جَنَانِي**»، الجنان - بالفتح - هو القلب، والجِنان ما يجتن ويستتر به، والجُنان - بالضم - الإصابة بالجنون - والعياذ بالله -، ولذلك عرف السلف الإيمان بقولهم: «قول باللِّسان وتصديق بالجَنان وعمل بالأركان»، **والمقصود بالجَنان:** القلب.

«**وَأَحْيِ - أي: بالقرآن - جَنَانِي**»؛ أي: أحي به قلبي يا ربي؛ لأنَّ في القرآن حياة القلوب وطمأنينة الأفئدة، فيه تنبيه لها من غفلتها وإيقاظ لها من سُبَاتها وتليين لها من قسوتها، فإذا قرأه المسلم وعمل به وطبَّقه حيي عن بينة بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

❁ ❁ ❁

(١) نقل ابن القيم عن شيخ الإسلام ابن تيمية في تعريف الورع أنه ترك ما يخاف ضرره في الآخرة، «مدارج السالكين» (٢/ ١٢).

٨- أَسْهِرْ بِهِ لَيْلِي وَأَظْمِ جَوَارِحِي   أَسْبِلْ بِفَيْضِ دُمُوعِهَا أَجْفَانِي

❁ «أَسْهِرْ بِهِ لَيْلِي»؛ أي: بالقرآن اجعلني أقضي الساعات الطويلة في صلاة الليل يا ربي في تلاوة القرآن وقراءته، والعمل به؛ ولذلك يقول النبي ﷺ: «**لا حسد إلّا في اثنتين..**»، وذكر منهما رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وأطراف النهار[1]؛ فالمسلمون الخُلَّص وطلاَّب العلم خاصَّة الجادُّون هم الذين يسهرون لياليهم في القرآن الكريم تلاوة وعملًا وتفسيرًا وفهمًا، ورجوعًا إلىٰ تفاسير القرآن علىٰ منهج السلف الصّالح.

«**وَأَظْمِ جَوَارِحِي**» يعني: بالصوم؛ أي: عطّش جوارحي بكثرة ما أصوم وألهج بتلاوة كتابك، وليس المراد يا عبد الله أن تضني نفسك حتىٰ السأم؛ فإنَّ هذا لا ينبغي ولكن ساعة وساعة كما قال النبيّ ﷺ لحنظلة، ولأن المنبتَّ لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقىٰ، اقرأ ساعة ونم مثلها؛ ثمّ قم واقرأ وهكذا هذا هو مقصود الناظم؛ أنّه يطبِّق القرآن وفق السنة، والرسول ﷺ يقول: «**إنَّ الله لا يملّ حتَّىٰ تملُّوا**»[2]، وكان رسول الله ﷺ يتخوّل أصحابه بالموعظة تخولًا، فهذا هو المقصود بقوله: «**أَسْهِرْ بِهِ لَيْلِي وَأَظْمِ جَوَارِحِي**» اجعل جوارحي تتلهف إليه وتعطش من كثرة الجهد فيه؛ أي: اجعل القرآن شغلي الشاغل قولًا وعملًا واعتقادًا؛ لأنّه جهد مبارك، وكما قلت ليس المراد أن يتبتَّل المسلم وينقطع للعبادة تمامًا، فإن ذلك هو الرهبانية التي قد نُسِخَت - ولله الحمد - من شريعتنا، وإنّما المراد أن تراعي أربعة حقوق: حق نفسك وحق أهلك وحق إخوانك، وقبل ذلك حق الله عَزَّوَجَلَّ، فتنبه لهذا «**إنّ لنفسك عليك حقًّا، فأعط كلّ ذي حقّ حقه**»[3].

---

(١) أخرجه البخاري [٥٠٢٦] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه البخاري [١١٥١]، ومسلم [٧٨٢] من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
(٣) أخرجه البخاري [١٩٦٨]، ومسلم [٧٨٢] من حديث أبي جحيفة السوائي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقوله: «أَسْبِلْ بِفَيْضِ دُمُوعِهَا أَجْفَانِي» بمعنىٰ أَنَّه يتضرَّع إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ أن يرزقه التأثر بالخشوع عند تلاوة القرآن والعمل به، والتأثُّر به والتأثير به؛ لأنَّه كلام عظيم لو أنزل علىٰ الجبال لتهدهدت؛ قال الله سُبْحَانَهُ: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر: ٢١].

المسلم الحق يتأثر ويخشع قلبه، وقد تذرف عينه وتدمع من خشية الله حين تلاوة القرآن، وهذا عند تفهّمك لمعانيه وتدبرها وتأملها؛ كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢].

وليس المقصود التكلّف في البكاء عند تلاوة القرآن، وإنّما المقصود ما يحدث عفويًا بسبب تأثّر القلب عندما يسمع الآيات الزواجر التي تخوّف من عذاب الله، أو التي تبشر بالجنَّة وتحذر من النار، فعندها يخشع قلبه ويعود إلىٰ ربِّه ويزيد إيمانه وتقوىٰ عزيمته ويطمع فيما عند الله، يرجو ثواب الله ويخاف عقابه.



٩- امْزِجْهُ يَا رَبِّي بِلَحْمِي مَعْ دَمِي وَاغْسِلْ بِهِ قَلْبِي مِنَ الأَضْغَانِ

❁ كل هذا تضرعٌ إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بأن يجعل القرآن شغله الشَّاغل، وإذا اشتغل بالقرآن اشتغل بالسنَّة، يتضرَّع إلىٰ الله أن يجعل تأثره بالقرآن هو شغله الشاغل؛ حتَّىٰ يجري في سويداء قلبه وفي دمه وعروقه، يتعلَّق بالقرآن دائمًا وفي كلِّ وقت وحين، قلبه معلَّق بالقرآن؛ أي: اجعله شغلي الشَّاغل وهمِّي العظيم قولًا وتلاوةً وقراءةً وعملًا وتطبيقًا وأخلاقًا وآدابًا، وقبل ذلك عقيدةً؛ هذا هو المراد؛ ثمَّ أيضًا يتضرَّع إلىٰ الله أن ينظف به أضغان قلبه؛ لأن ضغينة القلب وسخيمة القلب تُزال بتلاوة القرآن؛ ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

وأعظم ما تُنظَّف به الأضغان والأحقاد والسَّخائم؛ إنَّما هو كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وهدي نبيِّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نعم إذا صارت تقرع القلب بما فيها من مبشّرات ومنذرات ومن خوف ورجاء ودعوة إلىٰ كلّ خير وتحذير من كلّ شر، وبيان الثواب والعقاب؛ فإنَّها ستَسُلُّ سخيمة القلب وستَسُلُّ ضغينته - بإذن الله تَعَالَىٰ -؛ فيبقىٰ قلب المؤمن أبيض كالصفا؛ نقيًا من كلِّ درن؛ لأنَّ القلوب إذا وجدت فيها الأضغان والأحقاد خربتها، والرجل الذي بشَّره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجنّة، وتتبّعه عبد الله بن عمرو ليرىٰ عمله وما رأىٰ عنده كثير صلاة ولا صوم غير أنَّه أخبره في نهاية الأمر أنّه لم يبت وفي قلبه حقد وضغينة علىٰ مسلم؛ فهذا هو شأن المسلمين يطهِّرون قلوبهم من الأحقاد والأضغان والحسد وما إلىٰ ذلك.

❁❁❁



إقرار الناظم باستفاضة نعم الله وشكره ربه على ذلك

١٠- أَنْتَ الَّذِي صَوَّرْتَنِي وَخَلَقْتَنِي وَهَدَيْتَنِي لِشَرَائِعِ الإِيمَانِ

❁ هنا توسل إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بالعمل الصالح، وهو شكره الله علىٰ ما منَّ عليه به مِن الخَلق أوَّلًا، وجعله في أحسن تقويم؛ ثمّ بعد هذا هداه إلىٰ شريعة الحق الإسلام كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]، وقال تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٦ - ٨].

الله عَزَّوَجَلَّ كرّم بني آدم ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]، وجعلهم في هذه الصورة الجميلة وأعطاهم هذا القوام؛ فذكره لذلك من باب الامتنان بنعمة الله عَزَّوَجَلَّ «أَنْتَ الَّذِي صَوَّرْتَنِي وَخَلَقْتَنِي»، خلقتني من عدم، وصوّرتني في هذه الصورة الجميلة؛ ثمَّ بعد هذا التصوير البديع والخلق الجميل؛ هديتني للإسلام وشرائع الإيمان، والشرائع جمع شريعة والمقصود بها مناهج الإسلام التفصيليَّة، وإلاّ فهي شريعة واحدة، ولكن المراد الأحكام الكثيرة التي يشملها الدِّين الحنيف.

انظر إلىٰ العالم آلاف الملايين يعيشون شريعة الغاب، كفر منوَّع، وقد منَّ الله عليك يا عبد الله بأن هداك للإسلام، فهذه أعظم منَّة، وأفضل نعمة يجب أن نشكر الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ عليها؛ فـ ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]؛ فمن هداه الله للإسلام فإنَّ كلَّ ما دونه يهون، فنسأله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أن يثبِّتنا علىٰ ذلك، اللهم ثبِّتنا بالقول الثَّابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا علىٰ دينك، ثبت قلوبنا علىٰ طاعتك، ثبت قلوبنا علىٰ الإيمان، يا حيُّ يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام.

١١- أَنْتَ الَّذِي عَلَّمْتَنِي وَرَحِمْتَنِي ... وَجَعَلْتَ صَدْرِي وَاعِيَ الْقُرْآنِ

❁ مازال في باب الامتنان بما تفضل الله به عليه والاغتباط بذلك والتوسل به؛ يعني يتوسل بالأعمال الصالحة؛ فيشكر ربه ويعترف بنعمته عليه حيث تفضل عليه بالعلم، والعلم هو أعظم زاد يتزوّد به المسلم؛ لأنَّه بالعلم يعرف الإسلام من الكفر، والهدىٰ من الضّلال، والتوحيد من الشّرك، والسنّة من البدعة، والحقّ من الباطل، فالعلم الذي يعمل به صاحبه كالميزان الذي توزن به الأشياء فيزن به الأمور ولا يضع قدمه إلاَّ حيث ينبغي أن توضع، فالعلم نور يضيء له الطَّريق كما قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ليس العلم بكثرة الرواية، إنما العلم نور يضعه الله عَزَّوَجَلَّ في القلوب»[1]، وكما قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

شكوت إلىٰ وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلىٰ ترك المعاصي
وقال اعلم بأن العلم نور ... ونور الله لا يعطىٰ لعاصي ؛

فهو يشكر الله ويحمده أن وفَّقه للعلم ويعترف بفضله عليه.

وقوله: «**وَرَحِمْتَنِي**» ؛ أي: بهذا العلم، لأن في العلم رحمة لأولي الألباب، العلم رحمة علىٰ أصحابه حيث يرحمهم الله به من الوقوع في الشبهات والشهوات؛ لأنَّ العالم العامل بعلمه يخشىٰ الله عَزَّوَجَلَّ؛ كما قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فَاطِر:٢٨]، ثمَّ بيَّن بعض ما منَّ الله به عليه من العلم وأعظم ذلك وأفضله وأساسه؛ وهو كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ حيث قال: «وَجَعَلْتَ صَدْرِي وَاعِيَ الْقُرْآنِ»، وكلمة واعي أعظم من كلمة حافظ؛ ولذلك قال الله تَعَالَىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [مُحَمَّد: ٢٤]، ويقول النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نضَّر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها**

(١) انظر: «الإلماع»، ص: [٢١٧].

فـرب مبلـغ أوعىٰ من سـامـع»(١)، والوعي هو الفهـم والإدراك والتمييز ومعرفة مدلول النص؛ ولذلك قال: «**فرب مبلغ أوعىٰ من سـامـع**»، فإذا وعىٰ المسـلم القرآن؛ أي: فهم معانيـه وعمل به؛ كان ذلك سـببًا في سـعادته في الدَّارين، وهذا الوعـي للقرآن لا يكون بمجرَّد التلاوة والحفظ؛ بل لابدَّ مع ذلك من فهم المعنىٰ والعمل.

يقـول أبو عبد الرَّحمن السُّـلَميُّ التابعيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حدثنا الذيـن كانوا يقرءوننا القـرآن عثمان بـن عفـان وعبد الله بن مسـعود وغيرهما أنهم كانـوا إذا تعلمـوا من النبي ﷺ عـشر آيـات لم يتجاوزوهـا حتـىٰ يتعلموا ما فيها مـن العلم والعمـل، قالوا: فتعلمنـا القـرآن والعلـم والعمل جميعـا»(٢)؛ لأنّ العمل هـو ثمرة العلـم، ولذلك قال: «**وَجَعَلْـتَ صَدْرِي وَاعِيَ الْقُـرْآنِ**»؛ أي: فاهمًا له عاملًا به؛ لأنّه إذا كان واعيًا حقَّ الوعي؛ فإنَّـه يخشـىٰ الله، وإذا خـشي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ عمل بطاعته، فعل ما أوجـب الله عليه، وترك ما حرَّم الله عليه؛ لأنَّ خشية الله تحمله علىٰ الطّاعة وتمنعه من المعصية، فمن جعل الله صدره واعيًا للقرآن تاليًا له عاملًا به معطيه حقَّه؛ فهذه أفضل نعمة يمتنُّ الله بها علىٰ المسلم.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه أحمد [١٦٧٨٤]، والدارمي [٢٢٨]، وأبو يعلىٰ [٧٤١٣]، والطبراني [١٥٤١]، والحاكم [٢٩٤] من حديث جبير بن مطعم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وقال الحاكم: «صحيح علىٰ شرط الشيخين». وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٦٧٦٦].
وجمع طرق هذا الحديث شـيخنا: الشـيخ عبد المحسـن العباد البدر في كتاب أسـماه «**دراسـة حديث: «نضر الله امرأ سمع مقالتي...**» رواية ودراية، وبين حفظه الله أن الحديث بلغ حدّ التواتر.

(٢) انظر: «البدع» لابن وضاح، ص: [٩٣].

١٢- أَنْتَ الَّذِي أَطْعَمْتَنِي وَسَقَيْتَنِي مِنْ غَيْرِ كَسْبِ يَدٍ وَلاَ دُكَّانِ

۞ هذا أيضًا من باب الاعتراف بنعمة الله، والتوسّل بهذا الاعتراف إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ وبيان ما تفضّل به المنعم سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ من نعم عظيمة عليه؛ إنّ من أعظم أسباب إجابة الدّعاء: اعتراف المؤمن بنعم الله عليه التي تفضّل بها عليه وأولاه إيّاها، ومن ذلك: الإطعام والسُقيا، «أَنْتَ الَّذِي أَطْعَمْتَنِي وَسَقَيْتَنِي» وهو الذي يطعمني ويسقين؛ فتعداد هذه الفضائل والاعتراف بها والاغتباط بها، وتسخيرها لطاعة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ من أعظم ما يوصلك يا عبد الله إلىٰ مرضاة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

ويشير بقوله: «أَنْتَ الَّذِي أَطْعَمْتَنِي وَسَقَيْتَنِي» إلىٰ ما دلت عليه النصوص الكريمة من تكفل الله برزق العباد وتفضله عليهم به، قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢]، وقال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨-٧٩]، فالله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ هو المتكفّل بالرّزق؛ ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨]، وقال: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [الجمعة: ١١]، وقال رسول الله صَلَّىٰللهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فيما يرويه عن الله جَلَّوَعَلَا في حديث طويل أنه يقول: «**يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم**»[١]؛ فالله عَزَّوَجَلَّ هو المتكفّل بالرِّزق والسُّقيا؛ لأنّ الماء أساس كلّ رزق ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، فمن منَّ الله عليه بهذا الرِّزق وسخَّره في طاعة ربِّه؛ سَعِدَ في دنياه وفي آخرته.

وقوله: «مِنْ غَيْرِ كَسْبِ يَدٍ وَلاَ دُكَّانِ»؛ يدل علىٰ أهمية التوكل، وأنّه بمنزلة الرأس من الجسد، قال رسول الله صَلَّىٰللهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لو أنكم تتوكلون علىٰ الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصًا وتروح بطانًا**»[٢].

---

(١) أخرجه مسلم [٢٥٧٧] من حديث أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد [٢٠٥]، والترمذي [٢٣٤٤]، وابن ماجه [٤١٦٤]، ومن حديث عمر بن الخطاب
=

ولا يُفهم من قول الناظم «من غير كسب... دكان» أنَّ الإنسان يجلس ويقبع في بيته دون اتخاذ أسباب الرزق، فلا يبحث عن أسباب طلب الرِّزق، فإن ذلك مخالف للشرع؛ فالسماء لا تمطر ذهبا ولا فضة، فإنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠]، ويقول تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧]؛ أي: من الذرية والرزق. ويقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠] يبتغون من فضل الله فطلب الرّزق والسّعي في ذلك من سنن الأنبياء والمرسلين، ويقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب علىٰ ظهره خير له من أن يأتي رجلا فيسأله أعطاه أو منعه**»[1].

فلابدَّ يا عبد الله من العمل، ويقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **كان يأكل من عمل يده**»[2]، وقوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**ما بعث الله نبيًّا إلا رعىٰ الغنم فقال أصحابه وأنت فقال نعم كنت أرعاها علىٰ قراريط لأهل مكة**»[3]، وحثَّ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمّته علىٰ العمل والكدِّ وطلب الكسب الحلال، والأنبياء منهم من كان صانعًا، ومنهم من كان نجّارًا أو حدّادًا، ومنهم من كان يسعىٰ في طلب الرّزق، وكذا الصّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ منهم التاجر ومنهم الفلاَّح ومنهم المزارع وهكذا سنّة الله في خلقه.

فينبغي للمسلم أن يسعىٰ في طلب الرِّزق الحلال وأن يجدَّ في ذلك بشرط أن لا يطغىٰ هذا السعي علىٰ ما أوجب الله عليه من فعل المأمورات وترك المحظورات،

= رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: «حسن صحيح». وصححه الألباني في «الصحيحة» [٣١٠].

(١) أخرجه البخاري [١٤٧٠] من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري [٢٠٧٢] من حديث المقدام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري [٢٢٦٢] من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وإنَّما قصد المصنّف أنَّ الأرزاق بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هو الذي يعطي ويمنع، وليس الغنىٰ دليل محبَّة الله تَعَالَىٰ ولا الفقر دليل كراهية الله تَعَالَىٰ للفقير؛ بل ربما انعكس الأمر أحيانًا؛ لذلك تكلم بعض النّاس في أي الصنفين أفضل الغنيُّ الشَّاكر أم الفقير الصَّابر؟ وهذه المسألة أرىٰ أنّها من فضول العلم، فكلّ سيؤتيه الله عَزَّوَجَلَّ من فضله ولذلك لما جاء فقراء الصّحابة إلىٰ النبيّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وقالوا: «ذهب أهل الدثور بالدرجات العلىٰ والنعيم المقيم»، فقال: وما ذاك قالوا يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون ولا نتصدق ويعتقون ولا نعتق فقال رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أفلا أعلمكم شيئًا تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم**». قالوا: بلىٰ يا رسول الله. قال: «**تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين مرة**». قال أبو صالح فرجع فقراء المهاجرين إلىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله، فقال رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء**»(١)؛ فلا اعتراض علىٰ قدر الله عَزَّوَجَلَّ؛ ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

فالخلاصة أنه ينبغي أن يُحمل ما في كلام السلف من إطلاق علىٰ ما فيه من تقييد، والناظم ليس ممن يرىٰ الركون إلىٰ النَّوم والسُّكون إلىٰ الدِّعة والرَّاحة وعدم العمل؛ تدلُّ لذلك أبيات سوف تأتي ولكنه ينبه إلىٰ أهمية الإيمان بأنَّ الأرزاق بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يرزق من يشاء بفضله، ويحرم من شاء بعدله، ولا يظلم ربك أحدًا.

---

(١) أخرجه البخاري [٢٢٦٢] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

١٣- وَجَبَرْتَنِي وَسَتَرْتَنِي وَنَصَرْتَني وَغَمَرْتَنِي بِالْفَضْلِ وَالإِحْسَانِ

❁ **الجبر هو**: إصلاح الكسر، ويُطلق علىٰ ما يمنُّ الله به علىٰ عبده من الخير؛ من جبر قلبه بالإيمان وجبر القلوب بما قسم وقدر، ولذلك جاء في الدعاء الذي يُقال في الجلسة بين السّجدتين: «**اللهم اغفر لي وارحمني واجبرني واهدني وارزقني**»(١)؛ لأنّه هو الجبَّار بما يحتمله هذا الاسم من معان عظيمة؛ فهو جابر الكسور وجابر القلوب - نسأل الله أن يجبر قلوبنا بالإيمان وبعزّ الإسلام ورفعة الدّين وعلوّ شأنه -؛ كما أنّه الجبَّار الذي يكسر الظَّلمة والكفرة والملحدين - ونسأله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يخزي أعداء المسلمين، وأن يكسر شوكتهم.

وقوله: «**وَسَتَرْتَني**» يشمل هذا الستر كل ما منَّ الله به علينا من ألوان الستر من ستر الذُّنوب، وستر العيوب، وكلّنا عيوب وذنوب لولا فضل الله علينا وستره وستر أجسامنا بما تفضّل علينا به من لباس وخير وسترنا بالرّزق الحلال؛ **فقوله**: «**وَسَتَرْتَني**» تشمل معان كثيرة؛ «**من ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة**»(٢)، ولذلك من أسمائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ السِّتير كما ثبت في السنّة(٣)؛ أي: الساتر لذنوب عباده، والساتر لعيوبهم والساتر لأجسامهم، والساتر لخَلاَّتهم؛ فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هو السِّتير، ولا أعلم أنّ من أسمائه

---

(١) أخرجه أبو داود [٨٥٠]، والترمذي [٢٨٤]، وابن ماجه [٨٩٨]، والحاكم [١٠٠٤] من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وصححه الألباني في «صفة الصلاة»، ص: [١٥٣].

(٢) أخرجه مسلم [٢٦٩٩] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرج أحمد [١٧٩٧٠]، وأبو داود [٤٠١٤]، والنسائي [٤٠٦] عن يعلىٰ بن أمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأىٰ رجلا يغتسل بالبراز بلا إزار فصعد المنبر فحمد الله وأثنىٰ عليه ثم قال: «**إن الله عَزَّوَجَلَّ حيي ستير يحب الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر**». وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [١٧٥٦].

الساتر لذلك ينبغي للمسلم أن يقول: «يا ستير» بدلًا من «يا ستار» أو «يا ساتر» كما هو شائع بين الناس؛ لأنّ ذلك هو الثابت عن رسول الله ﷺ.

فمن ستره الله فلا كاشف لستره، ومن فضحه الله فلا ساتر له، نسأل الله تعالى أن يستر ذنوبنا وعيوبنا في الدنيا والآخرة، ومما جاء في هذا المعنىٰ حديث عائشة رضي الله عنها في تفسير قول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٨]؛ حيث استفسرت النبي ﷺ عندما قال: «**من حوسب عذب**»، حيث سألت عن معنىٰ الآية، فقال لها النبي ﷺ: «**إنما ذلك العرض، ولكن من نوقش الحساب يهلك**»(١)، وفيه أيضًا حديث ابن عمر في الصحيح في شأن ستر الله لعبده المؤمن في الدنيا(٢)، ومنه كذلك حديث «**يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلىٰ قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورة أخيه المسلم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله**»(٣).

وقوله: «وَنَصَرْتَني» وأول نصر وأعظمه هو الانتصار علىٰ النّفس والشّيطان ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]، إذا نصرك الله علىٰ شهوات نفسك

---

(١) أخرجه البخاري [١٠٣]، ومسلم [٢٨٧٦].

(٢) أخرج البخاري [٢٤٤١]، ومسلم [٢٧٦٨] عن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول: أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا فيقول: نعم أي رب حتىٰ إذا قرره بذنوبه ورأىٰ في نفسه أنه هلك قال: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطىٰ كتاب حسناته وأما الكفار والمنافقون فيقول: الأشهاد** ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

(٣) أخرجه الترمذي [٢٠٣٢] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وقال: «هذا حديث حسن غريب». وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» [٢٣٣٩]: «حسن صحيح».

وعلىٰ هواك وعلىٰ الشيطان؛ فإنَّ هذا هو أعظم نصر ويترتب عليه النصر علىٰ الأعداء بإذن الله ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾ [الحج: ٤٠].

والانتصار علىٰ النّفس بكبح جماحها ومنعها من شهواتها ونزواتها؛ لأنّ النفس أمَّارة بالسُّوء، وقد تكون لوامة وقد تكون مطمئنة - أسأل الله أن يجعل نفوسنا وإيَّاكم من النفوس المطمئنة - فالانتصار علىٰ النّفس بالبعد عن الشّهوات من أعظم ما يمتنّ الله به علىٰ عباده، ولذلك يقول النبي ﷺ: «**حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات**»[١]، فمن نصره الله علىٰ نفسه وعلىٰ الشّيطان؛ سَعِدَ في الدنيا والآخرة؛ فاللهم ألهمنا رشدنا وأعذنا من شر أنفسنا، وفي الحديث الصحيح الذي يسنّ قوله عند الصباح وعند المساء، وعند النوم: «**اللهم فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، لا إله إلا أنت، رب كل شيء ومليكه، أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر الشيطان وشركه، وأن أقترف علىٰ نفسي سوءًا، أو أجره إلىٰ مسلم**»[٢] كما أرشد إلىٰ ذلك النبي ﷺ أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فينبغي لنا أن نحافظ علىٰ مثل هذا الدّعاء، والنفس كالطفل تتعود علىٰ ما تعودها عليه:

والنفس كالطفل إن تهمله شبّ علىٰ حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

إن عودتها علىٰ الخير تعودت وإن عودتها علىٰ الشر وتركت لها العنان سوف تلقي بك في متاهات لا تحمد عقباها؛ ولذلك ينبغي للمسلم أن يجاهد نفسه وأن يكبح جماحها وأن يُوقفها عند حدِّها؛ حتّىٰ لا تلقي به في مهاوي الرّدىٰ كما قال الإمام ابن المبارك:

---

(١) أخرجه مسلم [٢٨٢٢] من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد [٨١]، وأبو يعلىٰ [٧٧]، والضياء [٣٠] من حديث أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الضياء: «إسناده حسن». وصححه الألباني في «الصحيحة» [٢٧٥٣].

رأيـت الـذنـوب تميـت القـلوب ... ويـورث الـذُّلَّ إدمـانُـهـا
وتـرك الـذنـوب حيـاة القـلوب ... وخـيـر لـنـفـسـك عـصـيـانـهـا[١]

وقال المتنبي:

وخالف النفس والشيطان واعصهما ... وإن هما محضاك النصح فاتهم[٢]

وقوله: «وَغَمَرْتَنِي بِالْفَضْلِ وَالإِحْسَانِ»، الغمر هو التغطية، والمقصود أنَّ فضلك وإحسانك يارب سابغ علي وعلىٰ المؤمنين، وأعظم ما منّ الله به علىٰ المؤمنين أن هداهم للإسلام؛ فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنَّا لنهتدي لو لا أن هدانا الله، وهذا الإقرار بالغمر والفضل والإحسان من باب شكر النّعمة والامتنان حيث ينطرح المسلم بين يدي ربِّه شاكرًا لأنعمه عليه؛ فإنَّ ذلك هو أعظم سبب لدوامها والانتفاع بها؛ ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨].

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

إذا كنت في نعمة فارعها ... فإن المعاصي تزيل النعم
وحافظ عليها بشكر الإله ... فإن الإله سريع النقم[٣]

❁ ❁ ❁

(١) «بهجة المجالس وأنس المجالس» (١/ ٢٤٦).
(٢) «ديوان أبي الهدىٰ الصيادي» (١/ ٢٦٩).
(٣) «ديوان علي بن أبي طالب» (١/ ١٤٥).

١٤- أَنْـتَ الَّـذِي آوَيْـتَـنِي وَحَبَوْتَنِي وَهَـدَيْـتَـنِـي مِـنْ حَـيْرَةِ الْخِـذْلاَنِ

قولـه: «أَنْـتَ الَّذِي آوَيْتَنِي وَحَبَوْتَنِي»، الإيواء هـو الحماية والنّصر والحفظ من كلّ مكـروه؛ ولذلك جـاء في الثّناء علىٰ أهل الذكر في قصة الرجل الـذي جلس حيث انتهىٰ بـه المجلـس أو حيث لم يجد مكانًا؛ فجلـس خلف الصّف؛ قـال النبي ﷺ: «**وأمّا الثانـي فـآوىٰ إلىٰ الله فـآواه الله**»[1] آواه وتفضَّل عليه؛ لأنَّ الإيـواء هو الحماية والحفظ والـكلاءة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، آويتني وحفظتني بالإسـلام، وآويتنـي وحفظتني من كلِّ مـا يخالـف ذلـك؛ فهذا فضل مـن الله ومنَّـة؛ فيطلبه المزيـد وفي كلِّ هذا توسـل باعترافه بفضل الله عليه وهو من الأعمال الصّالحة التي يُشرع التوسُّل بها.

وقوله: «وَحَبَوْتَنِي» حباه؛ أي: أعطاه؛ أي: أعطيتني وتفضلت عليَّ بعطائك الواسـع ومنّتك العظيمة وأعظم ما حبوتني به نعمة الإسلام، فمن حباه الله نعمه؛ فليشكره بفعل أوامـره واجتنـاب نواهيه حتّىٰ لا تتعـرّض للـزّوال، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

وقولـه: «وَهَدَيْتَـنِي»؛ الهداية قسـمان: **الأولىٰ**- هداية التوفيق والسّـداد، **والثانية**- هدايـة الدلالـة والإرشـاد إلىٰ الخير؛ أمّا التوفيق والسَّـداد؛ فهـي خاصَّة بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إذ الهدايـة بيـده، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦]، وقد أمر الله المؤمنين أن يقولوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]؛ فهـذا من ذكر المؤمنين في الجنّة بعد أن يمتنَّ الله عليهم بعفوه وغفرانـه ودخـول الجنّة، فالحمد لله الـذي هدانا لهذا وما كنَّا لنهتدي لـو لا أن هدانا الله؛ لأنَّ الهدايـة والإضلال بيـد الله يهدي من يشـاء تكرّمًا وفضلًا، ويضلّ من يشـاء حكمة وعـدلًا؛ ولذلـك يجب علىٰ المسـلم أن يسـأل الله الهداية دائـمًا؛ بل أُمرنا أن نسـألها في كلِّ

(١) أخرجه البخاري [٦٦]، ومسلم [٢١٧٦] من حديث أبي واقد الليثي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقت، في الصّلوات بتكرار سورة الفاتحة ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]؛ أي: وفّقنا للسير علىٰ الطّريق السويِّ طريق الذين أنعمت عليهم من النبيين والصّدّيقين والشّهداء والصّالحين، بعيدًا عن طريق المغضوب عليهم اليهود والضالين النصارىٰ ومن شايعهم أو قلّدهم، فمن هداه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وامتنَّ الله عليه بالهداية؛ فهو فضل عظيم منه سُبْحَانَهُ، ولذلك جاء في دعاء القنوت: «**اللَّهمَّ اهدني فيمن هديت**»(١)، وجاء في الدّعاء الآخر «**اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلىٰ صراط مستقيم**»(٢)، ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ [الحجرات: ١٧]، ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

وقوله: «**وَهَدَيْتَنِي مِنْ حَيْرَةِ الْخُذْلَانِ**»؛ لأن من لم يهده الله فلا هادي له، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ﴾ [الأعراف: ١٨٦]، وقوله: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الرعد: ٣٣]، وقوله: ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧]؛ الله وحده الذي بيده الهداية، فعلىٰ المسلمين أن يعوا ذلك؛ لأن من لم يهده الله سيكون في حيرة وفي ضياع لا يدري أين يتّجه، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤]؛ فالله عَزَّوَجَلَّ هو الذي يهدي من الحيرة إلىٰ اليقين، فمن طلب الهدىٰ من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنّة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بصدق وإخلاص؛ حَصَلَت له هذه الهداية، ومن طلب الهدىٰ من غير الكتاب والسنّة؛ وقع في الحيرة والضياع والتيهان.

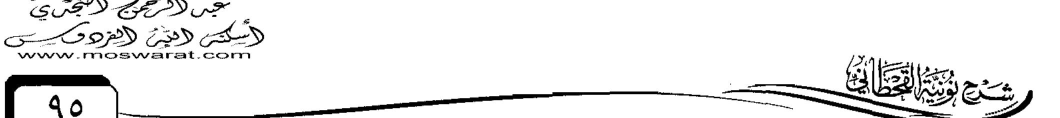
---

(١) أخرجه أحمد [١٧١٨]، وابن الجارود [١٤٢] من حديث الحسن بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا. وصححه الألباني في «الإرواء» [٤٢٩].

(٢) أخرجه مسلم [١٨٤٧] من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

وأما هداية الدلالة والإرشاد فهي: بيان الحق للخلق بدلالتهم علىٰ الخير، وتحذيرهم من الشر، وهذه منقبة يهبها الله لمن يشاء من النبيين ودعاة الحق من المسلمين، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧]، وقال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].





١٥- وَزَرَعْتَ لِي بَيْنَ الْقُلُوبِ مَوَدَّةً وَعَطَفْتَ مِنْكَ بِرَحْمَةٍ وَحَنَانِ

﴿ يشكر ربَّه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ويحمده علىٰ أن زرع له مودّة في قلوب المؤمنين، وهذا شأن المؤمن فإنّه إذا أحبّه الله؛ حبّبه إلىٰ عباده المؤمنين وهذا يدلّ له الحديث الصّحيح: «**إنَّ الله إذا أحب عبدا دعا جبريل فقال: إني أحب فلانا فأحبه قال فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول إن الله يحب فلانًا فأحبوه فيحبه أهل السماء قال ثم يوضع له القبول في الأرض وإذا أبغض عبدًا دعا جبريل فيقول: إني أبغض فلانًا فأبغضه قال: فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلانًا فأبغضوه قال: فيبغضونه ثم يوضع له البغضاء في الأرض**»(١)، وهذا من فضل الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ علىٰ المؤمن أنَّ الله يحبَّه ويحبّبه إلىٰ عباده المؤمنين، ولذلك ذكر الناظم رَحِمَهُٱللَّهُ أنَّ الله جعل له مودّة في قلوب عباده المؤمنين، ومن أحبّه المؤمنون فهذا دليل علىٰ محبَّة الله له؛ لأنَّ المؤمنين شهداء الله في أرضه، وقد مرَّت جنازة ذات يوم فذُكرت بخير؛ فقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**وجبت**»، ومرّت أخرىٰ فذُكرت بشر؛ فقال: «**وجبت**»؛ قالوا: وما وجبت يا رسول الله؟ قال: «**ذكرتم الأولىٰ بخير؛ فوجبت لها الجنّة، وذكرتم الأخرىٰ بغير ذلك؛ فوجبت لها النّار أنتم شهداء الله في أرضه**»(٢)، وليس المراد المحبّة التي قد يغتر بها البعض وهي المحبّة من أجل الدّنيا ومصالحها وما يتعلّق بها من أمور؛ وإنَّما المقصود المحبّة في الله، وذلك أنّ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ يحبب المؤمنين إلىٰ إخوانهم في الله؛ كما قال الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [المَائدة: ٥٤]، فإذا أحبَّهم الله وضع لهم القبول في الأرض وزرع لهم المحبّة والمودّة في القلوب من فضله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

---

(١) أخرجه البخاري [٧٤٨٥]، ومسلم [٢٦٣٧] من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري [١٣٦٧] ومسلم [٩٤٩] من حديث أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

ومن شأن المؤمنين التحابُّ في الله، ومن أعظم أسباب التحابِّ: إفشاء السّلام؛ قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أولا أدلكم علىٰ شيء إذا فعلتموه تحاببتم! أفشوا السلام بينكم**»(١)؛ فالمؤمن يحبُّ أخاه المؤمن، ومن علامات ذلك: الإيثار أنّه يؤثره حتّىٰ علىٰ نفسه، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]؛ هذا هو شأن المؤمنين. قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكىٰ منه عضو تداعىٰ له سائر الجسد بالسهر والحمىٰ**»(٢)، ولذلك ينبغي للمسلم أن يفهم هذا وأن يفهم أسبابه فيعمل بها.

وقوله: «وَعَطَفْتَ مِنْكَ بِرَحْمَةٍ وَحَنَانٍ»: يغتبط بعطف الله وحنانه ورحمته به، ومن آثار لطفه به وحنانه عليه ورحمته له أن حببه إلىٰ عباده المؤمنين.

وهذا فضل من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ونعمة، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٤].

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه مسلم [٥٤] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري [٦٠١١] ومسلم [٢٥٨٦] من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

١٦- وَنَشَرْتَ لِي فِي الْعَالَمِينَ مَحَاسِنًا وَسَتَرْتَ عَنْ أَبْصَارِهِمْ عِصْيَانِي

❁ في الشطر الأوّل من هذا البيت بيان وتأكيد لما ذُكر في البيت الذي قبله وهو أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ رزقه محبَّة المسلمين؛ حيث لا يطَّلعون إلاَّ علىٰ محاسنه وما صدر عنه من أعمال طيِّبة بينما ستر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن أبصارهم ما بدر منه من تقصير في جنب الله، وهذا أيضًا اعتراف منه بتقصيره فإنَّ ما رزقه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من نشر المحاسن والخير والأعمال الصالحة إنَّما هو سِترٌ من الله عليه وإلاَّ فأغلب النّاس لو يعلم النّاس ما تنطوي عليه نفوسهم وقلوبهم من معاصي؛ لما سلَّموا عليهم ولهجروهم ولتبرَّؤوا منهم؛ ولكن قد تغلب الأعمال الصّالحة وتغلب خشية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فتجعل إخوانك المسلمين يحبّونك من أجل ما عندك من خير، كما ستر الله عليك ما قد يكون عندك من تقصير في جنب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ستِّير يحبُّ الستر[1]، ولذلك يحبُّه من عباده؛ فينبغي أن يستر بعضهم خلات البعض الآخر، وبخاصة من وُجدت منه هفوة أو هفوات وليس داعية إلىٰ بدعة أو خرافة أو منكر أو معصية مع اعترافه بذنبه فليستتر بستر الله.

أما من أصبح بؤرة فساد؛ يدعو إلىٰ الشر ويدعو إلىٰ البدع والخرافات والمنكرات ويدعو إلىٰ المعاصي والشرك، ويتبجَّح بذلك؛ فهذا لا ينبغي الستر عليه ولا يجوز، بل يجب فضحه والإخبار عنه ويحرم إيواؤه، ومن آواه أو ناصره انطبق عليه قول النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لعن الله من آوىٰ مُحدِثًا**»[2].



(١) تقدم تخريجه في ص: [٨٨].

(٢) أخرجه مسلم [١٩٧٨] من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

١٧- وَجَعَلْتَ ذِكْرِي فِي الْبَرِيَّةِ شَائِعًا حَتَّىٰ جَعَلْتَ جَمِيعَهُمْ إِخْوَانِي

❁ هذا يقارب البيتين الذين قبله بمعنىٰ أنّه يحمد الله ويشكره علىٰ أن جعل له ذكرًا حسنا، حبّب إخوانه المسلمين إليه وليس المقصود المفاخرة ولا المراءاة؛ كما هو معلوم من سياق هذه الأبيات؛ وإنّما المراد تكراره لشكر الله وحمده علىٰ ما أولاه من نعمة وما جعله له من ذكر طيب وصيت حسن جعل إخوانه المسلمين يحبونه في الله؛ لأنّ المحبّة في الله من أعظم الأعمال التي تقرّب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ يقول النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثلاث من كنَّ فيه وجد بهنَّ حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذف في النّار**»[1] الحب في الله والبغض في الله والموالاة في الله والمعاداة في الله أوثق عرىٰ الإيمان كما ثبت في الحديث[2]؛ فلنتمسّك بهذه العرىٰ ولذلك عدَّ النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله؛ «**رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وافترقا عليه**»[3].



(١) أخرجه البخاري [١٦]، ومسلم [٤٣] من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الطيالسي [٧٤٧]، وأحمد [١٨٥٢٤] من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» [٢٠٠٩].

(٣) أخرجه البخاري [٦٦٠]، ومسلم [١٠٣١] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

١٨- وَاللهِ لَوْ عَلِمُوا قَبِيحَ سَرِيرَتِي ... لَأَبَىٰ السَّلَامَ عَلَيَّ مَنْ يَلْقَانِي

❁ هذا يفسِّر ما تقدَّم في الأبيات الثلاثة من أنّه يحمد الله أن جعل له ذكرًا طيبًا مما حبَّبَ إخوانه إليه؛ ثمَّ يعترف بذنوبه وأنهم لو يعلمون ما يعلم من نفسه؛ لهجروه وامتنعوا من السلام عليه، ولا يلزم من هذا أنّه منهمك في المعاصي والذنوب، لكن المسلم دائمًا يشعر أنّه مقصِّر في جنب الله؛ كما وصف الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ المؤمنين بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝٦٠ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧ - ٦١].

قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا رسول الله هو الرّجل يسرق ويزني ويشرب الخمر ويخشىٰ أن لا يتقبّل منه؟؛ قال: لا يا ابنة الصّديق هو الرّجل يصلّي ويصوم ويزكّي، ويفعل الطّاعات، ويخشىٰ أن لا يُتقبّل منه»[1].

فالمسلم يعمل ويلجأ إلىٰ الله ويدعوه أن يتقبّل منه هذا هو شأن المؤمن دائمًا، فقد توجد موانع تحول دون قبول العمل أو إجابة الدعاء مثل أكل الحرام أو أي مخالفة أخرىٰ، فالواجب علىٰ المسلم أن يكون دائمًا بين الخوف والرّجاء؛ كما سيأتي توضيحه وتفصيله إن شاء الله.

❁❁❁

---

(١) أخرجه الترمذي [٣١٧٥]، وابن ماجه [٤١٩٨]، والحاكم (٢/ ٢٧) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وقال الحاكم: «صحيح الإسناد»، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» [٢٥٣٧].

١٩- وَلأَعْرَضُوا عَنِّي وَمَلُّوا صُحْبَتِي وَلَبُؤْتُ بَعْدَ كَرَامَةٍ بِهَوَانِ

❁ هذا كله تأكيد لما تقدم من اعترافه بتقصيره في جنب الله، أنّهم لو يعلمون حقيقة أمره وما تنطوي عليه نفسه؛ لأعرضوا عنه وابتعدوا عنه وهجروه ونأوا عنه، وانقلب صديقه عدًوا له، ولباء - أي: رجع بعد العزّة بالهوان والذل -؛ لأنَّ الذنوب تذل صاحبها وليس هناك ذل أعظم من ذل الذنوب كما قال ابن المبارك:

رأيت الذنوب تميت القلوب ويورث الذُّلَّ إدمانُها
وترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانها[١]؛

فإنها تذله أمام الله ثمّ أمام خلقه، لكن المؤمن الحق الذي يعترف بذنوبه يُرجىٰ له خير؛ الذي إذا سوّلت له نفسه أمرًا تذكَّر أنَّ له ربًا يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصّدور؛ فرجع إلىٰ ربه، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، وقد وعد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ لسان رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أن «**من هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة**»[٢]؛ لأنّه رجع خوفًا من الله، وليس المراد أنّه حاول ولم يتمكن.



(١) «بهجة المجالس وأنس المجالس» (١/ ٢٤٦).
(٢) أخرجه البخاري [٦٤٩١] من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

٢٠- لَكِنْ سَتَرْتَ مَعَايِبِي وَمَثَالِبِي وَحَلُمْتَ عَنْ سَقَطِي وَعَنْ طُغْيَانِي

❁ **يقول:** يا ربي إنَّك رحمتني وعفوت عني وتكرّمت عليَّ وأكرمتني وتجاوزت عن سيِّئاتي وسترت خطئي وطغياني، وغمرتني بحلمك الذي تفضلت به علىٰ عبادك الصَّالحين؛ فما أحلم الله عن عباده! ومن أسماء الله تَعَالَىٰ «الحليم»، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البَقَرَة: ٢٣٥]، وقوله: ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ [البَقَرَة: ٢٦٣]، والحلم من صفات الربِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فلولا حلمه؛ لأخذ الناس بذنوبهم وعاجلهم بالعقوبة؛ لكن الله يتفضل عليهم ويحلم عليهم ويتجاوز عن سيئاتهم ويستر عيوبهم ويغفر ذنوبهم ثمَّ يصفح عنهم، فاعتراف العبد بأنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قد تكرَّم عليه وحلم عليه وتجاوز عن سيّئاته وغفر له زلاته؛ هذا من الأعمال الصَّالحة التي تقرِّبه إلىٰ ربه؛ يعني شعوره بذلك.



٢١- فَلَكَ الْمَحَامِدُ وَالْمَدَائِحُ كُلُّهَا   بِخَـوَاطِـرِي وَجَـوَارِحِـي وَلِسَانِي

❁أي: لك الحمد الذي لا يحصىٰ فالحمد لله رب العالمين، و(ال) هنا تفيد الاستغراق؛ أي: جميـع المحامد وجميع ألوان الثناء العطرة لك وحدك سبحانك، وأنت وحدك الذي تستحق المدح والمحمدة والثناء؛ فلك الحمد ربنا ولك الثناء ولك المجد ولك العُتبىٰ حتىٰ تـرضىٰ؛ فأنت وحدك المستحق لهذه المحامد دون سـواك؛ فينبغي للمسـلم أن يحمد الله بجميـع أنـواع المحامـد، وبكل الوسـائل، وما يـدور في خاطـره وضمـيره، وبجوارحه بالأعمال الصالحة، وبلسـانه بالذّكر وتلاوة القرآن واللّهج بالتسبيح والتحميد والتهليل، وقد دلّ الشطر الثاني من البيت – وهو قوله: بخواطري وجوارحي ولساني – علىٰ معتقد المصنـف في الإيـمان الموافق لعقيدة السـلف مـن أن الإيمان قول وعمـل واعتقاد؛ فالذي يـدور في الضّمائـر معنـاه الذي تُكِنُّـه القلوب من الإخـلاص والمحبّة والخـوف والرّجاء والخشوع والخضوع والإنابة والتعظيم وما إلىٰ ذلك من أعمال القلوب، فالقلب له عمل كـما أنّ للجوارح واللّسـان عملا؛ فمن أعـمال الجوارح الصلاة والـزكاة ونحوهما، ومن أعمال اللسان تلاوة القرآن والذكر كما تقدم.



٢٢- وَلَقَدْ مَنَنْتَ عَلَيَّ رَبِّ بِأَنْعُمٍ   مَا لِي بِشُكْرِ أَقَلِّهِنَّ يَدَانِ

❁ ما زال يعدِّد نعم الله عليه، والتي أعظمها الهداية للإيمان والظفر بالإسلام، ثمَّ يُبيِّن أنه لا يمكنه مهما عمل أن يبلغ أقل مقدار أو عشر معشار أداء شكر تلك النعم؛ لأنَّ الفضل في تلك النعم لله وحده، وإن كان عمل العبد في الحقيقة لنفسه، والله غني عنا وعن أعمالنا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ﴾ [فُصِّلَت: ٤٦]، وقال تَعَالَىٰ في الحديث القدسي: «**يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا علىٰ أتقىٰ قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئًا يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا علىٰ أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئًا يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرًا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**»[1]، ولو لم يكن إلاَّ أن هداه للحق وللدين القويم وللإيمان لكان هذا كافيًا؛ بل هو فوق كل نعمة ولذلك مهما بذل الإنسان من عمل لن يبلغ شكر نعم الله عليه، ولكن يجب عليه أن يذكر ويشكر حتىٰ تدوم تلك النعم وتستمر، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧].



---

(١) أخرجه مسلم [٢٥٧٧] من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٢٣- فَوَحَقِّ حِكْمَتِكَ الَّتِي آتَيْتَنِي حَتَّىٰ شَدَدْتَ بِنُورِهَا بُرْهَانِي

٢٤- لَئِنِ اجْتَبَيْتَنِي مِنْ رِضَاكَ مَعُونَةً حَتَّىٰ تُقَوِّي أَيْدُهَا إِيمَانِي

٢٥- لَأُسَبِّحَنَّكَ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً وَلَتَخْدُمَنَّكَ فِي الدُّجَىٰ أَرْكَانِي

٢٦- وَلَأَذْكُرَنَّكَ قَائِمًا أَوْ قَاعِدًا وَلَأَشْكُرَنَّكَ سَائِرَ الْأَحْيَانِ

٢٧- وَلَأَكْتُمَنَّ عَنِ الْبَرِيَّةِ خَلَّتِي وَلَأَشْكُوَنَّ إِلَيْكَ جَهْدَ زَمَانِي

٢٨- وَلَأَقْصِدَنَّكَ فِي جَمِيعِ حَوَائِجِي مِنْ دُونِ قَصْدِ فُلَانَةٍ وَفُلَانِ

٢٩- وَلَأَحْسِمَنَّ عَنِ الْأَنَامِ مَطَامِعِي بِحُسَامِ يَأْسٍ لَمْ تَشُبْهُ بَنَانِي

٣٠- وَلَأَجْعَلَنَّ رِضَاكَ أَكْبَرَ هِمَّتِي وَلَأَضْرِبَنَّ مِنَ الْهَوَىٰ شَيْطَانِي

٣١- وَلَأَكْسُوَنَّ عُيُوبَ نَفْسِي بِالتُّقَىٰ وَلَأَقْبِضَنَّ عَنِ الْفُجُورِ عِنَانِي

❁ يقسم بصفة الله جَلَّ وَعَلَا التي وهبه بفضله ومنَّه تلك الحكمة، ويتوسل بحق حكمة الله التي وهبه منها ومن آثارها الطيبة حكمة، وهي الهداية للإيمان والبرهان علىٰ أنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هو الإله الحق والمعبود الذي له الأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ؛ فنوَّر بها قلبه وأنار بها بصيرته ووجَّهه بها إلىٰ الخير وهداه إلىٰ الصراط المستقيم؛ لأن الحكيم هو الذي يضع الأشياء في مواضعها ومن أسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الحكيم وهو يهب الحكمة لمن يشاء من عباده، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البَقَرَة: ٢٦٩].

فالحكمة فضل ومنَّة من الله، الحكمة في أن نعبد الله وحده ولا نعبد أحدًا سواه، الحكمة في تطبيق شرع الله، الحكمة في الدعوة إلىٰ الله علىٰ بصيرة، الحكمة في تعاملك مع الآخرين مسلمين كانوا أو كفارًا بحسب ما يقتضيه المقام، ولذلك فإن الحكمة هي وضع الشيء في موضعه الصحيح، ولذلك يُقال لمن يتصف بذلك حكيم، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الحكيم ولكن ليس الحكيم كالحكيم، كما أنه ليس العليم كالعليم، وليس الحليم كالحليم

وليس الرحيم كالرحيم، وإن وجد اشتراك كليّ في مطلق الاسم؛ لكن المعنىٰ يختلف عند الحقيقة فإن حكمة الإنسان ورحمته وحلمه وعلمه محدود، أما حكمة الله فلا تقف عند حد، ورحمته وسعت كل شيء، وعلمه وسع كل شيء، ولا يحيط أحد بشيء من علمه، فهو يمتنّ بأن وهبه الله الحكمة حتىٰ صار عنده برهان يفرّق به بين الحق والباطل وبين الهدىٰ والضلال.

وقوله:

٢٤- لَئِنِ اجْتَبَتْنِي مِنْ رِضَاكَ مَعُونَةٌ حَتَّىٰ تُقَوِّيَ أَيْدُهَا إِيمَانِي

❁ أقسم بصفة الله عَزَّوَجَلَّ، وحكمته التي هي صفة من صفاته، أي: إذا وهبتني يا رب بفضلك ورضاك عني معونة منك استعين بها علىٰ طاعتك وعلىٰ شكر نعمتك وتكون هذه المعونة عظيمة بحيث تحفظني بها من كل سوء.

يسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يعينه وقد جاء بها بصيغة القسم: لئن تفضلت علي بمعونة منك ورضيت عني؛ لأُسخرنَّ ذلك في طاعتك وفيما يرضيك يا رب.

وقوله:

٢٥- «لأُسَبِّحَنَّكَ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً وَلَتَخْدُمَنَّكَ في الدُّجَىٰ أَرْكَانِي»

❁ هذا هو جواب القسم والذي تقدم هو القسم؛ يعني أقسم بحق الله وحكمته لئن تفضل عليه بعونه ورضاه وفضله؛ ليسخِرنَّ ذلك في طاعة الله ومن ذلك أن يسبِّحَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بكرة وعشية؛ ومنه قول الله تَعَالَىٰ: ﴿أَن سَبِّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١]، وقوله: ﴿وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾ [آل عمران: ٤١]، وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

والمقصود أنه يَعِدْ بل يُقسم وفيه جواز القسم علىٰ الأمور المتيقّنة أو التي يغلب علىٰ الظن فعلها وبخاصة فعل الطاعات، فهو يقسم أن يُكثر من تسبيح الله ليلًا ونهارًا وسرًا وجهارًا، بكرةً وأصيلًا؛ ثم أقسم أن يسخِّر جوارحه في ظلام الليل للعمل بما يُرضي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ أي: لأسخرنَّ جوارحي في طاعتك وفيما يرضيك، وجوف الليل من أفضل الأوقات التي يتعبد فيها المرء بحيث لا يراه إلا رب العالمين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٨ - ٢١٩]، حينما يهجع الناس وينام المحرومون، يقوم من وفَّقه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يناجي ربه، يتعرَّض لنفحاته، عندما ينزل فينادي عباده، حينما يبقىٰ الثلث الأخير من الليل، من يسألني فأعطيه، من يدعوني فأستجيب له، من يستغفرني فأغفر له؛ فهو يقسم أن يسخِّر جميع جوارحه في التسبيح والتهليل والتكبير والصلاة والعبادة، وهي التي عبَّر عنها بالخدمة.

وقوله:

٢٦- «وَلأَذْكُرَنَّكَ قَائِمًا أَوْ قَاعِدًا وَلأَشْكُرَنَّكَ سَائِرَ الأَحْيَانِ»

❁ يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في وصف المؤمنين: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١]. ويقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١ - ٤٢].

وتقول عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «كان رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يذكر الله علىٰ كل أحيانه»[١]، وجاء في الدعاء الذي يذكر دبر كل صلاة من حديث معاذ: «**اللهم أعني علىٰ ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**»[٢].

(١) أخرجه مسلم [٣٧٣].

(٢) أخرجه أحمد [٢٢١١٩]، وأبو داود [١٥٢٤]، والنسائي [١٣٠٣] من حديث أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
=

ومن أعظم وصايا النبي ﷺ: «**لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله** عَزَّوَجَلَّ»(١)؛ فالمسلم يُكثر من ذكر الله إلىٰ إن يلقىٰ ربه جَلَّوَعَلَا ما عدا في الأماكن التي يجب أن يُنزّه ذكر الله عنها، والمؤمن الذي يلهج بذكر الله يصبح ديدنه ودأبه حتىٰ في أحلك الظروف لا يذكر إلا الله جَلَّوَعَلَا كما فعل ذو النون عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] بخلاف أولئك الذين يتعلّقون بأصحاب القبور ويذبحون لها ويستغيثون بأهلها إذا ناب الواحد منهم أمر فزع إلىٰ تلك القبور وأصحابها، ويقول: «**إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور**» - والعياذ بالله - وماذا ينفعك به أصحاب القبور الذين إن كانوا مؤمنين فهم يحتاجون إلىٰ دعائك، وإن كانوا غير ذلك فقد أفضوا إلىٰ ما أفضوا إليه؟! تجد مسلمًا يشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويصوم ويحج البيت، ويفعل الطاعات ويجتنب المعاصي، وينقض ذلك كله بكلمة يقولها عند قبر من القبور! مدد يا فلان! إذا قال: مدد يا رسول الله أو مدد يا بدوي، مدد يا نقشبندي يا شاذلي يا مرغني؛ صار كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثًا نقض وهدم ما بنىٰ.

وقوله: «**وَلأَشْكُرَنَّكَ سَائِرَ الأَحْيَانِ**» سائر الأحيان؛ أي: في كل زمان إلىٰ أن أُدفن، وهذا الوعد يلتزم به المؤمن ويجوز القسم علىٰ مثل هذا؛ لأنه قسم علىٰ مرضاة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأن يكون من الذاكرين في جميع الأوقات، والشاكرين في جميع الأحيان، والشكر عبادة المنعم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بفعل أوامره واجتناب نواهيه.

= وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» [١٣٦٢].

(١) أخرجه أحمد [١٧٦٨٠]، وأبو داود [٣٣٧٥] من حديث عبد الله بن بسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٧٧٠٠].

وقوله:

٢٧- «وَلأَكْتُمَنَّ عَنِ الْبَرِيَّةِ خَلَّتِي وَلأَشْكُوَنَّ إِلَيْكَ جَهْدَ زَمَانِي»

❁ **يعني:** أستتر بستر الله وإذا أصابتني فاقة أو فقر؛ أشكو أمري إلىٰ الله الذي إليه المشتكىٰ وهو المستعان.

والمقصود أنه يَعِدُ؛ بل ويُقسِم أن يضرع إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ وأن يكتم سرائره وفقره وحاجته وشكواه عن كل أحد إلا لله وحده لا شريك له، وأن لا يستشرف إلىٰ أحد غير الله عَزَّوَجَلَّ، يسأله قضاء الحاجات وإقالة العثرات وكشف الكربات، يشكو إليه نوائب الدهر، وليس المقصود أنه يشكو الدهر، وإنما يشكو ما يحل به من مصائب إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قد توجد أساليب - وإن كان الأولىٰ اجتنابها - من هذا القبيل. والمقصود بها أنه يتضرع إلىٰ الله وحده لا إلىٰ أحد سواه، يشكو إليه ويبث إليه أحزانه وأشجانه وأحواله.

وقوله:

٢٨- «وَلأَقْصِدَنَّكَ فِي جَمِيعِ حَوَائِجِي مِنْ دُونِ قَصْدِ فُلاَنَةٍ وَفُلاَنِ»

❁ هذا تأكيد لما تقدم من أن المؤمن يجب أن يعلِّق حوائجه بالله وحده؛ قال رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا علىٰ أن ينفعوك لم ينفعوك إلّا بأمر قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا علىٰ إن يضروك لم يضروك إلا بأمر قد كتبه الله عليك»**[(١)]؛ ولذلك فإنه يَعِد ويُقسم أن لا يبثُّ شكواه إلا إلىٰ الله، وأن لا يبدي خلته إلا إلىٰ الله، وأن لا يشكو فاقته إلا إلىٰ الله،

(١) أخرجه أحمد [٢٦٦٩]، والترمذي [٢٥١٦] من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

وأن لا يطلب قضاء حوائجه إلا من إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لا يقف أمام قبر ويقول كما يقوله كثير من الناس - والعياذ بالله -: مدد يا فلان أغثني يا فلان أنقذني يا فلان؛ وإنما يمدُّ يديه إلىٰ من لا تخفىٰ عليه خافية، إلىٰ من يعلم السر وأخفىٰ ولا يسأل فلانًا ولا فلانةً، فسبحان الله العظيم وكأنه قد عايش أو أدرك بعض ما يفعله بعض الناس الآن؛ فتجد بعضهم يستغيث بامرأة ميتة في قبرها، وآخر يستغيث برجل؛ نظرة يا ست فلانة، نظرة يا سيد فلان، مدد يا سيد فلان مدد يا ست فلانة؛ هذا هو الشرك الذي يحبط الأعمال ويفسدها، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣ - ١٠٤].

وقوله:

٢٩- «وَلأَحْسُمَنَّ عَنِ الأَنَامِ مَطَامِعِي ... بِحُسَامِ يَأْسٍ لَمْ تَشُبْهُ بَنَانِي»

❁ الأنام الخلق، والحسم هو الكفّ والمنع، وهذا كله أيضًا تأكيد لما سبق من أنه يعلِّق رجاءه وحوائجه في الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وأن لا يلجأ إلىٰ الأنام، أعطوه أو منعوه؛ وإنما يلجأ إلىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ وأن ييأس ممّا في أيدي المخلوقين مقابل أن يطمع فيما عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، يقوي رجاءه وطمعه وأمله في الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وحده دون سواه فهو في معنىٰ ما تقدم.

وقوله:

٣٠- «وَلأَجْعَلَنَّ رِضَاكَ أَكْبَرَ هِمَّتِي ... وَلأَضْرِبَنَّ مِنَ الْهَوَىٰ شَيْطَانِي»

❁ **يقول:** سأقدم يا رب رضاك علىٰ رضا من سواك، فإذا قدم المسلم رضا ربه؛ فاز في الدنيا والآخرة؛ لذلك فإن المؤمن يؤثر محاب الله ومراضيه علىٰ الخلق، وأبشر يا عبد الله فإنك إذا آثرت مراضي الله؛ فسيرضىٰ عنك وسيُرضي عنك الناس.

إذا صح منك الودُّ فالكل هيِّنٌ وكل الذي فوق التراب تراب[١]

وفي السنن أن معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كتب إلىٰ عائشة أم المؤمنين رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا أن اكتبي إليّ كتابًا توصيني فيه ولا تكثري علي فكتبت عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا إلىٰ معاوية: سلام عليك، أما بعد؛ فإني سمعت رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «**من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلىٰ الناس والسلام عليك**»[٢]، وفي رواية: «**من التمس رضا الله عنه بسخط الناس** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، **وأرضىٰ عنه الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله، سخط الله عليه وأسخط عليه الناس**».

ثم بعد أن أقسم أن يقدِّمَ رضا الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ رضا العباد، أكَّدَ أيضًا بأنه سيضرب بيد من حديد كلَّ ما من شأنه أن يفتح عليه أبواب الأهواء، ونزغات الشيطان وذلك بإقامة طاعة الله بهذا يُضرب الهوىٰ ويُضرب الشيطان، فالشيطان يخنس إذا ذُكر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، بل يدبر ويهرب كما يفعل عند الأذان والإقامة، وإذا شعر أنك تقدم محابَّ الله ورضاه علىٰ مراضي الخلق؛ فإنه لن يقربك بإذن الله؛ ولذلك أقسم أنه سيحطم جميع أغلال الهوىٰ بأطْر النفس علىٰ طاعة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وسيحطم ويسد طرق الشيطان ومنافذه بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ وذكره.

وقوله:

٣١- «وَلأَكْسُوَنَّ عُيُوبَ نَفْسِي بِالتُّقَىٰ وَلأَقْبِضَنَّ عَنِ الْفُجُورِ عِنَانِي»

❁ يقسم أيضًا بأن يستر نفسه ويكبح جماحها بتقوىٰ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؛ لأن التقوىٰ تحجز المرء وتحجز النفس الأمارة بالسوء عن هواها، فإذا حجزتها عن هواها؛ تحكّمت فيها

(١) «زهر الأكم في الأمثال والحكم» (١/ ٩٨).

(٢) أخرجه الترمذي [٢٤١٤] من حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٦٠٩٧].

وقادتها إلىٰ الخير، وإذا أسْلَمْتَها قيادك وسلَّمتَها عنانك؛ قادتك إلىٰ الشرِّ فهو يقسم أن يتغلَّب علىٰ هوىٰ النفس بتقوىٰ الله عَزَّوَجَلَّ وطاعته، وحقيقة التقوىٰ امتثال الأوامر واجتناب النواهي ثم أكد ذلك بقوله: «وَلأَقْبِضَنَّ عَنِ الْفُجُورِ عِنَانِي» أن يمسك عن الفجور بأن يتحكم في نفسه، ويأطرها علىٰ الحق أطرًا ويجبرها علىٰ الحق جبرًا، ويعوِّدها عليه فإنها كالطفل، قال البوصيري:

والنفس كالطفل إن تهمله ... شبَّ علىٰ حبِّ الرضاع وإن تفطمه ينفطم[1]

وقال آخر:

عليك نفسك هذبها فمن ملكت ... قيادَهُ النفس عاش الدهر مذمومًا

فاجتهد يا عبد الله في أن تكبح جماح نفسك؛ كما وعد الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أن يكبح جماحها بأطرها علىٰ طاعة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.



(١) «ديوان البوصيري» (١/ ٢٣٨).

وقوله:

٣٢- «وَلأَمْنَعَنَّ النَّفْسَ عَنْ شَهَوَاتِهَا وَلأَجْعَلَنَّ الزُّهْدَ مِنْ أَعْوَانِي»

❁ كل هذا تأكيد لما تقدَّم بأن يحول بين نفسه وبين شهواتها؛ لأنَّ النّفس ميَّالة إلىٰ كل سوء، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ﴾ [يُوسُف: ٥٣]، ويقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**حُفَّتْ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتْ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ**»[١].

ومن شأن المؤمنين أنهم يمنعون النفوس من اتباع شهواتها بتعويدها علىٰ طاعة الله وبالاجتهاد في أن تُربَّىٰ وتسير دائمًا وأبدًا فيما يرضي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأن تُبعدها عن مساخط الله وعن شهواتها ونزواتها وأن تتحكم فيها ولا تجعلها تتحكم فيك، فإذا منعتها من شهواتها قدتها إلىٰ الخير، وإن حملتك علىٰ شهواتها قادتك إلىٰ الرَدَىٰ.

ثم يُبيّن ما يمكن أن يُستعان به علىٰ كبح جماح هذه النفس، وذلك بالزهد في الدنيا والزهد فيما عند الناس، والرغبة فيما عند الله جَلَّ وَعَلَا، والمقصود بالزهد هو القناعة بالحلال والبعد عن الحرام والمغريات، والاجتهاد بالتقرّب إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ والعمل بما يُرضيه، وليس المقصود أن تحرِّم علىٰ نفسك ما أحل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فإن هذا ليس من الزهد كما تقدم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝٨٧ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴾ [المَائِدَة: ٨٧ – ٨٨].



(١) أخرجه مسلم [٢٨٢٢] من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وقوله:

٣٣- «وَلأَتْلُوَنَّ حُرُوفَ وَحْيِكَ في الدُّجَىٰ وَلأُحْرِقَنَّ بِنُورِهِ شَيْطَانِي»

❁ كلّ هذه أجوبة قسم قطعها الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ نفسه، فقال هنا: «وَلأَتْلُوَنَّ حُرُوفَ وَحْيِكَ في الدُّجَىٰ».

والمقصود بذلك تلاوة القرآن الكريم في الدجىٰ، أي: في ظلمة الليل؛ فإنَّه عاهد الله عَزَّوَجَلَّ أن يتلوه حقَّ تلاوته، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [البَقَرَة: ١٢١]، ويقول تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فَاطِر: ٢٩-٣٠]، وقد أخبر النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ في كلِّ حرف يتلوه المسلم حسنة، والحسنة بعشر أمثالها؛ يقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لا أقول الم حرف، ولكن أقول ألف حرف ولام حرف وميم حرف**»(١)؛ فتلاوة القرآن مع التدبُّر والتأمُّل من أعظم القرب، وأفضل الأعمال الصّالحة التي يُتوسَلُ بها وتوصل إلىٰ مرضاة الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وبخاصة القيام به عندما ينام المحرومون الذين يعقد الشيطان علىٰ قوافيهم عقدًا ولا يحسُّون باللَّذة التي يجدها أولئك المؤمنون التالون لكتاب الله آناء الليل وأطراف النّهار.

هو حديث لا يملّ منه يا ليتنا لم نَنَلْهُ قطّ عنه

وقوله: «وَلأُحْرِقَنَّ بِنُورِهِ شَيْطَانِي»، البيت الذي يُتلىٰ فيه القرآن تهرب منه الشياطين المردة وتبتعد عنه؛ لأنّهم لا يرتاحون لذكر الله جَلَّ وَعَلَا، قال صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

---

(١) أخرجه الترمذي [٢٩١٠] من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وقال: «هذا حديث حسن صحيح، غريب من هذا الوجه». وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٦٤٦٩].

«لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة»[(١)]، فهو يُعاهد الله أن يُحرق مردة الشياطين بتلاوة القرآن الكريم والعمل به والإيمان به والوقوف عند حدوده، فتأمل هذا المعنىٰ العظيم يا عبد الله.

فإنّ القرآن خير حرز يُحترز ويحتمىٰ به من شياطين الإنس والجن وليس المراد أن تعلُّقه علىٰ جسمك أو في سيَّارتك أو تزخرف به بيتك علىٰ المداخل والحيطان، بل كل ذلك لعب بكتاب الله جَلَّوَعَلَا وعدم تعظيم لشعائر الله ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

وإنَّما المراد أن تتلوه وتعمل به وتتدبره وتجتهد في تطبيقه علىٰ الوجه الذي يرضي الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فبذلك تُحرق الشّياطين وتطمئن به النفوس وتنشرح به الصدور وتصلح به الأحوال ويقوىٰ به الإيمان ويزداد به اليقين بإذن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.



(١) تقدم تخريجه [٦٠].

تفصيل الكلام على أن القرآن من كلام الله عَزَّوَجَلَّ حقيقة وتقرير أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ متكلم، يتكلم بما شاء إذ شاء كيف شاء

٣٤- أَنْتَ الَّذِي يَا رَبِّ قُلْتَ حُرُوفَهُ ... وَوَصَفْتَهُ بِالْوَعْظِ وَالتِّبْيَانِ

٣٥- وَنَظَمْتَهُ بِبَلَاغَةٍ أَزَلِيَّةٍ ... تَكْيِيفُهَا يَخْفَىٰ عَلَىٰ الْأَذْهَانِ

٣٦- وَكَتَبْتَ فِي اللَّوْحِ الْحَفِيظِ حُرُوفَهُ ... مِنْ قَبْلِ خَلْقِ الْخَلْقِ فِي أَزْمَانِ

❁ هذا كلام عظيم وهو تأكيد لما تقدم بيانه من أن القرآن كلام الله جَلَّ وَعَلَا، لفظه ومعناه، وأنه تكلم به بحرف وصوت.

ويشير بقوله: «**أَنْتَ الَّذِي يَا رَبِّ قُلْتَ حُرُوفَهُ**» إلىٰ الردِّ علىٰ بعض الطوائف التي تنكر الحرف والصوت أن يكون الربُّ جَلَّ وَعَلَا؛ قد تكلم به، فمنهم من زعم أن القرآن مخلوق خلقه الله كما خلق الأشياء كلها، ومنهم من زعم أنَّ الله خلقه في الهواء ثمَّ سمعه جبريل من الهواء، ومنهم من يقول أنَّ جبريل عبَّر عن الله في القرآن؛ فقال: القرآن عبارة عن كلام الله أو حكاية لكلام الله؛ لأنَّ الله لا يتكلَّم كلامًا حقيقيًّا عند تلك الطوائف المنحرفة - تعالىٰ الله عما يقولون علوًّا كبيرًا -؛ ولذلك قال: «**أَنْتَ الَّذِي يَا رَبِّ قُلْتَ حُرُوفَهُ**» وكلمة «**قُلْتَ**»؛ أي: تكلمت به حقيقة لا مجازًا؛ فالقرآن بألفاظه ومعانيه قد تكلَّم به الرب جَلَّ وَعَلَا.

وقوله: «**وَوَصَفْتَهُ بِالْوَعْظِ وَالتِّبْيَانِ**»؛ يشير بهذا إلىٰ الآيات التي تدلُّ علىٰ أن القرآن فيه موعظة وبيان للناس؛ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يُونُس: ٥٧] يعني: بذلك القرآن الكريم، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النَّحل: ٨٩]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ

أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [إبراهيم: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢]؛ ففيه بيان للتوحيد وبيان للحلال والحرام، وبيان لأحكام الله جلَّ وعلا وبيان لحدود الله وتبيان لكل شيء وموعظة ورحمة للمؤمنين؛ فالقرآن موعظة لمن أراد الموعظة، ولمن أراد الخير، ولمن تدبَّر وتأمَّل فيه نبأ من قبلنا وخبر من بعدنا فيه الهدىٰ والنور؛ فيه الأحكام العادلة والحدود الرادعة والدعوة إلىٰ الأخلاق الفاضلة والآداب السامية، فيه حياة القلوب والأبدان؛ وقال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١] أنزله الله بالحق؛ ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء: ١٠٥].

من هنا وجب علينا تدبّره وتأمُّله والوقوف عند حدوده والعمل بمقتضاه والاجتهاد في فهمه علىٰ وفق فهم سلفنا الصالح الذين نقلوا لنا هذا القرآن غضًّا طريًّا لم يشب كما نزل علىٰ نبينا صلى الله عليه وسلم.

وقوله:

٣٥- وَنَظَمْتَهُ بِبَلَاغَةٍ أَزَلِيَّةٍ تَكْيِيفُهَا يَخْفَىٰ عَلَىٰ الْأَذْهَانِ

❁ القرآن أنزله الله بلسان عربي مبين، قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]، وجعل فيه من أسرار البيان والبلاغة ما لا يمكن أن يُحاط به، ولذلك فهو معجز بألفاظه ومعانيه وفصاحته وبيانه وبلاغته وأمثاله ونحو ذلك مما يحتويه، لا يمكن لأحد أن يكيِّف تلك البلاغة أو أن يُحيط بها أو أن يأتي بمثلها؛ لأنَّه كلام الله وكلام الله لا نكيِّفه، بل نؤمن به ونؤمن بأنَّه من عند الله ولكن كسائر الصفات نَكِلُ علم كيفيته إلىٰ الله سُبحانه وتعالى.

والمقصود بخفاء الكيفية خفاء إدراكها علىٰ الأذهان، فكيفية تكلّم الله به لا يحيط بها أحد ولا يدخل في هذا فهم المعاني، فالقرآن نزل بلسان عربي مبين، واضح الدلالات، بيّن المعاني، وليس مجردا عن المعاني كما تزعمه المعطلة إذ ليس فيه ألغاز ولا أحاجي، بل هو واضح لأولي الألباب أصحاب العقول النيّرة التي لم تفسدها أدران الفلسفة وأوضار المنطق، وشبهات أهل الكلام؛ فإنّها تفهمه وتتدبّره وتتأمّله لكن لا يمكن أن تحيط بجميع أسراره أو تكييف كيفيّة تكلّم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ به؛ إذ أنَّ مردّ علم ذلك إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فيجب أن نفهم أنَّ مراد الناظم هنا ليس هو أنَّ معاني القرآن تخفىٰ علىٰ الأذهان، وإنَّما مراده نفي علم التكييف الذي استأثر الله بعلمه من كيفية تكلم الله به إلىٰ أن وصل إلينا غضًّا طريًّا، أمّا معناه لمن تدبَّر وتأمَّل فهو واضح جليّ لا يحتاج إلىٰ كبير عناء؛ واضح كل الوضوح لمن سلمت فطرته وعقله من العجمة وزُبالات علم الكلام ومنطق الهند واليونان.

وقوله:

٣٦- وَكَتَبْتَ فِي اللَّوْحِ الْحَفِيظِ حُرُوفَهُ ... مِنْ قَبْلِ خَلْقِ الْخَلْقِ فِي أَزْمَانِ

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١ - ٢٢].

الله عَزَّوَجَلَّ الذي كتبه في اللوح المحفوظ، هو الذي تكلم به حقيقة، وليس بين تكلمه به وكتابته له في اللوح المحفوظ أي تعارض؛ فالله عَزَّوَجَلَّ يتكلم بما شاء، ويكتب ما أراد في اللوح المحفوظ، وليس المراد أن الله خلقه في اللوح المحفوظ ثم نزل من اللوح المحفوظ علىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما يقول بعض المبتدعة حتىٰ يتخذ ذلك دليلًا علىٰ أنَّ القرآن مخلوق.

وهذا فهم ساقط، وتصور فاسد، فلا تعارض في كون الله عَزَّوَجَلَّ تكلَّم به وسطَّره في اللوح المحفوظ كما أنّه تكلَّم به سُبْحَانَهُ، ونحن نسطره الآن في المصحف؛ فهل تسطيرنا لـه في المصحف يغير كونه كلام الله جَلَّوَعَلَا؟ فالكلام ينسب إلىٰ من قاله ابتداء لا إلىٰ من قرأه أو تلاه أو كتبه؛ فإذا سمعت قارئا يقرأ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفَاتِحَة: ٢] علمت أن هذا كلام الله، وليس كلام ذلكم القارئ، وإذا سمعت من يقرأ «ألا كل شيء ما خلا الله باطل» علمت بأن هذا كلام لبيد بن ربيعة، لا كلام من قرأه أو أنشده.

وليس المراد أن جبريل أخذه من اللوح المحفوظ لكن الله عَزَّوَجَلَّ كتبه وكتب جميع الأشياء قبل خلق السماوات والأرض وعلِمه تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ عَلِم أنّه سيتكلم به في وقت كذا وكذا؛ لأنَّ علم الله عَزَّوَجَلَّ أزليّ أبديّ لا يحدّ بابتداء ولا بانتهاء ولا يحيط أحدٌ بشيء من علمه؛ فالله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ تكلم به وكتبه في اللوح المحفوظ وأوحاه إلىٰ جبريل وجبريل بلغه إلىٰ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.



٣٧- فَـاللهُ ربِّـي لَمْ يَـزَلْ مُتَكلِّمًا ... حَـقًّـا إذَا مَـا شَـاءَ ذُو إحْـسَـانِ

٣٨- نَادَىٰ بِصَوْتٍ حِينَ كَلَّمَ عَبْدَهُ ... مُـوسَـىٰ فَـأَسْمَـعَـهُ بِـلَا كِـتْـمَـانِ

٣٩- وَكَـذَا يُنَـادِي فِي الْقِيَامَةِ رَبُّنَا ... جَـهْـرًا فَـيَـسْـمَـعُ صَـوْتَـهُ الثَّقَلَانِ

٤٠- أَنْ يَا عِبَادِي أَنْصِتُوا لِي وَاسْمَعُوا ... قَـوْلَ الإِلَــهِ الْـمَـالِـكِ الـدَّيَّـانِ

٤١- هَـذَا حَـدِيثُ نَبِيِّنَـا عَـنْ رَبِّـهِ ... صِـدْقًـا بِـلَا كَـذِبٍ وَلَا بُـهْـتَـانِ

٤٢- لَسْنَـا نُشَبِّهُ صَوْتَـهُ بِكَلَامِنَا ... إذْ لَـيْـسَ يُـدْرَكُ وَصْـفُـهُ بِعِيَانِ

٤٣- لَا تَحْصُرُ الْأَوْهَـامُ مَبْلَغَ ذَاتِهِ ... أَبَــدًا وَلَا يَحْـوِيـهِ قُـطْـرُ مَـكَـانِ

٤٤- وَهُوَ الْمُحِيطُ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمُهُ ... مِـنْ غَـيْرِ إغْـفَـالٍ وَلَا نِـسْـيَـانِ

٤٥- مَـنْ ذَا يُكَيِّفُ ذَاتَـهُ وَصِفَاتِهِ ... وَهُـوَ الْـقَـدِيـمُ مُـكَـوِّنُ الْأَكْـوَانِ

❁ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ متصف بصفة الكلام يتكلّم متىٰ شـاء إذا شـاء، كيف شـاء، وليس المـراد بالأزلية هنا ما يجري علىٰ ألسنة بعـض الخطباء تأثّرًا بعقيدة بعـض المبتدعة عندما يريدون أن يقرؤوا آية في الخطبة يقولون: «قال الله تَعَالَىٰ ولم يزل قائلًا عليمًا»؛ فكأنّه يردد هذا الكلام إلىٰ ما لا نهاية، ليس هذا هو المراد بالأزلية فالكلام صفة أزليّة أبديّة من حيث الأصـل والقـدرة علىٰ الكلام في كلِّ وقت، وصفة فعليّة حادثة من حيث وقوعه في وقت معيّن يشـاؤه الربّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولذلك يقول أهل العلم: إنّه قديم النوع حادث الآحاد أو الأفـراد؛ فمعنـىٰ قديـم النـوع؛ أي: أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ من صفاتـه الذّاتيّة الـكلام فهو بهذا الاعتبار صفة ذاتيّة أي إنّه قادر علىٰ الكلام في أيِّ وقت يريد، وحادث الأفراد أو الآحاد؛ بمعنـىٰ أنَّـه مثلًا كلَّم آدم في وقت معيَّن، وكلَّم موسـىٰ في وقت معـيَّن، وكلَّم نبيَّنا محمدا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في وقت معين، ويكلم من شـاء من خلقه في الوقت الذي يشاؤه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، تكلَّـم بالقرآن والتوراةوالإنجيل والزبور في أوقات أرادها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فهو بهذا الاعتبار صفة فعليّة اختياريَّة؛ أي: يتكلّم بها الله عَزَّوَجَلَّ متىٰ شاء إذا شاء كيف شاء، وباعتبار صفة

الكلام التي هي صفته القادر عليها بلا ابتداء وبلا انتهاء هي صفة ذاتيّة هذه هي عقيدة السلف في مسألة الكلام، وليس المراد بقوله: «لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا» أنَّه يردد الكلام؛ فكأنَّه يقول: يا موسىٰ يا موسىٰ يا موسىٰ إلىٰ مالا نهاية! هذا لم يقل به إلاَّ مبتدع أو مجنون، وفعلًا قد قالت به بعض الطّوائف المنحرفة الذين ابتلوا بنوع من الجنون.

تمنيتَ أن تُسمى فقيها مناظرا　　بغير عناء والجنون فنون

وقوله:

٣٨- «نَادَىٰ بِصَوْتٍ حِينَ كَلَّمَ عَبْدَهُ　　مُوسَىٰ فَأَسْمَعَهُ بِلَا كِتْمَانِ»

❁ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ [النازعات: ١٥ - ١٨] إلىٰ آخر الآيات، من الذي نادىٰ؟ إنه رب العالمين، ومن المُنادىٰ؟ إنه موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، سبحان الله، هذه الآية فيها تأكيد علىٰ حقيقة الكلام من عدة وجوه:

أولًا- عبَّر بالفعل «كَلَّمَ».

وثانيًا- أكّد بالمصدر المؤكد لفعله؛ بقوله: ﴿تَكْلِيمًا﴾.

وثالثًا- ذكر لفظ الجلالة بالرّفع ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]؛ فماذا بعد الحقِّ إلاَّ الضلال؟ فما موقف المؤولة من مثل هذه الآية؟ لو أرادوا أن يحرِّفوا أيَّ شيء لا يستطيعون تحريف هذه الآية بالذّات؛ اللّهمّ إلاّ بالتحريف اللّفظي وهذا ما وقع فيه عمرو بن عبيد المعتزلي عندما قال لأبي عمرو بن العلاء رَحِمَهُ ٱللَّهُ أحد القرّاء السبعة: أريد أن تقرأ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾، بنصب اسم الجلالة؛ ليكون موسىٰ هو المتكلم

لا الله! فقال أبو عمرو: هب أني قرأت هذه الآية كذا، فكيف تصنع بقوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣]؟! فبهت المعتزلي![1].

فما وجه بهته هنا؟ لأنّ قول الله تَعَالَىٰ: ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ هنا الفعل قد أخذ مفعوله وهو الضمير المتصل «الهاء» العائد علىٰ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ ثمَّ قال: ﴿رَبُّهُۥ﴾؛ هذا هو الفاعل قطعًا؛ ثمَّ أضافه إليه؛ أي: إلىٰ موسىٰ، فتحريف هذا لا يمكن بحال ولو بشيء من التكلُّف، وكل كلامهم متكلف.

قال الشيخ حافظ الحكمي رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولا تطع قول ذي زيغ يزخرفه ... من كل مبتدع في الدين متهم

حيران ضل عن الحق المبين فلا ... ينفك منحرفا معوج لم يقم[2]

فالناظم يُبيّن هنا أنَّ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ سمع نداء الربِّ وموسىٰ بالواد المقدّس طُوىٰ؛ سمعه سماعًا حقيقيًّا ليس فيه تأويل ولا تحريف؛ ﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ﴾ [النازعات: ١٦] إذ لا يحتمل التأويل بحال من الأحوال؛ لذلك فالأدلة واضحة في دمغ عقيدة هؤلاء المعتزلة ومن وافقهم كما سيأتي تفصيله إن شاء الله.

وفي ذلك ألف الإمام السجزي رَحِمَهُ اللَّهُ رسالة الحرف والصّوت في الردّ علىٰ من ينكر أن يكون الله عَزَّوَجَلَّ يتكلم بحرف وصوت، فقد نادىٰ عبده موسىٰ نداءً حقيقيًّا سمعه بلا كتمان، سمعه سماعًا ظاهرًا؛ فقال له: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ۝١٤ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ١٤ - ١٥]، سبحان الله! عندما ينادي عبده ويقول له: إنّي أنا الله؛ فما موقف المتكلّمين والمؤولة

---

(١) انظر: «تلبيس الجهمية» (٢/ ١٢).

(٢) «المنظومة الميمية» للشيخ حافظ الحكمي (١/ ٧).

من مثل هـذا؟! ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠]؛ هل يتصور عاقل أن الشّجرة قالت لموسىٰ إنّي أنا الله؟! - تعالىٰ الله عمّا يقولون علوًّا كبيرًا - فهم يقولون كلامًا غريبًا؛ قالوا: إنَّ الله خلق الكلام في الشجرة، فسمعه موسىٰ من الشجرة، وهذا دجل وتحريف؛ فلا أدري أين ذهبت عقول بعض الناس الذين وقعوا في هذا التأويل وهم من الذكاء بمكان، فكيف انطلت عليهم هذه الشبهة؟! ولكن كما قال شيخ الإسلام: إنهم أوتوا ذكاء ولم يعطوا زكاء؛ سبحان الله! قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء**»[1]، نسأل الله الثبات.

وقوله:

٣٩- «وَكَذَا يُنَادِي فِي الْقِيَامَةِ رَبُّنَا ... جَهْرًا فَيَسْمَعُ صَوْتَهُ الثَّقَلَانِ

٤٠- أَنْ يَا عِبَادِي أَنْصِتُوا لِي وَاسْمَعُوا ... قَوْلَ الإِلَهِ الْمَالِكِ الدَّيَّانِ

٤١- هَذَا حَدِيثُ نَبِيِّنَا عَنْ رَبِّهِ ... صِدْقًا بِلَا كَذِبٍ وَلَا بُهْتَانِ»

❁ المقصود أنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ينادي الخلائق يوم القيامة بعد أن يبعثهم ويحشرهم فيناديهم بصوت يسمعه من بعُد كما يسمعه من قرب، ينادي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الخلائق ويفصل بينهم؛ فيناديهم؛ أي: يكلّمهم كلامًا مباشرًا ليس بينهم وبينه ترجمان، فيسمعونه ويفهمونه؛ وهذا دليلٌ علىٰ إثبات كلام الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وأنه يتكلم متىٰ شاء إذا شاء كيف شاء، وسوف يأتي مزيد من الأدلة علىٰ ذلك - إن شاء الله تَعَالَىٰ -.

(١) أخرجه مسلم [٢٦٥٤] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يقول لهم: «**أنا الملك أنا الديَّان**»(١)، فيسمعونه جميعًا عندما ينادي بهذا النداء العظيم، ولا يُفهم منه إلاَّ النّداءُ الحقيقي، إذ لا يمكن أن ينوب عنه أحد سُبْحَانَهُ ولا يمكن أن يتكلم عنه أحد سُبْحَانَهُ، ولا يمكن أن يكون هذا الكلام مجازًا بحال من الأحوال، ومن زعم ذلك فقد أعظم علىٰ الله الفرية ويكذِّبُ ظاهر القرآن والسنَّة حيث ثبت الدليل علىٰ الكلام والنداء والسَّماع في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنَّة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ينادي المؤمنين نداءً لطيفًا رحيمًا رؤوفًا يدل علىٰ الرَّحمة والمحبة ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨]، وينادي الكفَّار والمشركين نداء تبكيت وتوبيخ وتقريع ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القصص: ٦٢]، وينادي الجميع ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥]، وبقوله سُبْحَانَهُ: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ فلم يجب أحد فيقول سُبْحَانَهُ: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، وينادي: «**أنا الملك، أنا الديان**»، أبعد هذا البيان نحتاج إلىٰ أن نسمع تأويلات المعتزلة والأشاعرة والماتُريدية في تأويل صفة الكلام والنّداء؟! فالحق أبلج واضح لكلِّ ذي بصيرة، والباطل لجلج واضح الفساد.

فنداء الله تَعَالَىٰ: «**أنا الملك أنا الديَّان**» نصٌّ واضح لا يقبل التأويل بحال من الأحوال، فإذا جاء نهر الله بَطُلَ نهر معقل، إذ أنَّ التأويل تحريف للكَلِم عن مواضعه، وتغيير لمدلول كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وما دلت عليه السنَّة النبويَّة المطهرة في الصحاح والسنن والمسانيد؛ لذلك يجب علىٰ المسلم الإيمان بذلك والإذعان له والتسليم أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يتكلم متىٰ شاء إذا شاء كيف شاء بصوت وحرف مسموعين ولا يلزم من ذلك مشابهة

(١) أخرجه أحمد [١٦٠٨٥]، والحاكم [٣٦٣٨]، والضياء [١٠] من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وصححه الذهبي. وصححه الألباني في «ظلال الجنة» [٥١٤].

المخلوقين؛ كما يأتي توضيح ذلك عند ذكر بعض شبه المتكلمين والردِّ عليها - إن شاء الله- وكما قال الناظم:

٤٢- «لَسْنَا نُشَبِّهُ صَوْتَهُ بِكَلَامِنَا إِذْ لَيْسَ يُدْرَكُ وَصْفُهُ بِعِيَانِ»

❁ فمع إيماننا بأن الله يتكلم بصوت وحرف مسموعين، وأنه كلم جبريل وملائكته وكلَّم موسىٰ وآدم ونبينا محمدًا ﷺ، ويتكلم يوم القيامة وتكلم بالقرآن وبالإنجيل وبالزبور وبالتوراة، مع إيماننا بذلك كله، وأنّ الله عَزَّوَجَلَّ يتكلم متىٰ شاء إذا شاء كيف شاء، فإنه يجب أن نعتقد أنّ كلام الله تَعَالَىٰ يليق بجلاله وعظمته ليس ككلامنا، فكلامنا محدود، وكلامه بخلاف ذلك سُبْحَانَهُ، كلامنا يعتريه الخرس والنقص والمرض والنفاد، له ابتداء وله انتهاء، وكلام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بخلاف ذلك؛ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

كلامنا بجهد وتعب، والله عَزَّوَجَلَّ لا يناله شيء من ذلك؛ ولذلك، فكما أن الله عَزَّوَجَلَّ لا يشبه أحدا من خلقه فكذلك صفاته ومنها صفة الكلام لا تشبه صفات المخلوقين، يجب أن نؤمن بذلك حق الإيمان.

فالله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، **والمقصود** أن صفات الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الثابتة عنه حقيقية، لكن لا ندرك كُنْهَهَا ولا كيفيتها؛ بل نَكِلُ علم ذلك إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ مع إيماننا بأنه يتكلم متىٰ شاء إذا شاء كيف شاء؛ وفرق بين الإيمان بالصفة علىٰ الوجه اللائق بالله تَعَالَىٰ وبين إدراك الكيفية، فادعاء الإدراك باطل، والإيمان بالصفة واجب ولازم؛ وهذا هو معنىٰ قول السلف: «أمرّوها كما جاءت بلا كيف».

فالناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ نفى كلا من التشبيه والتكييف؛ فنفى أن يشبه كلام الرب كلام المخلوقين أو أن يشبه كلام المخلوقين كلام الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ونفى الإدراك والكيفية، فمع إيماننا بأنه يتكلم؛ فإننا نكل العلم بالكيفية إليه سُبْحَانَهُ، فلو قال متحذلق: كيف يتكلم؟ قلنا له: كيف هو؟ فإن قال: لا يعلم كيف هو إلا هو؛ قلنا له: ولا يعلم كيف يتكلم إلا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

إذ لا يمكن لأحد أن يستطيع معرفة كيفية ذاته، فإذا جهل كيفية ذاته فمن باب أولىٰ أن يجهل كيفية صفاته، وإذا آمنا بأن له ذاتًا لا تشبه الذوات؛ فلنؤمن بأن له صفاتٍ لا تشبه الصفات، علمًا بأن لفظة الذات إنما يُتوسع فيها علىٰ سبيل الإخبار لا علىٰ سبيل الوصف؛ لأن الذات لم ترد ثابتة في حق الله إلا مضافة، وذلك في حديثين لا ثالث لهما؛ الأول في قصة خُبيب بن عدي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الثابتة في الصحيح، وفيها أنه قال:

ولست أبالي حين أقتل مسلما ... علىٰ أي شق كان في الله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك علىٰ أوصال شلو ممزع(١)؛

فقوله: «في ذات الإله»؛ أي: في سبيل الله ومن أجل الله.

والثاني- في قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قصة إبراهيم الخليل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: **«ما كذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات كُلُّهنَّ في ذات الله»**(٢)؛ والمقصود بالكذبات هنا المعاريض عند الضرورة أو الحاجة.

ومعنىٰ «في ذات الله»؛ أي: من أجل الله، **إحداها** - كما هو معلوم - قوله عن سارة: إنها أختي؛ ليتخلص من النمرود الطاغية، وهي أخته في الإسلام، **والثانية-** قوله:

(١) أخرجه البخاري [٣٠٤٥] من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري [٣٣٥٨]، ومسلم [٢٣٧١] من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

بـل فعلـه كبيرهم هذا، وهو يقصد التهكم بهم، لا يقصد أن ينكر ما فعل بها ويسـنده إلىٰ كبيرهـم؛ وإنـما أراد أن يكبتهم وأن يُبـيِّنَ فضيحتهم، هم يعلمـون أن كبيرهم لن يفعل؛ فلذلـك قال لهم تهكمًا: بل فعله كبيرهم ليوقظ عقولهـم من الغفلة والتقليد؛ لأنه إذا كان الصنـم لا يتحـرك بإرادة فأحرىٰ به أن لا يضر ولا ينفع، **والثالثة قوله**: إني سـقيم؛ أي: مريـض، وهـو مريض مما يفعلـون من الشرك، هذا مـراده عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، **وهذه الثلاث** تدخـل في المعاريض، والمعاريض تباح عند الحاجة والضرورة؛ كما ورد في الأثر عن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**إن في المعاريـض مـا يغني الرجل عن الكذب**»[1]؛ فالمقصـود هنا أنه لا يدرك أحدٌ كيفية ذاته.



(١) أخرجـه ابن أبي شـيبة [٢٦٠٩٥]، والبيهقي [٢١٣٦٢]. وقـال [٢١٣٦٣]: الموقوف هو الصحيح. وصحح الألباني الموقوف في «صحيح الأدب المفرد» [٣٣٩].

بيان أن الله عَزَّوَجَلَّ له ذات علية لا يحيط بها أحد ولا يدرك كنهها كذلك له الصفات العلى التي لا تدرك كيفيته

٤٣- لَا تَحْصُرُ الْأَوْهَامُ مَبْلَغَ ذَاتِهِ ... أَبَدًا وَلَا يَحْوِيهِ قُطْرُ مَكَانِ

وقوله: «لَا تَحْصُرُ الأَوْهَامُ مَبْلَغَ ذَاتِهِ»؛ أي: لا يمكن أن يحيط أحد بذاته أو أن يدعي أنه يدرك كيفية ذاته، ومن ثم فهو لا يدرك كيفية صفاته.

وقوله: «وَلَا يَحْوِيهِ قُطْرُ مَكَانِ»، هذا الشطر فيه شيء من الإجمال الذي يحتاج إلىٰ توضيح وبيان، فإنه لا يحويه قطر مكان، ولا يحيط به ولا يدركه أحد من خلقه، لا تحويه السماوات ولا الأرض ولا العرش، ولا يحتاج إلىٰ عرشه مع أنه مستوٍ عليه؛ فهو سُبْحَانَهُ غني عن العرش وعن ما دون العرش، وهو الذي يمسك العرش ويمسك السماوات ويمسك الأرض كما قال الله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَا﴾ [فَاطِر: ٤١]؛ فالله عَزَّوَجَلَّ لا يحيط به شيء من خلقه، وكل الكون خلقه، فلا يجوز أن يُفهم من كلام الناظم في قوله: «ولا يحويه قطر مكان» نفي العلو؛ لأن هناك عبارات قد تصدر عن بعض السلف فيها إجمال قد يكون لبعض أهل الكلام فيه مدخل كما وُجِدَ مثل ذلك عند الإمام الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله: «ولا تحده الجهات»، نعم هي لا تحده بمفهوم أهل السنة والجماعة؛ أي: لا تحيط به ولكن لا يعني هذا أن ننفي الجهة وهي العلو، لكن أهل الكلام يرددون هذه الألفاظ، ويعنون بها إنكار صفة العلو، وأما لو صدرت من مثل هذا السَلَفِيّ السُّنيّ الإمام القحطانيّ؛ فإنها لا تُحمل علىٰ مفهوم أهل الكلام وإنما تحمل علىٰ مفهوم أهل السنة والجماعة، وهو أنها مع اعتقادنا أن الله في العلو، وأنه مستوٍ علىٰ عرشه، عالٍ علىٰ جميع خلقه، بائن منهم؛ فإنه لا يحويه ولا يحيط به ولا يحوزه ولا يحده مكان.

الكلام على إحاطة علم الله عَزَّوَجَلَّ

وقوله:

٤٤- «وَهُوَ الْمُحِيطُ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمُهُ مِنْ غَيْرِ إِغْفَالٍ وَلَا نِسْيَانِ»

هذا يوضح ما تقدم من أن الله تَعَالَىٰ محيط بكل شيء علمًا؛ ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ [البروج: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء: ١٠٨]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ [الكهف: ٩١].

فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا يغفل ولا ينسىٰ، ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢]، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٢٣]، ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٤]، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤]؛ فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ محيط بكل شيء، لا يغيب عن علمه، مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض.

فعلم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا يحيط به أحد ولا ينفد ولا ينتهي؛ بل هو عالم بما كان وما يكون وما لم يكن أن لو كان كيف يكون، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وما تحت الثرىٰ، يعلم دبيب النمل في الليلة المظلمة علىٰ صفاة سوداء، يعلم السر وأخفىٰ؛ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦].

ولا تأخذه سنة ولا نوم، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ

إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ: ٣]؛ ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

والآيات كثيرة في بيان إحاطة علم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لكل شيء، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦].

وقوله:

٤٥- مَنْ ذَا يُكَيِّفُ ذَاتَهُ وَصِفَاتِهِ ... وَهُوَ الْقَدِيمُ مُكَوِّنُ الأَكْوَانِ

من الذي يستطيع أن يكيفه وقد استأثر الله بعلم الكيفية، كيفية ذاته وكيفية صفاته؛ فمن ادعىٰ علم الكيفية، كمن قال إن ذاته مثل كذا وكذا؛ كما تقوله المشبهة من الكرَّامية وغيرهم؛ وكما تقوله المشبهة من الرافضة وغيرهم؛ يقولون: له يد شكلها كذا وكذا، وله جسم شكله كذا وكذا؛ فهذا كله كفر ومروق من الدين، وادعاء لعلم قد استأثر الله به.

وقوله: «وَهُوَ الْقَدِيمُ مُكَوِّنُ الأَكْوَانِ»؛ هذا اللفظ يحتاج إلىٰ توضيح؛ فكلمة القديم والذات والوجود وواجب الوجود ونحوها لم تكن معروفة عند السلف في الصدر الأول؛ لأن المسلمين في ذلك الوقت كانوا علىٰ فطرهم يؤمنون بالله وبأسمائه وصفاته دون تكلُّف ودون تحريف أو تعطيل كما قال المقريزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الخطط «لما بعث الله محمدًا صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ الناس، وصف لهم ربهم بما وصف به نفسه، فلم يسأله أحد من العرب بأسرهم، قرويهم وبدويهم، عن معنىٰ شيء من ذلك، كما كانوا يسألونه عن أمر الصلاة، وشرائع الإسلام، إذ لو سأله أحد منهم عن شيء من الصفات لنقل، كما نقلت أحاديث الأحكام وغيرها.

ومن أمعن النظر في دواوين الحديث والآثار عن السلف، علم أنه لم يرد قط لا من طريق صحيح ولا سقيم عن أحد من الصحابة علىٰ اختلاف طبقاتهم، وكثرة عددهم، أنه سأل النبي ﷺ عن معنىٰ شيء، مما وصف الرب سُبْحَانَهُ به نفسه في القرآن وعلىٰ لسان نبيه، بل كلهم فهموا معنىٰ ذلك وسكتوا سكوت فاهم مقتنع، ولم يفرقوا بين صفة وأخرىٰ، ولم يتعرض أحد منهم إلىٰ تأويل شيء منها، بل أجروا الصفات كما وردت بأجمعهم، ولم يكن عند أحد منهم ما يستدل به سوىٰ كتاب الله وسنة رسوله.

ومضىٰ عصرهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ علىٰ هذا، وحدث القول بنفي القدر في عهد آخرهم.

وكان أول من فاه بذلك معبد الجهني، أخذه عن رجل من الأساورة، يقال له: أبو يونس سيسويه، ويعرف بالأسواري، وتبرأ من هذه المقالة الصحابة. ثم خرجت الخوارج، وكفروا بالذنوب، فقاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

وحدث التشيع لعلي، وغلا فيه طائفة بدعوة ابن سبأ اليهودي، فحرقهم بالنار، كما أحدث ابن سبأ القول بالوصية لعلي بالإمامة من بعد الرسول ﷺ والقول بالرجعة، أي رجعة علي بعد موته، وأن فيه جزءًا من الإلهية.

ومن دعوة هذا اليهودي تشعبت الغلاة من الرافضة، كالإمامية الإثني عشرية، والإسماعيلية، والقرامطة، والنصيرية، وغيرهم، وهو الذي أثار الفتنة علىٰ أمير المؤمنين عثمان حتىٰ قتل، ولم يزل مذهب الرفض يستفحل حتىٰ ملأ الدنيا فسادًا.

ثم حدث مذهب الجهمية، وتعطيل الرب تَعَالَىٰ عن صفاته، والقول بخلق القرآن، وغير ذلك من العظائم، وعربت كتب الفلاسفة في عهد المأمون، فعظمت الفتنة والضلال.

ثـم ظهر الأشـعري، وكان أخذ عـن الجبائي الاعتـزال، ولازمه دهـرًا طويلًا، ثم سلك طريق ابن كلاب في الصفات، والقدر، وغير ذلك.

وسـلك طريقـه جماعـة من العلماء، مثل الباقـلاني، وابن فـورك، والاسـفراييني، والشـيرازي، والغـزالي، والشهرسـتاني، والـرازي وغيرهـم، مـلأوا الدنيـا بتصانيفهم، يحتجـون ويدّعون أن طريقتهم هي طريقة أهل السـنة والجماعـة(١)، فانتشر هذا المذهب في البـلاد الإسـلامية، وجاءت دولـة بني أيوب، وكانـوا علىٰ هذا المذهب، ثـم مواليهم الأتراك، وأخذه ابن تومرت إلىٰ المغرب، ونشره هناك، فصار هذا المذهب هو المعروف في الأمصار، بحيث نُسي ما عداه من المذاهب، أو جهل، حتىٰ لم يبق اليوم مذهب يخالفه، إلا أن يكون مذهب الحنابلة.

حتىٰ جاء تقي الدين - أبو العباس ابن تيمية -، فتصدىٰ للانتصار لمذهب السلف، ورد عـلىٰ الأشـاعرة، والرافضة، والصوفية، فافترق الناس فيه فريقـان: فريق يقتدي به، ويعول علىٰ أقواله، ويرىٰ أنه شيخ الإسلام حقًا، ومن أجل حفاظ أهل الملة الإسلامية.

(١) قـال الطرطـوشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «شـحن أبو حامـد «الإحيـاء» بالكـذب عـلىٰ رسـول الله ﷺ، فلا أعلم كتابًا علىٰ بسيط الأرض أكثر كذبًا منه». وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يتكلم علىٰ تفسير الزمخشري: «ومـن هؤلاء من يكون حسـن العبـارة فصيحًا، ويـدس البدعة في كلامـه وأكثر الناس لايعلمون كصاحب الكشاف ونحوه». وقد نظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المحصل للرازي فقال:

ومحصل في أصول الدين حاصله ... من بعد تحصيله علم بلا دين
أصل الضلال والإفك المبين فما ... فيه فأكثره وحي الشياطين

وقد قال ابن القيم في نونيته:

فاحمد إلهك أيها السني إذ ... عافاك من تحريف ذي بهتان
هذا هو الالحاد حقا بل هو التّحـ ... ـريف محضا أبرد الهذيان
أمثال ذا التأويل أفسد هذه الـ ... أديان حين سَرىٰ إلىٰ الأديان
والله لولا الله حافظ دينه ... لتهدّمت منه قُوىٰ الأركان

وآخر يبدعه، ويضلله، ويزري عليه إثبات الصفات وغيرها[(١)]؛ فلما جاء أهل الكلام كالجهمية والمعتزلة، جعلوا القديم أخص أسماء الله جَلَّ وَعَلَا والسلف ربما عبروا بذلك مجاراة لهم من أجل إلزامهم بالحجة من خلال ما يؤمنون به، وليس المراد أنهم يعتبرون القديم من أسماء الله، مع أن القديم عليه اعتراض حتىٰ من جهة اللغة؛ لأن القديم هو الذي تقدم غيره وإن كان حادثًا، ومنه قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩].

وإن كان قد يقول قائل: إنه قد ورد لفظ القديم في وصف سلطان الله جَلَّ وَعَلَا في الحديث الذي يُحسِّنُه بعض أهل العلم: «**أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم**»[(٢)]، وأفضل من ذلك وأسلم أن نعبر بدلًا من كلمة القديم بالأول؛ لأن هذا هو الثابت في القرآن والسنة، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]، وجاء تفسير ذلك في حديث مسلم: «**أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء**»[(٣)]؛ فلا يستغرب تعبير السلف أحيانًا بالقديم في معرض المحاجَّة، وإلا فليس القديم من أسماء الله كما تقدم. وهم إنما يردون بهذا علىٰ الفلاسفة والمتكلمين؛ فقد يذكرون القديم وواجب الوجود والذات والممكن، ونحوها من الألفاظ المنطقية في معرض المحاجة والمجادلة؛ فإذا أرادوا تقرير منهج السلف في أسماء الله وصفاته فإنهم لا يعدون لفظة القديم من أسماء الله تَعَالَىٰ.

(١) انظر: «الخطط»، ص: (٣٠٩ - ٣١٤) ملخصًا.

(٢) أخرجه أبو داود [٤٦٦] من حديث عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٤٧١٥].

(٣) أخرجه مسلم [٢٧١٣] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقولـه: «**مكون الأكـوان**»؛ أي: خالق المخلوقـات، قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]؛ أي: خالـق جميـع المخلوقـات، وقـال سُبْحَانَهُ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [غافر: ٦٢]، وقال: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢].



الله عَزَّوَجَلَّ مالك الملك، مستو على عرشه، بائن من خلقه

٤٦- سُبْحَانَهُ مَلِكًا عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ وَحَوَىٰ جَمِيعَ الْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ

«**سُبْحَانَهُ مَلِكًا عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ**»:

❁ «**سُبْحَانَهُ**»؛ أي: ينزه ربه عما لا يليق به، وكلمة «سبحان» **تعني**: التنزيه، ولا يجوز أن تُقَال لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأنها تفيد التنزيه المطلق عن جميع النقائص والعيوب التي تعتري البشر وسائر المخلوقات.

فالمقصود أن التسبيح خاص بالله رب العالمين؛ ومن أضافه إلي غير الله فقد كفر؛ كما سيأتي في المثال الذي بيَّنه الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ من قوله: «فليَقلُ سبحاني» بعد قليل، وهذا أمر وقع فيه بعض المتصوفة؛ سيأتي له مزيد بيان إن شاء الله.

الملك: اسم من أسماء الله جَلَّ وَعَلَا قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ﴾ [الحشر: ٢٣].

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، وفي قراءة سبعية ﴿مَلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، وقال تعالى: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٢]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١].

والآيات في هذا الباب كثيرة، وقد يُسمىٰ المخلوق ملكًا، ولكن ليس الملك كالملك، فالملك الديَّان ملْكُهُ مطلق، بلا ابتداء ولا انتهاء، والملك من المخلوقين له بداية ونهاية وملكه محدود ومحصور وقليل ولا يعد شيئًا بالنسبة لملك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هو «الملك الديَّان» كما يقول عن نفسه يوم القيامة - كما تقدم -.

وقوله: «عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ»؛ **العرش**: أعظم المخلوقات علىٰ الإطلاق؛ وهو أكبرها، وليس العرش المُلك كما تقول بعض الطوائف المنحرفة، وليس هو الكرسي كما تقوله طوائف أخرىٰ كذلك، بل العرش سقف جميع المخلوقات، وهو سرير المُلك، ومع عِظَمِه وكِبَرِه فإنه مخلوق من المخلوقات، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم يزدد بخلق العرش شيئًا، ولم ينقص لو أراد إفناءه بذلك شيئًا؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ غني عن العرش وعما دون العرش.

ومما يدل على أن العرش أعظم المخلوقات قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩].

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الزخرف: ٨٢].

فالعرش عظيم بالنسبة لسائر المخلوقات، وما المخلوقات جميعًا بما فيها من سماوات وأرضين في العرش إلا كحلقة ملقاة في أرض فلاة[1]؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾ [البروج: ١٥]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ [غافر: ١٥].

وقال تَعَالَىٰ في وصف جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ٢٠]؛ أي: عند صاحب العرش وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الرعد: ٢]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [يونس: ٣].

فهذه أدلة واضحة دالة علىٰ أن العرش مخلوق وأنه أعظم المخلوقات، وأنه ليس الكرسي وليس السماوات وليس المُلك، ومما يدل علىٰ أن العرش مخلوق قبل القلم؛

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «العرش» [٥٨]، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٦٦)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٦٤٨ - ٦٤٩)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» [٨٦١] وللحديث طرق أخرىٰ ذكرها الألباني في «الصحيحة» [١٠٩] وقال: «وجملة القول أن الحديث بهذه الطرق صحيح».

قـول النبـي ﷺ: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه علىٰ الماء**»(١)؛ أي: قبل ذلك، ولذلك تنازع الناس أيهما خُلِقَ أولًا: العرش أم القلم؟ فهنـاك من يرىٰ أنَّ القلـم خلق قبل العـرش؛ بدليل قول النبي ﷺ: «**أَوَّلَ مَـا خَلَـقَ الله الْقَلَمَ فَقَالَ لَـهُ: اكْتُبْ، قَالَ: رَبِّ وَمَـاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ**»، وفي رواية: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ الله الْقَلَمَ؛ فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ**»(٢)، وفي راوية: «**لما خَلَقَ الله الْقَلَمَ؛ فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ**»(٣).

والصـواب: أن العرش مخلوق قبل القلم؛ لقول الله تَعَالَىٰ: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [يونس: ٣]، وهو قول المحققين من أهل العلم.

وأمـا حديـث «أول ما خلـق الله القلم» فتوجيهـه واضح بحمـد الله، وهو أن أول ظرف متعلق بقال؛ أي: قال له اكتب عندما خلقه؛ والمقصود حينما خلق الله القلم قال له: اكتـب، وتؤيـده رواية: «**لما خَلَقَ الله الْقَلَمَ؛ فَقَالَ لَـهُ: اكْتُبْ**»؛ فليس في هذا دليل علىٰ الأولية وإنما دليل علىٰ الظرفية العندية؛ أي: عندما خلق الله القلم وحينما خلق الله القلم؛ قال له: اكتب؛ قال: وماذا اكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء إلي قيام الساعة.

﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [يونس: ٣].

ونظائـر هذا كثيرة كما لو قلت لك: أول مـا تصل إلىٰ المكان الفلاني ابدأ بكذا، أول ما تقدُمُ إلى المدينة النبوية ابدأ بالصلاة في المسـجد النبوي؛ فأول هنا ظرف والمقصود أنها

(١) أخرجه مسلم [٢٦٥٢] من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجـه أبـو داود [٤٧٠٠]، والترمـذي [٣٣١٩] مـن حديـث عبادة بـن الصامـت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: حديث حسن غريب. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٢٠١٧].

(٣) أخرجـه الطـبراني [١٢٥٠٠] مـن حديـث ابن عبـاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وقـال الهيثمـي (٧/ ١٩٠): رجاله ثقات.

معمـول لفعـل «قال»، أول ما خلق الله القلم قال لـه اكتب؛ أي: قال له اكتب لما خلقه أو عندما خلقه أو حينما خلقه؛ فبهذا يزول الإشكال ويتضح من هذا أن العرش مخلوق قبل القلم وأنه أعظم المخلوقات.

وقوله: «عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ»: هذا جزء آية ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] جاء ذلك في سبعة مواضع من القرآن الكريم.

في سـورة الأعراف، ويونس، والرعد، وطه، والفرقان، والسجدة، والحديد؛ فهذه سبعة مواضع من القـرآن الكريم نصت علىٰ صفة الاستواء، وهومُعدىٰ بحرف «علىٰ» الذي لا يفهم منه غير العلو والارتفاع والفوقية.

فـالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ذكر فعل «استوىٰ» ثم عـداه بحرف «علىٰ» الـذي لا يفهم منه غير العلو.

ثـم بَـيَّن أن الاستواء علىٰ العـرش، ومعلوم لـدىٰ جميع العقلاء - فضـلًا عن جميع المسلمين - أن العرش هو أعلىٰ المخلوقات حتىٰ إنّ بعض الكفار ليشهدون بهذا.

قال أمية بن أبي الصلت، وهو نصراني جاهلي:

مجـدوا الله فهو للمجد أهل ... ربنا في السماء أمسىٰ كبيرا

بالبناء العالي الذي بهر النا ... س وسوىٰ فوق السماء سريرا

شرجعا لا يناله بصر العـ ... ـين ترىٰ حوله الملائك صورا[1]

إذًا الآيات نصٌ في استواء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ عرشه استواءً.

يليق بجلاله وعظمته.

(١) «شرح الفتوىٰ الحموية» (١/ ٤١٩).

وقد فسر العلماء «استوىٰ» بأربع كلمات كلها متقاربة؛ علا وارتفع وصعد واستقر.

وإن كان هناك من ينازع في لفظة استقر، ولكن لا ينبغي أن ينازع فيها؛ لأنها في معنىٰ علا وارتفع وصعد، وليس المقصود الاستقرار الذي يلزم منه حاجة المستقر إلى ما استقر عليه؛ كما يفهمه أهل الكلام الذين أولوا هذه الصفة بسبب هذا التصور الفاسد وهذا المفهوم الكاسد.

وصفة الاستواء من أعظم أدلة علو الله علىٰ خلقه؛ لأن الجميع يعترف بأن العرش أعظم وأعلىٰ المخلوقات، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قد استوىٰ علىٰ عرشه؛ فهذا دليل علىٰ الفوقية والعلو المطلق ذاتًا وقدرًا وقهرًا، وهذا سيأتي له مزيد بيان عند الكلام علىٰ صفة العلو مفصلةً إن شاء الله تَعَالَىٰ.

والعجيب في الأمر أن العلو وإن كان أكثر الصفات أدلةً حيث إن أدلته قد تزيد علىٰ الألف، ومع هذا فإنه أكثر ما حصل فيه النزاع بين الطوائف! وهذا راجع إلىٰ اعتمادهم علىٰ غير المصادر الشرعية، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]

وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].

فعلينا أن نفهم الاستواء على النحو الآتي:

أولًا- نثبت حقيقة الاستواء وأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ متصفٌ بهذه الصفة حقيقةً لا مجازًا؛ لأنه هو الذي وصف بها نفسه، وليس هناك أعلم بالله من الله، وليس هناك أعلم بالله بعد الله

من رسول الله ﷺ؛ فهو الذي وصف نفسه بقوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، والطوائف المنحرفة تقول: استولىٰ أو قهر أو غلب.

فلو تأمل هؤلاء ما يلزم تفسيرهم هذا من معانٍ فاسدة؛ لوجدوا أنهم يكذِّبون القرآن من حيث يشعرون أو لا يشعرون.

ثانيًا- أنه استواء يليق بجلاله وعظمته.

ثالثًا- تنزيهه في هذا الاستواء عن مشابهة استواء المخلوقين علىٰ عروشهم أو علىٰ كراسيهم؛ يعني إثبات ذلك علىٰ وجه لا يشبه صفات المخلوقين.

الرابع- أن لا نحرف ولا نؤول هذا الاستواء؛ فلا نقول: استوىٰ بمعنىٰ استولىٰ كما تقول المعطلة والمؤولة.

الخامس- ألا نعطل فلا ننفي حقيقة الاستواء ولا نتوقف فيه كما تفعل الجهمية والمعتزلة.

السادس- ألا نكيف؛ فلا نقول: استوىٰ علىٰ شكل كذا وكذا؛ لأن ذلك كله قد استأثر الله بعلمه، ومن رام علمه فقد ادعىٰ ما لا يمكن الوصول إليه، بل نثبته علىٰ الوجه اللائق بجلال الله تَعَالَىٰ.

ومن هنا قال السلف في هذا الباب: «أَمِرُوها كما جاءت بلا كيف»[1].

فهذه النقاط الست هي المفهومة من نصوص الشريعة؛ كما فهمها السلف جميعًا رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ ومنهم الإمام مالك عندما سأله أحد المبتدعة قائلًا: يا أبا عبد الله يقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾؛ فكيف استوىٰ؟ فأطرق الإمام قليلًا حتىٰ علته

---

(١) انظر: «شرح أصول الاعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائي (٨٧٥ - ٩٣٠)، و«الصفات» للدارقطني، ص: [٧٠].

الرُّحَضَاء؛ يعني حتىٰ تفصد من وجهه العرق لشدة غضبه لله عَزَّوَجَلَّ؛ فلما سُرِيَّ عنه قال: «الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعا وأخرجه من مجلسه»(١).

وقد رُوِيَ أيضًا موقوفًا علىٰ أم سلمة، ورُوِيَ مرفوعًا ولكن بسند لا يصح، وأثبت ما فيه أنه مرويٌّ عن الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو حق يتفق مع مدلول النصوص الشرعية. وقد روي برواية أخرىٰ بنفس المعنىٰ: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة».

وقد أفرد فضيلة الشيخ الدكتور عبدالرزاق البدر هذا الموضوع ببحث خاص.

وهذا القول العظيم من الإمام مالك في الاستواء ينسحب علىٰ سائر صفات الله تَعَالَىٰ؛ فنقول مثلا في قول الله تَعَالَىٰ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفَجر: ٢٢]: المجيء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عن الكيفية بدعة، وعلىٰ هذا فقس.

والذين قالوا: إن معنىٰ استوىٰ استولىٰ، أو قهر أو غلب كما ورثته الأشعرية والماتُرِديَّة عن الجهمية والمعتزلة ومن سلك سبيلهم من السالميَّة(٢) والواقفة(٣)

---

(١) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣/ ٣٩٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٤٠٨ - ٤٠٩) عن ربيعة شيخ مالك وعن مالك رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ.
وروي عن أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا موقوفًا ومرفوعًا، لكن قال شيخ الإسلام في «الفتاوىٰ» (٥/ ٣٦٥): «روي هذا الجواب عن ام سلمة موقوفًا ومرفوعًا، ولكن ليس إسناده مما يعتمد عليه.

(٢) فرقة كلامية، ذات نزعة صوفية، تنسب إلىٰ محمد بن سالم المتوفىٰ سنة ٢٩٧هـ. انظر: «المعتمد في أصول الدين»، ص: [٣٩٠].

(٣) هم الذين وقفوا في القرآن، فقالوا: لا نقول مخلوق هو، ولا غير مخلوق. انظر: «الرد علىٰ الجهمية» - الدارمي، ص: [١٩٣].

والمشبهة[١] والكرَّاميَّة[٢] وغيرهم؛ يقولون: استوىٰ بمعنىٰ استولىٰ! فيا سبحان الله! وهل كان له مغالبٌ حتىٰ استولىٰ عليه؟!

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، فلا يمكن أن يكون هناك مغالب له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الملك الواحد الأحد الفرد الصمد؛ فيقال لهم: يا مساكين: استولىٰ عليه مِنْ مَنْ؟! واستولىٰ علىٰ العرش بعد من؟! ومِنْ مَنْ؟! وعلىٰ إثرِ أو علىٰ أنقاض من؟!

لذلك لا يوجد أحد أغبىٰ ممن يفسر «استوىٰ» بهذا التفسير؛ لأنه بتفسيره هذا انتقل من معنىٰ صحيح لا تترتب عليه لوازم فاسدة إلي معنىٰ كل لوازمه فاسدة وباطلة.

وكيف ذلك؟ لقد فهموا مِنْ «استوىٰ»، أي: كما تستوي أنت علىٰ كرسيِّك - تعالىٰ الله عما يقول الظالمون والمؤولة والمعطلة والمبتدعة علوًّا كبيرًا - هذا فهمهم؛ فقد وقعوا في التشبيه قبل أن يلجئوا إلي التعطيل؛ لأنهم ما فهموا من صفات الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إلاَّ التشبيه فلما فهموا التشبيه؛ لجؤوا إلي التعطيل، فكانوا كالمستجير من الرمضاء بالنار.

وقد ألجأنا المقام أن نقف عند هذه المسألة طويلًا؛ لأن أكثر العالم الإسلامي اليوم علىٰ هذا المنهج - وللأسف - فإن عقيدة الأشعرية وما تفرع عنها تدرَّس في معاهد المسلمين ومدارسهم ويقرر عندهم ذلك المنهج الأشعري إلا في مناهج هذه البلاد المباركة، المملكة العربية السعودية - ولله الحمد والمِنَّة - وغيرها ممن تمسك بعقيدة السلف.

---

(١) هم الذين شبهوا الله بخلقه مثل الكرامية والرافضة.

(٢) أتباع أبي عبد الله محمد بن كرام، وهم طوائف كثيرة، ومن اعتقادهم: أن الله عرض وجوهر ومحل للحوادث.

فانظـر يا رعاك الله إلي الكتـب التي تدرس هناك: أم البراهين الكبرىٰ وأم البراهين الصغـرىٰ والجوهرة وشروح الجوهرة والسنوسـيَّة والعقائد النسـفية والمواقف للإيجي، فكلها تنطق بهذا المنطق: «استوىٰ» بمعنىٰ: استولىٰ أو قهر أو غلب.

وهـذه الابتـلاءات ليسـت جديـدة عـلىٰ المسـلمين - أعنـي التأويـل في الصفات وما صاحبه من بدع -، فقد ذكر المقريزي في خططه - بعد أن ذكر نشوء البدع وتأثيراتها عـلىٰ الدولـة الإسـلامية علىٰ مرّ عصـور الإسـلام - ولله في خلقه شـؤون - إلىٰ أن قال: «ثـم ظهر الأشـعري، وكان أخذ عن الجبائـي الاعتزال، ولازمه دهرًا طويلًا، ثم سـلك طريق ابن كلاب في الصفات، والقدر، وغير ذلك. وسلك طريقه جماعة من العلماء، مثل الباقلاني، وابن فورك، والاسـفراييني، والشـيرازي، والغزالي، والشهرسـتاني، والرازي وغيرهـم، ومـلأوا الدنيا بتصانيفهـم، يحتجون، ويدعـون أن طريقتهم هـي طريقة أهل السـنة والجماعـة، فانتشر هـذا المذهب في البـلاد الإسـلامية، وجاءت دولـة بني أيوب، وكانـوا عـلىٰ هذا المذهب، ثم مواليهـم الأتراك، وأخذه ابن تومـرت إلىٰ المغرب، ونشره هنـاك، فصـار هذا المذهب هو المعـروف في الأمصار، بحيث نسي ما عـداه من المذاهب، أو جهـل، حتـىٰ لم يبق اليوم مذهب يخالفـه، إلا أن يكون مذهب الحنابلة. حتىٰ جاء تقي الدين - أبو العباس ابن تيمية -، فتصدىٰ للانتصار لمذهب السلف، ورد علىٰ الأشاعرة، والرافضة، والصوفية وأهل البدع عامة... »[1] إلىٰ آخر ما قال في كلام نفيس.

هم فهموا أن الاسـتواء هو اسـتواء المخلوقين علىٰ كراسيهم! فلما فهموا هذا الفهم

---

(١) «الخطـط» للمقريـزي (٣/ ٣٠٩ - ٣١٤)، وقد تقدم النقل عن المقريـزي كاملًا عند قول الناظم: من ذا يكيف ذاته وصفاته.. الخ.

قالوا: ليس أمامنا إلا أن ننفي الاستواء؛ ثم جاءهم الشيطان وقال لهم: النفي لا يجدي، بل لابد من معنىٰ، قالوا: إذًا استوىٰ بمعنىٰ استولىٰ.

رادين بذلك نصوص القرآن والسنة في الاستواء، مستغنين ومكتفين عنهما ببيت شعر منتحل مصنوع منسوب لشاعر نصراني يدعىٰ الأخطل، يقول فيه:

قد استوىٰ بشرٌ علىٰ العراقِ ... من غير سيفٍ أو دمٍ مهراقِ[1]

وخلاصة القول: أن الواجب علىٰ جميع المسلمين العودة إلىٰ منهج السلف المبني علىٰ هدي الكتاب والسنة في هذه المسألة وغيرها من مسائل الاعتقاد والأحكام..؛

وكل خير في اتباع من سلف ... وكل شر في ابتداع من خلف

فنؤمن بالاستواء كما جاء في كتاب ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استواء يليق بجلاله وعظمته، وهو دليل علىٰ علو الله علىٰ جميع خلقه.

وقوله: «وَحَوَىٰ جَمِيعَ الْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ»:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَاللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ [البروج: ٢٠]، الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ سلطانه محيطٌ بكل شيء، وعلمه محيط بكل شيء، وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يحيط بجميع المخلوقات قدرةً وعلمًا وسلطانًا وقوةً وجبروةً، ليس المقصود أن نقول: والله بكل شيء محيط؛ أنَّ الله ظرفٌ للمخلوقات، -أستغفر الله، تعالىٰ الله عما يقولون علوًّا كبيرًا-، وإنما المقصود إحاطة العِلْم والقدرة والسلطان والقهر والعظمة وكل ذلك لله عَزَّوَجَلَّ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء: ١٠٨]، وقال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ [النساء: ١٢٦].

---

(١) «شرح ديوان الحماسة» (١/ ٤٧١).

فالله عَزَّوَجَلَّ يحيط بكل شيء، ولا يُحاط به، لا يُحاط به علمًا ولا قدرةً ولا سمعًا ولا بصرًا ولا إدراكًا؛ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

۞ الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد يستطرد فيذكر صفةً أو مسألةً عقدية عرضًا ثم يعود إلى ما كان يتكلم عنه قبل ذلك؛ ومن ذلك: أنه بعد أن ذكر الاستواء وإحاطة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بكل شيء؛ عاد مرة أخرىٰ إلي بيان أن القرآن كلام الله عَزَّوَجَلَّ؛ فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٤٧- وَكَلَامُهُ الْقُرْآنُ أَنْزَلَ آيَهُ ... وَحْيًا عَلَىٰ الْمَبْعُوثِ مِنْ عَدْنَانِ





عودا على بدء في تقرير أن القرآن كلام الله حقيقة منزل غير مخلوق والرد على المخالفين في ذلك

٤٧- وَكَلَامُهُ الْقُرْآنُ أَنْزَلَ آيَهُ ... وَحْيًا عَلَىٰ الْمَبْعُوثِ مِنْ عَدْنَانِ

❁ فقوله: «كَلَامُهُ» أي: كلام الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وقوله: «الْقُرْآنُ»: يعني أنّ القرآن كلام الله، وقد قدمنا الأدلة علىٰ ذلك، والتي من أشهرها وأوضحها قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

فالمقصود بكلام الله هنا القرآن الكريم، وقد تقدمت الأدلة الكثيرة في بيان أن القرآن كلام الله.

وقوله: «أَنْزَلَ آيَهُ»: أنزله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حيث تلقاه جبريل مباشرة عن الله؛ سمعه منه مباشرة؛ ثم نقله جبريل بصدق وأمانة وإخلاص إلىٰ أن بلّغه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلّغه للصحابة، والصحابة بلّغوه إلىٰ من بعدهم وهلمّ جرا وإلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ تحقيقًا لقول الله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وقوله: «وَحْيًا» أي: القرآن وحي، وكذلك السنة وحي؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤]، وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ**»[1].

---

(١) أخرجه أحمد [١٧١٧٤]، والطبراني في «مسند الشاميين» [١٠٦١] من حديث المقدام بن معدي كرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في «المشكاة»: (١٦٣، ٤٢٤٧).

والْـمَبْعُـوثِ مِـنْ عَدْنَانِ: هو النبي ﷺ، **والمقصـود بعدنان:** هو جد العرب العدنانيين، وهو من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ؛ فالنبي ﷺ ينتهي نسبه إلي عدنان إلي إسماعيل إلي إبراهيم الخليل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ؛ ولذلك قال: المبعوث»؛ أي: الذي اختاره الله وبعثه وأرسـل إليه وميَّزه بالرسالة من بني عدنان، ولم يُعرف أن أحدًا من بني عدنان قد أُرسل قبل نبينا محمد ﷺ.



٤٨- صَلَّىٰ عَلَيْهِ اللهُ خَيْرَ صَلَاتِهِ مَا لَاحَ فِي فَلَكَيْهِمَا الْقَمَرَانِ

❁ الصلاة علىٰ النبي ﷺ من أعظم القُرَب التي تقرب إلي الله عَزَّوَجَلَّ ولذلك كانت ركنًا في الصلاة، لا تصح الصلاة بدونها، فلو أن مصليًا وقف علىٰ الشهادتين ولم يذكر الصلاة الإبراهيمية فإنه لا تصح صلاته؛ لأن الذي عليه التحقيق من أقوال أهل العلم أن الصلاة الإبراهيمية ركنٌ من أركان الصلاة لا تصح الصلاة إلا بها.

وقد أُمرنا نحن المسلمين أن نُكثِرَ من الصلاة والسلام عليه؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

ويقول النبي ﷺ: «**من صلىٰ عليّ صلاةً واحدةً صلىٰ الله عليه بها عشرًا**»[١]، وفي الحديث: «**رَغِمَ أنف امرئ ذُكِرَتَ عنده فلم يصلِّ عليك؛ قل: آمين؛ فقلت: آمين**»[٢]؛ فالصلاة علىٰ النبي ﷺ واجبة لا سيما عندما يذكر أو يسمعُ ذكره عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

ويتأكد الإكثار من الصلاة عليه في ليلة الجمعة ويومها وفي أوائل الخطب والمواعظ والدروس ونحو ذلك كالدعاء، فإنه أحرىٰ لقبوله، وكل مجلس محترم لحديث «**من قعد مقعدا لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة ومن اضطجع مضجعًا لا يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة**»[٣]، و«اَلـتِرةُ»: بكسر التاء المثناة من فوق، وَهِيَ: النقص، وقِيل: التَّبِعَةُ.

(١) أخرجه مسلم [٣٨٤] من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه أحمد [٧٤٥١]، والترمذي [٣٥٤٦]، وابن خزيمة [١٨٨٨]، والحاكم [٧٢٥٦] من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٣٥١٠].

(٣) أخرجه أحمد [٩٥٨٣]، وأبو داود [٤٨٥٨]، والترمذي [٣٣٨٠]، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وقوله: «خَيْرَ صَلاَتِهِ»؛ أي: أفضل صلاة.

«صَلَّىٰ عَلَيْهِ اللهُ»: أي: رحمه وبارك فيه وأثنىٰ عليه في الملأ الأعلىٰ.

وقوله: «مَا لاَحَ فِي فَلَكَيْهِمَا الْقَمَرَانِ»: أي: بعدد طلوع الشمس والقمر طيلة الحياة الدنيا صلاة دائمة علىٰ مرّ العصور والأزمان.

والمقصود بالقمرين: الشمس والقمر، وهذا سائغ في اللغة للتغليب كما تقول: الظهرين والعشاءين والعمرين لأبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وأخزىٰ الله من أبغضهما وقلاهما.

وأفضل صيغة للصلاة والسلام عليه هي الصيغة الإبراهيمية التي شرعت لنا في الصلاة: **«اللهم صل علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد كما صليت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد كما باركت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم إنك حميد مجيد»**(١).

وتختصر في جملة واحدة، هي جملة: «**صلى الله عليه وسلم**»، وهو اللفظ الذي استخدمه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين عندما يروون أحاديث المصطفىٰ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ يقولون في بدايتها: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحدثنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأمر أو نهىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونحو ذلك.

بقي أن أنبه علىٰ أخطاء وتنبيهات تتعلق بالصلاة علىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ من تلك الأخطاء:

الخطأ الأول: ما ابتُلي به الصحفيون والكُتَّاب المعاصرون؛ عندما يكتبون مقالات تشتمل علىٰ أحاديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنهم يبخلون حتىٰ بالحبر وبالورق؛

---

(١) أخرجه البخاري [٣٣٧١]، ومسلم [٤٠٦] من حديث كعب بن عجرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فيكتبون حرف الصاد! وهذا بخل - والعياذ بالله - كيف تبخل بجملة لا تتجاوز نصف سطر؟!

وقد يكتب بعضهم (صلعم) أو (ص س) وكل ذلك لا يجوز ولم يعرف ذلك عن السلف، وإنما تكتب الصيغة كاملة.

الخطأ الثاني: أنه قد كثر بين الكُتَّاب المعاصرين ذكر النبي ﷺ مجردًا عن وصف النبوة أو الرسالة؛ فيقولون مثلا: فعل محمد، وقال محمد، وعبقرية محمد، وحياة محمد، وهذا شأن محمد، وفضل محمد... وما إلى ذلك، ولا يذكرون الصلاة والسلام عليه ولا وصفه بالنبوة والرسالة، وهذا أيضًا من البخل والجفاء فلابد أن يُذكَر مقرونًا بوصف الرسالة، ثم يُصلىٰ ويسلم عليه؛ ولم يُذكَر اسم النبي ﷺ مجردًا في القرآن، وقد ذُكر باسمه أربع مرات كلها مقرونة بوصف الرسالة:

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [محمد: ٢]؛ فهذه هي الآية الوحيدة التي لم يذكر فيها وصف الرسالة اكتفاءً بدلالة السياق علىٰ ذلك، أما بقية الآيات فهي تخاطبه بوصف الرسالة، وفي هذا تعظيمٌ له وتوقير ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾، إلى آخر الآيات الكثيرة التي دائمًا تذكره بوصف النبوة أو الرسالة أو بهما معًا.

الخطأ الثالث: يتعلق بالصيغة؛ فهناك دعوىٰ خبيثة، وهي أن صيغة قد وُجِدَت أحدثها أحد المتصوفة الطواغيت الذين هم من أكبر عملاء فرنسا قبل نحو قرنين، وسماها «صلاة الفاتح»، وزعم أنه أُوحِيَ إليه بها من قِبَلِ الله، ولم تأتِ بواسطة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ! **يعني**: أنه تلقاها من الله مباشرة - تعالىٰ الله عما يقول المشركون والمبتدعة علوًا كبيرًا، وهي قوله: «اللهم صلِّ وسلم علىٰ محمد الفاتح لما أُغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلي صراط مستقيم...» قد يكون في بعض الكلمات من هذه الصيغة حق من حيث الأوصاف؛ ولكن مع ذلك فإنه ورد في بعض رواياتها لفظة: «الأسقم»، وزعموا أن الأسقم يعني المستقيم، والأسقم هو المريض. وبغضّ النظر عن نوع الصيغة فإنها باطلة من وجوه:

الوجه الأول: دعوىٰ أنها أُنزلت مباشرة من الله علىٰ ذلك الطاغوت؛ فهذا باطل؛ لأن الوحي لم ينزل بعد نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا نبي بعدي**»[1]؛ اللهم إلا أدعياء النبوة أمثال مسيلمة الكذاب والأسود العنسي ومن نهج نهجه من الدجالين والأفاكين، وما أكثر الدجالين الذين شابهوا مسيلمة، وعلىٰ رأسهم بعض طغاة المتصوفة الذين يدَّعون علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه؛ فهذه العبارة التي تسمىٰ صلاة الفاتح، لم تُتلق من الوحي، وإنما تُلقيت من شخص مشرك يدَّعي أنَّه هو الإله، حيث يقول في بعض أشعاره:

«من رآني أو رأىٰ من رآني دخل الجنة بلا بهتانِ»!!

(١) أخرجه البخاري [٣٤٥٥]، ومسلم [١٨٤٢] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومعلـوم أن النبـي ﷺ رآه مـن رآه ولم يدخـل الجنـة، كبعـض المشركـين والمنافقين من أمثال أبي جهل وعبد الله بن أبي بن سـلول ورآه أبو لهب، ورآه أبو طالب، ورآه عتبة وشيبة ابنا ربيعة.

فكيـف يـأتي مثل هذا الطاغـوت بعد نحو مائتين وألف سـنة فيدعي هـذه الدعوىٰ الباطلة الكاسدة، وهي: أن من رآه أو رأىٰ من رآه دخل الجنة! سبحانك هذا بهتان عظيم.

واسـمعوا - يا رعاكم الله - الطامة الأخرىٰ من هذا الطاغية نفسـه، حيث يقول: «إن مـن قرأ صلاة الفاتح مرة واحدة فكأنما قرأ القرآن سـتمائة ألف مرة، وكل مرة تعدل أربعمائـة غزوة مع النبي ﷺ، وكل غزوة بألـف زوجة من الحور العين»[1]، يعني أن الـذي يقرأ صلاة الفاتح يحصل علىٰ حـد زعمه في الجنة علىٰ الملايين المملينة من الحور العين، فنسـأل الله العافية والسـلامة من هذا الهراء والدجل والسـفه، وهذا يردده بعض المتنسـبين إلىٰ الإسلام في بعض البلاد الإسـلامية وكأنه قرآن منزل، فإنهم يعتنون بصلاة الفاتح كما يعتنون بالقرآن بل أشدّ.

وفي سنة ١٤٠٢ هـ لقيني شاب في بلد ما من بلاد المسلمين تبدو عليه علامة النجابة والذكاء؛ فقلت له: يا بني تحفظ القرآن؟ فقال: لا أحفظ؛ فسألته: ولماذا؟ قال: لأن شيوخ الطـرق عندنـا يقولون: لا تحتاجـون إلىٰ حفظ القرآن؛ لأن القرآن يحُـرق ولا تتحملونه، وإنما تكفيكم صلاة الفاتح!

فهل هناك دجل وافتراء أعظم من هذا؟

---

(١) يراجع في ذلك كتاب «جواهر المعاني».

فانظر - رحمك الله - كيف يجعلون أتباعهم يعرضون عن كتاب الله عَزَّوَجَلَّ ويكتفون بهذا الدجل، وصدق الله تَعَالَىٰ إذ يقول: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾ [البَقَرَة: ١٦].

التنبيه الرابع: أنَّ بعض الناس يصلون علىٰ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أثناء الصلاة إذا سمعوا الإمام يقرأ قول الله تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزَاب: ٥٦]، أو سمعوا ذكره عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، فإن هذا زيادة في الصلاة، إذ أن الصلاة توقيفية وقد قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»[١]، وقال: «**إنّ في الصلاة لشغلا**»[٢]، فإن كنت خارج الصلاة فصلِّ وسلم عليه، أما إذا سمعت ذكره صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وأنت في الصلاة فلا تزد في الصلاة شيئًا، الصلاة لا يزاد فيها ولا يُنقص.

التنبيه الخامس: بعض الناس في الصلاة الإبراهيمية في التشهد يقولون: «اللهم صلِّ علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آل سيدنا محمد، كما صليت علىٰ سيدنا إبراهيم وعلىٰ آل سيدنا إبراهيم» إلى آخره.

فهذه الصيغة لم تثبت عن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ولا شك أنه سيدنا عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ وقائدنا وإمامنا وحبيبنا وسيد الأولين والآخرين؛ قال عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**»[٣]، ولكن العبادات - ومنها التشهد - توقيفية، لا يزاد فيها ولا ينقص، فلو أن قارئًا قرأ آية الفتح: «سيدنا محمد رسول الله والذين معه أشداء علىٰ الكفار رحماء بينهم» هل يقرّ علىٰ هذه الزيادة في القراءة؟ أم أنه أدخل في القرآن ما ليس منه؟

---

(١) أخرجه البخاري [٦٣١] من حديث مالك بن الحويرث رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

(٢) أخرجه البخاري [١١٩٩]، ومسلم [٥٣٨] من حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

(٣) أخرجه الترمذي [٣١٤٨]، وابن ماجه [٤٣٠٨] من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [١٤٦٨].

ولو أن مؤذنا قال في الأذان: «أشهد أن سيدنا محمدا رسول الله» هل يقرّ علىٰ ذلك؟ أم يبطل الأذان بهذه الكيفية؟ لا شك أنه يبطل والحال هذه.

التنبيه السادس: في مسألة الصلاة علىٰ النبي ﷺ؛ قد تحولت عند بعض المسلمين إلي أغانٍ، فإذا سلم الإمام؛ بدلًا من أن يذكر الأذكار الواردة عن النبي ﷺ بعد الصلوات، بدلًا من هذا، فإنه يأتي بالصلاة الإبراهيمية بصفة غنائية إضافة إلىٰ ما يزيدونه عليها من بدع ومنكرات فيرددونها طربا وأهازيج وترنمات تخرج بالأذكار عن صفتها الشرعية، بل سمعت في بعض مساجد المسلمين تلك الأهازيج مصحوبة بالدف والطبول والمزامير! فكانت حشفًا وسوء كيلة:

فمن قلّد الآراء ضلّ عن الهدىٰ	**ومن قلّد المعصوم في الدين يهتد**
فما الدين إلا الاتباع لما أتىٰ	**عن الله والهادي البشير محمد**



قال الناظم:

٤٩- هُوَ جَاءَ بِالْقُرْآنِ مِنْ عِنْدِ الَّذِي لَا تَعْتَرِيهِ نَوَائِبُ الْحَدَثَانِ

يذكر الناظم أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاء بالقرآن من عند الله، حيث نزل به الروح الأمين عليه؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠١]؛ فقد جاء بالقرآن من عند الله؛ حيث نزل به الرُّوح الأمين جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ علىٰ قلب نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبلغه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما أنزل، وقد تكفل الله بحفظه إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]؛ وكما أن الله تكفل بحفظ كتابه تكفل بحفظ سنة نبيّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنهما وحي من الله؛ فالقرآن وحي، والسنَّة وحي، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣ - ٤]، فالقرآن كلام الله الذي جاء به من عند الله بواسطة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي أوحاه إلىٰ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حيث تلقاه جبريل عن الله، ولا يُقال إن جبريل أخذه من اللوح المحفوظ؛ كما هو موجود في بعض أسانيد القراءات؛ فإن ذلك مما وقع فيه بعض القراء من المخالفات علىٰ الرغم من جودة السند وتواتره، لكن بعضهم يوصل هذا السند إلىٰ اللوح المحفوظ فقط، وكان الواجب أن يقول عن نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن جبريل عن الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنه كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الذي تكلم به حقيقة بحرف وصوت سُمع منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، سمعه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ من الرب جَلَّ جَلَالُهُ؛ ثم نزل به علىٰ قلب نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذي بلغه للأمة بكل صدق وأمانة وإخلاص؛ فنشهد أنه قد بلغ الرسالة، وأدىٰ الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده؛ حتىٰ أتاه اليقين.

وقوله: «مِنْ عِنْدِ الَّذِي لاَ تَعْتَرِيهِ نَوَائِبُ الْحِدْثَانِ»؛ أي: لا يعتريه ما يعتري المخلوقين مما ينتابهم من الجوع والعطش والنوم والموت والهلاك والضعف والمرض والفاقة ونحو ذلك؛ فالله عَزَّوَجَلَّ كامل في ذاته، وفي أسمائه، وفي صفاته، وفي أفعاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لا تعتريه نوائب الدهر التي تصيب البشر، بل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ منزّه عن ذلك كله؛ لأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كامل في كل شيء؛ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال جلّ شأنه: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ﴾ [ق: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١ - ٢] وغير ذلك من الآيات الدالة على كماله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

لكن قد يرد هنا إشكال في قول الناظم: «لاَ تَعْتَرِيهِ نَوَائِبُ الْحِدْثَانِ»؛ فمقصود الناظم أولا نفي النقائص والعيوب التي تعتري المخلوقين عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كما تقدم، فإن صدرت مثل هذه العبارة عن مثل الناظم وغيره من أهل السنة حملت على هذا المحمل الصحيح، أما إن صدرت عن أحد من أهل الكلام كقولهم: إن الله منزّه عن الحوادث فإنهم يعنون بذلك نفي صفات الله الفعلية، فقولهم ظاهره حق لكن أريد به باطل؛ نعم، الله منزّه عن الحوادث التي تنتاب المخلوقين كما تقدم؛ فليس معنى ذلك أنه لا يُحدث شيئًا، فالله عَزَّوَجَلَّ يفعل ما يشاء، ويختار يتكلم متى شاء، إذا شاء كيف شاء، ويجيء وينزل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ويرحم، ويغفر، ويثيب، ويعاقب، ويرضى، ويغضب، ويفرح، ويضحك على ما يليق بجلاله وعظمته، وهكذا فإذا أطلقت مثل هذه الكلمة، وهي أن الله عَزَّوَجَلَّ منزّه عن الحوادث لو أطلقت من قبل أحد من أهل السنة علم يقينا أن مراده صحيح، وهو تنزيه الله عما لا يليق به، وأما إذا أطلقت من أهل الكلام وغيرهم من أهل البدع علم أنهم يريدون نفي الصفات الفعلية، أما أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يحدث شيئًا

ولا يحدث منه فهذا باطل، بل هو يحدث ما شاء متىٰ شاء إذا شاء؛ فقد خلق الخلق، ورزق الرزق، وقدر الآجال، يفعل ما يشاء ويختار، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون.



٥٠- تَـنـزِيـلُ رَبِّ الْـعَـالَمِينَ وَوَحْـيُـهُ بِـشَـهَـادَةِ الأَحْـبَـارِ وَالـرُّهْـبَـانِ

۞ هذا استكمال لبيان أنَّ القرآن كلام الله، وأنه وحي الله عَزَّوَجَلَّ الذي أنزله وحيًا على نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بشهادة جميع الخلق بمن في ذلك الأحبار والرهبان، والأحبار: هم علماء أهل الكتاب، والرهبان: عُبَّادهم، ذلك أن ذكر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما يُتلىٰ عليه من الوحي مقررٌ في التوراة والإنجيل قبل أن تُحَرَفا؛ بل بقي بعد التحريف ما يدل على ذلك؛ فهو تنزيل رب العالمين، ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٣ - ١٩٥]، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٦]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَـٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: ١٨ - ١٩] ونحو ذلك من الآيات في هذا الباب.

وهذا تقرير لعقيدة السلف بأن القرآن كلام الله غير مخلوق كما تقدم.



٥١- وَكَـلامُ رَبِّـي لَا يَجِـيءُ بِمِثْلِهِ   أَحَـدٌ وَلَـوْ جُمِـعَـتْ لَـهُ الـثَّـقَـلَانِ

❁ كلام رب العالمين لا يمكن أن يأتي أحد بمثله؛ لا بسورة ولا بعشر سور، بل ولا بآية من مثله؛ قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣].

قال تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [هود: ١٣].

وقال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

تحدىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أفصح الناس، وهم العرب الأقحاح، ومنهم الشعراء والخطباء والبلغاء والفصحاء أن يأتوا بمثله فلم يستطيعوا؛ فهو معجزٌ بلفظه ومعناه، تحدىٰ الله به الثقلين؛ فلم يستطيعوا، ولن يستطيعوا أن يأتوا بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا.



٥٢- وَهُوَ الْمَصُونُ مِنَ الأَبَاطِلِ كُلِّهَا وَمِنَ الزِّيَادَةِ فِيهِ وَالنُّقْصَانِ

* تكفل الله بحفظ هذا القرآن إلي أن يرث الله الأرض ومن عليها، ويُرفع من الصدور والمصاحف في آخر الزمان؛ فالله قد صانه وحَفِظَه من الزيادة ومن النقصان، فهو كتاب الله العزيز الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

فهو كلامه بلفظه ومعناه؛ ولذلك صانه وحَفِظَه؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

فمن ادَّعىٰ أنَّ القرآن ناقص فهو كافر، ومن زاد فيه فهو كافر، ومن حرَّفه عامدًا متعمدًا بعد بيان الحجة له فهو كافر، ومن اعتقد أن أبا بكر أو عمر أو عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قد أخفوا شيئًا من القرآن مثل سورة كذا وكذا فقد كفر كما تدعيه بعض الطوائف الضالة المارقة، من غلاة الرافضة وغيرهم، ومن اعتقد أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يُبلِّغَ القرآن كاملا فهو كافر، ومن اعتقد أنه بقي منه شيء بعد وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو كافر، ومن اعتقد أن وحيًا ينزل بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد كفر، ومن رأىٰ حذف بعض الكلمات من القرآن كما نادىٰ به بعض الملاحدة فهو كافر، حيث قال بعضهم: إنه ينبغي حذف «قل» من سور الإخلاص والمعوذتين والكافرون ونحوها؛ فهو كلام رب العالمين المحفوظ المنزه عن العبث.



٥٣- مَنْ كَانَ يَزْعُمُ أَنْ يُبَارِي نَظْمَهُ	وَيَرَاهُ مِثْلَ الشِّعْرِ وَالْهَذَيَانِ
٥٤- فَلْيَأْتِ مِنْهُ بِسُورَةٍ أَوْ آيَةٍ	فَإِذَا رَأَىٰ النَّظْمَيْنِ يَشْتَبِهَانِ
٥٥- فَلْيَنْفَرِدْ بِاسْمِ الأُلُوهَةِ وَلْيَكُنْ	رَبَّ الْبَرِيَّةِ وَلْيَقُلْ سُبْحَانِي
٥٦- فَإِذَا تَنَاقَضَ نَظْمُهُ فَلْيَلْبَسَنْ	ثَوْبَ النَّقِيصَةِ صَاغِرًا بِهَوَانِ
٥٧- أَوْ فَلْيُقِرَّ بِأَنَّهُ تَنْزِيلُ مَنْ	سَمَّاهُ فِي نَصِّ الْكِتَابِ مَثَانِي

❁ ما زال الكلام في بيان أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وفي بيان إعجازه، وتحدي العرب وغير العرب به، وأنه لا يستطيع أحد أن يأتيَ بمثله؛ فبيَّن هنا أنَّ من زعم - زورًا وبهتانًا، وظلمًا وعدوانًا - بأنه قول شاعر، أو هذيان كاهن، أو قول البشر؛ فلاشك أنه قد كفر؛ كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في وصف ذلك الذي قال إنه قول البشر؛ حيث بيَّن الحكم عليه في سورة المدثر، عندما افترىٰ وقال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥]، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: ٢٦ - ٢٩].

أخبر أن مآله جهنم؛ فمن زعم أنه قول البشر، أو أنه شعر، أو أنه كهانة، أو أنه سحر؛ فقد تُوعِّدَ بهذا الوعيد الشديد؛ ثم قال الناظم: إن كان صادقًا فيما يدَّعي؛ فعليه أن يدَّعي الألوهية؛ كما ادعىٰ فرعون، وعليه أن يدَّعِي أن بيده أزمة الأمور؛ كما ادعاها مدعوا الألوهية والربوبية، وليدعُ الناس إلىٰ عبادة نفسه، إن كان صادقًا في مُدَّعاه.

وهذا الكلام يُقال للتحدي والتعجيز والتهديد، فتحداهم أن يأتوا بآية من مثله، أو سورة، أو عشر سور، وكل هذا محال، لا يمكن أن يأتوا بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا، ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣].

وقال في الآية الأخرىٰ: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ [هود: ١٣]؛ **يعني:** لمن زعم أنه مُفترىٰ ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

ثم بيَّن أيضًا إن كان هذا المفتري صادقًا في دعواه فليقم عليها البيِّنات؛

والدعاوىٰ إن لم تقيموا عليها بيِّنات أبناؤها أدعياء؛

بل وليقل: سبحاني داعيًا إلىٰ عبادة نفسه، بدلًا من سبحان الله - تعالىٰ الله عما يقولون علوًّا كبيرًا -؛ كما قال فرعون: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، وقال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨] كما حكىٰ الله ذلك عنه.

وكما شابه هؤلاء فرعون في دعواه فقد شابههم أيضًا أحد طواغيت هذا العصر حيث قال عن نفسه:

قد خصني بالعلم والتشريف إن قلت كن يكن بلا تسويف
لكنني اتخذته وكيلا تأدبا واختارني خليلا[1]

وخلاصة الأمر: أن هذه الدعاوىٰ دعاوىٰ باطلة ببداهة العقول السليمة والفطر المستقيمة.

سبحان الله! وكأنّ الناظم عندما ذكر هذا التحدي لم يعلم بأن هناك من يقول ذلك من غلاة المتصوفة.

فإن ابن عربي، ومن سلك سبيله من أئمة الضلالة وأتباع إبليس من أصحاب وحدة الوجود والاتحادية كابن الفارض والحلاج، وابن سبعين، والفارابي، وابن سينا،

(١) انظر: «كشف الأسرار» لإبراهيم إنياس، «تقديس الأشخاص» (١/ ١٣٥) د. محمد أحمد لوح.

ومن نهج نهجهم، كلهم يدعون هذه الدعوىٰ، ورُوِيَ هذا أيضًا عن أبي يزيد البسطامي، وغـيره من زعـماء الطوائف المنحرفة؛ فإنهم يزعمون أنهم يصلـون إلىٰ درجةٍ يبلغون فيها درجـة الـرب سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؛ حيث يمتزجـون ويتحدون مـع الإله! - تعـالىٰ الله عما يزعم هؤلاء الظالمون الملحدون علوًا كبيرًا -، بل قد قال قائلهم:

سبحاني سبحاني ما أعظم شاني...

وما ادعىٰ أحد هذه الدعوىٰ إلا باء بالوبال والخذلان والخسران المبين.

ورحم الله الشيخ حافظ الحكمي عندما يقول:

ولا تـطـع قـول ذي زيـغ يزخرفه ... مـن كـل مـبـتـدع في الـديـن متهم

حـيران ضـل عـن الحـق المـبـين فلا ... يـنـفـك مـنـحـرفـا مـعـوج لم يقم

فإذا علم أحدهم انتقاض نظمه أو نثره مع كلام رب العالمين ولو كان أفصح الفصحاء، أي: إذا رأىٰ أن النظمين لا يلتقيان، والنظم هنا فيه تَجَوّز وإلا فالنظم غير النظم، فإذا رأىٰ أنهما لا يلتقيان - أي: القرآن والشعر، أو القرآن والكهانة، أو القرآن والسحر، أو القرآن وكلام البلغـاء والفصحـاء - فـإن عليه أن يلبس ثوب النقيصـة والفضيحة والعار، وهو صغيرٌ حقيرٌ محقر؛ لأنه لبس ثوب الخزي ببطلان دعواه هذه، وهي باطلةٌ ابتداءً.

والمقصود أنه سيبوء بالخيبة والخسران عندما يقف عاجزًا حائرًا عن مضاهات القرآن الكريم ولو بالإتيان بأقصر آية منه.

فالمعـارض بـين أمرين: إما أن يبوء بالخزي والخسـارة والخسـران والهوان، وإما أن يعترف بأنه كلام رب العالمين، المُنـزَّه عن المعارضة والمحاكاة، والله سبحانه هو الذي سماه المثـاني، ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ [الحِجر: ٨٧]؛ **والمثـانـي بمعنـىٰ:** أنه

يؤيد بعضه بعضًا، ويشبه بعضه بعضًا، ويبين بعضه بعضًا في تأييد الأحكام التي جاء بها من تقرير توحيد الله عَزَّوَجَلَّ أو العبادة أو غير ذلك من احكام الشرع؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [الزمر: ٢٣].

وبعض المفسرين يقول: إن المقصود بالمثاني سورة الفاتحة، وآخرون يرون بأن المثاني: ما يتكرر في القرآن من قصص وأحكام وغيرهما، بحيث لا يملّ القارئ أو السامع هذا الذي ظاهره التكرار، بل كلما قرأ سورة أو آية فكأنه يقرأ حَدثا جديدا، وهذا لون من ألوان الإعجاز في القرآن الكريم.



٥٨- لَا رَيْبَ فِيهِ بِأَنَّهُ تَنْزِيلُهُ وَبِدَايَةُ التَّنْزِيلِ فِي رَمَضَانِ

❁ لاَ رَيْبَ: أي لا شك أنه تنزيل رب العالمين، ومن شك في ذلك فقد كفر؛ لأنه كلام رب العالمين، الذي أنزله علىٰ رسوله ﷺ؛ ليكون للعالمين نذيرًا، وبدأ نزوله في رمضان، يعني: نزول القرآن كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

نؤمن بأن بداية نزوله في رمضان، وأن جبريل كان يدارسه النبي ﷺ في رمضان، وأن رمضان هو شهر القرآن، فيؤمن العبد بذلك، وأنه منزل من عند الله، وأن بداية التنزيل كان في هذا الشهر العظيم، في شهر رمضان المبارك، نؤمن بذلك، ونقف عند هذا الحد، أما ما يرويه البعض من الأسانيد التي تنتهي إلىٰ اللوح المحفوظ، ولم ينسبوه إلىٰ الله جَلَّوَعَلَا وأنه تكلم به، فهذه أقاويل باطلة، بل الواجب أن نؤمن بأن الله قد تكلم به حقيقة كما تقدم تفصيله، وجاء عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا بأسانيد يقوي بعضها بعضًا بأن القرآن أنزل في ليلة القدر في رمضان جملة واحدة إلىٰ سماء الدنيا كان بمواقع النجوم فكان الله ينزله علىٰ رسوله الله ﷺ بعضه في إثر بعض[1] - ويرىٰ بعض المحققين من أهل العلم أن في هذه الآثار نظرًا لأنها تخالف ما ثبت أن الله يتكلم بما شاء منه ثم ينزله علىٰ النبي ﷺ لا إلىٰ بيت العزة - قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ [الفرقان: ٣٢] -والعلم عند الله تَعَالَىٰ -.

(١) وأخرج الحاكم في «المستدرك» [٥٣١] عن سعيد بن جبير في قوله تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ [القدر: ١]، قال: «أنزل القرآن في ليلة القدر جملة واحدة إلىٰ سماء الدنيا، كان بموقع النجوم، فكان الله ينزله علىٰ رسوله ﷺ بعضه في إثر بعض، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ [الفرقان: ٣٢]». وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه». وصححه الذهبي. وعزاه الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٩/ ٤) إلىٰ ابن أبي شيبة والبيهقي في «دلائل النبوة»، وقال: إسناده صحيح.

٥٩- اللهُ فَصَّلَهُ وَأَحْكَمَ آيَهُ ... وَتَلاهُ تَنْزِيلًا بِلاَ أَلْحَانِ

* الله الذي فصل آياته؛ قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ١ - ٣]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٢٨]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١ - ٤].

فالله عَزَّوَجَلَّ هو الذي فصَّل آياته، ورتبها علىٰ هذا الترتيب الذي نتلوا به الآن، وتلاه بمعنىٰ: أنه تكلم به، بحرف وصوت سمعه جبريل من الله عَزَّوَجَلَّ، ومن زعم أنه لم يتكلم به؛ فقد حكم عليه بالعجز والخرس - تعالىٰ الله عما يقولون علوًّا كبيرًا -؛ ثم هو يكذب نصوص القرآن التي تنطق بأن القرآن كلام الله جَلَّ وَعَلَا كما قال الله تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ [التوبة: ٦]؛ فلذلك هو الذي أنْزَلَه، وهو الذي أحْكَمَه وفَصَّلَه، هو الذي بيَّنَ حلاله وحرامه، ومحكمه ومتشابه؛ فعلينا أن نؤمن بهذا كلّه.

وقوله: «بلا ألحاني»: أراد تنزيه الله سُبْحَانَهُ عن الألحان التي تشبه ألحان البشر، أما كيفية تكلمه فنكل علمها إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وكأن الناظم يرد علىٰ الذين يقرؤون القرآن بالألحان الغنائية التي يسمون بعضها بالمقامات، فيقولون مثلًا: المقامات الحجازية، والمقامات العراقية... وهكذا.

❁❁❁

٦٠- هُوَ قَوْلُهُ وَكَلامُهُ وَخِطَابُهُ بِفَصَاحَةٍ وَبَلاغَةٍ وَبَيَانِ

❁ يؤكد الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما تقدم تفصيله من أن القرآن كلام الله حقيقة، لفظه ومعناه، وفصاحته وبيانه... وقد أسهب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان هذه المسألة ردًا علىٰ من يؤول كلام الله جَلَّ وَعَلَا سواء القائلون بأنه مخلوق، أو أنه خلق في الهواء، أو أن الله خلقه قديمًا منذ الأزل، أو أنه المعنىٰ القائم بالنفس أو نحو ذلك من الأقوال المتضاربة والمتناقضة التي تربو علىٰ مائة قول؛ وهذا شأن كل من يترك النصوص الشرعية ويعتمد علىٰ عقله المجرد أو علىٰ زبالات علم الكلام؛ قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

فالله تَعَالَىٰ قال: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الزخرف: ٣]، وقال: ﴿ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النحل: ١٠٣]، وغير ذلك من الآيات التي تدل علىٰ أنه أفصح الكلام وأبينه وأبلغه، فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أنزله بعلمه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾.. الآية [النساء: ١٦٦]، ومن زعم خلاف ذلك فقد أعظم علىٰ الله الفرية.

❁❁❁

٦١- هُوَ حُكْمُهُ هُوَ عِلْمُهُ هُوَ نُورُهُ وَصِرَاطُهُ الْهَادِي إِلَىٰ الرِّضْوَانِ

* هُوَ حُكْمُهُ: لأن القرآن حكم الله؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ [الممتحنة: ١٠]؛ أي: ما أنزل في الكتاب.

﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

فالقرآن حكم الله عَزَّوَجَلَّ بيّن لعباده فيه كل ما يحتاجونه من أحكام الدين عقيدة وعبادة وأحكاما وأخلاقا وآدابا ومعاملات ونحو ذلك من أحكام الشريعة الشاملة لكافة نواحي الحياة؛ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

وقوله: هُوَ عِلْمُهُ: أي أن القرآن علم الله أنزله بعلمه؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦].

ولذلك أول ما نزل ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ - ٥].

فالقرآن علم من الله، أوحىٰ به إلىٰ أمينه ورسوله ونبيه ومصطفاه؛ ليبلغه للناس كافة؛ فهو علم من علوم الله عَزَّوَجَلَّ التي نفع الله بها عباده.

وقوله: «هُوَ نُورُهُ»: أي: أن القرآن أيضًا نور من الله يضيء للأمة طريقها إن عملت به قولًا وعملًا واعتقادًا، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤].

ومن هنا قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ «العلم نور»، ومن لم يستضئ بنور القرآن فلا نور له؛ ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

وقوله: «وَصِرَاطُهُ الْهَادِي إِلَى الرِّضْوَانِ»، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥]، فالقرآن هداية للناس؛ ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي جاء بالقرآن: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٢ - ٥٣]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦ - ٧]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأحقاف: ١٢].

فالقرآن صراط؛ أي: طريق من سلكه، وسار على نهجه، وطبقه واتبع سبيله فاز في الدنيا والآخرة، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله، ومن بَعُدَ عنه أبعده الله.



٦٢- جَمَعَ الْعُلُومَ دَقِيقَهَا وَجَلِيلَهَا فَبِهِ يَصُولُ الْعَالِمُ الرَّبَّانِي

❁ فاعل جَمَعَ ضمير مستتر يعود علىٰ القرآن الكريم؛ فإنه جمع جميع العلوم التي يحتاج إليها المسلمون في أمور دينهم، إما بالتفصيل أو بالإجمال الذي وضحته السنة وبيَّنته وفصلته كما قال الله تَعَالَىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هُود: ١]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحَشر: ٧].

وثبت عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «**لَعَنَ اللهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ وَالنَّامِصَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللهِ**». قال: فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب وكانت تقرأ القرآن فأتته فقالت ما حديث بلغني عنك أنك لعنت الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله فقال عبد الله وما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله فقالت المرأة لقد قرأت ما بين لوحي المصحف فما وجدته فقال: لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾»(١).

فالمقصود بالعلوم التي حواها القرآن؛ علوم العقائد والأحكام والآداب والأخلاق، بالإضافة إلىٰ ما فيها من ذكر قصص الأنبياء، وأخذ العبرة والعظة مما حل بالأمم السابقة؛ ولذلك قال: «جَمَعَ الْعُلُومَ دَقِيقَهَا وَجَلِيلَهَا».

وقوله: «فبه يَصُولُ الْعَالِمُ الرَّبَّانِي» أي: يستدل به العالم الرباني الذي لا يتجاوز الكتاب والسنة فيما يحكم به، وفيما يقول، وفيما يعمل، هذا هو العالم الرباني الذي رضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًا، وامتثل هدي الكتاب والسنة قولًا

(١) أخرجه مسلم [٢١٢٥].

وعملًا واعتقادًا ظاهـرًا وباطنًا، فيصول به في بيان الحق، والصـدع به، والرد علىٰ أعداء الحـق؛ هـذا هو العـالم الرباني الذي اتخـذ القرآن والسـنة منهجًا لـه في وروده وصدوره، في عسره ويسره، في منشـطه ومكرهـه، في جميع أحواله، يقف عنـد النصوص الشرعية، لا يتجاوزهـا لرأي فـلان أو علان؛ وإنما يقف عند حدود الـشرع التي جاءت وبينت في الكتـاب والسـنة، بها يصول، وبها يجـول، وبها يحكم، وبها يحلل، وبهـا يحرم، وبها يؤمن، وبهـا يوحـد الله، وبها يبتعد عـن الشرك، وبها يصلـح بين الناس، وبها يـؤدي حقوق الله عَزَّوَجَلَّ وحقوق عباده.

عليك ببكر الفكر إن كنت كفأها	وإلا تـنـح عـن ذرىٰ المجـد واقعد
فمـن قـلّـد الآراء ضـلّ عـن الهدىٰ	ومـن قلد المعصوم في الـديـن يهتدي
فمـا الـديـن إلا الاتـبـاع لما أتـىٰ	عـن الله والهـادي البـشـير محمد

وكما قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

واصـدع بما قـال الـرسـول ولا تخف	مـن قـلـة الأنـصـار والأعـوان
فـالله نـاصـر ديـنـه وكـتـابه	والله كـاف عـبـده بـأمـان[1]



(١) «النونية» لابن القيم، ص: [١٦].

٦٣- قَصَصٌ عَلَىٰ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ قَصَّهُ رَبِّـــي فَـأَحْـسَـــنَ أَيَّمَـــا إِحْـسَـــانِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣]؛ **فالمقصود بالقصص ليس مجرد قصص الأنبياء فحسب؛ وإنما المراد هذا الكتاب المتلوُّ بما تضمنه من قصص الأنبياء وغيره.**

القرآن سماه الله قصصًا؛ لأن الله قصه علىٰ جبريل؛ أي: تلاه عليه، وجبريل قصه علىٰ نبينا محمد ﷺ، ونبينا محمد ﷺ قصه علىٰ الأمة؛ فالقصص المقصود هنا التلاوة، ويتضمن القصص التي هي قصص الأنبياء والمرسلين وغيرها، فأحسنه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أيما إحسان؛ أي: أتقنه في نظمه، وفي إعجازه، وفي أحكامه العادلة، وفي ألفاظه ومعانيه فمعنىٰ «نقص» أي: نتلو؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣].



٦٤- وَأَبَانَ فِيهِ حَلَالَهُ وَحَرَامَهُ وَنَهَىٰ عَنِ الآثَامِ وَالْعِصْيَانِ

❁ وضح الله في هذا الكتاب المبين - الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد - الحلال من الحرام؛ فلا يجوز لأحد أن يحلل ولا أن يحرم إلا وفق هدي الكتاب والسنة، فلا يهرف أحد بما لا يعرف؛ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النحل: ١١٦ - ١١٧]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

وكذلك سائر ما حرم الله في كتابه، وما حرمه رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فالحلال ما أحله الله ورسوله، والحرام ما حرَّمه الله ورسوله، ولا يجوز لمسلم أن يحلل باجتهاده، فهؤلاء الأفاكون الذين يحلون الربا، ويحلون التمثيليات والمسرحيات، ويحلون الغناء والموسيقىٰ، ويحلون اختلاط الرجال بالنساء، ويحلون التصوير لغير ضرورة؛ سيقفون بين يدي الله فيما تحملوا من فتوىٰ بغير دليل، وكذلك الذين يحرمون ما أحل الله كالذين يحرمون علىٰ الأمة ما أحل الله لها من الطيبات، قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾ [الأعراف: ٣٢]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴾ [المائدة: ٨٧-٨٨].

كما أبان في هذا الكتاب العزيز وفي سنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معالم الذنوب والآثام والعصيان؛ ليجتنبها المؤمن الذي وفقه الله للوقوف عند حدوده؛ فلذلك يجب علىٰ المسلم أن يتعلم حتىٰ يعرف الحلال من الحرام، ويميز الخبيث من الطيب، والحق من الباطل، ويعبد الله علىٰ بصيرة من أمره؛ ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓا إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

٦٦- مَنْ قَالَ إِنَّ اللهَ خَالِقُ قَوْلِهِ فَقَدِ اسْتَحَلَّ عِبَادَةَ الأَوْثَانِ

❁ القائلون بخلق القرآن هم: الجهمية والمعتزلة؛ وأول من تبنىٰ ذلك واصل بن عطاء، ثم تتلمذ عليه تلميذه عمرو بن عبيد، ثم ابن أبي دؤاد، وبشر المريسي، ومن نهج نهجهم من دعاة الضلال، فهؤلاء قالوا: إن القرآن مخلوق، أي: أنه كلام الله الذي خلقه كما خلق الأشياء كلها – تعالىٰ الله عما يقولون علوًّا كبيرًا –، ونحن نقول: القرآن كلام الله الذي تكلم به حقيقة.

وشبهتهم في ذلك كما يزعمون: أننا لو أثبتنا صفة الكلام، للزم أن يكون مشابهًا لكلام المخلوقين كما هو دأبهم في تعطيل أو تأويل سائر الصفات فوقعوا في التشبيه أولًا فلما تصوروا التشبيه اضطروا إلىٰ التعطيل والتأويل فكانوا كالمستجير من الرمضاء بالنار، فهذه شبهة المتكلمين النافين للأسماء والصفات زعمًا منهم أنهم لو أثبتوا تلك الصفات للزم منها مشابهة المخلوقين، والواقع أنهم وقعوا فيما فروا منه، حيث لم يفهموا من صفة الكلام لله تَعَالَىٰ إلا صفة المخلوقين، فلما فهموا هذا الفهم السقيم وجدوا أنفسهم مضطرين إلىٰ التعطيل، وهو نفي صفة الكلام الحقيقي، فلما وقعوا في التعطيل قالوا: إنه لابد لهذه الصفة من معنىٰ إذ لا تعقل صفة بلا معنىٰ فلجأوا إلىٰ التأويل؛ وهو أن يكون الله خلق كلامه كما خلق الأشياء كلها. لذا قال أهل العلم رَحِمَهُمُ اللَّهُ: إنهم شبهوا أولا وعطلوا ثانيًا وأولوا ثالثًا؛ وهذا الاضطراب نتيجة حتمية لكل من أعرض عن هدي الكتاب والسنة، واستعاض عنهما بعلم الكلام الذي عامته من زبالات المنطق وأدران الفلسفة.

ومن شبههم أيضًا:

استدلالهم بآية زعموا أنها تدل علىٰ مدعاهم؛ وهي قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمر: ٦٢]، وجه استدلالهم أن «كل» تفيد العموم، وكذلك «شيء» تفيد العموم؛ فيدخل القرآن في عموم «كل»، وفي عموم «شيء».

والرد عليها أن يُقال لهم:

أولًا- من سبقكم إلىٰ هذا التفسير المبتدع؟ فالسلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ فهموا من هذه الآية أن الله خالق كل شيء مخلوق، ولا يدخل في ذلك أسماء الله وصفاته، هذا أمر.

وثانيًا- أن «كل» لا تفيد العموم بإطلاق؛ إلا إذا اقتضىٰ السياق ذلك؛ فهي تُقيَّدُ بحسب ما يقتضيه السياق والسباق؛ يدل لذلك ما حكاه الله عن ملكة سبأ بلقيس في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣]، هل المقصود أن هذه الملكة لم تفتها شاردة ولا واردة؟ ليس الأمر كذلك، بل إنها أوتيت من كل شيء تعارف عليه الناس أنه يكون عند الملوك أمثالها؛ ويُرَد عليهم بآية الأحقاف، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: ٢٥]، هل الريح دمرت الجبال؟ هل دمرت الأرض؟ هل دمرت الأنهار والبحار؟ لم يحصل ذلك.

بل المراد أنها تدمر كل شيء قابل للتدمير قد قدر الله عليه العذاب؛ ﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧ - ٨]؛ فأصبح المعنىٰ تدمر كل شيء قابل للتدمير. يتضح من هذا أن استدلالهم بالآية باطل، وأن المراد أن الله عَزَّوَجَلَّ خالق كل شيء مخلوق، ولا يدخل تحت ذلك أسماء الله وصفاته.

وأما شبهتهم الثانية: فهي استدلالهم الباطل بقول الله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣]؛ فقد زعموا أن «جعل» في الآية بمعنىٰ: خلق، فيكون المعنىٰ علىٰ حد زعمهم: إنا خلقناه قرآنا عربيا.

والجواب: أنه بالرجوع إلىٰ فهم السلف الصالح، ثم فهم أهل اللغة، العرب الأقحاح، نجد أن هذا المعنىٰ عندهم بعيدٌ كل البعد عن الصواب والحق؛ ذلك أن

لـ «جعـل» معنيين؛ فقد تأتي بمعنىٰ: خلق، وفي هذه الحـال تنصب مفعولًا واحدًا كما في قـول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]؛ أي: وخلـق الظلـمات والنور، وقد تـأتي بمعنىٰ: صيّر، وفي هذه الحال تنصب مفعولين كما في قول الله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣]؛ أي: صيرنـاه قرآنًا عربيًا؛ يعنـي تكلم به الله قرآنًا عربيًا، وأنزله قرآنًا عربيًا؛ فشتان بين الأمرين، ولذلك لا شبهة لهم في هذه الآية الكريمة ولا التي قبلها.

ولهم شبه أخرىٰ لا نجد ضرورة لاستقصائها، ومن أحب أن يستقصيها فليرجع إلىٰ كتب السـلف، وعلىٰ رأسها الجزء الخامس والسادس من مجموع الفتاوىٰ لشيخ الإسلام ابـن تيميـة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وشرح العقيـدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفـي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيرهما من كتب السـلف؛ ففيها بيان مفصل لشـبههم والرد عليها، وفيها ما يروي الغليل ويشـفي العليل.

ولكان كما قال الشاعر عبد الرحمن بن الحكم:

لـقـد أسـمـعـت لـو نـاديـت حـيًـا ... ولــكــن لا حــيـــاة لمــن تــنــادي

ولــو نـــارًا نـفـخـت بـهـا أضـــاءت ... ولــكــن أنـــت تـنـفـخ في رمــــاد[1]

فـالله عَزَّوَجَلَّ فـرق بـين الخلـق والأمـر، ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]؛ الأمـر مـا أمر بـه بكلامه، بقرآنـه، بالتـوراة، بالإنجيل؛ الأمر الـذي يتضمنه كلامـه، والخلق هو ما أوجده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقولـه: «فَقَدِ اسْـتَحَلَّ عِبَـادَةَ الأَوْثَانِ» كيف اسـتحل عبـادة الأوثان؟ وضحَتْ ذلـك السـنة فيـما صـح عـن النبـي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإن كان بعـض أهل العلـم يـرىٰ وقفه،

(١) «الأغاني» لأصفهاني (٥/ ١١٤).

لكن الموقوف صحيح لا مطعن فيه، بل المرفوع يرتقي إلىٰ درجة الحسن، **أعني**: قوله ﷺ: «**الْقَدَرِيَّة مَجُوسُ هذهِ الأُمَّة**»[1]؛ ووجه مشابهتم للمجوس أن المجوس يعبدون خالقين: النور خالق الخير عندهم، والظلمة خالقة الشر، والقدرية أثبتوا خالقين أيضًا، حيث قالوا: الله خالق العبد، والعبد خالق الفعل فجعلوا العبد خالقًا مع الله، وبهذا يتضح وجه الشبه. وكذا زعموا أن كلام الله الذي هو صفته مخلوقًا فاتضحت مناقضتهم لأنفسهم حيث جعلوا ما ليس مخلوقًا مخلوقًا، وهي صفات الرب سُبْحَانَهُ كما جعلوا المخلوق خالقًا باعتقادهم أن العبد يخلق فعله وأن أفعال العباد ليست مخلوقة لله؛ وهذا يعارض صريح القرآن؛ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢].



(١) أخرجه أبو داود [٤٦٩٣]، والحاكم [٢٨٦]، والبيهقي في «الكبرىٰ» [٢١٣٩١] من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين: إن صح سماع أبي حازم من ابن عمر ولم يخرجاه، وذكر له شاهدا. ووافقه الذهبي. وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» [٤٤٤٢].



٦٧- مَنْ قَالَ فِيهِ عِبَارَةٌ وَحِكَايَةٌ فَغَدًا يُجَرَّعُ مِنْ حَمِيمٍ آنِ

❁ يوضح الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأنَّ من حرَّفَ القرآن، واعتقد أنه عبارة أو حكاية عن كلام الله فهو متوعد بالوعيد الشديد؛ لأن قوله هذا يفضي في النهاية إلىٰ قول المعتزلة، أعني: قولهم بخلق القرآن، وهو لازم له لا محالة؛ ولذلك فهو متوعد بهذا الوعيد الشديد؛ وهو شرب الماء الآنِ الحميم الشديد الحرارة، الذي يشوي الوجوه؛ كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩] - والعياذ بالله -، وهذا شأن الكُفَّار المعارضين والمعاندين، ومن أولئكَ من تعمَّدَ تحريف كلام الله عَزَّوَجَلَّ؛ فأوَّلَ كلامه بأنه مخلوق، أو زعم أن القرآن عبارة أو حكاية عن كلام الله.

وهذا الأمر يحتاج إلىٰ شيء من التفصيل؛ لأن من وجدت عنده شبهة تأويل من عامة المسلمين ولم يتضح له الدليل؛ فلا ينطبق عليه هذا الوعيد الذي ذكر الناظم؛ ولكن هذا ينطبق في حق من تعمَّدَ بعد أن قامت عليه الحجة، وبعد أن وُضِّحَ له الدليل فأصر، قال ولو قام هذا الدليل؛ فإنه يعتقد إن القرآن حكاية أو عبارة عن كلام الله، وليس هو كلام الله.

أمَّا من لم تقم عليه الحجة، ومن لم يقم عليه الدليل، وقلَّدَ الآباء والأجداد في هذه العقيدة؛ فلا ينطبق عليه هذا الوعيد؛ لأنه لا يكون كافرًا حينئذٍ، وإنما هو من المبتدعة من المسلمين الذين وُجِدَت عندهم هذه البدع.

وكلام الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان في أول ظهور مذهب التأويل، وكان جديدًا عليه؛ ولذلك شدَّد علىٰ هؤلاء، كما شدد السلف علىٰ الجهمية المعاندة، وأطلقوا عليهم الكفر، وهم كذلك إذ أن الكفر محمول علىٰ كل من أنكر صفات الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ معاندًا ومعارضًا

للأدلة الشرعية من الكتاب والسنة، وهذا الحكم ينطبق أيضًا علىٰ كل من جحد الأسماء والصفات أو بعضها بعد قيام الحجة عليه، وقد ألف في ذلك بعض السلف مثل كتاب عثمان بن سعيد الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعنوان: «رد عثمان بن سعيد علىٰ الكافر العنيد فيما افترىٰ علىٰ الله من التوحيد» في رده علىٰ بشر المريسي الذي أقيمت عليه الحجة مرارًا فأصر علىٰ عناده وكفره.

أما لو وجدنا أحدًا من الأشاعرة والماتُرِيديَّة يتبنون هذا الأمر، ويقولون: إن القرآن عبارة وحكاية عن كلام الله؛ فإننا لا نعامله معاملة الجاحد المعاند المنكر نُبيِّنَ له القول الحق بدليله، وأن هذه الشبهة باطلة، فإذا أصرَّ علىٰ الرغم من بيان الدليل له وإقامة الحجة عليه، وقال: لو سمعت ألف دليل فأنا لن أحيد عن هذا الأمر؛ فهذا هو الذي ينطبق عليه مثل هذا الوعيد، وعليه أن يتجرَّعَ العذاب جزاء تركه لكتاب الله تَعَالَىٰ وسنة رسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واتباعه أقوال البشر المأخوذة من أوضار الفلسفة وأدران المنطق كما ذكر الله جَلَّ وَعَلَا عن أسلافهم من الكفار منكري كلام الرب تعالىٰ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ [المدثر: ٢٤ - ٣٠].

فينبغي أن نفهم هذه القضية جيدًا؛ والناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ شدَّد علىٰ الأشاعرة والماتريدية وإن كان حكم عليهم بمقتضىٰ مذهبهم - فمذهبهم في الأصل مذهب الكلابية - أعني تأويل بعض الصفات وإثبات البعض الآخر علىٰ ما في هذا الإثبات من دخن، وليس هو مذهب أبي الحسن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي مات عليه؛ وإنما هو مذهب محمد بن كُلاَّبْ، ونسب إلىٰ الأشعري؛ لأنه كان قد تبناه في طوره الثاني، مع أنه تركه وعاد إلىٰ منهج السلف الصالح رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.

فمن زعم أن القرآن عبارة عن كلام الله أو حكاية عن كلام الله وأُقيم عليه الدليل والحجة وأزيلت عنه الشبهة فلم يقبل ذلك وأصر علىٰ هذا الكلام؛ فلا شك في كفره، وأنه ينطبق عليه هذا الوعيد.

فلابدَّ من مراعاة هذا التفصيل والتنبّهِ له حتىٰ لا نتسرع في الحكم بتكفير مسلم، ولعل له عذرًا بسبب شبهة انقدحت في ذهنه أو قلد فيها بعض الشيوخ أو ورثها عن الآباء والأجداد، فيوكل أمره إلىٰ ربه.

أما من أقيم عليه الدليل، وقال: لا أريد هذا الدليل، أنا أرفضه، وعاند وكابر ولم يقبل هدىٰ الله، وأصر علىٰ التحريف والتأويل، علىٰ الرغم من ظهور الحجة وبيانها وقيام الدليل؛ فمثل هذا لا يعذر.

ونقول لمن قال إن القرآن مخلوق أو عبارة أو حكاية عن كلام الله: من الذي عبرَّ عن الله؟ من الذي حكاه عن الله؟ هل الله عاجزٌ عن التعبير - تعالىٰ الله عما يقولون علوًا كبيرًا - ولذلك فإنه يجب علىٰ المسلم أن يعتقد أن القرآن كلام الله الذي تكلم به حقيقةً؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ يتكلم بما شاء متىٰ شاء كيف شاء، ولا يُقال أن كلامه هو المعنىٰ القائم بالنفس، ولا يُقال إن كلامه مخلوق، ولا يُقال أنه عبارة أو حكاية عن كلام الله، ولا يُقال أنه تكلَّم بعد أن لم يكن متكلمًا، كما تقول الكرَّامية، ولا يُقال أنه تكلَّم بكل هذه الأمور مرة واحدة، ثم لم يعد بعد ذلك متكلمًا، ولا يُقال إنها حروف وأصوات خلقها الله في الهواء، وسمعها الناس من الهواء - تعالىٰ الله عما يقولون علوًا كبيرًا -؛ بل هو كلام الله عَزَّوَجَلَّ الذي تكلم به، وسمعه منه جبريل، وبلغه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبلغه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ أمته.

٦٨- مَـنْ قَـالَ إِنَّ حُـرُوفَـهُ مَخْلُوقَةٌ فَـالْـعَـنْـهُ ثُـمَّ اهْـجُـرْهُ كُـلَّ أَوَانِ

❁ الذيـن زعمـوا أن حروف القرآن مخلوقـة، هم طوائف؛ منهـم: الجهمية والمعتزلة الذيـن صرحـوا بأنَّ القـرآن مخلوق، ومنهم آخـرون؛ قالوا: إن الله خلق الـكلام في الهواء، فسـمع جبريل حـروف القرآن من الهواء؛ فبلغه إلىٰ النبـي ﷺ، وكل هذه الطوائف ومن شـاكلها ضلّت عن سـواء السبيل، واتبعت منطق وفلسفة اليونان والرومان؛ ولذلك تجد جميع كتبهم التي ألفت في هذا الباب تخلو من «قال الله»، و«قال رسوله ﷺ».

فنحـن نلعن الجهمية، ونلعن المعتزلـة، ونلعن الطوائف المبتدعـة؛ لأن الله لعنهم، ولأن رسـول الله ﷺ لعنهـم؛ ولكـن الشـخص المعـين من هـؤلاء لا يجـوز لعنه حتىٰ تقام عليه الحجة وتزال عنه الشـبهة، والناظـم عندما يقول: «فَالْعَنْهُ كُلَّ أَوَانِ»؛ أي: في جميـع الأوقـات، يعني بذلـك: من يقول بهذا الأمر بشـكل عام، ولا يعنـي ذلك لَعن المعـيَّن؛ بل إن النبي ﷺ لما قنت شـهرًا يلعـن رَعْلًا وذَكْوَان، الذيـن قتلوا القُرَّاء؛ عاتبه ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بقوله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨]؛ فكـفَّ النبـي ﷺ عن لعنهـم، وفعلًا بعضهم قد أسـلم بعد ذلك وحسن إسلامه؛ لأن الخواتيم بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ ولذلك لاينبغي لعن المعيَّن.

فنحن نلعن مثلًا آكل الربا، وموكله، وكاتبه، وشـاهديه؛ لكن لو وجدت شـخصا معينـا قـد وقـع في الربا وهو مسـلم فـلا يجوز لـك أن تقول له: تعـال أيها الملعـون؛ أي: المتوعد باللعنة، فلعل الله أن يتوب عليه في المسـتقبل، لكن تقول: لعن الله آكل الربا علىٰ العموم؛ لأن الله ورسـوله لعناه، وعليه قس سائر ما جاء النص بلعنهم علىٰ وجه العموم كقوله ﷺ: **«لَعَنَ اللهُ الْمُصَوِّرِينَ»**[1]، وقوله: **«لعن الله الواشمة، والمسـتوشمة والواصلـة والمسـتوصلة والمتفلجـات للحسـن»**[2]، وقوله: **«لعن الله مـن لعن والديه**

---

(١) أخرجه: البخاري [٢٢٣٨] من حديث أبي جحيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. (٢) تقدم تخريجه في ص: [١٦٩].

ولعن الله من ذبح لغير الله ولعن الله من آوىٰ محدثا ولعن الله من غير منار الأرض»[١]، وقوله: «**الْمَدِينَةُ حَرَمٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَىٰ ثَوْرٍ فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا أَوْ آوَىٰ مُحْدِثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»[٢]؛ ولذلك فإن القول الراجح عند السلف رَحِمَهُمُ اللَّهُ لعن تلك الطوائف التي لعنها الله ورسوله بوصفها العام دون لعن المعين كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في غير ما موضع من كتبه؛ ومن ذلك مثلا قوله: «كره أكثر أهل السنة لعنة أحد بعينه»[٣]، وقوله: «وكذلك قصد لعنة أحد منهم بعينه ليس هو من أعمال الصالحين والأبرار. وقد ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**لعن الله الخمرة وعاصرها ومعتصرها وحاملها وساقيها وشاربها وبائعها ومشتريها وآكل ثمنها**». وصح عنه: «أنه كان علىٰ عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجل يكثر شربها يدعىٰ حمارا وكان كلما أتي به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جلده فأتىٰ به إليه ليجلده فقال رجل: لعنه الله ما أكثر ما يؤتىٰ به إلىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله**». وقد لعن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شارب الخمر عمومًا ونهىٰ عن لعنة المؤمن المعين»[٤]، وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «**والمختار عند الأمة: أنا لا نلعن معينا مطلقًا**»[٥].

فكلام الناظم هنا متعلق بعموم الطوائف لا بالأفراد إلا من علم يقينا أنه مات علىٰ الكفر كفرعون وهامان وقارون وأبي جهل وأُبيٍّ بن خلف وأشباههم من الكفار؛ فهؤلاء نلعنهم ولا كرامة.

---

(١) أخرجه مسلم [١٩٧٨] من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري [٣١٧٢]، ومسلم [١٣٧٠] من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) «الفتاوىٰ» (٣/ ٤٠٩).

(٤) المصدر السابق (٤/ ٤٧٤).

(٥) المصدر السابق (٢٧/ ٤٧٥).

مسألة الهجر

٦٩- لاَ تَلْقَ مُبْتَدِعًا وَلاَ مُتَزَنْدِقًا إِلاَّ بِعَبْسَةِ مَالِكِ الْغَضْبَانِ

* المبتدع: هو الذي اتخذ البدعة منهجًا له كالانتماء إلىٰ الطوائف المنحرفة عن الدين، وتُبنى مناهجها علىٰ ذلك الانحراف ولو كانوا يدعون الإسلام، فإن المبتدع ينبغي أن تهجره، وأن تبتعد عنه، وأن لا تؤاكله، ولا تشاربه.

وأما من عنده شيءٌ من البدع ولم تكن البدع منهجًا له ولا يدعو إليها، فالأولىٰ عدم هجرانه؛ لأن ذلك يسلمه للمبتدعة المغرقين، أو لأعداء الإسلام. فإذا كان ممن وقع في بعض الأخطاء أو التأويلات أو البدع ولم تكن تلك البدع منهجًا له يتبناه وينافح عنه؛ فلا ينطبق عليه هذا الأمر وهو الهجران والاكفهرار في وجهه، والبعد عنه، وتجنبه وعدم مخالطته.

فالمسالة فيها تفصيل، أما المتزندق فهذا يُهجر قولًا واحدًا، والمتزندق هو المنسلخ من الدين، من الذين يستحلون ما حرم الله، وينكرون بعض ما هو معلوم من الدين بالضرورة، أو تاركي الصلاة، أو نحو ذلك.

والمبتدع ولو لم يكن متزندقًا إذا كانت البدعة منهجه وطابعه ومنهج حياته فالواجب البعد عنه؛ لئلا تكثر سواده، ولئلا تتأثر أو تتأذىٰ ببدعته؛ قال غير واحد من السلف: «لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون»(١). عندما جاء بعض المبتدعة إلىٰ محمد بن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ قالوا: يا أبا بكر! نريد أن نقرأ عليك آية من كتاب الله؛ قال: لا، ولا آية، قالوا: فحديثا من أحاديث رسول الله، قال لهم: ولا حديث. إما أن تخرجوا أو أخرج، فقال له بعض الجالسين: يا أبا بكر! هلاَّ سمعت منهم شيئًا من القرآن أو السنة؟ قال: أخشىٰ أن

---

(١) انظر: «سنن الدارمي» [٤٠٥]، «البدع» لابن وضاح [١١٩].

أسـمع شـيئًا من بدعهم فتقرَّ في قلبي. يخاف علىٰ نفسه من شبههم وهو من هو في الإمامة والتقوىٰ.

وهـذا الإمـام مالك عندما جاءه مبتـدع، قال: الرحمن علىٰ العرش اسـتوىٰ فكيف اسـتوىٰ؟ قـال: الاسـتواء معلوم، والكيـف مجهول، والإيـمان به واجب، والسـؤال عنه بدعة. ثم أمر بإخراجه من المجلس.

وآثـار السـلف في هذا البـاب كثيرة، وهـذا ينطبق عـلىٰ المبتدعةالمؤصلـين في البدع. أما الذين وجدت عندهم بعض الأخطاء البدعية، وهي ليسـت منهجًا لهم؛ فينبغي الترفُّق معهم والحكمة، لعلهم يتوبون ويرجعون. أما من أصرَّ ورفض سماع الكتاب والسنة وأصرَّ علىٰ بدعه؛ فهذا يُترك ويُهجر ولا كرامة له.

ثـم أيضًا يراعىٰ في هذا الهجر المصالح والمفاسـد؛ فـإن كان هجره قد يوقعه فيما هو أعظم أو يتكثر به سـواد أعداء أهل السـنة؛ فينبغي عدم الهجر؛ لِئلا يتضرر به المسلمون، وإن كان الهجر يؤثر فيه ويكون سببًا في هدايته؛ فإن الأولىٰ هجرانه؛ لعله يرعوي.

ولا أدلَّ على هذا من حادثتين:

الأولىٰ- قصـة كعب بـن مالـك وصاحبيـه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فـإن ما بـدر منه لم يكـن نفاقًا ولا جحدًا ولا عنادًا ولا شيئًا من ذلك؛ وإنما هو التسويف، وكان كل واحدٍ منهم يتمنىٰ أنه شـارك في غـزوة تبوك، لكن حصـل شيء من التسـويف والتأخير الـذي ندموا عليه -رضي الله عنهم وأرضاهم -، هؤلاء الثلاثة الذين قَبِلَ الله توبتهم، وأمرهم لم يكن مثل شـأن بعض أهـل البدع، ومع ذلك هجـروا؛ لأن فيه نفعا لهم، وفيـه تمحيصٌ لهم، وكان سببًا في أنْ منَّ الله عليهم بالتوبة.

والثانيـة- الرجـل الذي حصلـت منه معصيـة شرب الخمر، وكان مـرارًا يُؤتىٰ به ويُجلـد في الخمـر، وكان يُضْحِـكُ النبي ﷺ؛ فقال: «**لَا تَلْعَنُـوهُ، ما علمت إلا أنه يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ**»[1]؛ وقال: «**لا تكونوا عونًا للشيطان علىٰ أخيكم**»[2]. وليس في هذا إيواء لأهل المعاصي والإحداث في الدين، حاشا لله! ولكن تعامل كل حالة بما يناسبها.

وأيضًا مثل هذا: تركه ﷺ للمنافقين لئلَّا يعود أذاهم علىٰ المسلمين من ناحية، ولئلا يتذرع بذلك أعداء الإسلام؛ فيقولون: إن محمدًا يقتل أصحابه، مع أنه يعرفهم واحدًا واحدًا، ومع ذلك كان يُداريهم، وفرقٌ بين المداراة وبين المداهنة.

فالمداهنـة: التنازل عـن الحق مع وضوحه وظهوره أو التنـازل عن الدين لمصلحة دنيويـة، وأما المـداراة: فهي ترك ما فعله أولىٰ من تركه ولـو لوقت، مثل قوله ﷺ لعائشـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**ألم تـري أن قومـك بنـوا الكعبـة واقتصـروا عـن قواعـد إبراهيم فقلـت يا رسـول الله أفلا تردها علىٰ قواعـد إبراهيم قال لولا حِدثـان قومك بالكفر لفعلت**»[3]؛ وهذا أصل عظيم للتعامل مع المخالفين لا بد من تطبيقه لا سيما بين طلاب العلم من باب الرفق الذي لا يكون في شيء إلا زانه وهو عين العقل والحكمة في التعامل مـع الأحـداث لئلا تلق الأحكام عـلىٰ الناس جزافًا من قبل بعـض سرعان الناس الذين ليـس لديهم فرقان يفرقـون به بين الموالاة والمداهنة والمـدارة، ولذلك ينبغي لطلاب العلم أن يفهمـوا هـذه القضية فهما جيدا، فالبعض منهم إذا أخطأ أخوه أو زميله، أو وقع في شيء -وربما أنه كان متأولًا أو ناسيًا أو جاهلًا - قال له: أنا سأهجرك، أو أنت مهجور، لا أسلم عليك، لماذا تمشي مع فلان أو علان؟!

(١) أخرجه البخاري [٦٧٨٠] من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه البخاري [٦٧٧٧] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) أخرجه البخاري [١٥٨٣]، ومسلم [١٣٣٣].

وقـد وجدنا هـذا من صغار الطلبة - وللأسـف -، الذين يهرفون بـما لا يعرفون، وهذا خطأ فاحش، فقد تقتضي المصلحة عدم الهجر أحيانًا، وقد تقتضي الهجر في مسـألة أقل منها إذا كان يُؤمل أن يكون سببًا في هداية المهجور. فمسألة الهجر ينظر إليها من زاوية وقاعـدة: مراعاة المصالح والمفاسـد ولا ينظر إليها بمحض الـرأي والعواطف المجردة. فـكلام الناظـم هنا مقيد كما تقـدم بيانه للجمع بين أقوال السـلف عـلىٰ ضوء النصوص الشرعية في مسألة المدارة.

وهنـا سـؤال قد يطرح: أيهما أعظم؛ ما فعله كعب بـن مالك وأصحابه - رضي الله عنهـم وأرضاهم - من التخلف عن غزوة تبوك أم المنافقون؟ فمعلوم أن المنافقين كفار، ومـع هـذا داراهم النبـي ﷺ، والمداراة ليسـت مداهنـة ولا مـوالاة، وإنما تأخير ما حقه التقديم أحيانًا لمصلحة تعود علىٰ الإسلام والمسلمين، فترك المنافقين في عهد النبي ﷺ ليـس مداهنـة ولا مجاملة ولا موالاة؛ وإنَّما ذلك لأمريـن؛ **وهما: أولًا**- اكتفاء شرهم وأذاهم، و **ثانيًا**- لئلا يُقال إن محمدا يقتل أصحابه، فيُراعىٰ الوضع الذي يعيشـه المسـلمون ويُنظر له بعين الاعتبار؛ لذلك ينبغي لبعض صغار طلاب العلم الذين تأثروا ببعـض مناهـج الحدادية[١] مـن حيث لا يشـعرون أن يفهموا هذه المسـألة ويطبقوا هذه القاعدة، والحمد لله أن هذا الفكر قد ضَعُف - بفضل الله تَعَالَىٰ - بخروج الحداد وزمرته مـن دولـة التوحيد والسـنة، ومع ذلك فـإن فكرهـم المشـين - وهو التـسرع في الأحكام

(١) فرقة معاصرة بدعية اشتهرت بالتسرع في الأحكام علىٰ الناس دون مراعاة للضوابط الشرعية، سميت بالحداديـة نسـبة إلىٰ مؤسسـها محمود الحدّاد المـصري، وأول ما بـدأت هذه الفرقة بالطعن والتشـهير بالحافظـين النـووي وابن حجر رَحِمَهُمَاٱللَّهُ والدعـوة إلىٰ إحراق كتبهما، ثم تطور أمرهـم إلىٰ أن صاروا يحـذرون مـن كبار علماء الهـدىٰ والدين أمثـال ابن باز والألبـاني وغيرهما، بل ينتقدون مـن يدعو إلىٰ دراسة وتدريس عقيدة السلف.

....

والهجر! - ما زال موجودا عند بعض الأفراد الذين قلّ علمهم وضعف إيمانهم فنجد أحدهم يقول فلان لا أسلم عليه لأنه يمشي مع فلان الحزبي. فهلا سألت أخاك لماذا مشىٰ معه؟ لعله مشىٰ معه يدعوه، هل رأيته يشاركه في بدعته؟ هل رأيته يمارس طقوسه؟ هل رأيته يقع في ما يقع فيه؟

وقد نحتاج إلىٰ زيارة بعض المراكز التي فيها ما فيها من الدخن، في خارج هذه البلاد، حيث توجد هناك مراكز إسلامية فيها دخن وأمور تعرف منها وتنكر، فالمسلمون في وضع يحتاجون فيه إلىٰ شيء من التألف والمداراة؛ ولا يظن أحد أن المداراة هي التنازل عن المبادئ! بل علينا أن نفهم منهج السلف في التفريق بين المداراة والمداهنة - كما ذكرت آنفا - ففرق بين أن يأتي شخص مداهن ويذوب مع المبتدعة ويطبل معهم ويرقص معهم ويمارس معهم طقوسهم البدعية أو يكثر سوادهم وبين شخصٍ قد يذهب إلىٰ فلان ويدعوه إلىٰ الله، وقد يُهديه بعض المال تألفا كما فعل النبي ﷺ مع صفوان بن أمية قبل أن يسلم وغيره من المؤلفة قلوبهم.

فعلينا أن نفرق بين المداراة وبين المداهنة والموالاة، فبينهما كما بين الثرىٰ والثريّا.

وقوله: «إلا بعبسة مالك الغضبان»؛ مقصوده أن تلق المبتدعة المغرقين في بدعهم والمؤصِلين لها بوجه عبوس مكفهر كحال مالك خازن النار؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَنَادَوْاْ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ﴾ [الزُّخرُف: ٧٧].

فعليك أن تكره أصحاب البدع، وأن تكفهر في وجوههم، ولكن هذا يخضع إلىٰ التفصيل الذي تقدم بيانه من مراعاة المصالح والمفاسد.

٧٠- وَالْوَقْفُ فِي الْقُرْآنِ خُبْثٌ بَاطِلٌ وَخِـدَاعُ كُـلِّ مُـذَبْـذَبٍ حَـيْرَانِ

❁ مـا زال الناظـم رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتكلم عن القـرآن، وأنـه كلام الله عَزَّوَجَلَّ، وأنه يجب علىٰ المسلم أن يعتقـد أنـه كلام الله غـير مخلـوق، منه بـدأ وإليه يعـود، وقد تكلم بـه حقيقة، وأوحىٰ به إلىٰ جبريل، وسـمعه جبريل بحرف وصوت، وبلغه جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلَّغَهُ للأمة، وكل ذلك قد تقدم تفصيله.

أقول: وما زال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ يحذر من مخالفة هذا المعتقد، ويشـير إلىٰ بعض الفرق التـي خالفت المنهـج الحق في ذلك، وفي هذا البيت يتحدث عـن الواقفة الذين هم رأس في التعطيل، بل هم شر المعطلة كما قال الإمام أحمد. فهم الذين يرون التوقف في الأسـماء والصفـات، فيقولـون: نحن نسـكت، ولا نقول لهـا معنىٰ، ولا ليس لهـا معنىٰ، لا نقول ظاهرهـا مـراد ولا غير مـراد، بل نتوقـف في ذلك كله، وهـذا هو التعطيـل بعينه؛ وكأن القرآن عندهم لا يعدو أن يكون ألغازًا وأحَاجيَّ لم نُتَعبد بفهمه، - ولو سلمنا جدلًا لهذا المذهب الفاسـد - فما معنىٰ قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]، وقولـه سُبْحَانَهُ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [ص: ٢٩]. فما المقصود بذلك إن لم نكن متعبدين بتلاوته وفهم معانيه؟ يقول التابعـي الجليـل أبو عبد الرحمن السُـلَميّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حدثنـا الذين كانـوا يقرءوننا القرآن عثمان بن عفان وعبد الله بن مسـعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عـشر آيات لم يتجاوزوها حتىٰ يتعلموا ما فيها مـن العلم والعمل. قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعًا»(١).

---

(١) انظر: «البدع» لابن وضاح، ص: [٩٣].

فالوقـف في القرآن بحيث لا يُعتقدُ أنـه كلام الله الذي تكلم به حقيقة، أو لا يؤمن المرء بمعاني أسـماء الله وصفاته علىٰ الوجه الذي يرضيه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، هذا الوقف هو عين التعطيـل؛ ولذلـك وصفه بالخبث، ووصفه بأنـه باطل، ووصفه بأنه من الحيرة والشـك - نعـوذ بالله من الشـك والحيرة -، وهكذا شـأن أهـل الكلام مصيرهم دائمًا إلىٰ الشـك والحيرة؛ لأنهم انشغلوا بعلم الكلام عن هدي القرآن والسنة.

نـهـايـةُ إقَـــدامِ الـعُـقـولِ عِقَـالُ ... وأكْـثَـر سَـعْـيِ الـعَـالمـينَ ضَلالُ

وأروَاحُـنَـا في وحشَـةٍ مـن جسُومِنا ... وأكـثـر دُنْـيَـانَـا أذىٰ وَوَبَــالُ

وَلمْ نستَفِدْ من بَحْثِنا طَولَ عُمرِنَا ... سِوىٰ أنْ جَمعْنَا فيه قِيلَ وقَالوا[1]

هكـذا يقول الرازي لما حضرته الوفاة في وصف حاله التي كان عليها وحال الذين يشتغلون بعلم الكلام والمنطق، ويتركون كتاب الله وسنة رسوله وراءهم ظِهريًّا.

ويقول الآخر:

لـعـمـري لـقـد طـفـت المعـاهـد كـلها ... وصـــيرت طـــرفي بـــين تـلـك المعـالم

فـلـم أر إلا واضـعًـا كـف حـائـر ... علىٰ ذقـن أو قـارعـا سـن نـــادمِ[2]

فانتهىٰ بهم الأمر إلىٰ الحيرة والشك، ومن ثم إلىٰ التوقف الذي هو عين التعطيل؛ ومنهم مـن يقـول: ها أنا أموت علىٰ عقيدة أمي، ومنهم من يقول: ها أنا أموت علىٰ عقيدة عجائز نيسابور، ومن جرَّب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي».

---

(١) انظر: «طبقات الشافعية» للسبكي (٨/ ٩٦)، «القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد» لابن عثيمين (١/ ٧) عن عبد الله محمد بن عمر الرازي.

(٢) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٤ / ٧٣).

٧١- وقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلاَمُ إِلَهِنَا   وَاعْجَلْ وَلاَ تَكُ فِي الإِجَابَةِ وَانِي

❁ يبين الناظم في هذا البيت أنه يجب أن تعتقد ولا تتوقف - كما تتوقف المعطلة - أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن تصرح بذلك عاجلًا غير آجل أي: بدون توانٍ، أو تأخير أو تسويف.

والمقصود بالواني: الكسلان المسوف؛ فمتىٰ ما سُئلت عن القرآن فقل: هو كلام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ غير مخلوق، ولا تتردد في الإجابة، ولا تكن متشككًا أو مترددًا؛ بل قلها بيقين وصدق وأمانة وإخلاص.



٧٢- أَهْلُ الشَّرِيعَةِ أَيْقَنُوا بِنُزُولِهِ وَالْقَائِلُونَ بِخَلْقِهِ شُكَّلَانِ
٧٣- وَتَجَنَّبِ اللَّفْظَيْنِ إِنَّ كِلَيْهِمَا وَمَقَالَ جَهْمٍ عِنْدَنَا سِيَّانِ

❁ **أهل الشريعة**، أي: المؤمنون الخُلَّص، الوقَّافون عند كتاب الله - عَزَّوَجَلَّ، وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذين لا يتجاوزون القرآن والحديث فيما يجب لله، وما يجوز عليه، وما يمتنع عليه؛ بل يقفون عند حدود النصوص؛ فالعلم عندهم: قال الله قال رسوله مع فهم الصحابة والسلف الصالح لهذا القول؛ فهم موقنون غير متشككين بأي وجه من وجوه الشك بأنه كلام رب العالمين الذي منه بدأ وإليه يعود، وأنه غير مخلوق.

وبعد أن بين رَحِمَهُ اللَّهُ عقيدة السلف الصالح التي يجب أن يعتقدها كل مسلم ولا يحيد عنها قِيدَ أُنملة؛ وهو أن القرآن كلام الله غير مخلوق، الذي تكلم به حقيقة، أخذ يبين مواقف الناس في المسألة؛ فإنهم انقسموا إلىٰ قسمين؛ بل إلىٰ أقسام، لكن الناظم يريد أن يذكر أولئك الذين صرحوا بالقول بخلق القرآن، وهم الجهمية والمعتزلة والقسم الآخر هم الذين عبروا بألفاظ أخرىٰ كقولهم: إنه عبارة أو حكاية عن كلام الله أو توقفوا وهم الماتريدية والأشعرية ومن نحا نحوهم، وكلها تؤول إلىٰ القول بخلق القرآن وتفضي إلىٰ التعطيل.

وقوله:

٧٣- وَتَجَنَّبِ اللَّفْظَيْنِ إِنَّ كِلَيْهِمَا وَمَقَالَ جَهْمٍ عِنْدَنَا سِيَّانِ

❁ مقصوده بذلك أنه يجب عليك أيها المسلم، المستقيم علىٰ الجادة، الوقَّاف عند الكتاب والسنة، أن تقف عند هذا الحدّ كما قال الإمام أحمد: «لا نصف الله إلا بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا نتجاوز القرآن والحديث»[1]، وإن الكلام الذي قالته بعض الفرق الضالة لا فرق بينه وبين كلام جهم بن صفوان، الذي صرح

(١) انظر: «أقاويل الثقات» لمرعي الكرمي، ص: [٢٣٤].

بالقـول بخلـق القرآن، سـواءٌ أولئك القائلـين بأنه خلقه في الهواء فسُـمِع مـن الهواء، أو القائلين بأنه المعنىٰ القائم بالنفس، أو القائلين بأنه تكلم به مرة واحدة ثم لم يعد بعد ذلك متكلما، أو القائلين بأنه عبارة أو حكاية عن كلام الله ونحو ذلك من الأقاويل الفاسـدة؛ فكلهـا لا فـرق بينها وبـين عقيدة جهم بن صفـوان، الذي صرح بالقـول بخلق القرآن. ولذلك وصف بعض أهل العلم كل من خرج عن منهج السـلف في الأسـماء والصفات بالتجهم.



كن سلفيا على الجادة

٧٤- يَا أَيُّهَا السُّنِّيُّ خُذْ بِوَصِيَّتِي ... وَاخْصُصْ بِذَلِكَ جُمْلَةَ الإِخْوَانِ

٧٥- وَاقْبَلْ وَصِيَّةَ مُشْفِقٍ مُتَوَدِّدٍ ... وَاسْمَعْ بِفَهْمٍ حَاضِرٍ يَقْظَانِ

❁ هنا ينادي ويدعو إخوانه أهل السنة والجماعة، - والمسلم له الشرف بأن يُقال له سُنيٌّ، وأن يُقال له سلفيٌّ، وأن يُقال له إنه من أتباع السلف، أو أنه من أهل السنة والجماعة، أو أنه من الجماعة، أو من أهل السنة أو أهل الحديث، أو نحو ذلك من الألقاب الشريفة التي ربما ضاقت بها بعض الأحزاب ذرعًا؛ فعليك أيها السلفي أن تثبُت كالطود الأشم، ولا تعبأ بنعيق الناعقين، وضجيج الضاجين، وصياح الصائحين؛ فأهل السنَّة والجماعة، وهم من وافق الحق ولو كنت وحدك كما قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1]، فالزم السنة وكن سلفيا علىٰ الجادة -.

يقول: يا أيها السُني! الزم السنة، عليك بطريق السنة إذ أنه طريق الجنة، وانصح إخوانك المؤمنين باتباع ذلك الطريق، كل من لقيته أو عرفته أو استطعت الوصول إليه من إخوانك في الله الذين يسيرون علىٰ هذا المنهج؛ ولذلك أمرنا وطلب منا أن نبين ذلك لكل الإخوان السائرين علىٰ هذا المنهج السلفي السني، المنتمين له ولا يعنيك من يتبرم أو يتخوف من هذا اللقب، كما أنه لا ينظر إلىٰ من قد يتلقب به وهو لا يمثله؛ فالعبرة بالحقائق لا بالدعاوىٰ والبهرجة.

فالناظم رَحِمَهُ اللَّهُ الموجه النصوح الشفوق المتودد الذي يحب لإخوانه المسلمين من أهل السنة ما يحب لنفسه من الخير و يكره لهم ما يكره لنفسه من الشر يوجه المسلمين أهل السنة إلىٰ الأخذ بهذا المعتقد، والعض عليه بالنواجذ؛ وهو أن القرآن كلام الله عَزَّوَجَلَّ

---

(١) «جامع الحديث» للسيوطي (٨/ ٧٨)، و«إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة» للشيخ حمود التويجري (١/ ٢٦٥).

وأن يبتعد عن كل من يخالف هذا المعتقد من الطوائف المنحرفة بغض النظر عن مسمياتها أو ألقابها، أو دعاويها التي تدعيها.

وكـــلٌ يـــدَّعِـــي وَصْـــلاً لِليلىٰ ۞ ولـــيـــلـــىٰ لا تُـــقِـــرُ لهـــم بِـــذاكَـــا

فالعبرة بصحة الدليل علىٰ صدق تلك الدعوىٰ؛

والـــدعَـــاوَىٰ إن لم تـــقِـــيـــمُـــوا عليـ ۞ ـــهـــا بـــيِّـــنَـــاتٍ أبـــنـــاؤهـــا أدْعـــيـــاءُ

كما يوصي إخوانه أهل السنة بأن يفهموا منهج أهل السنة والحق فهم أهل اليقظة، حاضرو الذهن قولًا وعملًا واعتقادًا؛ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾ [الأنعام: ٩٠]





٧٦- كُنْ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا مُتَوَسِّطًا عَـدْلًا بِـلَا نَـقْـصٍ وَلَا رُجْـحَـانِ

❁ يوجه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأنه يجب علىٰ المسلم أن يتوسط في الأمور كلها دونما زيادة أو نقصان، فخير الأمور أوساطها؛

عليك بأوساط الأمور فإنها نجاة ولا تركب ذلولا ولا صعبا

وقد وصف الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هذه الأمة بالوسطية؛ فقال سُبْحَانَهُ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البَقَرَة: ١٤٣]؛ قال أهل العلم: ﴿وَسَطًا﴾ أي: عدلًا خيارًا، وهذا هو شأن التوسط، فهم وسَط بين الأمم: بين تفريط اليهود وإفراط النصارىٰ؛ ولذلك أمرنا الله تَعَالَىٰ أن نسلك هذا السبيل الوسط؛ بقوله: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفَاتِحَة: ٦ - ٧]؛ أي: الطريق المستقيم، الذي لا إفراط فيه ولا تفريط غير طريق المغضوب عليهم، وهم اليهود، ولا طريق الضالين، وهم النصارىٰ؛ لأن اليهود ضلوا علىٰ علم فصاروا مغضوبًا عليهم، والنصارىٰ ضلوا علىٰ جهل؛ فصاروا ضالِّين حيث أضلهم شاوول اليهودي المسمىٰ بولس الذي حرَّفَ لهم دين المسيح، واخترع لهم هذه الأناجيل المحرفة التي تقوم علىٰ التثليث؛ الأب والابن وروح القدس - تعالىٰ الله عما يقولون علوًّا كبيرًا -؛ فاتبعوه بعد نحو ثلاثة عقود من رفع المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وقال الله تَعَالَىٰ آمرا بالوسطية والاستقامة علىٰ الدين الحق، والبعد عن الطرق المنحرفة الضالة؛ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأَنعَام: ١٥٣].

وفسر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك؛ فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «خط لنا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطًّا فقال: **«هذا سبيل الله، ثم خط خطوطًا عن يمينه وعن**

شماله» ثم قال: «**وهذه سبل علىٰ كل سبيل منها شيطان يدعو إليه**»، ثم تلا: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا﴾ إلىٰ آخر الآية»[1].

وقال رسول الله ﷺ - آمرًا إيَّانا بالوسطية -: «**يَسِّرُوا وَلا تُعَسِّرُوا وَبَشِّرُوا وَلا تُنَفِّرُوا**»[2] وقال: «**إنَّ الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا** - أي: اسلكوا الطريق الوسط - **وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة**»[3].

وكما أن أمة الإسلام وسط بين الأمم فإن أهل السنة وسط بين الفرق الضالة المنحرفة التي ظهرت بين المسلمين، ففي باب أسماء الله وصفاته، وسطٌ بين الجهمية المعطلة وبين الكراميَّةِ الْـمُشبِّهَة، وفي باب الوعد والوعيد وسطٌ بين الخوارج الغلاة والمعتزلة، وبين المرجِئة المفرِّطة المستحِلَّةِ أو المتساهلة في المحرمات، وفي باب الصحابة والخلفاء وسطٌ أيضًا بين الخوارج وبين الروافض، وفي أهل البيت وسطٌ أيضًا بين الخوارج وبين الرافضة، وهكذا فإن الأمة وسط بين الأمم وإن أهل السنة وسطٌ بين سائرِ الفرق التي ظهرت في الإسلام؛ ولذلك بيَّنَ الناظم أن عليك أيها السني أن تسلك الطريق الوسط الذي لا إفراط فيه ولا تفريط، وأن تبتعد عن كل ما يخالفه بغلوٍ أو تقصير بزيادة أو نقصان وهذا معنىٰ قوله: «بلا نقص وَلاَ رُجْحَانِ»؛:

خير الأمور الوسط الوسيط وشرها الإفراط والتفريط

---

(١) أخرجه أحمد [٤١٤٢]، والدارمي [٢٠٨]، والحاكم [٣٢٤١] وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وصححه الألباني في «المشكاة» [١٦٦].

(٢) أخرجه البخاري [٦٩] ومسلم [١٧٣٤] من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري [٦٩] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



الأمر بالبدء بالتوحيد الذي هو حق الله على العبيد

٧٧- وَاعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ رَبٌّ وَاحِدٌ ... مُتَنَزِّهٌ عَنْ ثَالِثٍ أَوْ ثَانِ
٧٨- الأَوَّلُ الْمُبْدِي بِغَيْرِ بِدَايَةٍ ... وَالآخِرُ الْمُفْنِي وَلَيْسَ بِفَانِ

❁ يُوجِّهُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ المؤمنين بأن يعلموا علم يقين ويعتقدوا اعتقادًا لا يعتريه شك ولا ريب ولا مرية، بأن الله رب واحد: واحد في ذاته، واحد في أسمائه وصفاته، واحد في أفعاله، واحد في ألوهيته وعبادته؛ ولذلك فإن هذا التنبيه يشمل أنواع التوحيد الثلاثة التي ثبتت باستقراء النصوص الشرعية.

لأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا شريك له: لا شريك له في ربوبيته، لا شريك له في أفعاله، لا شريك له في ذاته، لا شريك له في أسمائه وصفاته، لا شريك له في عبادته وألوهيته؛ وهذا هو معنىٰ لا إله إلا الله، فإنها تشمل معاني التوحيد الثلاثة، أي: أن نؤمن بأنه رب كل شيء ومليكه، وأن نثبت له الأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ، التي أثبتها لنفسه أو أثبتها له رسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن نفرده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالعبادة؛ ولذلك قال: «مُتَنَزِّهٌ عَنْ ثَالِثٍ أَوْ ثَانِ».

فقوله: «مُتَنَزِّهٌ عَنْ ثَالِثٍ»: ردًا علىٰ النصارىٰ الذين قالوا: إن الله ثالث ثلاثة، أو الذين قالوا: إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مركب من الأقانيم الثلاثة: الأب، والابن، وروح القدس، كما أن فيه ردًّا علىٰ اليهود الذين قالوا عزيرٌ ابن الله، والنصارىٰ الذين قالوا إن المسيح ابن الله، والثانوية من المجوس الذين قالوا إن للخلق خالقين: النور خالق الخير، والظلمة تخلق الشر، وكذا من شابههم أو نهج نهجهم من القدرية القائلين: إن الله خالق العبد والعبد خالق فعله بغير تقدير من الله كما تقدم - تعالىٰ الله عما يقول المشركون والظالمون والملحدون علوًّا كبيرًا -.

ولذلك فإن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قد عاب من جعل له ثانيًا أو ثالثًا، فهو سُبْحَانَهُ منزهٌ عن ذلك كله؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]؛ فالواجب علىٰ العبد إفراده تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بكل ما تحمله كلمة التوحيد والإفراد من معنىٰ، في الربوبية، والألوهية والأسماء والصفات؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص].

وقد ثبت في القرآن اسم الأول والآخر في قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

فهو الأول الذي ليس لأوليته بداية، والآخر الذي ليس لآخريَّتِهِ نهاية، وصح عن رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تفسير ذلك في حديث طويل مما يقال عند النوم: «**أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء**»(١)، فالرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد فسَّرَ المقصود بالأوليَّةِ والآخريَّة في هذا الحديث؛ فهو سُبْحَانَهُ الأول الذي خلق الخلق وليست له بداية، يخترع علىٰ غير مثال سابق، يخلق من العدم إلىٰ الوجود، يخلق بكلمة: «كُنْ فيكون» ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وهو الذي يُفني الناس؛ أي: يميتهم بعد أن أحياهم: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الجاثية: ٢٦]؛ ولذلك قال: «الـمُفْنِي وَلَيْسَ بِفَانِ»: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦ - ٢٧]

(١) أخرجه أحمد [٨٩٦٠]، ومسلم [٢٧١٣] من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قال الإمام الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يفنىٰ ولا يبيد ولا يكون إلا ما يريد»[١]، وهكذا عبارات السلف تجدها متقاربة ويوضح بعضها بعضًا، فكلام السلف مؤتلف وعليه نور؛ لأنه يستند إلىٰ نصوص الكتاب والسنة، وكلام أهل الكلام من الخلف مختلف وعليه ظلمة؛ لأنه يستند إلىٰ أوضار الفلسفة وأدران المنطق، التي تعلقوا بها وتركوا كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وراءهم ظهريًّا، وهو سبب فُرْقَتِهِم، وبُعْدِهِم عن الله، يبحثون عن سبب الخلاص، وهو بين أيديهم لو وفقوا للأخذ به.

ومن العجائب والعجائب جمة ... قرب الحبيب وما إليه وصول

كالعيس في البيداء يقتلها الظما ... والماء فوق ظهورها محمول



(١) «العقيدة الطحاوية»، ص: [١٧].

إيضاح أن وصف الله بالكلام صفة مدح وكمال لا نقص فيه بوجه من الوجوه

٧٩- وَكَلَامُهُ صِفَةٌ لَهُ وَجَلَالَةٌ ... مِنْهُ بِلَا أَمَدٍ وَلَا حِدْثَانِ

❁ أي: إن الكلام صفة لله جَلَّ وَعَلَا يتكلم متىٰ شاء إذا شاء كيف شاء.

وللناس في الكلام أكثر من مائة قول أشهرها أربعة:

القول الأول: قول السلف؛ وهو أن الله عَزَّوَجَلَّ يتكلم متىٰ شاء بما شاء إذا شاء كيف شاء، بصوت وحرف مسموع علىٰ ما تقدم تفصيله؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وقال تعالىٰ: ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الكهف: ٢٧]، وقال تَعَالَىٰ أيضًا: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا﴾ [الكهف: ١٠٩]، ويقول الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: من حديث خولة بنت حكيم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا: «**من قال حينما ينزل منزلًا: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتىٰ يرحل من منزله ذلك**»[1]، وثبت أن الله كلَّم آدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وكلَّم نبينا محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وكلَّم موسىٰ تكليمًا، وكلَّم من شاء من أنبيائه ورسله، وتكلَّم بالقرآن، وتكلَّم بالتوراة، وتكلَّم بالإنجيل، وتكلَّم بالزبور؛ فهو يتكلم بما شاء متىٰ شاء إذا شاء كيف شاء، وهذا هو مذهب السلف أهل السنة والجماعة.

القول الثاني: مذهب المعتزلة؛ وهو أن كلام الله مخلوق، وأن الله يخلق الكلام ثم يُسمَع علىٰ خلاف بينهم: هل يُسمَع من الهواء أو يُسمَع من أي مكان؟ فقالوا - علىٰ سبيل المثال -: لما كلم الله موسىٰ خلق الله الكلام في الشجرة، وبعد أن خلق الكلام في الشجرة سمعه موسىٰ من الشجرة.

---

(١) أخرجه مسلم [٢٧٠٨].

القول الثالث: قول الأشـاعرة والماتُرِيدية؛ وهم متفقون علىٰ أن الكلام هو المعنىٰ القائـم بالنفـس، لكن اختلفوا في العبارة، فمن قائل: إن القرآن عبارة عن كلام الله عَزَّوَجَلَّ وقائـل: إنـه حكاية عـن كلام الله، وليس هـو كلام الله الحقيقي، وهذا يفـضي إلىٰ موافقة المعتزلـة بـأن القرآن مخلـوق لأن العبـارة والحكايـة مخلوقتان، وهـو تحريـف للكَلِمِ عن مواضعه.

القـول الرابع: قول الكَرَّامِيَّة؛ وهي التي زعمـت أن الله تكلَّم بكل ما أراد بجميع الـكلام جملة واحـدة ثم لم يعد متكلمًا بعد ذلك. فهذه أشـهر الأقوال في مسـألة كلام الله الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هــذي مــقــالات لهــم فــانــظــر تــرىٰ ... في كــتــبــهــم يــا مــن لــه عينان
لــكــن أهـــل الحـــق قـــالـــوا إنمــا ... جــبــريــل بــلــغــه عــن الــرحمــن
ألـــقـــاه مــســمــوعــا لــه مــن ربّــه ... لــلــصــادق المــصــدوق بــالــبــرهــان

وقال أيضًا:

مــن قـــال إن كــلامــه سبحانه ... وصـــف قـــديـــم أحـــرف ومــعــان
أو قـــال إن كـــلامـــه ســبــحــانــه ... مــعــنــىٰ قــديــم قــام بــالــرحمــن
هــذا الــذي قــد خــالــف المعقــول والــ ... ــمــنــقــول والـــفـــطْــرات لــلإنــســان
أمـــا الـــذي قـــد قـــال إن كلامه ... ذو أحـــــرف قـــد رتــبــت بــبــيــان
وكـــلامـــه بمــشــيــئــة وإرادة ... كــالــفــعــل مــنــه كــلاهــمــا ســيّــان
فــهــو الــذي قــد قــال قــولا يــعــلــم الــ ... ــعــقــلاء صــحــتــه بــلا نُــكــران

وقوله: «وَجَلاَلَةٌ» إشارة أن المتكلم أجلُّ وأعظم وأكمل من غير المتكلم، وهو بهذا ينبه إلىٰ أن الاتصاف بالكلام مدح وعدمه ذم. ولذلك قال: «صِفَةٌ لَهُ وَجَلاَلَةٌ» **أي:** إن صفة الكلام صفة كمال وجلال لله جَلَّوَعَلَا، والوصف بعدم الكلام صفة نقص.

والله جلَّ جلاله متكلم ... بالنقل والمعقول والبرهان
قد أجمعت رسل الإله عليه لم ... ينكره من أتباعهم رجُلان
فكلامه حقا يقوم به وإلا ... لم يكن متكلما بقرآن
والله موصوف بذاك حقيقة ... هذا الحديث ومحكم القرآن

❁ أما قول الناظم: «مِنْهُ بِلاَ أَمَدٍ وَلاَ حِدَثَانِ»؛ فهذا يحتاج لشيء من التوضيح، ويقصد رَحِمَهُٱللَّهُ بهذا أن الكلام غير مخلوق وإلا فكلام الرب سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قد يكون نوعه في أمد معين ووقت معين، يفعله متىٰ شاء إذا شاء؛ فالناظم يعني أن الله قادر علىٰ الكلام أبدًا وأزلًا.

وقوله: «وَلاَ حِدْثَانِ» يعني: أنه غير حادث حدوث المخلوق؛ **أي:** غير مخلوق.

يوضح هذا ما قرره السلف من أن كلام الرب سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ صفة ذاتية باعتبار وفعلية باعتبار، والفرق بين الصفة الذاتية والفعلية أن الصفة الذاتية هي الملازمة للموصوف أبدًا وأزلًا، والصفة الفعلية هي التي نوعها يصدر منه في وقت معين إذا أراد سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وجنسها صفة دائمة يوصف بها دائمًا.

فصفة الكلام صفة ذاتية باعتبار وفعلية باعتبار آخر؛ صفة ذاتية باعتبار وصف الله بالتكلم أبدًا وأزلًا، بلا ابتداء وبلا انتهاء، وصفة فعلية باعتبار ما يتكلم به سُبْحَانَهُ في أوقات معينة؛ لأنه يتكلم متىٰ شاء إذا شاء كيف شاء؛ فقد كلم آدم في وقت معين، وكلم

موسىٰ في وقت معين، وكلم نبينا محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في وقت معين، ويكلم المؤمنين يوم القيامة في وقت معين وتكلم بالقرآن في وقت معين وكذلك بالتوراة والإنجيل؛ كل ذلك متعلق بمشيئته وإرادته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فالكلام بهذا الاعتبار صفة فعلية.

ولهذا يقول السلف: «الكلام قديم النوع حادث الآحاد»[1]، يقولون ذلك تنزلا مع الخصم، فهو قديم النوع؛ أي: بالصفة الذاتية بلا ابتداء وبلا انتهاء، حادث الآحاد؛ أي: لا ينتهي اتصافه بالكلام إذا شاء، ويعني ذلك أنّ أفراد الكلام تقع كما شاء في أوقات معينة؛ فهو بهذا الاعتبار حادث؛ وهذا هو المراد بقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢] مُحْدَث؛ أي: مُنزَل في وقت معين، أنزله الله وتكلم به في وقت معين؛ وليس المراد بمحدث أي المخلوق.

فيجب أن نتنبه لمثل هذا البيت؛ لأنه قد يكون فيه ملتمس لبعض الناس. فإذا وجدت عبارة لأحد السلف توهم غير الحق حملت علىٰ ما قرره من الحق في العبارات الواضحة عملًا بالقاعدة الأصولية: المجمل يحمل علىٰ المبين؛ ويشبه هذا ما قرره السلف في باب العقيدة والتفسير من رد المتشابه إلىٰ المحكم.



(١) انظر: «شرح الطحاوية» (١/ ١٧٤).

القدر: منزلته ومراتبه وكمال حكمة الله فيه ووجوب الإيمان بذلك

٨٠- رُكْنُ الدِّيَانَةِ أَنْ تُصَدِّقَ بِالْقَضَا ... لَا خَيْرَ فِي بَيْتٍ بِلَا أَرْكَانِ

٨١- اللهُ قَدْ عَلِمَ السَّعَادَةَ وَالشَّقَا ... وَهُمَا وَمَنْزِلَتَاهُمَا ضِدَّانِ

٨٢- لَا يَمْلِكُ الْعَبْدُ الضَّعِيفُ لِنَفْسِهِ ... رَشَدًا وَلَا يَقْدِرْ عَلَىٰ خِذْلَانِ

٨٣- سُبْحَانَ مَنْ يُجْرِي الْأُمُورَ بِحِكْمَةٍ ... فِي الْخَلْقِ بِالْأَرْزَاقِ وَالْحِرْمَانِ

٨٤- نَفَذَتْ مَشِيئَتُهُ بِسَابِقِ عِلْمِهِ ... فِي خَلْقِهِ عَدْلًا بِلَا عُدْوَانِ

٨٥- وَالْكُلُّ فِي أُمِّ الْكِتَابِ مُسَطَّرٌ ... مِنْ غَيْرِ إِغْفَالٍ وَلَا نُقْصَانِ

٨٦- فَاقْصِدْ هُدِيتَ وَلَا تَكُنْ مُتَغَالِيًا ... إِنَّ الْقُدُورَ تَفُورُ بِالْغَلَيَانِ

❁ بدأ الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتكلم عن ركن عظيم من أركان الإيمان الستة التي لا يصح الإيمان إلا بها، ألا وهو الإيمان بالقضاء والقدر؛ **والقدر**: هو ما قدَّره الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وكتبه علىٰ البشر قبل خلق السموات والأرض؛ والقضاء تنفيذ ذلك القدر، فلو آمن المرء بأركان الإيمان الخمسة التي هي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ولم يؤمن بالقضاء والقدر فلا إيمان له؛ لأنه ركن، والركن في الاصطلاح هو جانب الشيء الأقوىٰ، أو هو: ما يلزم من وجوده الوجود، ومن عدمه العدم وإذا سقط الركن سقط البناء.

والبيت لا يُبْتنىٰ إلا له عمد ... ولا عماد إذا لم تُرسَ أوتاد(١)

كما يقول الأفوه الأوديُّ الشاعر المعروف، وقبل هذا وذاك يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: ١٠٩]، فلابدَّ من تحقيق هذه الأركان الستة؛ ولذلك جاء

---

(١) انظر: «شرح الطحاوية» (١/ ١٧٤).

في «صحيح مسلم» من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قصة مجيء جبريل إلىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسؤاله له عن الإيمان والإسلام والإحسان، وفيه: «**قَالَ أَخْبِرْنِي عَنْ الْإِيمَانِ؛ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْقَدَرِ كُلِّهِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»(١).

والإيمان بالقضاء والقدر يتضمن الإيمان بأربعة أمور؛ وهي التي يسميها العلماء مراتب القدر:

المرتبة الأولىٰ: الإيمان بعلم الله الشامل الأبديِّ الأزليِّ؛ فإنه سُبْحَانَهُ يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن أن لو كان كيف يكون، علم الأشياء قبل كونها؛ وهذه المرتبة قلَّ من يخالف فيها إلا الدهريَّة القُدامىٰ، ومن شايعهم من الماديين المعاصرين؛ والمزدكيين واللينيين الاستاليين الماركسيين؛ الذين يقولون لا إله والحياة مادة، وسبقهم إخوانهم الدهريون الذين يقولون: نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر، وهؤلاء قِلَّة، فعلم الله الأبديِّ الأزليِّ أمرٌ مركوز في الفطر.

والثانية: الكتابة؛ فقد كتب الله مقادير جميع الأشياء قبل خلق السموات والأرض؛ كما قال الله تَعَالَىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩].

ويقول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه علىٰ الماء**»(٢) وقال في حديث آخر: «**إِنَّ أَوَّلَ**

(١) أخرجه مسلم [٨].

(٢) أخرجه البخاري [٢٦٥٣] من حديث عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ؛ فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ؛ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؛ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»[1].

المرتبة الثالثة: المشيئة من الله لإيجاد الشيء واعتقاد العبد بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فلا يخرج عن مشيئته شيء؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩]؛ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]؛ فالمشيئة العامة النافذة؛ هي أنه لا يخرج شيء عن مشيئة الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩]، وقال: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩]؛ فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يفعل ما يشاء ويختار، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه.

والمرتبة الرابعة: الخلق وفق تلك المشيئة وذلك القدر، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ﴾ [القمر: ٤٩ - ٥٠].

فالخلق يجري وفق تلك المشيئة، ووفق ذلك القدر، ووفق تلك الكتابة، ووفق ذلك العلم، وكما نبَّه الناظم أن الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان، لا يصح الإيمان إلا به؛ ولذلك سمى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منكري القدر مجوس هذه الأمة؛ فقال: «**القدرية مجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم**»[2].

---

(١) أخرجه أحمد [٢٢٧٠٥] وأبو داود [٤٧٠٠]، والترمذي [٢١٥٥] من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. قال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه. وصححه الشيخ الألباني. انظر: «صحيح الجامع» [٢٠١٧].

(٢) أخرجه أبو داود [٤٦٩١] والحاكم [٢٨٦] من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. قال الحاكم: «هذا حديث =

وقـد تقدم ذكر وجه مشـابهة القدرية للمجوس، ومما جـاء في التغليظ علىٰ منكري القـدر ما ثبـت عن عبد الله بن عمـر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لما أخبر عـن ظهور معبد الجهنـي وغَيْلان الدمشـقي وغيرهمـا من القدريَّة؛ قـال: إذا لقيتهم فأخبرهم أن ابـن عمر بريء منهم؛ ثم ذكـر حديـث جبريل الطويل في الإيمان بالقدر، ثم أخبر ابن عمر أنهم لو أنفقوا مثل أحد ذهبًا ما تُقُبِّلَ منهم؛ حتىٰ يؤمنوا بالقدر[1].

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن غَيْلان أو معبد: «لئن ظفرت به لأدقنَّ أنفه».

وصح عن الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال:

مـا شـئـت كـان وإن لم أشـأ ... ومـا شـئـت إن لم تـشـأ لم يكن

خلقت العباد علىٰ ما علمت ... ففي العلم يجري الفتىٰ والمسن

علىٰ ذا مننت وهـذا خذلت ... وهـذا أعنت وذا لم تعن

فمنهم شقي ومنهم سعيد ... ومنهم قبيح ومنهم حسن

ومنهم فقير ومنهم غني ... وكل بأعماله مرتهن

ونص الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ علىٰ أن الله تَعَالَىٰ قد جعل السعادة لأهل الإيمان ومنزلتهم الجنة، والشـقاوة لأهل الكفر ومنزلتهم النار، يشـير الناظم هنا إلىٰ العلم؛ علم الله الكامل؛ وهي المرتبـة الأولىٰ مـن مراتـب القدر التـي أشرنا إليها؛ فالله عالمٌ بأن هذا شـقي وهذا سـعيد قبل أن يخلق السـموات والأرض، وقدَّر للنار أهلًا وللجنة أهلًا، وعلم ما هم عاملون؛ فيجـب الإيمان بذلك والتسـليم لـه والإذعان لـه، قال تعالىٰ: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الأنعام: ٣٩].

= صحيح علىٰ شرط الشيخين إن صح سماع أبي حازم من ابن عمر». ووافقه الذهبي.

(١) أخرجه مسلم [١] من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

«**وَهُمَا وَمَنْزِلَتَاهُمَا ضِدَّانِ**» «**هُمَا**»؛ أي: الشقاوة والسعادة، «**مَنْزِلَتَاهُمَا**»؛ أي: الجنة والنار؛ فالسعادة ضد الشقاء، والجنة ضد النار؛ ولذلك أخبر أنهما «ضِدَّانِ» والضدان لا يجتمعان.

فإذن لابدَّ من الإيمان بذلك، وأن الله كتب الشقاوة والسعادة علىٰ جميع البشر، وعَلِمَ ما هم عاملون إلىٰ يوم القيامة؛ كما جاء ذلك في النصوص الصحيحة الصريحة، وإذا بلغ أربعة أشهر، أُرسِل إليه ملك فكتب أربعة أشياء: رزقه، وأجله، وشقي أو سعيد[1] يكتب هذه الكلمات الأربع ذلك الملك؛ وهي مكتوبة في الأزل في القدر العام، ولكن هذه كتابة مأخوذة من الكتابة السابقة، فما من نفس منفوسة إلا قد علم الله أجلها وسعادتها أو شقاوتها ورزقها.

ولو قال قائل من المتحذلقة: مادام ذلك قد كتب وعلم فما فائدة العمل؟ ولماذا نعمل؟ إبليس قد يأتي للإنسان ويقول له ذلك الكلام؛ ويمكن أن يحتج به - مع أنه ليس له حجة علىٰ الله - لو أنه يعلم ما قُدِّر له، أما وأن القدر سر الله في خلقه؛ فإن الواجب علىٰ العبد العمل، وكلٌّ مُيسر لما خلق له، وقد أعطاه الله عقلًا واختيارًا يميِّزُ به بين الأشياء، ويعرف به الخير من الشر، والخبيث من الطيب، وأعطاه قدرة علىٰ العمل، و بيَّن له الطريق المستقيم من الطريق المعوج، فإذا عصىٰ عصىٰ باختياره علىٰ بصيرة، وإذا أطاع أطاع باختياره علىٰ بصيرة، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]؛ ولذلك فإن

(١) أخرجه البخاري في كتاب «بدء الخلق»، [٣٣٣٢]، ومسلم [٢٦٤٣]، من حديث عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ: «**إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يومًا ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة من ذلك ثم يبعث الله إليه ملكا ويؤمر بأربع كلمات، يقال له اكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد...**» الحديث.

القـدر سر الله في خلقـه. فعلىٰ المسـلم أن يكون قـويَّ الإيمان بالقدر، وكثـرة الخوض فيه تـؤدي إلىٰ المزالـق التي لا تحمد عقباها؛ يقول وهب بن منبه: «نظرت في القدر فتحيرت، ثـم نظـرت فيه فتحيرت، ثـم نظرت فتحيرت، ثم نظـرت فوجدت أكثر النـاس إيمانًا به أقلهم خوضًا فيه، وأكثرهم شكًا فيه أكثرهم خوضًا فيه»[١]. ومهما فكرت سيعود البصر خاسـئًا وهو حسـير؛ لكن المؤمن الذي انشرح صدره بالإيمان إذا وسـوس له الشـيطان؛ قال: آمنتُ بالله؛ ثم أقلع، والشـيطان قد يوسـوس للإنسـان حتىٰ يقول له من خلق الله؟ كـما جـاء ذلك في الصحيـح عن النبـي ﷺ قـال: «**إن أحدكم يأتيه الشـيطان فيقول: من خلقك؟ فيقول الله، فيقول من خلق الله؟ فإذا وجد أحدكم ذلك فليقل آمنـت بالله ورسـوله، فإن ذلـك يذهب عنـه**»[٢]، ولذلك لما قال الصحابـة علىٰ فضلهم إنـا نجـد في أنفسـنا ما لا نسـتطيع أن نتكلـم به؛ فقـال النبي ﷺ: «**ذلِـكَ مَحْضُ الإِيمَـانِ**»[٣]، والمقصـود محض الإيمان خالص الإيمان وصريحه وهو كونك تسـتعظم أن تتكلم به وترتعد فرائصك إذا حدثتك نفسك ووسوست لك بسوءٍ؛ فتقول: آمنتُ بالله، وتعـود إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ وتتـوكل عليه، وتكِلُ أمـورك إليه، وتقول: يـا مقلب القلوب ثبت قلبي علىٰ دينك؛ فإن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء.

وقول الناظم:

٨٤- نَفَذَتْ مَشِيئَتُهُ بِسَابِقِ عِلْمِهِ ... فِي خَلْقِهِ عَدْلًا بِلَا عُدْوَانِ

(١) انظر: «شرح الفقه الأكبر» للقاري، ص: [٦٩]، و«شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز الحنفي (١/ ١٤٧).

(٢) أخرجه أحمد [٢٦٢٤٦]، وقال المنذري إسناده جيد، وأبو يعلىٰ [٤٧٠٤]، وقال الهيثمي رجاله ثقات.

(٣) أخرجه مسلم [١٣٣] من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

* هذا متعلق بالمسألة السابقة؛ وهي الإيمان بالقضاء والقدر؛ وهو أننا جميعًا ملكٌ لله عَزَّوَجَلَّ، والله عَزَّوَجَلَّ يفعل في ملكه ما يشاء لا رادَّ لقضائه، ولا معقِّبَ لحكمه؛ فالمنصور من نصره الله، والمخذول من خذله الله، والقويُّ من قوَّاه الله، والضعيف من أضعفه الله، وهذا لا يتعارض مع كون المسلم يجتهد في فعل الأسباب التي تقويه وتبعده عن الضعف و«**المؤمن القوي خير وأحب إلي الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير**»(١).

وقال رسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب علىٰ ظهره خير له من أن يأتي رجلًا فيسأله أعطاه أو منعه**»(٢).

والمقصود أننا جميعًا ملك لله والله عَزَّوَجَلَّ يتصرف في ملكه كيف يشاء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]، ويوم القيامة ينادي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عباده الأولين والآخرين قائلا؛ فيقول لمن الملك اليوم؟ فيقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾، ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، فإذا آمنت بذلك ووعيته، فلا تحزن إذا فاتك شيء من لعاعة الدنيا وأمورها، ولا تفرح إذا أعطاك شيئًا منها، وأعلم أن الذي أغناك اليوم قادرٌ علىٰ أن يفقرك غدًا، والذي أفقرك اليوم قادر أن يغنيك غدًا، وربما كان صلاحك في الفقر، من الناس من يكون صلاحه في الفقر وآخر يكون صلاحه في الغنىٰ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣].

---

(١) أخرجه مسلم [٢٦٦٤] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم [١٤٧٠] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فالمسلم عليه أن يرضىٰ بقضاء الله و قدره ولا يعترض علىٰ حكم الله الذي قدَّر عليه بفقد محبوب أو فوات مرغوب أو حصول مكروب بل عليه أن يرضىٰ ويسلم بقضاء الله وقدره ويصبر إن الله مع الصابرين، قال الله عَزَّوَجَلَّ

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٥٥ - ١٥٦].

وقول الناظم: «سبحان من يجري الأمور بحكمة في الخلق بالأرزاق والحرمان»؛ يُواصل رَحِمَهُ ٱللَّهُ الكلام عن مسألة الأقدار والحكمة الإلهية المتعلقة بذلك، فهو ما زال ولا يزال يُجري الأمور علىٰ مقتضىٰ حكمته النافذة؛ فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مقدِّر الآجال ومقدِّر الأرزاق، ومقِّدر الشقاوة والسعادة وَفق ما علمه في الأزل، وفق ما قدَّرها قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وعلِمها قبل ذلك بلا ابتداء.

فهو يُجري الرزق والخلق والأجل والعطاء والمنع، والحرمان، كلُّ ذلك يجري عنده لحكمةٍ بالغة ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرَّعْد: ٨]، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ ۚ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الشُّورَىٰ: ٢٧ - ٢٨].

فهو سُبْحَانَهُ: لا يُسأل عما يفعل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ما فعل شيئًا إلا لحكمة، وليس من اللازم حتىٰ نعبد الله أن نعرف الحكمة في الأمر المعين، ويكفي أن نعلم أننا خُلقنا لعبادته مع إيماننا أنَّ كلَّ شيءٍ خلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أو شرعه لحكمةٍ بالغة، فلا يسعنا حينئذ إلا الامتثال والتسليم؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن

يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [النور: ٥١ - ٥٢].

وبناءً علىٰ ذلك فإنَّ من رزقه الله غِنىٰ وسعة رزق، فليحَمدِ الله علىٰ ذلك وليشكره بأداء حقوق تلك النعم من الإنفاق في وجوه الخير، وأداء الزكاة ونحو ذلك، وأن يَصبر إذا ابتُلِي بضيق سواء كان ذلك بقلة ذات اليد أو شظف العيش أو ضيق في الرزق أو مصائب يبتلىٰ بها العبد ويختبر، فليرض بقضاء الله وَقَدَرِه، وليعلم أنه لن يموت؛ حتىٰ يستكمل رزقه وأجله في هذه الحياة، ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]، ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [هود: ٦]، وقال ﷺ: **«لا تستبطئوا الرزق، فإنه لم يكن عبد ليموت حتىٰ يبلغ آخر رزق هو له، فأجملوا في الطلب: أخذ الحلال وترك الحرام»**[(١)].

فإذا أيقن المسلم بذلك، رَضِيَ وسلَّم للقضاء وانقاد، ورضي بما قسَم الله له؛ بل يُسلِّم ويرضىٰ ولا يكن ممن قال الله فيهم: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾ [الفجر: ١٥ - ١٦].

فإذا علمت أنَّ الرزق بيد الله، والله خير الرازقين، لا رازق لمن منع ولا مانع لمن رزق، إذا أيقنت بذلك سلِمت من آفات كثيرة؛ **ومنها**: القلق وضيق النفْس الذي ينتاب من لم يتحلوا بالصبر عند البلاء والشكر عند النعماء، فإن عنوان السعادة التي يجب أن

(١) أخرجه ابن حبان [٣٢٣٩]، والحاكم [٢١٣٤]، والبيهقي [١٠١٨٤]، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ١٥٦) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الحاكم: «صحيح علىٰ شرط الشيخين». ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في «الصحيحة» [٢٦٠٧].

يتحلىٰ بها المؤمن أنه إذا أُعطي شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر، هذا هو شأن المؤمن الحق المحسن الذي بلغ درجة الإحسان، جعلني الله وإياكم منهم.

قوله: «نَفَذَتْ مَشِيئَتُهُ بِسَابِقِ عِلْمِهِ»؛ بمعنىٰ: أن الدرجة الثالثة من مراتب القدر؛ وهي: المشيئة بحدوث ما قدَّره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في الأزل وعلِمه قبل أن يُقدِّره وقبل أن يكتبه، هو قدره في سابق علمه كما ذكر الشيخ وكما دل علىٰ ذلك القران والسُّنَّة ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

فكلُّ شيءٍ يجري بقضاء الله وقدره، فإذا آمنت بالعلم ثم آمنت بالقدر، لزمك أن تؤمن بالدرجة الثالثة؛ وهي مشيئته للأشياء التي تجري وَفق ذلك القدر السابق في علم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فإنه بكل شيءٍ عليم، عِلمٌ أزليٌّ أبديٌّ لا يعتريه نقص بحالٍ من الأحوال.

ولذلك فإنَّ كل ما يجري إنما يجري بما كان في علم الله، وما قدَّره الله في الأزل، وما كتبه في اللوح المحفوظ من المصائب والفقر والغنىٰ والحياة والموت وفقد محبوب وحصول مرغوب، كلُّ ذلك يجري بقضاء الله وقدَره، فما يجري من الأقدار وفق مشيئته سُبْحَانَهُ إنما هو عين العدل، حيث إنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يسأل عما يفعل، بل يفعل ما يشاء ويختار، فهو عَزَّ وَجَلَّ لا يفعل إلا عدلًا، ولا يخلق إلا بالعدل، ولم يُقدِّر إلا العدل؛ إذ أنه هو الحكم العدل سُبْحَانَهُ، لا يمكن أن يُوصف بغير ذلك؛ ولذلك ذكر المصنف إن تلك الأقدار وتلك المشيئة تجري عدلًا منه بلا عدوان؛ أي: بلا ظلم؛ لأن ضد العدل هو الظلم والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ منزَّه عن الظلم؛ بل هو الحكم العدل الذي يعدل في الأمور كلها

لا يظلم مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء. قال رسول الله ﷺ في الحديث القدسي: «**يا عبادي إني حرمت الظلم علىٰ نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا...**»[(١)].

فإذا علمنا أنه حَكَمٌ عدلٌ وأنه منزهٌ عن الظلم ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]، ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل: ٣٣] أيقنا أنَّ كل ما يجري وكل ما يقدر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو عدل وحكمة بالغة حتىٰ لو بدا لنا في ظاهره شر فإنه شر نسبي؛ ولذلك لا يُنسب الشر إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مباشرة، وإنما ينسب إليه قدرا، فيُقال كما قال رسول الله ﷺ: «**والخير كله في يديك والشر ليس إليك**»[(٢)]، ويقول تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨]، وقال: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩]، فمشيئة الله النافذة تجري وَفق عدله وحكمته، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، يخلق ما يشاء، يرحم من يشاء فضلًا منه ومِنَّةً، ويُعذِّبُ من يشاء عدلًا منه وقسطًا.

ما للعباد عليه حق لازم ... كلا ولا سعي لديه ضائع

إن عذبوا فبعدله أو نعموا ... فبفضله وهو الكريم الواسع

وقوله: «كل في أم الكتاب...»؛ **أُمُّ الكِتَابِ هي**: اللوح المحفوظ؛ كما يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩]، فقد أودع في أمِّ الكتابِ مقادير كل الأشياء، كما قال جَلَّوَعَلَا: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وكما قال الله تَعَالَىٰ: ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾ [الإسراء: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

---

(١) أخرجه مسلم [٢٥٧٧]، هو طرف من حديث طويل.

(٢) أخرجه مسلم [٧٧١] من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لذلك فإنَّ كل ما يجري إنما يجري وفق ما سطَّره الله عَزَّوَجَلَّ في أمِّ الكتاب؛ خلق الجنة وخلق لها أهلًا ويسَّر أهلها لليسرىٰ، وخلق النار وخلق لها أهلًا ويسَّرهم للعسرىٰ، خلق كل شيء، وما دام الأمر كذلك فنحن - أيُّها العبيد - مطالَبون بأن نُذعِن وأن نسِّلم لقضاء الله وقدرِه، وأن نرضىٰ بما قسم الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ لنا.

وقوله: «فَاقْصِدْ هُدِيتَ»؛ أي: الزم الطريق الوسط الذي لا اعوجاج فيه، في كل شيء ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩].

والقسط: هو العدل والطريق الوسط الذي لا اعوجاج فيه ولا أَمْتا؛ وهو طريق الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وقوله: «ولا تكن متغاليًا...» فيه النهي عن الغلو. وقد ضُرب لذلك مثالٌ عربيٌّ في الخروج عن القصد، «وكل شيء بلغ الحد انتهىٰ»؛ ولهذا نُهينا عن الغلو في كلِّ شيءٍ من أمر ديننا ودنيانا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧١].

ويقول النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يرمي الجمرة بمثل حصىٰ الخذف: «**يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**»[1]، ويقول الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة**»[2]، ويقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**يسروا**

(١) أخرجه أحمد [٣٢٤٨]، والنسائي [٣٠٥٧]، وابن ماجه [٣٠٢٩]، والحاكم [١٧١١]، والضياء [٢٢] من حديث علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. وقال الحاكم: «صحيح علىٰ شرط الشيخين». وصححه الألباني في «الصحيحة» [١٢٨٣].

(٢) أخرجه البخاري [٣٩] من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا»(١)، ويقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**هلك المتنطعون**»(٢)؛ **أي**: الغلاة المتجاوزون لحدود الله، في أي شيء، ورأىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلًا يومًا ضاحيًا في الشمس فسأل عن حاله قالوا: إنه نذر أن يصوم ضاحيًا؛ فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مره فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه**»(٣).

فالغلو في كلِّ شيءٍ محرم كما أن الإفراط والتفريط ممنوع، والمسلم الحق دائمًا يسير في الطريق الوسط بعيدًا عن غلوِّ الغلاة وإفراطهم، وعن تفريط العصاة وتقصيرهم، فلذلك حذَّر هنا من الغلو وبيَّن ذلك بمثل ضربه في أن القدور تفور بالغليان؛ يعني تأتيها نار هادئة ثم لم تلبث أن تصل إلىٰ درجة الغليان، فإذا وصلت إلىٰ درجة الغليان ربما تنفجر وتخرج عن وضعها الطبيعي، وهكذا شأن من يغلو في دين الله، ومن منهج أهل السنة والجماعة أنهم وسط بين إفراط المفرطين الغلاة الجهلة، وبين تفريط المفرّطين العصاة الفجرة الفسقة.



(١) أخرجه البخاري [٦٩]، ومسلم [٤٥٤٩] من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه مسلم [٢٦٧٠] من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) أخرجه البخاري [٦٧٠٤] من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.



الشريعة كاملة تامة وشاملة

٨٧- دِنْ بِالشَّرِيعَةِ وَالْكِتَابِ كِلَيْهِمَا فَكِلاهُمَا لِلدِّينِ وَاسِطَتَانِ

❁ **قوله**: دِنْ: فعل أمر من دان يدين ديانة، **أي**: ذل وخضع وامتثل وانقاد؛ بمعنىٰ أنه يجب علىٰ المرء أن يدين لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ باتباع الكتاب والسنة، والمقصود بالشريعة هنا: السنة، والكتاب: القرآن.

«**فَكِلاهُمَا لِلدِّينِ وَاسِطَتَانِ**»؛ **أي**: لا يُعرف الدين، ولا يؤخذ الدين، ولا تستنبط الأحكام، ولا تفهم العقيدة، ولا الأخلاق ولا الآداب ولا العبادات إلا من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنهما وحيٌ من الله عَزَّوَجَلَّ والدِّين لا يُؤخذ إلا من الوحي، والوحيُ كتابٌ وسنَّة، قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ**»(١)؛ فكلاهما وحيٌ؛ وحيٌ مُتَعبد بتلاوته، وهو القرآن، ووحيٌ يُعمَل بِه وإن لم يُتعبد بتلاوته، وهو ما صح من الأحاديث عن رسول الهدىٰ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ولذلك بيَّن أنهما واسطتان للدين؛ أي: إنهما أساس الدين كله الذي يقوم عليه ويرتكز عليه بناؤه، ولا يصح أن يؤخذ الدين من غيرهما؛ فإذا دِنت بهما - يا عبد الله! - وطبَّقت أحكامهما، ووطَّنت نفسك لأمر الله وأمر رسوله، الذين ثبتا في الكتاب والسنة؛ فهذا هو الدين الحق، وهو الشرع، وهو الإسلام الذي لا يقبل الله دينا سواه، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتىٰ يردا علي الحوض**»(٢).

---

(١) تقدم تخريجه في ص: [٥٩].

(٢) أخرجه الدارقطني [١٤٩]، والحاكم [٢٩١]، والبيهقي في «الكبرىٰ» [٢٠٨٣٤] من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

٨٨- وَكَذَا الشَّرِيعَةُ وَالْكِتَابُ كِلاَهُمَا   بِجَمِيعِ مَا تَأْتِيهِ مُحْتَفِظَانِ

❁ يؤكد في هذا البيت: أنَّ الكتاب والسنة محتفِظان بجميع مسائل الدين قولًا وعملًا واعتقادًا، ومِنْ فضل الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ هذه الأمة أنْ حفِظَ لها الكتاب والسنة خلافًا لما حصل من التحريف في كتب الأمم السابقة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحِجر: ٩]، فجميع العلوم الدينية التي يحتاج إليها العبد؛ من أمور العقيدة والحلال والحرام والمعاملات والأخلاق والآداب والأحكام العادلة، أو ما يسمىٰ بالأحوال الشخصية في هذا الزمان: كل ذلك شاملٌ له كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة رسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ أكمل لنا الدين قبل أن ينتقل النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ الرفيق الأعلىٰ؛ قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المَائِدَة: ٣].

ومن ابتغىٰ الهدىٰ من غير هذا الطريق فقد خسر خسرانًا مبينًا، ومن سلك هذا الطريق فقد فاز فوزًا عظيمًا، فلنعضَّ عليهما بالنواجذ، ولنجتهد في بناء جميع أمور ديننا عليهما، وبناءً عليه فإنَّ ما خرج عن هَدْي الكتاب والسنة لا يعدو أن يكون بدعة من البدع التي أحدثها الناس، قال النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هذا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**»[1].



(١) أخرجه البخاري [٢٦٩٧]، ومسلم [١٧١٨] من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

وجوب الإيمان بالغيب كله، ومن ذلك الإيمان بالكتبة الكرام

٨٩- وَلِكُلِّ عبد حَافِظَانِ لِكُلِّ مَا ... يَقَعُ الْجَزَاءُ عَلَيْهِ مَخْلُوقَانِ

٩٠- أُمِرَا بِكَتْبِ كَلامِهِ وَفِعَالِهِ ... وَهُمَا لأَمْرِ اللهِ مُؤْتَمِرَانِ

---

* يشير بهذين البيتين إلىٰ وجوب الإيمان بالملكين؛ وهم الكرام الكاتبون، الذين قال الله فيهم: ﴿ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الانفطار: ١١ - ١٢]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٦ - ١٨]؛ **الملكان**: أحدهما عن اليمين يكتب الحسنات، والآخر عن الشمال يكتب السيئات، ولا يفارقان العبد حتىٰ يلقىٰ ربه؛ فيجب الإيمان بهما وهما: الحافظان، **والكاتبان**: أربعةٌ من الملائكة، كاتبان وحافظان، كاتبان عن اليمين وعن الشمال، والحافظان من الأمام ومن الخلف؛ والذي يعنيه الناظم هنا هما الكاتبان اللذان يكتبان الأعمال؛ لأنه أشار إلىٰ ذلك بأنهما يحصيان علىٰ العبد ما يفعله وما يقوله، ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾.

ولذلك فإن الواجب علىٰ العبد الإيمان بذلك حق الإيمان، وإن لم نرهم، وإن لم نرىٰ الحافظين أو الكاتبين فإننا متعبَّدون بالإيمان بالغيب فنحن لا نرىٰ الروح التي تتردد بين جوانحنا وبين جنبينا، ولا نرىٰ بعض المخلوقات مثل الجن والملائكة؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ أراد أن لا نراهم؛ إلا من أراد الله رؤيته في بعض الحالات كما رأىٰ النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ علىٰ صورته، ورآه النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبعض الصحابة وهو في صورة رجل يتنزل علىٰ النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالوحي.

والإيـمان بالملائكـة ركن مـن أركان الإيمان، فلـو لم يؤمن بهـم العبد وآمن بجميع الأركان الأخـرىٰ فإنه لا يصح إيمانه قـال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، ويقـول النبـي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديـث عمر الذي في مسلم حيث جاء فيه: «**أَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ؟ فَقَالَ: الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»[1].

وقوله:

٩٠- «أُمِرَا بِكَتْبِ كَلامِهِ وَفِعَالِهِ وَهُمَا لأَمْرِ اللهِ مُؤْتَمِرَانِ»

❁ أمـر الله الملكـين بكَتـب أعـمال العباد وهـو أعلم بها وهـم مؤتمنون علىٰ ذلك؛ ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦]، فهـم يكتبـون مـا يأمرهـم الله به، ويتركـون مـا لم يؤمـروا به، لا يزيـدون ولا ينقصون، أمنـاء علىٰ بني آدم وعـلىٰ ما يصدر منهم، بل يكتبون القول أو الفعل كما صدر من صاحبه ويتقيدون بأمر الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٧].



(١) أخرجه مسلم [٨].

٩١- وَاللهُ صِـدْقٌ وَعْـدُهُ وَوَعِـيـدُهُ ... مِمَّـا يُـعَـايِـنُ شَـخْـصَـهُ الْعَيْنَانِ

❁ يقـرر الناظـم رَحِمَهُ ٱللَّهُ مـا يجـب أن يعتقـده كل مسـلم مـن أن الله تَعَالَىٰ صـادق لا يخلـف الميعـاد، فـكل ما أخـبر الله به واقـع لا محالـة، قـال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٩٥]، وقـال الله تَعَالَىٰ بشـأن مـا وعـده بـه عبـاده المؤمنـين ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ [الزمر: ٢٠]، وقال تَعَالَىٰ بشـأن وعيد الكفار ﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [التكاثر: ٦ - ٨]، فـكل مـا أخـبر الله بـه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في كتابه أو أخبر به رسـوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سـنته مما سـيقع مـن وعد أو وعيد يجب التصديق به والتسليم له والإيقان بحصوله إذ أن من أعظم صفات المؤمنين الإيمان بالغيب، قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [البقرة: ٣].



٩٢- وَاللهُ أَكْبَرُ أَنْ تُحَدَّ صِفَاتُهُ أَوْ أَنْ يُقَاسَ بِجُمْلَةِ الأَعْيَانِ

* يبين المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ بأن الله عَزَّ وَجَلَّ أكبر وأعظم من أن تحد صفاته كحد صفات المخلوقين وهو أعظم من أن يقاس بأحد من خلقه كما قال تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ٤]، وقال: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى: ١١]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٢]، فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا يقاس بخلقه، لا القياس الشمولي ولا القياس التمثيلي ولا يستعمل في حقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إلا القياس الأولىٰ، فالقياس ينقسم إلىٰ ثلاثة أقسام: القياس الشمولي، والقياس التمثيلي والقياس الأولىٰ.

١- **القياس الشمولي**: هو ما يعرف بالعام الشامل لجميع أفراده، بحيث يكون كل فردٍ منه داخلًا في مسمىٰ ذلك اللفظ ومعناه، فمثلًا: إذا قلنا: الحياة، فإنه لا تقاس حياة الله تعالىٰ بحياة الخلق من أجل أن الكل يشمله اسم (حي).

٢- **القياس التمثيلي**: هو أن يلحق الشيء بمثيله، فيجعل ما ثبت للخالق مثل ما ثبت للمخلوق.

٣- **القياس الأولىٰ**: هو أن يكون الفرع أولىٰ بالحكم من الأصل، وهذا يقول العلماء: إنه مستعمل في حق الله تَعَالَىٰ، لقوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [النحل: ٦٠]، بمعنىٰ كل صفة كمال، فلله تَعَالَىٰ أعلاها، والسمع والبصر والعلم والقدرة والحياة والحكمة وما أشبهها موجودة في المخلوقات، ولكن لله أعلاها وأكملها.

ولهذا أحيانًا نستدل بالدلالة العقلية من زاوية القياس بالأولىٰ، فمثلًا: نقول العلو صفة الكمال في المخلوق، فإذا كان صفة كمال في المخلوق، فهو في الخالق من باب أولىٰ[1].

---

(١) انظر: «شرح العقيدة الواسطية» لشيخ محمد بن صالح العثيمين (١/ ١٢٩ - ١٣٠).

الإيمان بما يحصل في القبر من نعيم أو عذاب، وأنه أول منازل الآخرة، وأن من مات قامت قيامته، ووجوب الإيمان بكل ما صح مما يكون يوم القيامة وأنه حق وصدق

٩٣- وَحَيَاتُنَا فِي الْقَبْرِ بَعْدَ مَمَاتِنَا حَقٌّ وَيَسْأَلُنَا بِهِ الْمَلَكَانِ

❁ المقصود: أنَّ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قدَّر علىٰ الإنسان أنه كان ميتًا قبل خلقه ثم يحييه ثم يميته ثم يحييه، فالإنسان تمر به أطوار في هذه الحياة كما قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الجاثية: ٢٦]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١]، يريدون الموتة الأولىٰ وما بين النفختين علىٰ ما قيل أو العدم المحض قبل إيجادهم، وأماتهم بعدما أوجدهم، والحياة الدنيا والحياة الأخرىٰ، فإنه كان ميتًا قبل أن يُخلَق وتنفخ فيه الروح، ثم يحييه الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ بعد ذلك الحياة الدنيا، بعد نفخ الروح فيه، بعد أن يبلغ أربعة أشهر في بطن أمه، ثم بعد ذلك يكون الموت الذي هو حياة برزخية خاصة يوكل علم كيفيتها إلىٰ الله، ثم بعد ذلك الحياة الأخروية الأبدية، التي لا نهاية لها؛ لذلك فإن الواجب علىٰ المسلم أن يؤمن بهذه الحياة، أن يؤمن بأن تلك الحياة التي تعقب الموت؛ هي تعلُّق الروح ببدن الميت بكيفية وصفة لا يعلمها إلا الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن الروح لا تفنىٰ ولا تبيد حيث إن لها بالبدن أربعة تعلقات؛ لأننا قبل نفخها في الجسد لا نعلم حالها:

التعلُّق الأول: بالبدن في أثناء الحمل وقبل الولادة؛ أي: بعد نفخ الروح بعد مضي أربعة أشهر، وقبل أن يولد الطفل.

التعلُّق الثاني: تعلقها بالبدن في الحياة الدنيا.

التعلُّق الثالث: تعلقها بالبدن في البرزخ؛ حيث تعاد إليه بعد دفنه بكيفية لا يعلمها إلا الله، ويُسأل علىٰ ما سنبيِّنُه إن شاء الله، وهو الذي يشير إليه هنا.

التعلُّـق الرَّابع: تعلُّقٌ أبديٌّ سرمديٌّ؛ وهو تعلقهـا بالبدن بعد البعث؛ وهذا تعلُّقٌ لا ينتهي سـواء كان الشـخص من أهل الجنة، أو من أهل النار كما جاء في «الصحيح» أنه «**يؤتـىٰ بالموت كهيئة كبـش أملح فينادي مناد يا أهل الجنة فيشـرئبون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه ثم ينادي يا أهل النار فيشـرئبون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه فيذبـح ثـم يقول يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهـل النار خلود فلا موت**»[1]، وفي حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا المشهور أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن العبد المؤمن إذا كان في انقطـاع مـن الدنيا وإقبال مـن الآخرة، نزل إليه ملائكة من السـماء بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتىٰ يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت عَلَيْهِ السَّلَامُ، حتىٰ يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلىٰ مغفرة من الله ورضوان. قال: فتخرج تسـيل كما تسـيل القطرة من في السـقاء، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتىٰ يأخذوها، فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيـب نفحـة مسـك وجدت علىٰ وجـه الأرض، قـال: فيصعدون بهـا، فلا يمرون، يعـني بهـا، علىٰ ملإ من الملائكة، إلا قالوا: ما هـذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتىٰ ينتهوا بها إلىٰ السماء الدنيـا، فيسـتفتحون له، فيفتح لهم فيشـيعه من كل سماء مقربوها إلىٰ السـماء**

(١) أخرجه البخاري [٤٧٣٠]، ومسلم [٢٨٤٩] من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

التي تليها، حتىٰ ينتهىٰ به إلىٰ السماء السابعة، فيقول الله عَزَّوَجَلَّ: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرىٰ. قال: فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله، فآمنت به وصدقت، فينادي مناد في السماء: أن صدق عبدي، فأفرشوه له الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابا إلىٰ الجنة. قال: فيأتيه من روحها، وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره. قال: ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة حتىٰ أرجع إلىٰ أهلي، ومالي، قال: وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت، حتىٰ يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلىٰ سخط من الله وغضب، قال: فتتفرق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتىٰ يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت علىٰ وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها علىٰ ملأ من الملائكة، إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمىٰ بها في الدنيا، حتىٰ ينتهىٰ به إلىٰ السماء الدنيا، فيستفتح له، فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَآءِ

﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] فيقول الله عَزَّوَجَلَّ: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلىٰ، فتطرح روحه طرحا. ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١] فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فينادي مناد من السماء أن كذب، فافرشوا له من النار، وافتحوا له بابا إلىٰ النار، فيأتيه من حرها، وسمومها، ويضيق عليه قبره حتىٰ تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوءك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: رب لا تقم الساعة»(١).

ثم الله أعلم بمستقر الأرواح بعد ذلك كل ما ورد في الأمر: «**إنما نسمة المؤمن طائر في شجر الجنة حتى يبعثه الله** عَزَّوَجَلَّ **إلى جسده يوم القيامة**»(٢)، وأما ما عدا ذلك من الأقاويل فإنه لا يُلتفت إليه من أن مستقر أرواح المؤمنين بئر زمزم، وأرواح الكفار بئر برهوت ونحو ذلك، أو أرواح المؤمنين في كذا وأرواح الكفار في كذا، كلُّ هذا لا دليل عليه؛ وإنما هو تخرُّصٌ.

---

(١) أخرجه أحمد [١٨٥٥٧]، وأبو داود [٤٧٥٣]، والطيالسي [٧٥٣]، والحاكم [١٠٧] وقال صحيح علىٰ شرط الشيخين، والبيهقي في «شعب الإيمان» [٣٩٥] وقال صحيح الإسناد، انظر: «الجامع الكبير» للسيوطي.

(٢) أخرجه أحمد (١٥٧٧٢ - الرسالة)، والنسائي [٢٠٧٣]، والترمذي [١٦٤١]، وابن ماجه [٤٢٧١]، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في «المشكاة» [١٦٣٢].

أمَّا إن كان من أهل الشقاء - والعياذ بالله - فإنَّه - كما بيَّنا في حديث البراء من أنه تتفرق روحه في جسده لا تريد الخروج؛ لأنها تعاين العذاب - والعياذ بالله -؛ فيأتي ملك الموت فينتزعها كما يُنزع السَّفّود من الصوفِ المبلول، تفكروا في العود الذي له شعب متعرجة، وقد لُفَّ عليه صوف مبلول هل يمكن إخراجه من ذلك بسهولة؟ **الجواب**: أن إخراجه في غاية من الصعوبة.

ومما ورد في وصف الملكين حديث: «**إذا قبر الميت أو قال أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: المنكر، والآخر: النكير**»(١)، هذا هو حال حياة البرزخ؛ إما نعيم ورَوح وريحان إلىٰ يوم القيامة، ثم ينتقل بعد ذلك إلىٰ نعيم أعظم، وإما سموم وحر من سموم جهنم إلىٰ أن ينتقل إلىٰ ما هو أعظم في النار يوم القيامة. ولذلك قال الله عَزَّوَجَلَّ في حق آل فرعون ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

وهذه الأدلة برهان واضح علىٰ نعيم القبر وعذابه خلافًا لمن أنكر ذلك من المعتزلة والعقلانيين المعاصرين. وهؤلاء العقلانيون الذين ينكرون بعض أشراط الساعة ونعيم القبر وعذابه، وبعض المغيبات لا يلتفت إلىٰ أقوالهم؛ فسلفهم في ذلك المعتزلة وأهل الكلام ممن يُحكِّمُون العقل في الشرع، ويقدمون العقل علىٰ النقل، ويخضعون النصوص الشرعية لعقولهم الفاسدة وآرائهم الكاسدة، فلا حول ولا قوة إلا بالله. شاهِدُنا من هذا أنَّ معنىٰ كلام الناظم أنَّ للجسمِ حياةً برزخية، لا تُقاس بحياة الدنيا ونواميسها وأوضاعها الدنيوية؛ وإنما هي حياة خاصة لا يعلم كُنهها وكيفيتها إلا الله سواءٌ كان في ذلك حياة السعداء أم حياة الأشقياء.

(١) أخرجه الترمذي [١٠٧١]، وابن حبان [٣١١٧] من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. وقال الترمذي: حسن غريب. وحسنه الألباني في «الصحيحة» [١٣٩١].

٩٤- وَالْقَبْرُ صَحَّ نَعِيمُهُ وَعَذَابُهُ ... وَكِلاَهُمَا لِلنَّاسِ مُدَّخَرَانِ

❁ هذا هو ما تقدم بيانه وتفصيله في شرح البيت السابق من ثبوت نعيم القبر وعذابه، ومما يدل علىٰ كلٍ منهما مستقلًا: قول النبي ﷺ في حق جعفر بن أبي طالب بالنسبة للنعيم: «**رأيت جعفر بن أبي طالب ملكا يطير في الجنة مع الملائكة بجناحين**»(١)، وذكره خشخشة رجلي بلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الجنة(٢)، وبشارته عن كثير من الشهداء عما عوضهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ به من الخير.

وأما ما يخص العذاب؛ فمن ذلك - إضافة إلىٰ ما تقدم -: الحديث المتفق عليه حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ مر بقبرين؛ فقال: «**إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير وكان أحدهما لا يستتر من البول، وأما الآخر كان يمشي بالنميمة فأخذ جريدة رطبة فشقها نصفين فغرز في كل قبر واحدة**» فقالوا: يا رسول الله لمَ فعلت هذا؟ فقال: «**لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا**»(٣).

وغرز جريدتين علىٰ القبرين من أجل أن يخفف علىٰ صاحبيهما العذاب خاص بالنبي ﷺ، ولا دليل لما يراه بعض فقهاء المذاهب المتأخرين من القياس علىٰ هذا الفعل بعد رسول الله ﷺ، وأما ما يفعله بعض الناس اليوم من تطبيق ذلك علىٰ القبور فهذا رجم بالغيب، فالرسول ﷺ أُخبر عن طريق الوحي أنهما يعذبان، وأما نحن فلا ندري ما إذا كان الذين في القبور مُنعَّمين أو مُعذبين، وأما وضع أكاليل

(١) أخرجه الترمذي [٣٧٦٣]، وأبو يعلىٰ [٦٤٦٤]، وابن حبان [٧٠٤٧]، والحاكم [٤٩٣٥] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: «غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن جعفر وقد ضعفه يحيىٰ بن معين وغيره»، وقال الحاكم: «صحيح الإسناد».

(٢) أخرجه البخاري [٢٤٥٧] من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه البخاري [٦٠٥٢]، ومسلم [٢٩٢] من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الزهور والورود على القبور فهذا تقليد للكفار ومن تشبه بقوم فهو منهم. فعلينا أن نبتعد عن مثل هذه الأعمال الخرافية والبدعية.

والشاهد مما تقدم: أن نعيم القبر وعذابه حقٌّ، سواء كان الشخص الْـمُنعَّم أو الْـمُعذَّب بقي جسده أولم يبق، وسواء كان جسده ترابا أو عظامًا، أو تحلل في البحر، أو في بطون السباع، أو في التراب؛ فإنا نؤمن بأن فريقًا في نعيم، وفريقًا في جحيم، ويكفي أننا لا نعلم كنه ولا كيفية الروح التي بين جنبينا وهي تتحرك وتتنقل، بينما يراها صاحبها عندما تخرج منه ويتبعها بصره كما ثبت في الحديث. فمن سمات المؤمنين أنهم يؤمنون بالغيب الذي أخبر الله به أو أخبر به رسوله ﷺ، ونعيم القبر وعذابه من هذا القبيل، والذين ينكرونه إنما ينكرون أمورًا متواترة، ولو لم يكن لذلك حقيقة لما استعاذ النبي ﷺ من عذاب القبر، وأمرنا أن نقول بعد الفراغ من التشهد الأخير: «**اللهم إنا نعوذ بك من عذاب القبر، وعذاب النار، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال**»[(١)].



(١) تقدم تخريجه [٦٢].

الإيمان بالبعث

٩٥- وَالْبَعْثُ بَعْدَ الْمَوْتِ وَعْدٌ صَادِقٌ ... بِـإِعَـادَةِ الأَرْوَاحِ فِي الأَبْـدَانِ

❁ يقـرر الناظـم رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنـا مـا يَدين الله بـه ويعتقده مـن اعتقاد وجـوب الإيمان بالبعـث وإعـادة الأرواح إلىٰ الأجسـاد، حيـث يقوم النـاس من قبورهم لـربِّ العالمين، فالبعـث حق، بـل الإيمان به هو الركن الخامـس من أركان الإيمان، وإن ممـا يقع في اليوم الآخر البعث بعد الموت، وحقيقته أنه بعث للأجساد والأرواح معًا وليس بعثًا للأرواح فقط كما تزعمه الفلاسـفة. ومن نهج نهجهم، فتعاد الأجسـاد بعينها وتعاد إليها أرواحها ويزيد الله فيها ما يشاء حتىٰ ولو كانت رمادًا أو متحللة في بطون السباع أو في قاع البحار، حيث يفنىٰ جميع الجسد إلا عجب الذنب كما أخبر الصادق المصدوق صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ليس من الإنسـان شـيء إلا يبلىٰ إلا عظمًا واحدًا وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يـوم القيامة**»(١)، فنفس الأجسـاد تعاد وتعاد إليها أرواحهـا، فيقومون لرب العالمين في ذلك اليوم العظيم كـما قال الله تَعَالَىٰ: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ۝٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٤ - ٦]، وقـال سُبۡحَانَهُ: ﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا﴾ [النبأ: ١٨]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [التغابن: ٧]، وقـال جَلَّ وَعَلَا: ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ۝٥٢ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ﴾ [يس: ٥٢ - ٥٣]؛ أي: أحيانـا بعدمـا أماتنـا، فيبـين الله لهـم أن هـذا ما جـاءت به الرسـل من عنـد الله عَزَّ وَجَلَّ وأخبرت بـه هـا هـو يتحقـق عيانًـا بيانًـا، وقـال سُبۡحَانَهُ: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾ [ق: ١٥]، وهـذه الآيـة مـن أعظم الإلزامـات لمنكري البعث؛ فـإن الذي خلق

(١) أخرجه البخاري [٤٩٣٥]، ومسلم [٢٩٥٥] من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الخلق من العدم أقدر علىٰ الإعادة من مادة موجودة مع أنه كان خلقها من العدم فهو قادر علىٰ إعادتها بعد الوجود وبعد الموت، وقال تعالىٰ: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٨١ - ٨٣]، وقال عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧]، فلا يشك في البعث إلا كافر أما المسلم فإنه يعلم أن الذي خلقه من العدم قادر علىٰ أن يعيده إلىٰ الحياة مرة أخرىٰ بعد الموت ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الجاثية: ٢٦].

فالبعث بعد الموت حقّ وصدق لأجل الجزاء، ومن ثم النعيم أو الجحيم، وقال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠].

فإذا آمن العبد أن الله علىٰ كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا لم يعد يشك في البعث، بل ولا في كل ما أخبر الله به من المغيبات التي استأثر الله بعلمها: ﴿لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٨٧].



الإيمان بالصراط

٩٦- وَصِرَاطُنَا حَقٌّ وَحَوْضُ نَبِيِّنَا ... صِدْقٌ لَهُ عَدَدُ النُّجُومِ أَوَانِي

٩٧- يُسْقَىٰ بِهَا السُّنِّيُّ أَعْذَبَ شَرْبَةٍ ... وَيُذَادُ كُلُّ مُخَالِفٍ فَتَّانِ

❁ **ذكر الناظم هنا مسألتين عظيمتين مما يقع بعد البعث يجب الإيمان بهما: الأولىٰ**- مسألة الإيمان بالصراط، وهو الجسر الذي يُنصب علىٰ متن جهنم، فيمر عليه جميع الناس علىٰ حسب أعمالهم؛ «**الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وكَالرِّيحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا**»(١)، وجاء عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الحديد: ١٢] قال: «علىٰ قدر أعمالهم يمرون علىٰ الصراط، منهم مَن نوره مثل الجبل، ومنهم مَن نوره مثل النخلة، ومنهم مَن نوره مثل الرجل القائم، وأدناهم نورًا مَن نوره في إبهامه يتَّقد مرة ويطفأ مرة»(٢).

وهو المراد بقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧١ - ٧٢]، وقد ورد بيان ما في هذه الآية في حديث أم مبشر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حيث قالت: سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول عند حفصة: «**لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِنْ شَاءَ الله مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا**»، قالت: بلىٰ يا رسول الله فانتهرها، فقالت حفصة: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١]، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قد قال الله** عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧٢]»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري [٧٤٣٩]، ومسلم [١٨٣] من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة [٣٥٧٠٠]، والطبري في «التفسير» (١١/ ٤٨١)، والحاكم [٣٧٤٣]. وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وقال الذهبي: «علىٰ شرط البخاري».

(٣) أخرجه مسلم [٢٤٩٦].

فهذا هو أصح تفسير لقوله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾، لكن المؤمن لا يؤذيه، بل يمر به بسلام، ومع هذا فذلك المرور عظيم وخطر؛ كلٌ يهابه ويخافه حتىٰ الأنبياء والرسل؛ ولهذا ثبت أن دعاء الأنبياء علىٰ الصراط: اللهم سلم سلم كما تقدم؛ لأنهم يرون الناس يتساقطون يمينًا وشمالًا تخطفهم الكلاليب والحسك المنصوب علىٰ جنبتيه، فترمي بهم في قعر جهنم - والعياذ بالله -.

ومما ورد في وصف الصراط: أنه: «**مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ، وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ تَكُونُ بِنَجْدٍ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ**»[(١)]، وأنه «**أَدَقُّ مِنْ الشَّعْرَةِ وَأَحَدُّ مِنْ السَّيْفِ**»[(٢)].

فيجب الإيمان بالصراط وأنه حق حقيقة، ولا نلتفت إلىٰ المعتزلة وغيرهم من أصحاب المدارس العقلية والأهواء المردية الذين أنكروه، وأنكروا الميزان والحوض أو أولوهما وغيره من الغيبيات التي دلّت عليها نصوص الكتاب والسنة، وأجمع عليها سلف الأمة، ولا يكاد يخلو كتاب من كتب السنة والعقيدة والأحكام نظمًا ونثرًا من ذكر وجوب الإيمان بهذه الأصول الغيبية العظيمة، وبيان الخطر علىٰ من حاد عن الإيمان بها أو ردها، فالحجة قائمة وأنوار أدلتها ساطعة وأعذار مخالفيه داحضة؛ ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥].

وما أظرف ما قاله شيخ الإسلام في لاميته المختصرة في بيان مذهبه وعقيدته التي قرر فيها بعض اعتقاد السلف، حيث قال:

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري وقد تقدم.

(٢) أخرجه مسلم [١٨٣] عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

....

وأقــر بــالمـيــزان والحـــوض الــذي أرجـــو بـأنــي مـنــه ريــا أنـهـل

وكــذا الــصــراط يمـد فـوق جهنم فـمـســلّـم نـــاج وآخـــر مـهـمـل



هــذا اعــتـقــاد الـشـافـعي ومـالـك وأبـــي حـنـيـفـة ثـم أحمــد ينقل

فــإن اتـبـعـت سـبـيـلـهـم فـمـوفـق وإن ابـتـدعـت فـمـا عـلـيـك معول

والذي يظهر أن المرور علىٰ الصراط يقع بعد الحوض وبعد الشفاعة، ولكن قدَّمه الناظم لأهميته - وكل مهم -.

❊ ❊ ❊



الإيمان بحوض نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

ثمَّ ذكر الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ المسألة الثانية، وهي: الإيمان بالحوض الذي جعله الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لنبيه مكرمة، وهو أعظم أحواض الأنبياء، طوله مسيرة شهر وعدد آنيته عدد نجوم السماء كما جاء في الأحاديث الصحاح والحسان التي بلغت حد التواتر، وقد نظم أحدهم ذلك في الأبيات التالية:

مما تواتر حديث من كذبْ ... ومن بنىٰ لله بيتًا واحتسبْ

ورؤيةٌ شفاعةٌ والحوضُ ... ومسح خفين وهذي بعضُ

وهنا وقفة وهي أن علماء المصطلح لما قسموا الحديث إلىٰ متواتر وآحاد كان قصدهم صحيحا، **وفيه فوائد منها**: أنه عند وجود ما ظاهره التعارض يقدم المتواتر علىٰ الآحاد؛ لأنه أقوىٰ وأثبت لتعدد مخرجه، وغير ذلك من أوجه الترجيح، وإلا فكل ما ثبت بالسند الصحيح المتصل إلىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غير علة ولا شذوذ فإنه يجب قبوله والعمل به، سواء كان ذلك في العقيدة أو الأحكام، وسواء كان متواترًا أو أحادًا، وإنما أخذ هذا التقسيم أهل الأهواء من المتكلمين وغيرهم لمقصدهم السيئ، وهو أن الآحاد لا يعمل بها في العقائد؛ لأنها لا تفيد العلم علىٰ حد زعمهم، فردوا بذلك وحرفوا كثيرًا مما ثبت بالقرآن والسنة مما يجب الإيمان به.

وهذه المسألة لها نظائر مما يقعِّده بعض العلماء قديما لغرض صحيح فيتخذه أهل الأهواء سبيلا إلىٰ تحريف الكلم عن مواضعه، وما مسألة المجاز عنا ببعيد؛ ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٣].

فهذا التقسيم ونحوه حادث لم يكن موجودا علىٰ عهد الرعيل الأول الذين هم أعلم وأحكم وأسلم - والله المستعان -.

وكـما وضّح الناظم فحوض نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشـد بياضًا من اللبن وأبرد من الثلج وأحلىٰ من العسـل مـن شرب منه شربة لا يظمـأ بعدها أبدًا، وقد قـال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنَا فَرَطُكُـمْ عَلَـى الْحَـوْضِ لَيُرْفَعَنَّ إِلَيَّ رِجَالٌ مِنْكُـمْ حَتَّى إِذَا أَهْوَيْـتُ لِأُنَاوِلَهُمْ اخْتُلِجُوا دُونِـي فَأَقُـولُ أَيْ رَبِّ أَصْحَابِـي يَقُـولُ: لَا تَـدْرِي مَـا أَحْدَثُوا بَعْـدَكَ**»(١)، وفي رواية في الصحيـح «**فَأَقُولُ: سُـحْقًا سُـحْقًا لِمَـنْ غَيَّرَ بَعْـدِي**»(٢)؛ **والفَرَط** هو الذي يسبق غيره إلىٰ المـاء، ومنـه سُـمِّي الطفل الميـت فَرَطًا؛ أي أنه سبق والديه إلىٰ الجنة بـإذن الله، لذلك فـإن هؤلاء أصحاب الأهواء الذيـن غيروا وبدلوا، فغيروا في السـنة وفي معالمها وغيروا في أحـكام الله عَزَّوَجَلَّ هـم أولىٰ النـاس بـأن يُردوا ويـذادوا عن حـوض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويحرموا منه ولا يذوقوه؛ لأنهم ليسوا أهلا لذلك. أسأل الله أن يسقيني وإياكم منه شربة لا نظمأ بعدها أبدًا، وأن يرزقنا جميعًا التمسك بالسنة؛ فإنه طريق الجنة.

وأشـار الناظـم إلىٰ أن الشرب مـن حوض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاصرٌ علىٰ أهل السـنة والجماعة الذين يؤمنون بالحوض، أمَّا من أنكره فهو قَمِنٌ وحريٌّ أن لا يشرب منه؛ فأهل السنة والجماعة هم الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا علىٰ الحق إلىٰ أن لقَوا ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهم الذين حكموا الكتاب والسنة واعتقدوا وعملوا بما دلا عليه ظاهرا وباطنا، وأيقنوا بأن الكل من عند الله، فآمنوا وعملوا وردوا ما تشابه منه إلىٰ محكمه، وغيرهم ممن انحرف عـن السـنة والجادة وابتـدع في دين الله ما ليس منـه، وآمن ببعض الكتـاب وكفر ببعض كـما قال الله عنهـم: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧]، وحكم عقله القاصر وهواه الفاسـد؛ فهؤلاء لا نصيب لهم في هذا الحوض،

---

(١) أخرجه البخاري [٧٠٤٩]، ومسلم [٦١١٨] من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري [٦٥٨٣]، ومسلم [٢٤٩] من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وإن كان النبـي ﷺ ذكر أن عليهم آثـار الوضوء ومع ذلك يحرمون لأنهم أحدثوا في ديـن الله مـا ليـس منه – وما أكثـر المحدَثين في هـذه الأزمنة المتأخـرة- فيحرم منه كل مبتـدع ويكـون خاصا بأهل السـنة الذيـن هم أتبـاع نبينا محمد ﷺ قـولًا وعملًا واعتقادًا.



الإيمان بالميزان والجزاء على الأعمال، إن خيرًا فخيرًا وإن شرًّا فشرًّا

٩٨- وَكَذَلِكَ الأَعْمَالُ يَوْمَئِذٍ تُرَىٰ ... مَوْضُوعَةً فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ

❁ أيضًا مما يقع يوم القيامة: نَصبُ الموازين فتوزن الأعمال، فمن وجد خيرًا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه، فثقِّل موازينك - يا عبد الله! - بالأعمال الصالحة المستمدة من الكتاب والسنة؛ لتكون لك ذخرًا عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والعمل الصالح هو ما بُني علىٰ أصلين أصيلين: الإخلاص لله وحده، والمتابعة لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فتلك الأعمال توزن؛ فنؤمن بأنها توزن، ونؤمن بالميزان، توزن فيثقل ويخف بحسبها؛ يدل لذلك قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقول الله تَعَالَىٰ: ﴿وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٧]، وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ [القارعة: ٦ - ١١]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٠٢ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢ - ١٠٣]، وقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَىٰ اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمنِ: سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ، سبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ**»(١)، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَالْحَمْدُ لِلهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ**»(٢)، وصح عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ**

---

(١) أخرجه البخاري [٦٦٨٢]، ومسلم [٢٦٩٤] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم [٢٢٣] من حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

هَـذَا شَـيْئًا أَظَلَمَـكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ فَيَقُـولُ: لَا يَا رَبِّ فَيَقُولُ: أَفَلَـكَ عُذْرٌ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا أَشْـهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْـهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ فَطَاشَـتِ السِّـجِلَّاتُ وَثَقُلَتْ الْبِطَاقَةُ فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْـمِ اللهِ شَيْءٌ»(١).

فهـذه أدلـة صريحة صحيحـة علىٰ أن الميـزان حق، ومن قـال من المعتزلـة القدامىٰ وأفراخهم من العقلانيين المعاصرين: إن الميزان لا يحتاج إليه إلا الفوال والبقال، ويردون هـذه النصـوص الثابتـة، فهؤلاء وأولئـك يصدق عليهم قـول الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥]، وقـول النبـي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ لاَ يُلْقِي لَهَا بَالاً يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ»(٢).

فعلينا أن نؤمن بذلك حق الإيمان، وأن نجتهد في تثقيل الموازين بالأعمال الصالحة التي تُقرب إلىٰ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وأن نبتعد عن كل ما يخففها.

وثبت أن الميزان له كفتان كما دل علىٰ ذالك حديث صاحب البطاقة المتقدمة، وتوزن بـه الأعمال حقيقة علىٰ الوجه الذي يعلمه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، والله يعلم وصفه وكيفية ذلك الوزن، وهل هو ميزان أو موازين؟ كل هذا نرد علمه إلىٰ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

وثبت أن الذي يوزن ثلاثة: الأعمال وصحائف الأعمال وصاحب العمل.

---

(١) أخرجه الترمذي [٢٦٣٩]، وابن ماجه [٤٣٠٠]، والحاكم [١٩٣٧] من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. وقال الترمذي: حسن غريب. وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

(٢) أخرجه البخاري [٦٤٧٨] من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

فمن أدلة وزن الأعمال: حدبث «**وَالْحَمْدُ لِلهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ**»، وقد تقدم قريبًا.

ومن أدلة وزن صحائف الأعمال حديث البطاقة، وقد تقدم أيضًا.

ومن أدلة وزن صاحب العمل ما ورد في قصة لابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، «أنه كان يحتز لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سواكا من أراك، وكان في ساقيه دقة، فضحك القوم، فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا يُضْحِكُكُمْ؟ مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ**»[1]، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنه ليؤتى بالرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة**»، وقال: «**اقرأوا** ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]»[2].

والذي يظهر من حيث الترتيب أنه بعد البعث يكون الحوض، ثم الميزان، ثم الشفاعة، ثم الصراط. أما من قال إن الحوض بعد الصراط فهذا بعيد؛ والله أعلم.



(١) أخرجه أحمد [٣٩٩١]، والطيالسي [٣٥٥] من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وحسنه الألباني في «غاية المرام» [٤١٦].

(٢) أخرجه البخاري [٤٧٢٩]، ومسلم [٢٧٨٥] من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

٩٩- وَالْكُتْبُ يَوْمَئِذٍ تَطَايَرُ فِي الْوَرَىٰ ... بِشَمَائِلِ الأَيْدِي وَبِالأَيْمَانِ

❁ بيَّن الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ حال تطاير الكتب إلىٰ أصحابها، فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله؛ فهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، ولا يظلم فيه العبد شيئًا؛ وإنما تُحصىٰ عليه أعماله وتُسطَّر في هذا الكتاب كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣ - ١٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧ - ١٢]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩ - ٢٩].

والجمع بين قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾ وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾ أنه يُؤتىٰ كتابه بشماله مغلولة من وراء ظهره - والعياذ بالله -.

وأما قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾، مع أنه يأخذ كتابه بيمينه، ومع أن ثمة حديثًا يقول: «**من نوقش الحساب هَلك**» أو في الرواية الأخرىٰ: «**عُذِّبَ**» فقد بيَّن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك لعائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا؛ فقال: «**إنما ذلكِ العرض؛ يُقال له: عملت في يوم كذا وكذا وقد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، ومن نوقش الحساب هلك**»(١).

(١) أخرجه البخاري [١٠٣]، ومسلم [٢٨٧٦].

فالحساب حسابان: حساب مناقشة، وحساب عرض؛ فمن نوقش الحساب عُذِّبَ، ومن عُرض عليه الحساب عرضًا نجا؛ لأنه من أهل اليمين الذين يأخذون كتبهم بأيمانهم؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ [الواقعة: ٢٧-٣٤] إلىٰ أن قال: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ [الواقعة: ٤١ - ٤٤] - نسأل الله العافية والسلامة - فهذا هو مصير جميع الناس كلٌّ يُنشر له كتابُه ويُسلَّم إياه، ويُقال له: ﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء: ١٥] فالكيِّس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنىٰ علىٰ الله الأماني.



وصف الله سُبْحَانَهُ بالمجيء والرد على المخالف

١٠٠- وَاللهُ يَوْمَئِذٍ يَجِيءُ لِعَرْضِنَا مَـعْ أَنَّـهُ في كُـلِّ وَقْـتٍ دَانِ

❁ يشير بهذا البيت إلىٰ ما دل عليه قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفَجر: ٢٢]، وقوله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البَقَرَة: ٢١٠].

والمقصود: أنَّ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ يجيء للفصل بين الخلائق يوم القيامة، يجيء مجيئًا حقيقيا يليق بجلاله وعظمته، ومنهجنا في المجيء هو منهجنا في سائر الأسماء والصفات، كما دلَّت عليه النصوص الشرعية؛ وهو إثبات المجيء علىٰ ما يليق بجلال الله وعظمته؛ لأنه هو الذي أخبر بذلك عن نفسه، وهو الذي يعلم ما يثبت له، وما يجب أن يوصف به، وما يجب أن يُنفىٰ عنه؛ إذ لا أعلم بما يجب لله من الله، ولا أعلم بما يجب لله بعد الله من رسول الله صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وما دام المجيء قد ثبت في الكتاب والسنة فالواجب التسليم له دون أن نشبهه بمجيئنا أو إتياننا أو حركاتنا أو سكناتنا فالله عَزَّوَجَلَّ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير؛ ليس كمثله شيء في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله؛ فالواجب التسليم لهذه الأمور التي دلت عليها نصوص الكتاب والسنة وإن قصرت عقولنا عن إدراك كيفيتها فإننا خلقنا للتعبد، وعلينا أن نعلم أننا أُمرنا بأن ننقاد ونسلم لكلِّ ما أخبر الله به سواءً استوعبته عقولنا أم لا.

وكان السلف إذا جاءتهم آيات الصفات أو غيرها من المغيبات؛ انقادوا وأذعنوا وسلموا وقالوا: آمنا به كل من عند ربنا؛ لذلك يقول ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا عندما سمع

رجلًا ارتعد وارتجف واهتز واضطرب لما سمع بعض آيات الصفات؛ فقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «ما بال هؤلاء يجدون رقة عند محكمه، ويهلكون عند متشابهه»(١)؛ أي: ما بالهم يستسلمون عند المحكم؛ ما فَرَقُ هؤلاء؟! يعني: ما خوفهم؟ وما الذي أدىٰ بهم إلىٰ هذا الحال؟ يجدون رقة عند محكمه ويهلكون عند متشابهه! يعني: لماذا يسلمون بالبعض ولا يسلمون بالبعض الآخر والكل قد جاء من عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟!

والمسلم إذا أشكل عليه أمرٌ؛ آمن وأذعن بما جاء، ووكل ما لم يعلم علمه إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلا ينفي بناء علىٰ كونه لم يفهم ذلك، أو لم يعلم كيفيته، أو أن عقله يستبعده، أو أن علم الكلام والمنطق لا يقره، كما قد يتبادر إلىٰ ذهنه أو نحو ذلك، مما قد يخطر بباله من الأوهام الشيطانية؛ بل إنه يذعن ويسلم؛ يقول الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «آمنا بالله وبما جاء عن الله علىٰ مراد الله، وآمنا برسول الله وبما جاء عن رسول الله علىٰ مراد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»(٢)، وبنحوه عن الإمام أحمد وقال: «لا نتجاوز القرآن والحديث»(٣).

وأما قوله: «مَعَ أَنَّهُ في كُلِّ وَقْتٍ دَانِ» فيشير بهذا إلىٰ نزوله إلىٰ السماء الدنيا في كلِّ ليلة، أو يشير إلىٰ قربه من خلقه سُبْحَانَهُ، فالبيت محتمل للأمرين؛ بل يشملهما، فإذا حملنا الدنو علىٰ النزول فإنه ثابت، دلت عليه الأحاديث المتواترة التي رواها نحو سبعين صحابيًا، **«ينزل ربنا إلىٰ السماء الدنيا، فيسأل عباده: من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟ من يدعوني فأستجيب له؟»**(٤) فلا يجوز تأويل أو إنكار ذلك، ولا القول

(١) أخرجه عبد الرزاق [٢٠٨٩٥]، وابن أبي عاصم في «السنة» [٤٨٥].
(٢) انظر: «شرح العقيدة الطحاوية»، (٣/ ٤٥٢)، «ذم التأويل» لابن قدامة، ص: [١١]، ص: [٤٤].
(٣) انظر: «أقاويل الثقات» ص: [٢٣٤].
(٤) أخرجه البخاري [١١٤٥]، ومسلم [٧٥٨] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بأنه نزول أمره سُبْحَانَهُ أو رحمته؛ وإنها ينزل نزولًا حقيقيًا يليق بجلاله وعظمته ولا يشك في هذا إلا جاهل؛ لأنه إذا جاء الخبر من عند الله أو عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فحسبك به، إذا سمعت قال الله تَعَالَىٰ، أو قال رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وجب عليك أن تذعن، وأن تسلِّم لما جاء في كتاب الله؛ فنزوله نزول يليق بجلاله وعظمته، ومجيئه مجيء يليق بجلاله وعظمته.

والذي أوقع كثيرًا من الناس في الشبه: هو تعلُّقه بكلمة: (كيف؟ ولم؟)؛ لأنه يدخل نفسه حينئذ فيما لم يكلفه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بطلبه، وما لم يتعبده الله به، فلسنا متعبدين بالعلم بالكيفيات؛ وإنها نحن متعبدون بالإذعان والاستسلام والانقياد لما أمر الله به، والبعد عن كل ما نهىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عنه.

ويحتمل أيضًا حمله علىٰ دنوه في علمه، فمع كونه فوق جميع خلقه مستويًا علىٰ عرشه استواءً يليق بجلاله وعظمته، فإنه في الوقت نفسه لا تخفىٰ عليه خافية؛ بل يعلم كل شيء؛ فعلينا أن نذعن لذلك وأن نستسلم له وأن نؤمن بصفتي المجيء والنزول الذين جاء بيانهما في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



١٠١- وَالأَشْعَرِيُّ يَقُولُ يَأْتِي أَمْرُهُ وَيَعِيبُ وَصْفَ اللهِ بِالإِتْيَانِ
١٠٢- وَاللهُ فِي القُرْآنِ أَخْبَرَ أَنَّهُ يَأْتِي بِغَيْرِ تَنَقُّلٍ وَتَدَانِ

بعد أن قرَّر الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الله عَزَّوَجَلَّ يجيء مجيئًا حقيقيا يليق بجلاله وعظمته، كما دلت علىٰ ذلك النصوص من كتاب الله تَعَالَىٰ وسنة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أخذ يُبيِّن هنا مذهب المخالفين في إثبات مجيء الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فالمجيء صفةٌ فعلية، من الصفات الاختيارية التي يفعلها الربُّ متىٰ شاء إذا شاء كيف شاء علىٰ ما يليق بجلاله وعظمته.

وشأنه شأن سائر الصفات التي تُمَرّ كما جاءت بلا كيف، فيقال فيها كما قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الاستواء فيقال: «المجيء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة».

وذكر الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ مذهب الأشعري في مسألة مجيء الرب جَلَّ وَعَلَا أنه مجيء أمره أو رحمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فيكون معنىٰ قوله تَعَالَىٰ عنده: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ أي: وجاء أمر ربك أو وجاءت رحمة ربك؛ وهذا قولٌ باطل.

وقبل أن أبيِّنَ وجه بطلانه يُطرح سؤالٌ هنا: هل ما نسبه الناظم إلىٰ الأشعري هو مذهبه الذي استقر عليه أمره؟ والجواب أن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد مرَّت به أطوار؛ فقد نشأ في أول حياته رَبيبًا لزوج أمِّه (أبي علي الجُبَّائي المعتزلي) فاعتنق مذهب زوج أمِّه الذي تربىٰ في كنفه، وهو مذهب الاعتزال.

وقد تقدم أن المعتزلة يثبتون الأسماء مجردة ويُؤوِّلون الصفات أو ينفونها، وحتىٰ إثباتهم للأسماء لا قيمة له؛ لأنهم يثبتون أسماء جوفاء مجردةً عن المعاني، وهي عقيدة جهمٍ

التي يقول فيها: إن الله سميعٌ بلا سمعٍ، بصيرٌ بلا بصرٍ، عليمٌ بلا علمٍ، خبيرٌ بلا خبر... كما قال ابن القيم:

وقضىٰ علىٰ أسمائه بحدوثها ... ويخلقها من جملة الأكوان

فانظر إلىٰ تعطيله الأوصاف والـ ... أفعال والأسماء للرحمن

ماذا الذي في ضمن ذا التعطيل من ... نفي ومن جحد ومن كفران

لكنه أبدىٰ المقالة هكذا ... في قالب التنزيه للرحمن

وأتىٰ إلىٰ الكفر العظيم فصاغه ... عجلا ليفتن أمة الثِّيران

وقد ذكر الألوسي في كتابه: «جلاء العينين في محاكمة الأحمدين» قصة مفادها أن أعرابيًا مرّ علىٰ جهم بن صفوان وهو يقرر عقيدته لتلاميذه، يقول لهم فيها: إن الله سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، عليم بلا علم إلىٰ آخره؛ فاستنكر هذا الأعرابي كلامه هذا المخالف للعقل والفطرة، إذ لا يعقل أن يسمىٰ سميعًا إلا إذا كان يسمع، وبصيرًا إلا إذا كان يبصر وهكذا، فقال علىٰ البديهة هاجيا جهما ومن شاكله:

ألا إن جهما كافر بان كفره ... ومن قال يومًا قول جهم فقد كفر

لقد جن جهم إذ يسمي إلهه ... سميعًا بلا سمع بصيرًا بلا بصر

عليمًا بلا علم رضيًا بلا رضا ... لطيفًا بلا لطف خبيرًا بلا خبر

أيرضيك أن لو قال يا جهم قائل ... أبوك امرؤٌ حرٌّ خطير بلا خطر

مليح بلا ملح بهي بلا بَها ... طويل بلا طول يخالفه القصر

حليم بلا حلم وفيٌّ بلا وفا ... فبالعقل موصوف وبالجهل مشتهر

جواد بلا جود قوي بلا قوىٰ ... كبير بلا كبر صغير بلا صغر

أمدحا تراه أم هجاء وسبة ... وهزءً كفاك الله يا أحمق البشر

فــإنــك شــيــطــان بــعــثــت لأمــة　　تُــصــيِّرهــم عــمــا قــريــب إلىٰ سقر

أعود فأقول: نشأ أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أربعين سنة علىٰ هذا المذهب، ثم فكر وعرف أنه عقيدة فاسدة فأخذ يبحث عن الحق، فانتقل إلىٰ عقيدة أبي محمد عبد الله بن كُلاَّب؛ وهي تأويل بعض الصفات وإثبات سبع منها، وحتىٰ إثبات هذه السبع محل نظر، حيث يقول مثلا: إن السمع هو إدراك المسموعات، والبصر إدراك المبصرات، وهكذا في باقي السبع، فيؤول كلامه في النهاية إلىٰ عقيدة المعتزلة، ثم لم يلبث أبو الحسن الأشعري وهو يبحث عن الحق أن اهتدىٰ إلىٰ منهج السلف، وبخاصة في باب الأسماء والصفات - وإن كان قد بقِيَت عنده بعض الشبه في مسألة الإيمان وفي مسألة الكسب، - وهذا هو الذي استقر عليه أمره رَحِمَهُ ٱللَّهُ -، وصنَّف في ذلك كتابًا سماه: «الإبانة في أصول الديانة» قرر فيه مذهبه الأخير، وذكر فيه أنه علىٰ مذهب إمام أهل السنة أحمد بن حنبل، فهل كلام الناظم هنا ينطبق علىٰ الأشعري أم علىٰ الأشاعرة؟ وهل هناك فرق بين الأشعري والأشاعرة؟ ألم ينتسبوا إليه؟

بلىٰ، إنهم انتسبوا إليه في طوره الأوسط الاعتزالي، ولم ينتسبوا إليه في الأمر الذي استقر عليه حاله، أعني منهج السلف الذي قرره في الإبانة.

ومن الغريب والعجيب أن الحافظ ابن عساكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو أشعري العقيدة، يثبت نسبة كتاب: «الإبانة» إلىٰ أبي الحسن الأشعري، ومع هذا بقي علىٰ المنهج الذي عليه سائر الأشاعرة، ولم يرجع إلىٰ مذهب أبي الحسن الأخير، الذي هو منهج السلف.

فلا يُوافَق الناظم هنا، ولعله لم يبلغه رجوع أبي الحسن عن المذهب الكلابي إلىٰ منهج السلف.

والمتتبع لمنظومة القحطاني هذه يلحظ أنه من أهل الأندلس والمغرب الأقصىٰ، وأنه عاش ما بين القرن الخامس والسادس الهجري تقريبًا، ولعله لم يتضح لأهل المغرب الأقصىٰ يومها ما استقر عليه أمر أبي الحسن الأشعري؛ فأخذوا بقولِهِ الأوسط، وإن كان وجد بينهم في الحقيقة أناس وفقوا لمنهج السلف، وعلىٰ رأسهم الإمام ابن أبي زيد القيرواني، وكذلك ابن أبي زمنين، وأبو عمر الطلمنكي، والحافظ ابن عبد البر القرطبي أبو عمر النمري، ومع ذلك فقد بقي الأكثر منهم علىٰ مذهب الأشاعرة المعهود.

ويبدو من شدة القحطاني علىٰ الأشعري والأشاعرة أن مذهب الأشاعرة قد دخل بلاد الأندلس والمغرب الأقصىٰ متأخرًا، ولعله دخل مع المهدي بن تومرت الذي أدخل بعض العقائد الفاسدة إلىٰ تلك البلاد وقضىٰ علىٰ دولة أهل السنة دولة المرابطين التي يقودها علي بن يوسف بن تاشفين، وقد مات ابن تومرت سنة ٥٢٤هـ.

وكان ابن تومرت هذا سمىٰ دولته بدولة الموحدين وهو اسم علىٰ غير مسمىٰ.

وكان أهل الأندلس والمغرب الأقصىٰ آنذاك علىٰ فطرتهم لم يغيروا ويبدلوا في العقيدة وخاصة في باب الأسماء والصفات؛ ولهذا حمَلَ عليهم بشدة، وسمَّىٰ الإمام أبا الحسن، بل ذكره بكنيته ولقبه في غير ما موضع من هذه المنظومة النافعة الماتعة، والذي يظهر، بل يُجزم به أنه يعتقد أن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما زال علىٰ منهج أبي محمد عبد الله بن كُلاَّب.

والتحقيق: أنه ترك هذا المذهب إلىٰ مذهب السلف في الجملة كما تقدم بيانه، وتُراجع رسالة نفيسة لشيخنا الشيخ: حمَّاد بن محمد الأنصاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ترجمته لأبي الحسن الأشعري.

وعودا علىٰ بدء، فقد ذم الناظم المؤولة عمومًا، والأشعرية منهم خصوصا الذين يقولون في مثل: ﴿ وَجَآءَ ﴾؛ أي: وجاء أمره أو رحمته؛ لأنَّ ذلك مخالفٌ لظاهر القرآن والسنة، مخالف للشرع واللغة، بل ومخالف للعقل السليم والفطرة المستقيمة؛ لأنه يلزم منه لازمٌ فاسدٌ، فكأنهم ينسبون الله تَعَالَىٰ بتأويلهم هذا إلىٰ عدم القدرة علىٰ المجيء والإتيان، وهذا معلوم البطلان من الدين بالضرورة، ونحن مأمورون أن نأخذ بظاهر القرآن والسنة، وأن لا نلجأ إلىٰ التأويل بأي شكل من أشكاله إلا فيما دلّ الدليل علىٰ ضرورة تأويله، ولا دليل هنا، وما أفسد قاعدة المؤولة التي قعدوها ويعولون عليها في باب الأسماء والصفات، وهي قولهم:

وكل نص أوهم التشبيها أوله أو فوض ورم تنزيها

وما جاء في معناه مثل قول الناظم المؤول:

وكل ما جاء بلفظ يوهم أوِّله أو قل فيه ربي أعلم

ولو قال:

وكل ما جاء بلفظ يعلم أثبته وفي الكيف ربي أعلم

لكان أحسن، مع العلم أنه لا يوجد نص في باب الأسماء والصفات يوهم التشبيه البتة، وإنما أوتي القوم من قِبل عقولهم القاصرة وأفهامهم الفاسدة والتي قلدوا فيها أمثال جهم وبشر المريسي ومن شاكلهم من المبتدعة المارقين وأهل الكلام الضالين، وما أحرىٰ بهؤلاء وأولئك بما دل عليه قوله جلّ شأنه: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المَائِدَة: ٧٧].

وقولـه: «ويعيبُ وصف الله بالإتيان» بمعنىٰ: ينكر، ويرىٰ أنَّه صفةُ نقصٍ في حق البـاري سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ونسي ابن كلاب ومن تبعـه وقبلهم المعتزلة أنَّ الله هو الذي وصف نفسـه بذلك، وهو أعلم بنفسه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؛ ولذلك يقال لهم ما قاله الإمام مالك رَحِمَهُٱللَّهُ في الإستواء، وقد مرّ قريبًا أن جواب الإمام مالك هذا قاعدة في سائر الصفات.

فـالله تَعَالَىٰ يقول: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾، وهم يقولـون: وجاء أمر ربك! فكأنهم يقولون: لا، يا ربِّ! نحن أعلم بك منك، والصواب ما جئنا به ووصفناك به - تعالىٰ الله عما يقول المؤولة علوًّا كبيرًا -.

وهم لا يقصدون تكذيب الرب سُبْحَانَهُ - حاشـا لله أن ننسـب إليهم ذلك -، لكن هذا هو مدلول كلامهم من حيث لا يشعرون؛ ولذلك لو عومل الأشعرية بلازم مذهبهم لقيـل إنهـم حلوليـة بقولهـم: «إن الله في كل مـكان»، لكن نحـن لا نُلزمهم بهـذا، لأنهم لم يتصوروا ما يلزم علىٰ كلامهم، ولازم المذهب ليس بمذهب، وإن كان من حيث الواقع يلزمهم، بيد أننا لا نُلزمهم ديانة، وإنما نلزمهم ذلك سياقًا ولغة وحجةً.



١٠٢- وَاللهُ فِي الْقُرْآنِ أَخْبَرَ أَنَّهُ ... يَأْتِي بِغَيْرِ تَنَقُّلٍ وَتَدَانِ

❁ الله هو الذي أخبر أنه يجيء، وقصدُ الناظم بقوله: «بِغَيرِ تَنَقُّلٍ وَتَدَانِ»؛ أي: بغير كيفية، أمَّا كلمة بغير تنقل وتدان فهذا نكل علمه إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فنحن نؤمن بأنه يجيء علىٰ ما يليق بجلاله وعظمته، ونحمل كلام الناظم علىٰ هذا المعنىٰ.

أمَّا قوله: «بغير تنقل، بغير تدانٍ، بغير قرب، بغير حركة أو بحركة، ونحو ذلك» فهذا لم نكلَّف بالبحث فيه، ولم نُتعبد بإنكاره أو إقراره، بل تُعبِّدْنَا بالإيمان بأنه يجيء سبحانه، وما وراء ذلك نكل علمه إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لأنه علم غيبي.

والصفات عمومًا لها جانب ظاهر يجب الإيمان به، ولها جانب غيبي يجب أن نكل علمه إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فبالنسبة للعلم بالصفة وإثبات معانيها لله علىٰ الوجه الذي يليق بجلاله وعظمته هذا محكمٌ يجب الإيمان به، والتسليم له والإذعان، والانقياد له حتىٰ ولو لم تستوعبه عقولنا. وما وراء ذلك من الكيفيات والعلم بكيف يجيء وكيف ينتقل وكيف يتحرك، فهذا نكل علمه إلىٰ عالمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا نتطرق إلىٰ كيفيته بوجه من الوجوه.

وما أجمل ما نظمه الشيخ حافظ الحكمي من عبارات لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا المعنىٰ حيث قال:

كَذَا لَهُ الْعُلُوُّ وَالْفَوْقِيَّهْ ... عَلَىٰ عِبَادِهِ بِلا كَيْفِيَّهْ
وَمَعَ ذَا مُطَّلِعٌ إِلَيْهِمُ ... بِعِلْمِهِ مُهَيْمِنٌ عَلَيْهِمُ
وَذِكْرُهُ لِلْقُرْبِ وَالْمَعِيَّهْ ... لَمْ يَنْفِ لِلْعُلُوِّ وَالْفَوْقِيَّهْ
فَإِنَّهُ الْعَلِيُّ فِي دُنُوِّهِ ... وَهْوَ الْقَرِيبُ جَلَّ فِي عُلُوِّهِ
حَيٌّ وَقَيُّومٌ فَلَا يَنَامُ ... وَجَلَّ أَنْ يُشْبِهَهُ الْأَنَامُ
لا تَبْلُغُ الْأَوْهَامُ كُنْهَ ذَاتِهِ ... وَلا يُكَيِّفُ الْحِجَا صِفَاتِهِ[1]

---

(١) انظر: «معارج القبول» لحافظ الحكمي، (١/ ١٣٦).

الإيمان بعرض الخلق على الله عَزَّوَجَلَّ لا تخفى عليه منهم خافية

قال الناظم:

١٠٣- وَعَلَيْهِ عَرْضُ الْخَلْقِ يَوْمَ مَعَادِهِمْ لِلْحُكْمِ كَيْ يَتَنَاصَفَ الْخَصْمَانِ

❁ أي: أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يجمع الأولين والآخرين يوم القيامة، وتُعرض أعمالهم عليه، فيُنصَفُ للمظلوم من الظالم؛ ودواوين الظلم ثلاثة: ديوان لا يغفر الله لمن مات عليه، وهو: الإشراك بالله عَزَّوَجَلَّ، وديوان لا يترك الله منه شيئًا، وهو ظلم العباد فيما بينهم، حتىٰ إنه ليقتص للجلحاء من القرناء من الحيوانات، والثالث ظلم العبد نفسه، فيما بينه وبين ربه؛ وهذا تحت المشيئة، إن شاء الله غفر لصاحبه بفضله وإن شاء عذبه بعدله، ولا يظلم ربك أحدًا، فهو سُبْحَانَهُ حكم عدل؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨]، فتُعرض جميع الأعمال علىٰ الله فيُجازي كلٌ بحسب عمله؛ ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

❁ ❁ ❁

إثبات رؤية الله عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة
وأنه سُبْحَانَهُ لا يرى في الدنيا

١٠٤- وَاللهُ يَوْمَئِذٍ نَرَاهُ كَمَا نَرَىٰ ... قَمَرًا بَدَا لِلسِّتِّ بَعْدَ ثَمَانِ

❁ قرر الناظم في هذا البيت إثبات رؤية المؤمنين لربهم كما يرونَ القمر ليلة البدر لا يُضامون في رؤيته، وهو الذي قصده بقوله: «قمرا بدا للست بعد ثمان»، ويشير بذلك إلىٰ الأحاديث المتواترة في الرؤية ومنها قول النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ**»(١)؛ أي: لا تضارُّون، والتشبيه هنا للرؤية بالرؤية وليس تشبيها للمرئي بالمرئي، فكما أن رؤية القمر ليلة البدر - أي: ليلة أربعة عشر أو خمسة عشر منه ثابتة لا يشك فيها - فكذلك رؤية المؤمنين لربهم عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة، فالمؤمن ينال هذا الفضل العظيم من الله يوم القيامة؛ وهو النظر إلىٰ وجهه الكريم، نظرًا حقيقيًا ليس مجازيًا، بدون إحاطة ولا إدراك.

وقد ثبت أنه أعظم نعيم لأهل الجنة كما في حديث صهيب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند مسلم(٢) أن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قال: يقول الله** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّض وُجُوهنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلنَا الْجَنَّة وَتُنَجِّنَا مِنْ النَّار؟ قَالَ: فَيَكْشِف الْحِجَاب، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبّ إِلَيْهِمْ مِنْ النَّظَر إِلَى رَبّهمْ** عَزَّوَجَلَّ»، والآيات الدالة علىٰ ثبوت رؤية المؤمنين ربهم كثيرة منها قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣]؛ قال المفسرون: أي: تنظر إلىٰ ربها نظرًا، ووجه الدلالة من هذه الآية علىٰ المقصود من ثلاثة وجوه:

---

(١) أخرجه البخاري [٥٥٤]، ومسلم [٦٣٣] من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) برقم [١٨١].

أولًا- أنه قد عبَّر بالوجوه التي هي محل الرؤية؛ ففي الوجوه العينان، والعينان هما محل البصر.

وثانيًا- تعدِيته بحرف (إلىٰ)، ونَظَرَ يتعدىٰ بـ(إلىٰ)، ويتعدىٰ بـ(في)، ويتعدىٰ بنفسه.

فإذا عدي بـ(إلىٰ) كان معناه النظر إلىٰ الشيء حقيقة، تقول: نظرت إلىٰ زيد أي: وجهت نظري إليه، ونظرت إليه بعينيّ - ولله المثل الأعلىٰ -.

وإذا عدِّيَ بـ(في) كان المقصود منه التفكر والتدبر، كما في قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ﴾ [الصافات: ٨٨]؛ أي: نظر تفكر، ومنه قوله تَعَالَىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ [الأعراف: ١٨٥]؛ أي: نظر تفكر وتدبر.

وإذا عدي بنفسه، فالمقصود منه التمهل والانتظار؛ ومنه قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣].

الثالث- خلو السياق من قرينة تصرف عن هذا المعنىٰ الظاهر إلىٰ معنىٰ آخر.

فالمقصود: أنه متىٰ خلا السياق من قرينة تصرف الكلام عن معناه الظاهر إلىٰ معنىٰ آخر؛ فلا يمكن أن يوجَّه النظر إلىٰ غير النظر الحقيقي، ويؤيد ذلك قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، وقد فسر النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الزيادة هنا بالنظر إلىٰ وجه الله الكريم كما في حديث صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم وغيره.

فما دام النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الذي فسر الآية الكريمة بهذا المعنىٰ وأنهم ينظرون إلىٰ ربهم فماذا بعد الحق إلا الضلال.

وقد استنبط السلف من قول الله تَعَالَىٰ في حق الكفار: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴾ [المطففين: ١٥] أن المؤمنين يرونه بمفهوم المخالفة كما قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نونيته:

ولقد أتىٰ في سورة التطفيف أن ... القوم قد حجبوا عن الرحمان

فيدل بالمفهوم أن المؤمنيـ ... ـن يرونه في جنة الحيوان

وبذا استدل الشافعي وأحمد ... وسواهما من عالمي الأزمان

وهذا أمرٌ قد أجمع عليه أهل السنة والجماعة، وليس فيه بينهم نزاع أو خلاف إلىٰ أن ظهرت المعتزلة والجهمية ومن تفرع عنهم من المبتدعة فأوجدوا فيه خلافًا، وهم أهل الخلاف والشقاق، لذا فإن خلافهم مطَّرح، والخلاف لا يعتبر إلا إذا كان مبنيًا علىٰ نص من كتاب أو سنة؛

وليس كل خلاف جاء معتبرًا ... إلا خلاف له حظ من النظر

وأيضًا فإن النظر والرؤية صفة كمال، والذي لا يُرىٰ يُعَدُّ معدومًا، وبهذا ألزمت المعتزلة الأشعريةَ عندما أثبتوا الرؤية، بينما نفاها المعتزلة، فيقول المعتزلة للأشاعرة: إنه يلزمكم إنكار الرؤية كما أنكرناها، لأنكم تنفون العلو، علو الرب سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ الذي تطلقون عليه الجهة، إذ لا يُتصور مرئي إلا في جهة، فما دمتم تنفون العلو فيلزمكم أن تنفوا الرؤية؛ ولذلك فقد وقع منهم من وقع كأبي المعالي الجويني قبل رجوعه، فأنكر الرؤية بناء علىٰ إنكار العلو والاستواء.

ولهذا فإن الأشاعرة بين أمرين: إما أن يرجعوا إلىٰ أهل السنة والحق فيثبتون كلًا من العلو والرؤية، أو يكونوا مع المعتزلة فينفون الرؤية بناء علىٰ نفيهم العلو الذي يعبرون عنه بالجهة.

والمعتزلة ومن نهج نهجهم نفوا رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، فحكَّموا عقولهم الفاسدة وآراءهم الكاسدة، وجعلوا الرؤية مستحيلة، لأنها علىٰ حد زعمهم لا تكون ولا تناسب إلا المخلوق، وتمسكوا بدليلين ظنوا أنهما لهم وهما في حقيقة الأمر عليهم.

الدليل الأول: قول الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ حكاية عن موسىٰ عَلَيْهِٱلسَّلَامُ: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]؛ وجه الاستدلال بهذه الآية عندهم من وجهين:

أولًا- أنه نفي للرؤية، وأنَّ الله لم يُجب موسىٰ عَلَيْهِٱلسَّلَامُ سؤاله.

وثانيًا- يقولون إن لن تفيد التأبيد، وهي التي يسمونها (لن الزمخشرية)؛ لأن الزمخشري، وهو من منظريهم، ادَّعىٰ أنها تفيد التأبيد في جميع الأحوال بدون استثناء، والحق أن هذا باطل من وجوه:

الأول- أنه لا يُظن بكليم الله موسىٰ أن يسأل أمرًا مستحيلًا، وإنما سأل أمرًا مشروعًا ممكنًا عندما قال: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾.

وثانيًا- أنَّ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لم ينكر علىٰ موسىٰ هذا السؤال، بينما أنكر علىٰ نوح عَلَيْهِٱلسَّلَامُ سؤاله نجاة ابنه الذي أراد الله أن يكون من الغاوين.

وثالثًا- أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ لم يقل إنني لا أُرىٰ أو لن يراني أحد؛ وإنما قال: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾، أي: وأنت علىٰ وضعك الحالي في خلقتك الدنيوية. ويؤيد هذا قول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«لن تروا ربكم حتىٰ تموتوا»**(١).

ورابعًا- أنه لم ينقل عن أحد من السلف نفي الرؤية.

---

(١) أخرجه أحمد [٢٢٧٦٤]، وأبو داود [٤٣٢٢] من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٢٤٥٩].

وأخيرًا: أنَّ النصوص من الكتاب والسنة متضافرة في إثبات الرؤية، فإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل.

وأما كون (لن) تفيد التأبيد مطلقًا، فهذا غير صحيح، وإنما ينظر إليها بحسب السياق؛ فقد تقتضي التأبيد من دون ذكر قيد التأبيد معها، وقد تقتضي التأبيد بقيد ذكر التأبيد، وقد لا تقتضي التأبيد مع وجود قيد التأبيد.

وبيان ذلك من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة رسوله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ومن لغة العرب.

فإنها لم تفد التأبيد مع أنها قد قرنت به، كما في قول الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في وصف اليهود في سورة البقرة: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٩٥]، بينما يتمنونه عندما يعاينون العذاب، كما قال الله: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧]؛ فهنا مع وجود التأبيد دلت الآية الأخرىٰ علىٰ أنهم يتمنون الموت في وقتٍ من الأوقات.

وكذلك وجدناها أيضًا قد أُقِّتَتْ بزمن، وهي داخلة علىٰ الفعل المضارع في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾ [يوسف: ٨٠].

ولذلك يقول ابن مالك في الكافية:

ومن رأىٰ النفي بـ «لن» مؤبدا فقوله اردد وسواه فاعضدا

وأما استدلالهم الآخر علىٰ نفي الرؤية فبقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، وهذا أيضًا مردود بأمرين:

الأمر الأول: أن المقصود بالإدراك هنا هو الإحاطة، فالمنفي بقول الله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ هو الإحاطة؛ أي: لا تحيط به وإن رأته كما قال الله عن

بنـي إسرائيـل: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝٦١ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦١].

فقد اعتقدوا أنهم سيحاط بهم، لأنهم تراءىٰ بعضهم لبعض، فمجرد الرؤيا لا يلزم منه الإدراك والإحاطة.

والأمـر الثاني: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذكر هذه الآيات علىٰ سبيل التمدُّح؛ لأن النفي المحـض لا يصـح أن يوصـف بـه الـرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - ، إذ أنـه لا يفيد مدحًـا ولا كمالًا، ولا تترتب عليه فائدة كطريقة الذين يصفون الله بالسلوب، ويقولون: بأن الله لا موجود ولا معـدوم، ولا متصـل ولا منفصل، ولا داخل العالم ولا خارجه، ولا ولا... إلىٰ أخره - تعـالىٰ الله عما يقول الظالمون والملحدون والمؤولـون علوًّا كبيرًا -، بل كل أمرٍ جاء نفيه عن الله عَزَّ وَجَلَّ في الكتاب والسـنة، فإنه متضمن لثبوت اتصافه بضده، فنفي السِّنَةِ والنوم مثلا يسـتلزم القيُّومية وكمال الحياة، ونفي اللغوب أو العجز يسـتلزم كمال القدرة، ونفي الوالـد والولد يسـتلزم كـمال الغنىٰ، فلا يوصـف الله تَعَالَىٰ بالنفي المحـض لذلك، لكن يوصـف بنفيٍ يترتب عليـه الاتصاف بضده، فالله سُبْحَانَهُ قـال: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ وذلـك لعظمتـه، وهذا علىٰ سـبيل التمدح؛ والمقصـود بذلك أنه لا يحيط أحـد به. فنفي الإدراك؛ هو: نفي الإحاطة.

ويجدر بنا في ختام الكلام عن الرؤية أن ننقل كلام الإمام الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (الرؤية حـق لأهل الجنة، بغير إحاطة ولا كيفية كـما نطق به كتاب ربنا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣]، وتفسيره علىٰ ما أراد الله تَعَالَىٰ وعلمه، وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن رسـول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو كما قال، ومعناه علىٰ ما أراد، لا ندخل

....

في ذلك متأولين ولا متوهمين بأهوائنا، فإنه ما سلم في دينه إلا من سلم لله عَزَّوَجَلَّ ولرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ورد علم ما اشتبه عليه إلىٰ عالمه)[١].



(١) انظر: «شرح العقيدة الطحاوية»، ص: (٢٠٣ - ٢٠٤)، وانظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٦/ ٤٠١).

أوصاف يوم القيامة وما يكون فيه من أهوال

١٠٥- يَوْمُ الْقِيَامَةِ لَوْ عَلِمْتَ بِهَوْلِهِ ... لَفَرَرْتَ مِنْ أَهْلٍ وَمِنْ أَوْطَانِ

١٠٦- يَوْمٌ تَشَقَّقَتِ السَّمَاءُ لِهَوْلِهِ ... وَتَشِيبُ فِيهِ مَفَارِقُ الْوِلْدَانِ

١٠٧- يَوْمٌ عَبُوسٌ قَمْطَرِيرٌ شَرُّهُ ... فِي الْخَلْقِ مُنْتَشِرٌ عَظِيمُ الشَّانِ

---

* **يشير بهذا إلىٰ الأهوال والعظائم التي تقع يوم القيامة:** من حشر الناس علىٰ صعيد واحدٍ حفاةً عراةً غرلًا بُهمًا، لا يُكلِّمُ أحدٌ أحدًا، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤ - ٣٧]، كلٌّ مشغول بنفسه، وكلٌّ يقول: نفسي نفسي، لا يسأل والد عن ولد ولا مولود عن والد، ولا يسأل حميم حميما، ولكن كل مشغول بنفسه ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ [المعارج: ١٠ - ١٤]

يوم يجعل الولدان شيبًا وتذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها، وترىٰ الناس سكارىٰ وما هم بسكارىٰ، ولكنَّ عذاب الله شديد.

ويقول عنه تبارك وتعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٥ - ٢٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٦]، وقال تبارك وتعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١]، ويقول تبارك وتعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١]، فيوم القيامة تتشقق السماء وتنفطر، وتخر الجبال هدًا، كلُّ شيءٍ يزول ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨]، ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾ [القارعة: ٥].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٠]؛ أي: كثيرُ الأهوال والأمور العظام، لا يمكن تصورُ ما فيه من أهوالٍ، فالواجب الاستعداد له بالأعمال الصالحة التي تقربنا إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما سُئِلَ عن الساعة قال للسائل: وما أعددت لها فلم يذكر كبيرًا، قال: ولكني أحب الله ورسوله قال: «**فأنت مع من أحببت**»[1].



(١) أخرجه مسلم [٢٦٣٩] من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الجنة والنار مخلوقتان موجودتان لا تفنيان ولا تبيدان

١٠٨- وَالْجَنَّةُ الْعُلْيَا وَنَارُ جَهَنَّمٍ   دَارَانِ لِلْخَصْمَيْنِ دَائِمَتَانِ

❁ بيَّن الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا البيت بأنَّ الجنة والنار مخلوقتان دائمتان موجودتان الآن، وهذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة، وهي أن كُلًا من الجنة والنار مخلوقتان موجودتان يزيد الله فيهما ما يشاء، وأنهما لا تفنيان ولا تبيدان؛ فيجب على المسلم أن يعتقد ذلك؛ أي: بأن الجنة مخلوقة الآن وموجودة، وأنها لا تفنى ولا تبيد؛ بل كتب الله لها ولأهلها الخلود، وأنَّ النار كذلك مخلوقة الآن لا تفنى، وأنَّ الكفار من أهلها خالدون مخلدون فيها، وأما من دخلها من العصاة من الموحدين فيخرجون منها برحمة أرحم الراحمين.

ومن أدلة وجود الجنة الآن قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿**أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ**﴾ [الحديد: ٢١]، وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿**أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في وصف سدرة المنتهى ﴿**وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ**﴾ [النجم: ١٣ - ١٥].

وقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَقِيْتُ إِبْرَاهِيمَ لَيلَةَ أُسْرِيَ بِي، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ، وَأَخْبِرْهُمْ أنَّ الجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ، عَذْبَةُ المَاءِ، وأنَّهَا قِيعَانٌ وأَنَّ غِرَاسَهَا: سُبْحَانَ اللهِ، والحَمْدُ للهِ، وَلاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ، واللهُ أَكْبَرُ**»[1]، وقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اطَّلَعْتُ فِي الجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ**»[2]، وصح عنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال بعدما صلى بالصحابة صلاة الكسوف: «**لَقَدْ**

---

(١) أخرجه الترمذي [٣٤٦٢] من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وقال: «حديث حسن غريب».

(٢) أخرجه البخاري [٣٢٤١] من حديث عمران بن حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

....

جِيءَ بِالنَّارِ وَذَلِكُمْ حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخَّرْتُ مَخَافَةَ أَنْ يُصِيبَنِي مِنْ لَفْحِهَا وَحَتَّى رَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَ الْمِحْجَنِ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ كَانَ يَسْرِقُ الْحَاجَّ بِمِحْجَنِهِ فَإِنْ فُطِنَ لَهُ قَالَ إِنَّمَا تَعَلَّقَ بِمِحْجَنِي وَإِنْ غُفِلَ عَنْهُ ذَهَبَ بِهِ وَحَتَّىٰ رَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَةَ الْهِرَّةِ الَّتِي رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ حَتَّىٰ مَاتَتْ جُوعًا ثُمَّ جِيءَ بِالْجَنَّةِ وَذَلِكُمْ حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَقَدَّمْتُ حَتَّىٰ قُمْتُ فِي مَقَامِي وَلَقَدْ مَدَدْتُ يَدِي وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَتَنَاوَلَ مِنْ ثَمَرِهَا لِتَنْظُرُوا إِلَيْهِ ثُمَّ بَدَا لِي أَنْ لَا أَفْعَلَ فَمَا مِنْ شَيْءٍ تُوعَدُونَهُ إِلَّا قَدْ رَأَيْتُهُ فِي صَلَاتِي هَذِهِ»(١).

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث نعيم القبر وعذابه: «**ويمد له في قبره ويأتيه روح الجنة وريحها**»(٢)، وفيه أيضًا أنه عندما «**تفيض روحه يكفن بحنوط من الجنة**»؛ وهي درجات أعلاها الفردوس وجنة الخلد، وهي التي كان فيها آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ علىٰ الصحيح من أقوال أهل العلم.

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّىٰ يَبْعَثَهُ اللهُ** عَزَّ وَجَلَّ **إِلَىٰ جَسَدِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٣)، وغير ذلك من الأدلة الصحيحة الصريحة الدالة علىٰ أن الجنة مخلوقة موجودة الآن، وأنَّ الله يزيد فيها ما يشاء بحسب ما يعمله بنو آدم؛ بل إنه يبقىٰ فيها فضل بعد أن يدخلوا الجنة - كما سيأتينا - فيخلق الله لها أقوامًا فيدخلهم إياها كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) أخرجه مسلم [٩٠٤] من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه أحمد [١٨٥٣٤]، والحاكم [١٠٧] من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وقال الذهبي: «علىٰ شرطهما». وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [١٦٧٦].

(٣) أخرجه مالك [٥٦٨]، أحمد [١٥٧٧٨]، والنسائي [٢٠٧٣]، وابن ماجه [٤٢٧١] من حديث كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٢٣٧٣].

أمـا الأدلة علىٰ وجود النار الآن فهـي كثيرة؛ منها قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١]؛ **يعني** هُيئَت من الآن، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادٗا ۝٢١ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابٗا﴾ [النبأ: ٢١ - ٢٢]، وقولـه جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]؛ الشـاهد: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗا﴾، وإخبـاره عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عـن عذاب القـبر، وأنه يُفتح له بابٌ من النار - أي: الكافر - فيأتيه من حرها وسمومها إلىٰ يوم القيامة - والعياذ بالله-، وكونـه إذا خرجـت روحه توضع في المسـوح - وهو كفن من النـار - والعياذ بالله - كما تقدم ذلك قريبا في حديث البراء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وتقهْقُـرُ النبـي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما حصل الكسـوف؛ وقال: إنـه رآىٰ عُنُقًا من النار قـد امتد، وإخبـاره عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ليلـة أُسري به عن بعض مشـاهد المعذبـين، وإخباره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عـن صاحبـي القبرين أنهما ليعذبـان وما يعذبان في كبـير، وفي رواية: بلىٰ، إنه كبـير، وإخبـاره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الرجل الذي غلَّ شـملة مـن الغنيمة وأنها تشـتعل عليه الآن نـارًا؛ فهـذه أحاديـث في الصحيح واضحة الدلالـة علىٰ أن النـار مخلوقة وموجودة الآن.

وأمـا كونهـما لا تفنيـان فمن أدلـة ذلـك قـول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗا﴾ قاله في معـرض ذكر أهـل الجنة، وقاله في معـرض ذكر أهل النـار، وقولُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ ۝١٠٦ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٠٧ ۞وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾ [هود: ١٠٦ - ١٠٨]؛ أي: إلا مـا شـاء مـن مكثهـم قبـل الدخول، أو لربط ذلك بمشيئة الله جَلَّ وَعَلَا قاله أيضًا في معرض ذكر الجنة والنار.

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في حق الجنة: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥]، وقال تَعَالَىٰ عن أهل النار: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٨]؛ أي: لا ينتهي أبدًا، وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في حق أهل النار: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ [النبأ: ٢٣]؛ أي: دهورًا لا نهاية لها، وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ﴾ [فاطر: ٣٦]، وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في الجنة: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨]، وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧].

وفي الحديث الصحيح أنه يُؤتىٰ بالموت بين الجنة والنار علىٰ هيئة كبش؛ فيذبح بين الجنة والنار، ثم ينادي: «**يا أهل الجنة خلود بلا موت، ويا أهل النار خلود بلا موت**»[1]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝٧٤ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الزخرف: ٧٤ - ٧٥]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في تبشير أهل الجنة: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة: ٢١]؛ ومعنىٰ مقيم أي: سرمدي لا ينتهي أبدًا.

والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة، دالة علىٰ القول بأنَّ الجنة والنار لا تفنيان أبدًا، وقالت بعض الطوائف المنحرفة - ومنهم طوائف من الجهمية والمعتزلة -: «إن النار تفنىٰ، أو إن أهلها يتجمدون فيها حتىٰ يصبحوا فيها جهنميين لا يتأثرون بعذابها، أو إنها تفنىٰ بعد طول عذاب، أو نحو ذلك» فتلك أقاويل باطلة، لأنها لا تستند إلىٰ دليل البتة؛ بل كل ما يستدلون به في هذا الباب إمَّا أحاديث لا تصح، أو نصوص يلوون أعناقها؛ ولذلك يجب علىٰ المسلم أن يعتقد ما بيَّنت وأشرت إليه من عقيدة السلف من أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن وأنهما لا تفنيان ولا تبيدان أبدًا[2].

---

(١) تقدم تخريجه في ص: [٢٢٣].

(٢) للوقوف علىٰ تفصيل ذلك يراجع «شرح العقيدة الطحاوية»، من ص (٤٢٠ - ٤٣٢).

الجنة دار إكرام لأهلها، والنار دار هوان لأهلها

١٠٩- يَوْمٌ يَجِيءُ الْمُتَّقُونَ لِرَبِّهِمْ وَفْدًا عَلَىٰ نُجُبٍ مِنَ الْعِقْيَانِ
١١٠- وَيَجِيءُ فِيهِ الْمُجْرِمُونَ إِلَىٰ لَظَىٰ يَتَلَمَّظُونَ تَلَمُّظَ الْعَطْشَانِ

❁ يشير بهذا إلى الآية الكريمة في سورة مريم: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥]. والتعبير بالوفد يشعر بالتكريم.

وقوله: «عَلَىٰ نُجُبٍ مِنَ الْعِقْيَانِ»؛ **العقيان**: هي اليواقيت والذهب والفضة، والنُجُب: هي المركوبات، أي: ما يُركَب من الدواب أو ما يشبهها. وفي الجنَّة ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر، و«**ليس في الجنة مما في الدنيا إلا الأسماء**»(١)، كما قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ فكل ما يتصور من النجب والمركوبات فما في الجنة فوقه وأجلّ.

والعِقيان: هي اليواقيت والذهب وما أشبه ذلك من الأحجار الكريمة والجواهر الثمينة؛ ولكن لا تُقارن بما هو موجود في الدنيا.

فهم يُحشرون إلى الرحمن وفدًا؛ والوفد يُشعِر بالتكريم وبحسن الضيافة والوفادة، يضيِّفهم الله عَزَّوَجَلَّ حين ما تفيض أرواحهم؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠ - ٣٢] **يعني**: ضيافة عظيمة؛ فيُكرَم هذا الوفد بأعظم كرامة، ويُضيَّفُ بأعظم ضيافة.

---

(١) أخرجه البيهقي في «البعث والنشور» [٣٢٢]، وابن عساكر في معجمه [١١٩٤]، والضياء في «المختارة» [٦] عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وصححه الألباني في «الصحيحة» [٢١٨٨].

ومـن سمات الوفد: الهـدوء والطمأنينة حتىٰ عند دخولهم الجنـة عندما يؤتىٰ بهم، يُحشرون إلىٰ ربهـم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ثـم إلىٰ الجنة وفـدًا، ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]، فالـواو في قوله: ﴿وَفُتِحَتْ﴾ تشـعر بالطمأنينة والهدوء والسـكينة والتكريـم، فالجنـة لا يدخلها أهلها حتىٰ تفتح أبوابها، وأول من يسـتفتح باب الجنة نبينا محمـد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وأمـا النار فهي مفتوحة تنتظر أهلها، وفي حـق أهل النار يقول تَعَالَىٰ: ﴿فُتِحَتْ﴾ بـدون واو ليهووا هويًّا فيهـا - والعياذ بالله -، بخلاف أهل الجنة؛ لأنهم وفد الرحمن، والوفد قَمِـنٌ وحريٌ بالتكريم، ويكفي أنهم ضيوف الرحمن، وهم وفوده الذين يكرمهـم بألـوان من الكرامات، وألـوان العطاء غير الممنون، هذا في حق أهل السـعادة، أمـا أهل الشـقاء - والعياذ بالله - فيجـيء في ذلك اليوم المهول المجرمـون من الكافرين والعصاة والمبتدعة، علىٰ اختلاف في نهاية أمرهم، يجيئون إلىٰ لظىٰ، ولظىٰ اسمٌ من أسماء النـار، كناية عن شـدة حرها، ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ والشـوىٰ هـي جلدة الوجه - والعيـاذ بـالله -، إذا أقبل عليهم الحميم نزع جلـد وجوههم، ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾ [المعارج: ١٦ - ١٨]، ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]، فهم يأتون وردًا بخلاف الذين يأتون وفدًا.

﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٦] ومعنىٰ وردًا: أي: مجيئهم بسرعة فائقة غـير منضبطـة مثل ورود الإبل العطـاش عندما تأتي إلىٰ الماء، تـأتي بسرعة هائلة متزاحمة، ولربما وقع بعضها من شدة الزحام، كذلك الكفار يساقون وردًا إلىٰ النار، ﴿وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾ [هود: ٩٨]، يـوردون إلىٰ جهنم، ولا يدخل في هذا قول الله تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ

....

﴿إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١] كما تقدم توجيهه بأن ذلك المرور على الصراط المنصوب على متن جهنم.

وقوله: «يَتَلَمَّظُونَ تَلَمُّظَ الْعَطْشَانِ»؛ يتلمظون: أي يحركون ألسنتهم وشفاههم لما يجدون من الألم والضنك والعطش والهلاك والشعور بالأسى - والعياذ بالله - في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة.



الشفاعة

١١١- وَدُخُولُ بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ جهَنَّمًا	بِكَبَائِرِ الآثَامِ وَالطُّغْيَانِ
١١٢- وَاللهُ يرْحَمُهُمْ بِصِحَّةِ عَقْدِهِم	وَيُبَدَّلُوا مِنْ خَوْفِهِم بِأَمَانِ
١١٣- وَشَفِيعُهُمْ عِنْدَ الْخُرُوجِ مُحَمَّدٌ	وَطُهُورُهُمْ فِي شَاطِئِ الْحَيَوَانِ
١١٤- حَتَّىٰ إِذَا طَهُرُوا هُنَالِكَ أُدْخِلُوا	جَنَّاتِ عَدْنٍ وَهْيَ خَيْرُ جِنَانِ
١١٥- فَاللهُ يَجْمَعُنَا وَإِيَّاهُمْ بِهَا	مِنْ غَيْرِ تَعْذِيبٍ وَغَيْرِ هَوَانِ

❁ يقرر الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ هنا موقف أهل السنَّة والجماعة من مرتكب الكبيرة غير المستحل، والكبيرة هي ما دون الشرك والكفر من الذنوب.

والكبائر: جمع كبيرة وقد تعددت أقوال أهل العلم في الفرق بين الصغيرة والكبيرة، ولعل الأولىٰ في ذلك أن يقال: الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب أو رتب عليه حدًا في الدنيا أو وعيدًا في الآخرة كما قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا(١)، ورجحه شيخ الإسلام.

ومرتكب الكبيرة غير المستحل لها إذا مات قبل أن يتوب منها تترتب عليه أربعة أمور: **الأمر الأول:** أنه مسلم لا يخرج من ملة الإسلام، ويدل لذلك أن الله قد سمىٰ الطائفة الباغية مؤمنة في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩] إلىٰ أن قال ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠]، وكذلك سمّىٰ الله القاتل أخًا للمقتول المؤمن مع أن جريمة القتل من أعظم الذنوب بعد الشرك بالله، قال تَعَالَىٰ: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: ١٧٨].

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٨/ ٢٤٦).

الأمر الثاني: أنه لا يُعطَىٰ اسم الإيمان بالكلية ولا يُسلب مطلق الإيمان، وهذا معنىٰ قول السلف: «لا يُسلب مطلق الإيمان ولا يوصف بالإيمان المطلق» بمعنىٰ أنه لا يُوصف بأنه كامل الإيمان كما تزعم المرجئة ولا يُسلب مطلق الإيمان كما تزعم الخوارج، وإنما يُقال عنه: إنه مؤمن ناقص الإيمان، أو يُقال: مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، أو يُقال: إنه مؤمن فاسق، أو عاص. والآيات المتقدمة تدل علىٰ ذلك أنه لا يُسلب مطلق الإيمان ولكنه لا يُوصف بالإيمان الكامل الذي قال الله في أهله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥]، وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]؛ فهؤلاء هم المؤمنون الخلّص.

الأمر الثالث: أنه إذا وافىٰ بكبيرته ولم يتب منها قبل الموت فإنه تحت مشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: إن شاء غفر له بفضله، وإن شاء عذبه بعدله. ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]. لكنه إذا عذب لا يخلد كما يخلد الكافر، يدل لذلك قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فبيَّن أن الشرك لا يُغفر، وأن ما دون الشرك تحت المشيئة، ولا يصح تنزيل ذلك علىٰ من تاب كما تزعم الخوارج بأن قوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ أي: إذا تاب، لأنه لو كان قد تاب لا يُحتاج إلىٰ أن يُقال: إنه تحت المشيئة، ولا يحتاج ذكر المغفرة؛ لأن الله قد غفر له، «**فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له**»(١)، ولذلك لا يُلتفت إلىٰ تأويل الخوارج الفاسد - وما أكثرهم في هذا الزمان، لا كثرهم الله، الذين يستحلون الحرمات ويستبيحون دماء المسلمين. وأما الذي يُحمل

(١) أخرجه ابن ماجه [٤٢٥٠]، والقضاعي في «مسند الشهاب» [١٠٨] من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» [٣٠٠٨].

علىٰ التوبة فهو قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣]، فهذه الآية هي التي تُحمل علىٰ التائب، ولذا لم يعلِّقها بالمشيئة وإنما قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾، وقد قال سُبْحَانَهُ في سورة الفرقان بعد أن ذكر عددا من الذنوب والمعاصي وعلىٰ رأسها الشرك: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧٠]، فهذه لم تعلق بالمشيئة لأن التوبة تجب ما قبلها، فالمعلق بالمشيئة هي تلك الذنوب التي دون الشرك و التي يوافي بها صاحبها ولم يتب منها وكانت دون الكفر والشرك وهذا واضح لمن فتح الله علىٰ قلبه وجمع بين النصوص الشرعية.

الأمر الرابع: أن مرتكب الكبيرة إذا أدخله الله النار فإنه لا يُخلَّد فيها، بل يخرج منها بعد تمحيص وتطهير بإذن الله، فيعذب بقدر ذنوبه التي ارتكبها ثم يخرج برحمة الله - عَزَّوَجَلَّ. قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ**»(١)، وفي حديث آخر أنه «**يُدْخِلُ اللهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ - يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ بِرَحْمَتِهِ - وَيُدْخِلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُولُ: انْظُرُوا مَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا حُمَمًا قَدْ امْتَحَشُوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الْحَيَاةِ - أَوْ الْحَيَا - فَيَنْبُتُونَ فِيهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ إِلَى جَانِبِ السَّيْلِ، أَلَمْ تَرَوْهَا كَيْفَ تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً؟**»(٢)؛ **وقد امتحشوا: يعني** اسودّوا وتفحّموا،

(١) أخرجه الترمذي [٢٥٩٨] من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال: «حسن صحيح».
(٢) أخرجه البخاري [٢٢]، ومسلم [١٨٤] من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فيُلقـون في نهـر الحياة، فينبتون فيه كما تنبت البقلة في حميل السـيل، ثم بعد أن يسـتكملوا خلقهم فإن الله يمنُّ عليهم ويدخلهم الجنة.

وقول الناظم: إنهم يدخلون نار جهنم، لا يقصد جميع مرتكبي الكبيرة، وإنما يقصد مـن شـاء الله دخوله، كمن اسـتوجب النار وليس عنـده ما يكفر ذنوبـه ولم ينل رحمة الله عَزَّوَجَلَّ بالمغفرة له ابتداءً.

وخلاصة القول أن مرتكب الكبيرة إذا وافى بها ترتبت عليه أمور أربعة:

الأول- أنه لا يخرج من ملة الإسلام خلافا لمذهب الخوارج والمعتزلة.

الثاني- أنه لا يُعطىٰ اسم الإيمان الكامل كما تقول المرجئة، ولا يُسلب مطلق الإيمان كما تقول الخوارج؛ وكلا الطائفتين قد ضلتا عن الجادة، وحادتا عن سواء السبيل.

الثالث- أنه تحت مشيئة الله عَزَّوَجَلَّ إن شاء الله غفر له بفضله، وإن شاء عذبه بعدله، ولا يظلم ربك أحدًا.

الرابـع- أنـه إن دخل النار فإنه لا يخلّد فيها بل يخرج برحمة الله وفضله بعد تمحيص وتطهير.

وقوله:

١١٢- «وَاللهُ يرْحَمُهُمْ بِصِحَّةِ عَقْدِهِم	**وَيُـبَـدَّلُـوا مِـنْ خَـوْفِـهِـم بِـأَمَـانِ**
١١٣- وَشَفِيعُهُمْ عِنْدَ الْخُرُوجِ مُحَمَّدٌ	**وَطُـهُـورُهُـمْ فِي شَـاطِـئِ الْحَـيَـوَانِ**
١١٤- حَتَّىٰ إِذَا طَهُرُوا هُنَالِكَ أُدْخِلُوا	**جَـنَّـاتِ عَـدْنٍ وَهْـيَ خَـيْـرُ جِـنَـانِ»**

❁ **قولـه: «وَاللهُ يَرْحَمُهُمْ بِصِحَّةِ عَقْدِهِمْ»** أي: عقد الإيمان، فمن دخل في الإيمان بيقـين لا يُخرج منه إلا بيقين، وذلك بارتـكاب ناقض من نواقض الإيمان، والله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ

يرحمهم بما معهم من أصل التوحيد، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، **والمقصود بالظلم في الآية**: الشرك. وقد تقدم لنا الحديث قبل قليل «**يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ**» وكذلك الحديث الآخر الذي فيه خروجهم وجعلهم في نهر الحياة حتىٰ يدخلوا الجنة، فيبدِّلهم الله بعد الخوف والعذاب بأمان بدخول الجنة، فمنهم من يدخل الجنة ابتداءً بفضل الله ورحمته، فيبدِّل الله خوفه أمنا ابتداءً، وهو من رجحت كفة حسناته ومن وُجدت عنده مكفرات تكفِّر سيئاته، وبأسباب أخرىٰ يهيؤها الله له كشفاعة الأنبياء والملائكة والصالحين والولدان الذين ماتوا صغارا كما قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثم يشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون والمؤمنون فيشفعهم الله قال ثم يقول الله: أنا أرحم الراحمين فيخرج من النار أكثر مما أخرج من جميع الخلق برحمته**»(١)، ومنهم من يدخل الجنة بعد تمحيص وتطهير كما وضحه البيت الآتي.

ويشير بقوله: «**وَشَفِيعُهُمْ عِنْدَ الْخُرُوجِ مُحَمَّدٌ**» إلىٰ شفاعة النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأهل الكبائر من أمته حيث قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**»(٢) وفي رواية: «**إني ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي يوم القيامة**»(٣)، فهو يشفع لهم بعد أن يأذن الله له ولمن يشاء ويرضىٰ. وهذه ليست خاصة به وسيأتي الكلام عن الشفاعة

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» [٩٧٦١]، والحاكم [٢٢] من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وقال: «هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه».

(٢) أخرجه أحمد [١٣٢٢٢]، وأبو داود [٤٧٤١]، والترمذي [٢٤٣٥] من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه».

(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرك» [١٨١٩]، والبيهقي في «شعب الإيمان» [١١٣٣]، وأبو يعلىٰ في مسنده [٥٨١٣]، والطبراني في «المعجم الأوسط» [٥٩٤٢].

مفصلا إن شاء الله تَعَالَىٰ، ولكن هذه من أنواع الشفاعة التي يشترك فيها هو وغيره من المؤمنين والملائكة والصالحين والأطفال ونحو ذلك، ولا بد أن يكون مع المشفوع له أصل الإيمان، ولا يُتصور أنهم لم يعملوا خيرًا قط بأنهم لم يعملوا شيئًا وإنما لم يعملوا خيرًا يؤهلهم لدخول الجنة، وإنما قَصُر عملهم بهم حتىٰ دخلوا النار ثم يخرجهم الله برحمته وفضله ومنّه وكرمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بسبب إيمانهم.

وهذه المسألة في غاية من الأهمية والخطورة لأنه زلت فيها أقدام وتحيرت فيها أفهام وكثرت فيها الأوهام بين المفْرِطين والمفَرِّطِين، أما المسلم الذي يستنير بالنصوص الشرعية ويجعلها مورده ومصدره، واتبع مذهب السلف الذين جمعوا هذه النصوص وبينوا مدلولها ومحترزاتها، فإنه جدير بأن يُوفق للحق ويلهم الصواب.

وقوله:

١١٤- «حَتَّىٰ إِذَا طَهُرُوا هُنَالِكَ أُدْخِلُوا جَنَّاتِ عَدْنٍ وَهْيَ خَيْرُ جِنَانِ»

* تقدم أن الذين يخرجون من النار يلقون في نهر الحياة، ثم يدخلون جنة عدن، جنة إقامة، جنة لا يفنىٰ من دخلها ولا يموت ولا يشيب ولا يهرم، وإنما يبقىٰ شبابا في سن عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ عمره ثلاث وثلاثون عاما؛ قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جُرْدًا، مُرْدًا، بِيضًا، جُعْدًا، مُكَحَّلِينَ، أَبْنَاءُ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ، عَلَى خَلْقِ آدَمَ، سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي عَرْضِ سَبْعَةِ أَذْرُعٍ**»[(١)]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝٣١ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ۝٣٢ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾ [النبأ: ٣١ - ٣٦].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق [٢٠٥١٤٠]، وأحمد [٨٥٠٥] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. قال أحمد شاكر: إسناده حسن. وحسنه الألباني في «تخريج المشكاة» [٥٦٣٤].

وقوله:

١١٥- «فَـاللهُ يَجْمَعُنَا وَإِيَّاهُـمْ بِهَا مِـنْ غَـيْرِ تَـعْـذِيـبٍ وَغـيرْ هَـوَانِ»

❁ يدعـو الناظم في هذا البيت أن يتغمـده الله وإياهم - أي من وافوا بمعاصيهم - وهـم من أهل التوحيـد في الجنة بمنّه وكرمه وفضله وجوده ورحمتـه، كما وعد أن يُدخل من يشاء برحمته الجنة. فنسأل الله أن يشملنا وإيَّاهم برحمته ابتداءً وأن يجمعنا جميعا في دار كرامته.





المسارعة إلى الفرائض والواجبات

١١٦- وَإِذَا دُعِيتَ إِلَىٰ أَدَاءِ فَرِيضَةٍ فَانْشَطْ وَلَا تَكُ فِي الإِجَابَةِ وَانِي

* يحثُّ الناظم المسلم علىٰ المسارعة بأداء الفرائض بكل نشاط واحتساب وجِدٍّ وبُعد عن الكسل والتواني كما قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: ٤٨]، ويقول: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]؛ لأن الفرائض هي أساس هذا الدين، فإذا تكاسل عن أدائها المسلم ترتب علىٰ ذلك أمور لا تُحمد عقباها، والكسل عن الفرائض وعلىٰ رأسها الصلاة بعد توحيد الله عَزَّوَجَلَّ من سمات المنافقين الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٥ - ٤٦] ويقول - جل شأنه -: ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٨ - ٢٣٩].

ويقول النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: **«إنّ الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدودا فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة بكم من غير نسيان فلا تبحثوا عنها»**(١)، ويقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فيما يرويه عن ربه جَلَّ وَعَلَا كما رواه الإمام

(١) أخرجه الدارقطني [٤٢]، والحاكم [٧١١٤] من حديث أبي ثعلبة الخشني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وحسنه السمعاني والدارقطني كما في «جامع العلوم والحكم» ص: [٢٧٦]، والنووي في «رياض الصالحين» [١٨٤١]، وحسنه بمجموع طرقه الألباني في تحقيقه لكتاب «الإيمان» لابن تيمية، ص: [٤٤].

البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وما تقرب إلي عبدي بشيء أحبَّ إلي مما افترضته عليه**»(١)، ويقول: «**لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا**»(٢)، وقال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «لقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتىٰ به يهادىٰ بين الرجلين حتىٰ يقام في الصف»(٣)؛ فإيَّاك أن تتوانىٰ في أداء الفرائض من صلاة وزكاة وصوم وحج وبر للوالدين وأمر بمعروف ونهي عن منكر وكف للسان وجهاد في سبيل الله إذا توافرت شروطه ومقوِّماته ونحو ذلك من الفرائض التي يجب أداؤها علىٰ الوجه الذي يرضي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ويُحذِّر من التواني وهو التكاسل في الفرائض والواجبات؛ لأن الكسل والتكاسل من علامات المنافقين المرائين قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٤ - ٧].



(١) أخرجه البخاري [٦٥٠٢] من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري [٦١٥]، ومسلم [٤٣٧] من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم [٦٥٤].

أهمية الصلاة المفروضة إجمالا
وأن الصلاة قرينة الزكاة وتحريم منع الزكاة

١١٧- قُمْ بِالصَّلاَةِ الْخَمْسِ وَاعْرِفْ قَدْرَهَا   فَلَهُنَّ عِنْدَ اللهِ أَعْظَمُ شَانِ

❁ الصلوات الخمس أعظم الفرائض بعد الشهادتين، فالفرض الأول عقيدة التوحيد قال رسول الله ﷺ: «**بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**»(١)، وفي حديث عمر عند مسلم في مجيء جبريل إلىٰ النبي ﷺ وسؤاله عن أركان الإسلام، وفيه: «**أخبرني عن الإسلام، قال: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت**»(٢).

فالصلاة أهم الأمور بعد التوحيد وأعظم شأنا، لهذا تجد أكثر الذين يتركون الصلاة غالبًا أو يتكاسلون عنها يكون في توحيدهم خللٌ، وتجد أن مردَّ ذلك أنهم لم يحققوا التوحيد، فعلينا أن نعظِّمها وأن نؤديها في أوقاتها وفي جماعة؛ لأن التخلف عنها من سمات المنافقين، بل توعد صاحبها بالإحراق، قال النبي ﷺ: «**لقد هممت أن آمر بحطب فيحتطب ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها ثم آمر رجلا فيؤم الناس ثم أخالف إلىٰ رجال فأحرق عليهم بيوتهم والذي نفسي بيده لو يعلم أحدهم أنه يجد عرقا سمينا أو مرماتين حسنتين لشهد العشاء**»(٣).

ومن دلائل فرضية صلاة الجماعة أنه لا يُعذر بها حتىٰ في حال الحرب والمسايفة كما قال الله تَعَالَىٰ: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم

---

(١) أخرجه البخاري [٤٥١٣]، ومسلم [٦٥٤] من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) تقدم ص: [٢٠٤].

(٣) أخرجه البخاري [٦٤٤]، ومسلم [٦٥١] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

مَا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٩]، وقوله ﷺ: «**من سمع النداء فلم يأته فلا صلاة له إلا من عذر**»(١)؛ فعلينا أن نُعظِم قدر الصلاة.

وقد أجمع العلماء على أن من جحد وجوبها كفر، كما أن القول الراجح أيضًا من أقوال أهل العلم أن من تركها تهاونًا كافر، والنصوص دالة على ذلك، من ذلك: أن الله قرنها مع توحيده وبيّن أن أكثر أسباب تعذيب الكافرين لتركهم الصلاة ﴿يَتَسَآءَلُونَ ۝ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ۝ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۝ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ۝ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ۝ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ۝ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٠ - ٤٨]، وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ١١]، وقول النبي ﷺ: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**»(٢)، وقال عبد الله بن شقيق التابعي الجليل: «كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة»(٣)؛ فدل هذا على أن الصحابة مجمعون على ذلك.

فالصلاة عماد الدين، وعمود الإسلام، قال ﷺ: «**أولا أدلك على رأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ أما رأس الأمر: فالإسلام، فمن أسلم سلم، وأما عموده: فالصلاة، وأما ذروة سنامه: فالجهاد في سبيل الله**»(٤).

(١) أخرجه ابن ماجه [٧٩٣]، والطبراني [١٢٢٦٥]، وابن حبان [٢٠٦٤]، والحاكم [٨٩٤] من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٦٣٠٠].

(٢) أخرجه الترمذي [٢٦٢١]، والنسائي [٤٦٣]، وابن ماجه [١٠٧٩] من حديث بريدة بن الحصيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب.

(٣) أخرجه الترمذي [٢٦٢٢]. وقال النووي في «رياض الصالحين» (٢/ ٢٣): «رواه الترمذي في كتاب «الإيمان» بإسناد صحيح».

(٤) أخرجه أحمد [٢٢٠٦٨]، والحاكم [٢٣٦٧] من حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في «الإرواء» [٤١٣].

١١٨- لا تَمْنَعَنَّ زَكَاةَ مَالِكَ ظَالِمًا   فَصَلاتُنَا وَزَكَاتُنَا أُخْتَانِ

* كثيرًا ما تُذكر الصلاة وتُقرن معها الزكاة في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، بل وتقرنان مع توحيد الله كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

والزكاة جزء يسير لا تنقص المال، بل تزيده بركة ونماء وطهرا، وتدفع الشح عن صاحبها، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣]، قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما نقصت صدقة من مال**»[١]، فالزكاة أخت الصلاة كما ورد عن بعض السلف أنه قال: «الصلاة والزكاة أختان مقرونتان؛ فمن صلىٰ ولم يزك فكأنه لم يصل ومن زكىٰ ولم يصل فكأنه لم يزك»، فلا بد من أداء الزكاة وهي حق المال الذي افترضه الله علىٰ عباده كما ثبت من حديث عبد الله ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في قصة بعث معاذ إلىٰ اليمن: «**فإن هم أطاعوك لذلك**» يعني للصلاة «**فأخبرهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد علىٰ فقرائهم**»[٢]. **والمقصود**: أن الزكاة في غاية الأهمية، وقد قاتل أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مانعي الزكاة وقال: «والله لأقاتلن من فرّق بين الزكاة والصلاة والله لو منعوني عَناقا» وفي رواية: «عقالًا كانوا يؤدونه إلىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقاتلتهم عليه»[٣]، فإنها أختها في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، ومن منع زكاة ماله فهو ظالم لنفسه، وظالم لمن وجبت له، والظلم ظلمات يوم القيامة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمد: ٣٨].

---

(١) أخرجه مسلم [٢٥٨٨] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد [٢٠٧١]، وأبو داود [١٥٨٦] من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه الترمذي [٢٦٠٧] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وقال: هذا حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (١٣٩١ - ١٣٩٣).

الوتر والجمعة والعيدان

١١٩- وَالوِتْرُ بَعْدَ الفَرْضِ آكَدُ سُنَّةٍ وَالْجُمْعَةُ الزَّهْرَاء وَالْعِيدَانِ

❁ ذكر الناظم أربع مسائل:

أولًا- الوتر وذكر أنه آكد السنن، وهو قول الجمهور، ويرىٰ الحنفية أنه واجب؛ لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكن يتركه حضرًا ولا سفرًا، والراجح أنه سنة مؤكدة بدليل الحديث في قصة الأعرابي، وفيها: «... **خمس صلوات في اليوم والليلة**» فقال: هل علي غيرها، قال: «**لا إلا أن تطوع**»(١).

وقد كثر تهاون الناس به، والأفضل أن يؤدىٰ في البيوت هو وسائر الرواتب والنوافل إلا من قام مع الإمام في رمضان فالأولىٰ أن يوتر معه، لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من قام مع الإمام حتىٰ ينصرف كتب له قيام ليلة**»(٢).

والشرع قد حث عليه ورغب فيه، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الوتر حق علىٰ كل مسلم**»(٣)، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أوتروا يا أهل القرآن إن الله وتر يحب الوتر**»(٤)، وأقله ركعة، وأكثره إحدىٰ عشرة ركعة؛ لأنه غالب فعل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإن زاد فالأمر فيه سعة لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**صلاة الليل مثنىٰ مثنىٰ فإذا خشي أحدكم الصبح فليصلي واحدة توتر له ما قد صلىٰ**»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري [٤٦]، ومسلم [١١] من حديث طلحة بن عبيد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الترمذي [٨٠٦]، والنسائي [١٦٠٥]، وابن ماجه [١٣٢٧] من حديث أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

(٣) أخرجه أبو داود [١٤٢٤] من حديث علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» [١٢٧٨].

(٤) أخرجه أبو داود [١٤١٨]، والترمذي [٤٥٣] من حديث علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وقال: حديث علي حديث حسن. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٢٥٣٨].

(٥) أخرجه البخاري [٩٩٠]، ومسلم [٧٤٩] من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

ولا يصح وتران في ليلة، فمن صلىٰ الوتر أول الليل ثم يسَّر الله له أن يقوم في آخر الليل، فإنه لا يوتر لحديث «**لا وتران في ليلة**»(١)، ومن غلب علىٰ ظنه أنه يتمكن من القيام آخر الليل فالأولىٰ له تأخير الوتر لحديث: «**اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترا**»(٢)، وإلا فيقدمه لحديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**أوصاني خليلي بثلاث لا أدعهن حتىٰ أموت: صوم ثلاثة أيام من كل شهر، وصلاة الضحىٰ، ونوم علىٰ وتر**»(٣)، ومن نام عن وتره أو نسيه فليقضه شفعا كما فعل النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فقد قضاه ثنتي عشرة ركعة.

والمسألة الثانية: الجمعة، فقد سمىٰ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يوم الجمعة عيدا، فيصبح عندنا في الإسلام ثلاثة أعياد: عيد الأضحىٰ، وعيد الفطر، وعيد الأسبوع الذي هو يوم الجمعة، وصلاة الجمعة فرض عين علىٰ كل مسلم ذكر مستوطن حر قادر مكلف، وقد قال الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ في حقها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الجمعة: ٩]. وقد أقسم الله بها في قوله: ﴿وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ﴾ [البروج: ٣]، وتجب المبادرة إليها، وقد حذَّر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من ترك الجمعة أو التهاون بها حتىٰ قال: «**من ترك ثلاث جمع تهاونا بها طبع الله علىٰ قلبه**»(٤)، وقال: «**لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله علىٰ قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين**»(٥).

(١) أخرجه أبو داود [١٤٤١]، والترمذي [٤٧٠]، والنسائي [١٦٧٩] من حديث طلق بن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب». وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٧٥٦٧].
(٢) أخرجه البخاري [٩٩٨]، ومسلم [٧٥١] من حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.
(٣) أخرجه البخاري [١١٧٨]، ومسلم [٧٢١].
(٤) أخرجه أبو داود [١٠٥٤]، والنسائي [١٣٦٩]، وابن خزيمة [١٨٥٨]، والحاكم [١٠٣٤] من حديث أبي الجعد الضمري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. قال الحاكم: «هذا حديث صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٦١٤٣].
(٥) أخرجه مسلم [٨٦٥] من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

ويسنّ التبكير لصلاة الجمعة، فإن النبي ﷺ قال: «**من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكأنما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر**»(١).

ويسنّ أن يستعدّ المسلم لها بالاغتسال والتطيب والسواك والمشي إليها.

وهنا تنبيهان:

الأول- أنّ بعض المسلمين يتهاونون في صلاة الجماعة ولا يشهدونها إلا في الجمعة؛ ومثل هؤلاء يخشىٰ عليهم، وبعضهم يظن أن الجمعة تكفي عن غيرها من الصلوات المفروضة.

والثاني- أنّ من أعظم الحكم لاجتماع المسلمين في هذا اليوم تعارفهم وتفقد بعضهم أحوال بعض في كلّ أسبوع إضافة إلىٰ ما يستفيده المسلم من خطبتي الجمعة من علم ومواعظ.



(١) أخرجه البخاري [٨٨١]، ومسلم [٨٥٠] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

١٢٠- مَعَ كُلِّ بَرٍّ صَلِّهَا أَوْ فَاجِرٍ مَـا لَمْ يَكُـنْ في دِيـنِـهِ بِمُـشَـان

❁ يبيّن الناظم وجوب صلاة الجماعة والعيد والجمعة خلف كل بر وفاجر من أئمة المسلمين، وهذا هو منهج أهل السنة والجماعة خلافًا للخوارج ومن شاكلهم. والصحابة - رضوان الله عليهم - منهم من صلىٰ خلف الحجاج، ومنهم من صلىٰ خلف الوليد بن عقبة، ممن صدر منه بعض الفسوق والعصيان. وهذا لا يمنع أن يُجتهد في تغييره ما أمكن، بدون إحداث فتن تضر بالإسلام والمسلمين. والقاعدة عند بعض أهل العلم أن من صحت صلاته لنفسه صحت صلاته بغيره لاسيما إذا كان ولي أمر.

وليس المقصود بالإمام الفاجر الذي تصح الصلاة خلفه هو من يتعلق بالقبور بالذبح والنذر لها، والاستغاثة بأهلها والإقسام بهم ونحو ذلك من أنواع الشرك الذي يقع عند القبور، فهذا ليس مجرد فاجر أو فاسق، بل هو مشرك لا تصح صلاته ومن ثَمَّ لا تصح الصلاة خلفه.



وجوب صيام رمضان وسنية قيامه
والإنكار على من أنكر التراويح

١٢١- وَصِيَامُنَا رَمَضَانَ فَرْضٌ وَاجِبٌ وَقِيَامُنَا الْمَسْنُونُ في رَمَضَانِ

١٢٢- صَلَّىٰ النَّبِيُّ بِهِ ثَلاثًا رَغْبَةً وَرَوَىٰ الْجَمَاعَةُ أَنَّهَا ثِنْتَانِ

١٢٣- إِنَّ التَّرَاوِحَ رَاحَةٌ في لَيْلِهِ وَنَشَاطُ كُلِّ عُوَيْجِزٍ كَسْلَانِ

١٢٤- وَاللهِ مَا جَعَلَ التَّرَاوِحَ مُنْكَرًا إِلَّا الْمَجُوسُ وَشِيعَةُ الصُّلْبَانِ

❁ ما زال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ يتحدث عن أركان الإسلام، فبيَّن هنا أن الصيام في رمضان فرض واجب علىٰ كل مسلم ومسلمة بشروط وضوابط مشهورة عند أهل العلم، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٨٣]، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بني الإسلام علىٰ خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت**»[(١)]، وأجمعت الأمة علىٰ أنه ركن من أركان الإسلام ومبانيه العظام، وهو صوم شهر رمضان المبارك، شهر واحد في كل عام. وهو سر بين العبد وبين ربه، لا يعلم حقيقة الصوم إلا الله، يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يرويه عن ربه جَلَّ وَعَلَا: «**كل عمل بن آدم يضاعف الحسنة عشر أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعف قال الله عَزَّ وَجَلَّ إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به يدع شهوته وطعامه من أجلي**»[(٢)]. إذا علم هذا فعلينا أن نعلم أن الصوم ليس مجرد طقوس تؤدىٰ أو تركا للطعام والشراب والشهوة وإحضارًا لموائد الطعام عند المغرب وعند السحور كما هو فهم البعض لهذا الصوم. الصوم أسمىٰ من ذلك وأعظم، نعم، يسن تعجيل الإفطار وتأخير السحور، ولكن ليس بملء البطون

---

(١) تقدم تخريجه في ص: [٢٧٨].

(٢) أخرجه مسلم [١١٥١] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

حتىٰ التخمة، مما ينتج عنه الكسل عن العبادة التي هي الغاية من الصيام والقيام، كما نبه الناظم علىٰ سنية القيام في رمضان، وهو سنة مؤكدة من قول رسول الله ﷺ وفعله، فقد قال: «**من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه**»(١)، وكان ﷺ يقوم حتىٰ تتفطر قدماه.

وللصوم أحكام وآداب لابد من مراعاتها والعمل بموجبها مذكورة في مظانها من كتب الفقه والحديث.

وهنا تنبيهات:

منها: وجوب كف اللسان عما لا يليق، فقد قال رسول الله ﷺ: «**من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**»(٢).

ومنها: الاجتهاد في العبادة وتلاوة القرآن لأن رمضان شهر القرآن كما قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البَقَرَة: ١٨٥]، ومما يُلاحظ أيضًا أن البعض إذا دخل في الصوم تجده مغتما محزونا مهموما، لا يتكلم إلا بنفس غاضبة، لا يقوم بأعماله علىٰ الوجه الصحيح، وكان الذي ينبغي هو العكس، أن يكون وقت صومه أكثر نشاطًا وطمأنينة وفرحًا وسرورًا وإيمانًا وقربًا من الله عَزَّوَجَلَّ وقربا من الخير، ما الذي يدعوك يا عبد الله إلىٰ الحزن وأنت صائم لعل البعض حزن لأنه حرم من الدخان الذي ابتلي به؛ إذًا فاعزم واتركه لله، لأنه خبيث من الخبائث ومحرم بلا شك ولا ريب، والشيطان يغريك بأن تستمر عليه إلىٰ درجة أن منهم من يفطر علىٰ سيجارته قبل أن يفطر بتمرات كما هو هدي رسول الله

(١) أخرجه مسلم [٧٥٩] من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه البخاري [١٩٠٣] من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ﷺ، فهو مضر دينا وصحة ومالا وأذىٰ للآخرين، والمال الذي تنفقه فيه اجعله في مصالحك ومصالح أهلك وأمتك أو تصدق بها علىٰ فقير مسكين محتاج.

والبعض يتخذ من رمضان وقتا للسهر والسمر علىٰ ما حرم الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا دليل علىٰ غفلته وضعف إيمانه والبعض وخصوصًا من كان عنده إجازة أو ليس عنده عمل إذا جاء آخر الليل ملأ بطنه من خيرات الله ونعمه ثم نام عن الفجر والظهر والعصر وربما صلىٰ المغرب تقليدا ومجارات للناس، لا يرىٰ الشمس ذلك الشهر، فإذا ما أفطر وملأ بطنه توجه إلىٰ مقاهي الإنترنت أو الفضائيات وأخذ ينظر إلىٰ ما حرم الله أو ذهب إلىٰ مجالس أقرانه جلساء السوء وفيها ما فيها من منكرات، فيعيش تعيسًا ينام في النهار ومحروم من طاعة الله بالليل ويسمي نفسه صائما، فهذا النوع من الناس لا صام ولا صلىٰ، أتعب نفسه، لأن من ترك الصلاة فقد كفر ولو كان تركه لها تهاونا علىٰ الصحيح كما تقدم. فانتبهوا يا أولىٰ الأبصار، فقد كان السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبله منهم لما وفقهم الله له فيه من عمل صالح.

قد هيئوك لأمر لو فطنت له فاربأ بنفسك أن ترعىٰ مع الهمل

لقد خُلقت يا عبد الله لعبادة الله وحده، لم تخلق لترتع كالأنعام وراء شهواتك ونزواتك، ثم تبارز ربك بالمعاصي والعياذ بالله، فاتق الله، واستغل هذا الموسم الكريم موسم التجارة الرابحة، التجارة التي لن تخسر إذا وفقت فيها للعمل الصالح ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [الصف: ١٠ - ١٢]، فيا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر اقصر وعد إلىٰ

ربك وأعلم أن الله تواب رحيم: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: ٢٥].

فارجع إلىٰ ربك واستغفره من تفريطك في أمر الله ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

ويشير الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: «صَلَّىٰ النَّبِيُّ بِهِ ثَلاَثًا رَغْبَةً...» إلىٰ صلاة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التراويح؛ وفيها حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلىٰ في المسجد ذات ليلة فصلىٰ بصلاته ناس، ثم صلىٰ من القابلة فكثر الناس، ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة فلم يخرج إليهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما أصبح قال: **«قد رأيت الذي صنعتم، فلم يمنعني من الخروج إليكم إلا أني خشيت أن تفرض عليكم قال وذلك في رمضان»**[1]؛ وقد بيّن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث سبب التأخر، وهو أنه خشي أن تُفرض علىٰ أمته، فلا يستطيعونها؛ لأنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ رحيم بأمته -بأبي هو وأمي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. وقد وصفه الله عَزَّ وَجَلَّ بالرحمة والرأفة فقال جل من قائل: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]؛ فمن رحمته بأمته أنه خشي أن تُفرض عليهم صلاة التراويح فترك إقامتها في المسجد، ثم استمر هذا الحال إلىٰ ما بعد وفاته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخلافة أبي بكر و شطر من خلافة عمر - رضي الله عنه وأرضاه وأخزىٰ الله من أبغضه وقلاه - ثم إن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ جاء ورأىٰ الناس أوزاعا، هذا يصلي وحده، وهذا يصلي بصلاة أخيه، فأمر أبيّ بن كعب أن يصلي بالناس جماعة، وإنما أحيا عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ سنة ثابتة، ولم يأت بشيء جديد كما زعم الزاعمون، فلما رأىٰ عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الناس يصلون

(١) أخرجه مسلم [٧٦١].

خلف إمام واحد سرَّه ذلك، فلما قال له من قال: إنها بدعة، قال: نعمة البدعة هذه، والتي ينامون عنها خير.

ومقصوده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ البدعة اللغوية لأنه لم يفعل بدعة محدثة في الشرع، وإنما باعتبار أنها لم تكن موجودة في عهد أبي بكر، وإلا فقد فعلها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأيا ما كان الأمر فإنها سنة، يضاف إلىٰ هذا أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو أحد الخلفاء الراشدين الذين أمرنا باتباع سنتهم، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجد**»[(١)]، وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا جلوسا عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**إني لا أدري ما قدر بقائي فيكم فاقتدوا باللذين من بعدي**» وأشار إلىٰ أبي بكر وعمر[(٢)].

وقوله:

١٢٣- إِنَّ التَّرَاوِحَ رَاحَةٌ فِي لَيْلِهِ ۝ وَنَشَاطُ كُلِّ عُوَيْجِزٍ كَسْلَانِ

❁ إِنَّ التَّرَاوِحَ رَاحَةٌ؛ هذا فيه شيء من البديع والجِناس، والمقصود بأن التراويح مع كثرة الركعات وقِصر القراءة فيه حفز لمن وصفه الناظم بالعويجز الكسلان، أما الذي يريد إطالة القيام والركوع والسجود، فلا شك أن هذا خير وفضل عظيم، وسُميت التراويح بذلك لأن المصلي قد يراوح بين رجليه عند التعب، لاسيما عند طول القيام، أو لاستراحتهم بين التسليمات، فإن في ذلك حافزًا وتشجيعًا لأمثالنا من الكسالىٰ

(١) أخرجه أحمد [١٧١٤٤]، وأبو داود [٤٦٠٩]، والترمذي [٢٦٧٦]، وابن ماجه [٤٢] من حديث العرباض ابن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: «هذا حديث صحيح». وصححه الألباني في «الإرواء» [٢٤٥٥].

(٢) أخرجه أحمد [٢٣٣٨٦]، والترمذي [٣٧٩٩]، وابن ماجه [٩٧] من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن». وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٢٥١١].

علىٰ الاستمرار في أدائها مع الإمام. أين الذين يقفون حتىٰ تتفطر أقدامهم تأسيا بالنبي ﷺ؟ أين الذين يقومون ثلث الليل؟

ثم عرج الناظم علىٰ منكري صلاة التراويح من الجهال وأشباه الجهال، فقال:

١٢٤- وَاللهِ مَا جَعَلَ التَّراوِحَ مُنْكَرًا إِلاَّ الْمَجُوسُ وَشِيعَةُ الصُّلْبَانِ

❁ وشبههم بالمجوس وعبدة الصليب، ويبدو - والله أعلم - أنه وُجد في عصره من ينكرها ومن لم يرفع بها رأسا، فلذلك شبهه بعبدة الصليب وعبدة النار وهم المجوس لأن من أنكرها من الفرق الضالة، وقد لا يصل الأمر به إلىٰ هذه الحال، ولكن لا شك أن إنكارها إذا كان عن هوىٰ فيُخشىٰ أن تزلَّ قدمه فينكر السنة، وأما إذا كان عن اجتهاد أو شبهة، فمثل هذا يعلّم وتبيّن له السنة، وتزال عنه الشبهة.



وجوب الحج على من توفرت فيه شروطه

١٢٥- وَالْحَجُّ مُفْتَرَضٌ عَلَيْكَ وَشَرْطُهُ أَمْنُ الطَّرِيقِ وَصِحَّةُ الأَبْدَانِ

❁ بعد أن ذكر الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ الصلاة والزكاة والصوم بعد توحيد الله جَلَّ وَعَلَا ها هو يذكر الحج، وقد نصّ علىٰ أنه مفترض، ودليل ذلك قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]، وقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أيها الناس، قد فرض الله عليكم الحج فحجوا**»(١).

ويجب في العمر مرة واحدة، فقد سئل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفي كل عام يا رسول الله؟ فقال: «**لو قلت نعم لوجبت، ولما استطعتم**»(٢)، وقد أجمعت الأمة علىٰ فرضيته، وجاء عن بعض السلف أن امرءً تمضي عليه خمس سنين ولم يحج مع القدرة إنه لمحروم، وقال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «ليمت يهوديًا أو نصرانيًا - ثلاث مرات -؛ رجل مات ولم يحج وجد لذلك سعة وخليت سبيله، فحجة أحجها وأنا صرورة(٣) أحب إلىٰ من ست غزوات أو سبع»(٤)، فهذا كله دليل علىٰ فرضية الحج، وهو كسائر بقية الأركان من حيث بناء الدين عليها كما تقدم في حديث: «**بني الإسلام علىٰ خمس**» وذكر في آخره «**وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا**».

وهو شعيرة من شعائر التوحيد بل هو من أعظم مظاهر التوحيد، فمجيء المسلمين في وقت واحد وفي مكان واحد والتنقل من مكان إلىٰ مكان كل ذلك مظهر من مظاهر وحدة المسلمين وأنهم يعبدون إلها واحدا لا إله إلا هو.

---

(١) أخرجه مسلم [١٣٣٧] من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) جزء من الحديث السابق. (٣) **الصرورة**: الذي لم يؤد فريضة الحج.

(٤) أخرجه البيهقي في «الكبرىٰ» [٨٤٤٤]، والفاكهي في «أخبار مكة» [٨٠٧]. وصححه الحافظ في «التلخيص الحبير» (٢/ ٤٨٨)، وقال الألباني في «الضعيفة» (١٠/ ١٦٦): «وإنما ثبت ذلك من قول عمر ابن الخطاب موقوفًا عليه».

وفيه فوائد عقدية عظيمة، منها: أنه يبدأ فيه بكلمة التوحيد وهي التلبية، فقد جاء في حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**فأهل بالتوحيد**»[1]، ومنها ما يقوله الحاج ويفعله من التكبير والتهليل والتسبيح ونحو ذلك من الذبح والنحر لله عَزَّوَجَلَّ.

وذكر الناظم شرطين من شروط وجوب الحج، وهما: أمن الطريق، وصحة البدن، وهذان داخلان في الاستطاعة المنصوص عليها في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾، فأمن الطريق بأن يكون آمنا غير مخوف، أي: لا يكون هناك عدو يتربص بالحجاج الدوائر. وهذا الأمن - ولله الحمد - أصبح منقطع النظير، بعد قيام دولة التوحيد، فبعد مضي قرون وقرون والحجاج يعيشون خوفًا ورعبًا وخطرًا، حتىٰ إنهم يغادرون بلادهم مع غلبة ظنهم أنهم لا يرجعون من تلك الرحلة، أو لا يعود منهم إلا القليل لما يعرض لهم من قطاع الطرق الذين ينتشرون في كل مكان أو من الوحوش والسباع والأمراض الفتاكة والجوع والعطش ونحو ذلك من الأخطار والعوائق. أما الآن ولله الحمد والمنة فطريق الحج أمن وأمان، والحاج يعيش أمنا منقطع النظير في ظل دولة التوحيد التي قيَّضها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لخدمة الحرمين في هذا العصر بعد أن ران الجهل والخوف مئات السنين، فلله الحمد أولا وآخرا وجزىٰ الله القائمين علىٰ ذلك خير ما يجزي به عباده الصالحين.

فلو وجد الزاد والراحلة، ولم يتحقق الأمن فالمسلم معذور في ترك الحج حتىٰ يزول المحذور.

والقدرة البدنية شرط، فمن عجز بدنيا حُجَّ عنه إن كان مستطيعا من ماله أو يُتبرع له وإلا سقط عنه الحج، وليس هناك داعٍ أن يكلف المسلمون أنفسهم من مكان

(١) أخرجه مسلم [١٢١٨].

بعيد، فيأتون بالمشلولين والعجزة غير القادرين علىٰ الظعن ومن في حكمهم، فإن ذلك قد يدخل في الحرج، والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، ويقول: ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، وهذا غير مستطيع.

وبقية شروط الحج التي لم يذكرها الناظم هي: الإسلام والعقل والبلوغ، وهي متعينة لصحة سائر العبادات. ويضاف شرط آخر، وهو: القدرة المالية، وهي داخلة في الاستطاعة الواردة في الآية والحديث.

ونخلص من ذلك إلىٰ أن الاستطاعة تشمل الأمن والقدرة البدنية والمالية؛ **أعني:** النفقة، فإن عجز عن الزاد والراحلة ونفقته ونفقة عياله حتىٰ عودته فإنه لا يلزمه الحج، وليس له أن يسأل من أجل ذلك. فإن تُبرع له طوعا فلا بأس.

وتزيد المرأة علىٰ الصحيح شرطا آخر وهو وجود المحرم فإذا لم تجد مَحرما تؤخره إلىٰ وجود المحرم، فإن تعذر وجوده أنابت من يحج عنها، وإن كان بعض أهل العلم له رأي أنها إن وجدت الرفقة المأمونة وكانت بين مجموعة نساء تحج وتعتمر ولكني أرىٰ أن هذا القول مرجوح والقول الصحيح المؤيد بالأدلة أنه يؤجل ولا يسقط عنها، بدليل أن النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حرم أن تسافر المسلمة بدون مَحرم وهذا مطلقا في الحج وفي غير الحج، بل إن النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما جاءه رجل وقال: إني اكتتبت في غزوة كذا وكذا، في الجهاد وانطلقت امرأتي حاجة، فأمره أن يترك الجهاد معه ويحج مع امرأته قال: «**اذهب فحج مع امرأتك**»[1]، مع أنها كانت مع جماعة الحجاج، فالصحيح أن المرأة لا تحج بدون محرم البتة مهما كان الأمر ومهما وجدت من النفقة والزاد والراحلة.

---

(١) أخرجه البخاري [٣٠٠٦]، ومسلم [١٣٤١] من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وهنا أنبه في المَحرمية علىٰ مسألة تكررت في بعض البلاد وسئل عنها غير مرة؛ وهو أن بعض النساء الأرامل أو العازبات تتفق مع رجل علىٰ عقد مؤقت حتىٰ تعود من الحج ليكون محرما لها، وهذه هي المتعة المحرمة بالإجماع وحتىٰ لو اشترطت عدم قربانها، فإنه عقد باطل ولا يصير مَحرما بهذا العقد الباطل، ولا أدري ما مستند من يفعل ذلك اللهم إلا الهوىٰ والجهل وقلة البصيرة في العلم.



صلاة الجنازة وحكمها وصفتها

١٢٦- كَبِّرْ هُدِيتَ عَلَىٰ الْجَنَائِزِ أَرْبَعًا وَاسْأَلْ لَهَا بِالْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ

١٢٧- إِنَّ الصَّلاَةَ عَلَىٰ الْجَنَائِزِ عِنْدَنَا فَرْضُ الْكِفَايَةِ لاَ عَلَىٰ الأَعْيَانِ

❁ ذكر الناظم هنا صلاة الجنازة لأن هذه النونية شاملة للعقيدة والفقه، فبعد أن فرغ من أركان الإسلام بيَّن صلاة الجنازة. وحكمها فرض كفاية إذا قام بها البعض سقطت عن الباقين، وإن تركوها جميعا أثموا جميعًا.

ولصلاة الجنازة أربع تكبيرات وتسليمة واحدة وإن سلم مرتين فالأمر فيه سعة لوجود الدليل علىٰ الأمرين، لكن علىٰ المسلم أن يأخذ بما عليه أهل البلد الذي هو فيه حتىٰ لا يحدث فتنة ما لم يخالف السنة، فتكبر التكبيرة الأولىٰ وتقرأ سورة الفاتحة، وإن أمكن زيادة سورة فحسن؛ لأنه سنة كما ثبت عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[(١)]، ثم تكبر التكبيرة الثانية وتصلي علىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تقرأ الصلاة الإبراهيمية التي تقولها في التشهد، ثم تكبر التكبيرة الثالثة فتدعو للميت، إن استطعت أن تحفظ الدعاء المأثور فهذا أولىٰ وإلا فاسأل الله له المغفرة والعافية، وذلك مجزي ومما ورد: «**اللهم اغفر لحينا وميتنا وصغيرنا وكبيرنا وذكرنا وأنثانا وشاهدنا وغائبنا اللهم من أحييته منا فأحيه علىٰ الإيمان ومن توفيته منا فتوفه علىٰ الإسلام اللهم لا تحرمنا أجره ولا تضلنا بعده**»[(٢)]، و«**اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس وأبدله دارا خيرًا من داره وأهلًا خيرًا من أهله وزوجًا خيرًا من زوجه وأدخله الجنة**

---

(١) أخرجه البخاري [١٣٣٥].

(٢) أخرجه أبو داود [٣٢٠٣]، والترمذي [١٠٢٤] من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وقال: حسن صحيح.

وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار»[١]، وإن كان طفلا زاد بعد حديث ابن عباس: «**اللهم اجعله لنا فرطا وسلفا وذخرا**»[٢]، وفي التكبيرة الرابعة تسكت قليلا ثم تسلم. فينبغي أن نحرص عليها علىٰ الوجه الشرعي، وأن لا نتهاون بها، وأن نبتعد عن بعض الطقوس التي أضافها بعض الخرافيين من التجوال بالجنازة في القرية أو المدينة ورفع الصوت معها بالتهليل والتكبير وبعض الأدعية المبتدعة. ومما ينكر أيضا وضع الأعلام وأكاليل الزهور علىٰ الجنازة أو علىٰ المقابر، وفي هذا تقليد للكفار، وقد قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من تشبه بقوم فهو منهم**»[٣].

وقد حثّ الشارع علىٰ الصلاة علىٰ الميت، ورتب عليها أجرا عظيما، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من صلىٰ علىٰ جنازة ولم يتبعها فله قيراط فإن تبعها فله قيراطان قيل وما القيراطان قال أصغرهما مثل أحد**»[٤].

والناظم رَحِمَهُ اللَّهُ ذكر حكم الصلاة علىٰ الميت، وأنه فرض كفاية ومثله غسله وتكفينه ودفنه، وكل هذا من فروض الكفايات التي يجب الاهتمام بها. وللجنازة أحكام وآداب مفصلّة في كتب السنة والفقه يرجع إليها في مظانها.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه مسلم [٢٢٧٦] من حديث عوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه البيهقي في «الكبرىٰ» [٧٠٤٢] من فعل أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) أخرجه ابن أبي شيبة [١٩٤٠١]، وأبو داود [٤٠٣٣]، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وصححه ابن حبان كما في «البلوغ».
(٤) أخرجه مسلم [٩٤٥] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الأهلة وطريق ثبوتها ودخول شهر رمضان والفطر وما يتعلق بذلك

١٢٨- إِنَّ الأَهِلَّةَ لِلأَنَامِ مَوَاقِتٌ ... وَبِهَا يَقُومُ حِسَابُ كُلِّ زَمَانِ

١٢٩- لَا تُفْطِرَنَّ وَلَا تَصُمْ حَتَّىٰ يَرَىٰ ... شَخْصَ الْهِلَالِ مِنَ الْوَرَىٰ إِثْنَانِ

١٣٠- مُتَثَبِّتَانِ عَلَىٰ الَّذِي يَرَيَانِهِ ... حُرَّانِ فِي نَقْلَيْهِمَا ثِقَتَانِ

١٣١- لَا تَقْصِدَنَّ لِيَوْمِ شَكٍّ عَامِدًا ... فَتَصُومَهُ وَتَقُولَ مِنْ رَمَضَانِ

❁ يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ [البَقَرَة: ١٨٩]، فهي مواقيت يعرف بها المسلمون ابتداء الشهر وانتهاءه، ويعرفون بها منازل القمر ليستفيدوا في بعض أمور دنياهم كالزراعة ونحو ذلك، كما يعرفون بها التاريخ وتسجيل الوقائع والحوادث والديون والمواعيد ونحو ذلك، ففيها فوائد عظيمة لا تُعد ولا تُحصىٰ. والشهر العربي يتراوح بين تسع وعشرين وثلاثين، لذلك ينبغي تحري الهلال ليلة الثلاثين فإن رُئي وإلا أُكمل الشهر، وبخاصة شهر رمضان وشهر شوال وشهر ذي الحجة، هذه الأشهر الثلاثة لابد أن يُعنىٰ بها المسلمون أيما عناية ولا يعتمدوا علىٰ مجرد التقويم أو الحساب الفلكي، نعم قد يُستعان به للتحري، وأما مناط الحكم، فهو رؤية الهلال، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا رأيتموه فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا فإن غم عليكم فاقدروا له**»[1]، وفي رواية: «**صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غُبِّي عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين**»[2].

وهل يلزم الناس الصوم برؤية بلد واحد؟ الذي يظهر أن لكل بلد رؤيته لقصة كريب مع ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند مسلم[3].

---

(١) أخرجه البخاري [١٩٠٠]، ومسلم [٢٥٥٠] من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري [١٩٠٩] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) (٢/ ١٠٨٧، ١٠٨٧) ولفظه: عن كريب - مولىٰ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - «أن أم الفضل بنت الحارث =

ويمكـن أن يُتحرىٰ عـما قبلها ليُبنىٰ عليه التحري في هذه الأشـهر الثلاثة، فالأهلة نعمة من الله عَزَّوَجَلَّ يعرف بها المسلمون الحساب ومواقيت الصوم والحج والعيدين.

وقوله:

١٢٩- «لَا تُفْطِرَنَّ وَلَا تَصُمْ حَتَّىٰ يَرَىٰ شَخْصَ الْهِلَالِ مِنَ الْوَرَىٰ إثْنَانِ»

❁ الأمر فيه تفصيل، فبالنسبة لابتداء الصوم، الصحيح أنه يكتفى فيه برؤية شاهد واحـد ثقة عدل، وقد صام النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ برؤية رجل واحد من الصحابة؛ لأنه يحتاط للفطـر مـا لا يحتاط للصوم، أما الفِطر فلابد فيه من شـاهدين عدلين يشـهدان بأنهما رأيا هـلال الشـهر، لأن العيد فيه تفطير، فقـد يبقىٰ عليهم يوم، والفطر محـل تهمة فيتأكد فيه أكثر.

ويـوم الشـك هـو يـوم الثلاثين من شـعبان، وقـد نهىٰ رسـول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن صومـه كـما قـال عمار بن يـاسر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «من صـام يوم الشـك فقـد عصىٰ أبا القاسـم صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ»(١).

❁ ❁ ❁

= بعثته إلىٰ معاوية بالشـام قال فقدمت الشـام فقضيت حاجتها واستهل علي رمضان وأنا بالشام فرأيت الهلال ليلة الجمعة ثم قدمت المدينة في آخر الشـهر فسـألني عبد الله بن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا ثم ذكر الهلال فقال متىٰ رأيتم الهلال فقلت رأيناه ليلة الجمعة فقال أنت رأيته فقلت نعم ورآه الناس وصاموا وصام معاويـة فقـال لكنا رأيناه ليلة السـبت فلا نزال نصوم حتـىٰ نكمل ثلاثين أو نـراه فقلت أو لا تكتفي برؤية معاوية وصيامه فقال لا هكذا أمرنا رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ».

(١) أخرجـه أبو داود [٢٣٣٤]، والترمـذي [٦٨٦]، وابن ماجه [١٦٤٥]، وابن خزيمة [١٩١٤]، وابن حبان [٣٥٧٧]. وقال الترمذي: «حسن صحيح».

الرافضة من شر الخلق والخليقة، وبيان فضل آل النبي ﷺ وصحبه

١٣٢- لَا تَعْتَقِدْ دِينَ الرَّوَافِضِ إِنَّهُمْ	أَهْلُ الْمُحَالِ وَحِزْبَةُ الشَّيْطَانِ
١٣٣- جَعَلُوا الشُّهُورَ عَلَىٰ قِيَاسِ حِسَابِهِمْ	وَلَرُبَّمَا كَمُلَا لَنَا شَهْرَانِ
١٣٤- وَلَرُبَّمَا نَقَصَ الَّذِي هُوَ عِنْدَهُمْ	وَافٍ وَأَوْفَىٰ صَاحِبُ النُّقْصَانِ
١٣٥- إِنَّ الرَّوَافِضَ شَرُّ مَنْ وَطِئَ الْحَصَىٰ	مِنْ كُلِّ إِنْسٍ نَاطِقٍ أَوْ جَانِ
١٣٦- مَدَحُوا النَّبِيَّ وَخَوَّنُوا أَصْحَابَهُ	وَرَمَوْهُمُ بِالظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ
١٣٧- حَبُّوا قَرَابَتَهُ وَسَبُّوا صَحْبَهُ	جَدَلَانِ عِنْدَ اللهِ مُنْتَقِضَانِ

❁ بدأ الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بتوضيح العقيدة ثم عرض لمذاهب بعض الفرق كالجهمية والأشعرية والمعتزلة ثم تكلم علىٰ أركان الإسلام الخمسة ثم كرَّ مرة أخرىٰ يحذِّر من العقائد الفاسدة والمناهج المنحرفة، لأن النبي ﷺ تركنا علىٰ البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فكل نِحلة ابتُدعت بعده فهي مردودة علىٰ أصحابها أيا كانت تلك النِحلة ولو سموها بدعة حسنة، فإنه لا يوجد في الإسلام ما يسمىٰ بالبدعة الحسنة بل لا يوجد إلا سنة أو بدعة، ولذا وجب التحذير من كل فرقة تخالف هدي المصطفىٰ ﷺ، ومنهج أهل السنة والجماعة. وهذا لا يتأتىٰ إلا بأن يعرف المسلم منهج أهل السنة وفق فهم السلف الصالح ثم يتعرف علىٰ المناهج التي خالفت هذا المنهج ليتجنبها، فإن معرفة الشر مطلوبة لتجنبه، كما قال حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني»[1]، قال الشاعر:

عَرَفْتُ الشَّرَّ لا لِلشَّرِّ	لَكِنْ لِتَوَقِّيهِ
وَمَنْ لَمْ يَعْرِفِ الشَّرَّ	مِنَ النَّاسِ يَقَعْ فِيهِ

(١) أخرجه البخاري [٣٦٠٦]، ومسلم [١٨٤٧].

وقـد حذر الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا مـن عقيدة الروافض، فكل من كفـر أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو كفـر أزواجـه، أو اتهمهـنّ بالإفـك أو ردَّ السـنة، أو اعتقد نقـص القرآن الكريم الذي بين أيدينا، أو قال علىٰ الله البداء - وهو أنه لا يعلم الأشياء قبل وقوعها-، أو عبد القبور من دون الله، أو اعتقد لأئمته درجة تفوق أو تساوي درجة الأنبياء والمرسلين، أو أجاز رواية الأحاديث المكذوبة والموضوعة والمختلقة علىٰ رسـول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو اعتقـد أن أحـدا يتصرف في الكون مع الله عَزَّوَجَلَّ، فكل مـن اعتقد واحدا من هذه الأمور فقـد مرق من الدين، فكيف إذا اجتمعت؟ سـواء كان هؤلاء مـن الروافض أو من غلاة المتصوفة أو من غيرهم من الفرق المارقة، وقد جمعت الروافض هذه المخازي كلها؛

مسـاوٍ لـو قُسـمن علىٰ الغواني   لمـا أمـهـرن إلا بـالـطَّـلاق[1]

مـن اعتقد هـذه المعتقدات يجب أن نفارقـه، والواجب علىٰ المسـلمين أن يعتقدوا عقيـدة أهل السـنة والجماعة وأن ينأوا بأنفسـهم عن هذه العقائد الفاسـدة المفسـدة التي فرقت المسـلمين وجعلتهم شـذر مـذر؛ والتي هي عقيـدة حزب الشـيطان؛ لأنها عقائد شـيطانية لا يعتقدهـا إلا حـزب الشـيطان؛ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩].

ولهذا خالفوا أهل السـنة في دخول الأشـهر وخروجها لاسـيما شـهر الصوم فإنهم لا يصومون إلا بعد المسـلمين، ولا يفطرون إلا بعدهم، بل لا يعتمدون الرؤية التي هي مناط الصوم والفطر، وقد قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فـإن غـبي عليكـم فأكملوا عدة شـعبان ثلاثين**»[2]؛ فهـم يعملون بالحسـاب بقياس

(١) بيت للشاعر ابن زيدون الأندلسي، ختم بها مقامة هجا بها الشاعر ابن عبدوس.
(٢) تقدم تخريجه في ص: [٢٩٧].

خاص بهم تبعا لأهوائهم كما خالفوا التأريخ الهجري؛ وإنما خالفوا في التاريخ الهجري لأن أول من سنّ ذلك هو الفاروق عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأشار الناظم بقوله: «وَلَرُبَّمَا كَمَلاَ لَنَا شَهْرَانِ» إلىٰ أن كمال الشهر أو نقصانه راجع للرؤية، فربما توالىٰ شهران كاملان أو ناقصان أو أحدهما كامل والآخر ناقص؛ كل ذلك بحسب الرؤية.

فلبغضهم الصحابة - وعلىٰ رأسهم أبو بكر وعمر غيّروا التأريخ، فربما أرخوا بالبعثة، وربما رجعوا إلىٰ التأريخ الفارسي المتعلق بأعياد النيروز وغيره، كل ذلك لعداوتهم وانشقاقهم عن المسلمين.

ثم وصف الرافضة بأنهم شر من وطئ الحصىٰ من إنس أو جنّ نظرا لما تقدم من ذكر بعض عقائدهم الفاسدة.

وقوله: «مَدَحُوا النَّبِيَّ وَخَوَّنُوا أَصْحَابَهُ... »

لا ينفع مدح النبي مع سب أصحابه، لأن الصحابة هم الذين نقلوا لنا هذا الدين، فمن خوَّنهم فقد ألغىٰ الإسلام كله. من خوَّن الخلفاء الراشدين أو غيرهم من الصحابة فإنه يطعن في الدين كله لأن الإسلام إنما وصلنا عن طريق الصحابة، فالقدح فيهم قدح في أصل الدين، ولذلك لا ينفع مدحهم للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع اعتقادهم هذا إذ إنه مناقض لدعواهم الإسلام، ومدحهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تقية وإلا فهم يبغضونه؛ لأن من أبغض أصحابه فقد أبغضه ولا بد.

قال أبو زرعة الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول حق والقرآن حق، وإنما نقل إلينا هذا

القرآن والسنن أصحاب رسول الله، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولىٰ وهم زنادقة»[١].

والذي يظن أنه يحب قرابة النبي ﷺ ويعادي بقية الأصحاب متناقض، بل وقع في منتهىٰ التناقض؛ لأن الواجب محبة جميع الصحابة بدون تفريق، آل بيته وغيرهم من الصحب الكرام رضي الله عن الجميع.



(١) انظر: «الكفاية»، ص: [٤٩].

١٣٨- فَكَأَنَّمَا آلُ النَّبِيِّ وَصَحْبُهُ ... رُوحٌ يَضُمُّ جَمِيعَهَا جَسَدَانِ

١٣٩- فِئَتَانِ عَقْدُهُمَا شَرِيعَةُ أَحْمَدٍ ... بِأَبِي وَأُمِّي ذَانِكَ الْفِئَتَانِ

١٤٠- فِئَتَانِ سَالِكَتَانِ فِي سُبُلِ الْهُدَىٰ ... وَهُمَا بِدِينِ اللهِ قَائِمَتَانِ

❁ الله أكبر، يشبه الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ الصحابة وتماسكهم وتكاتفهم وتعاونهم وتضامنهم بمن فيهم آل البيت وسائر الأصحاب كروح في جسدين، وهذا لبيان قوة العلاقة بينهما، فهم كالجسد الواحد إذا اشتكىٰ منه عضو تداعىٰ له سائر الجسد بالسهر والحمىٰ. الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بمن فيهم آل البيت هم صفوة هذه الأمة وقطب رحاها بعد نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونقلة الإسلام، وحملة القرآن والسنة.

وقوله: «فئتان» تجوزا وإلا فهم فئة واحدة، والقصد بالفئتين آل البيت والصحابة، نعم، المؤمنون من آل البيت لهم حرمتهم وحقوقهم ومكانتهم الخاصة - ومن أنفس ما كُتب في ذلك رسالة شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «حقوق أهل البيت» -، وكذا بقية الصحب لهم حرمتهم ومكانتهم وحقوقهم الخاصة.

فهم سائرون علىٰ درب الهدىٰ وعلىٰ طريق السنة، وكلهم كما قال الناظم في طريق الهدىٰ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام: ٩٠] أولئك أصحاب محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذين بهم قام القرآن وبه قاموا، وبهم نطق القرآن وبه نطقوا، أثنىٰ عليهم الله في كتابه؛ ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ [التوبة: ١٠٠]، فلا نسمع لناعق ينال منهم أو يسبهم أو يحط من قدرهم، نسأل الله أن يحشرنا في زمرتهم، وأن يبعدنا عن منهج أعدائهم الذين قال الله فيهم: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥].

❁❁❁

خيرية النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأفضليته على جميع الخلق، وفضل صاحبيه أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا والتنويه بمنزلة عائشة وحفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

١٤١- قُلْ إِنَّ خَيْرَ الأَنْبِيَاءِ مُحَمَّدٌ وَأَجَلَّ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ الْكُثْبَانِ

❁ يبين الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ أن أفضل الأنبياء والرسل، بل والخلق أجمعين علىٰ الصحيح هو نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ختم الله به النبوات والرسالات واختص رسالته بأن كانت عامة للثقلين؛ الإنس والجن، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، فنبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له خصائص عظيمة لا يمكن حصرها في مثل هذا المقام، فمنها علىٰ سبيل المثال لا الحصر: أنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سيد الأولين والآخرين، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**»(١)، ومنها أنه أول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع، وأول مشفَّع، وصاحب الحوض المورود، وهو صاحب المقام المحمود الذي اختُص به دون سائر الأنبياء.

ولا ينازع أحد في فضل نبينا علىٰ سائر الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم جميعًا، وإظهار فضله وتفضيله وما خصه الله به أشهر من أن يذكر، وليس ذلك بالإطراء والغلو في المدائح، والترنم بالقصائد مع الموسيقىٰ، والمعازف المحرمة كما يفعله بعض أهل البدع والانحراف في هذه الأزمنة، وإنما يكون بمحبته فوق محبة النفس والنفيس وتطبيق سنته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قولا وعملا واعتقادا - بأبي هو وأمي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.



(١) أخرجه مسلم [٢٢٧٨] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

١٤٢-وَأَجَلُّ صَحْبِ الرُّسْلِ صَحْبُ مُحَمَّدٍ	وَكَـذَاكَ أَفْضَـلُ صَحْبِهِ الْعُمَرَانِ
١٤٣- رَجُلَانِ قَدْ خُلِقَا لِنَصْرِ مُحَمَّدٍ	بِـدَمِـي وَنَـفْـسِـي ذَانِـكَ الـرَّجُـلَانِ
١٤٤- فَهُمَا اللَّذَانِ تَظَاهَرَا لِنَبِيِّنَا	فِي نَـصْـرِهِ وَهُـمَـا لَـهُ صِـهْـرَانِ
١٤٥- بِنْتَاهُمَا أَسْنَىٰ نِسَاءِ نَبِيِّنَا	وَهُـمَـا لَـهُ بِـالْـوَحْـيِ صَاحِـبَـتَانِ
١٤٦- أَبَوَاهُمَا أَسْنَىٰ صَحَابَةِ أَحْمَدٍ	يَـا حَـبَّـذَا الأَبَـوَانِ وَالْـبِـنْـتَـانِ
١٤٧- وَهُمَا وَزِيرَاهُ اللَّذَانِ هُمَا هُمَا	لِـفَـضَـائِـلِ الأَعْـمَـالِ مُـسْـتَـبِـقَـانِ
١٤٨- وَهُمَا لأَحْمَدَ نَاظِرَاهُ وَسَمْعُهُ	وَبِـقُـرْبِـهِ فِي الْـقَـبْـرِ مُضْطَجِعَانِ
١٤٩- كَانَا عَلَىٰ الإِسْلَامِ أَشْفَقَ أَهْلِهِ	وَهُـمَـا لِـدِيـنِ مُـحَـمَّـدٍ جَـبَـلَانِ

❁ نعم، أَجَلُّ صَحْبِ الرُّسْـلِ صَحْبُ مُحَمَّدٍ ﷺ بإجماع المسلمين الذين يعتدّ بإجماعهم، بل جعلهم الله شـهداء علىٰ تبليغ الرسـل لأممهم كـما قال الله تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، وفي الصحيح أن النبـي الله ﷺ قـال: «**يجيء نـوح وأمته فيقـول الله تَعَالَىٰ هل بلغـت فيقـول: نعـم أي رب فيقـول لأمته: هل بلغكـم فيقولون لا مـا جاءنا من نبي فيقول لنوح: من يشـهد لك فيقول محمد** ﷺ **وأمته فنشـهد أنه قد بلغ وهو قولـه جـل ذكـره:** ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ **والوسـط العدل**»(١).

وقـد زكاهـم الله ورضي عنهـم، وتـوفي النبـي ﷺ وهـو عنهـم راضٍ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

---

(١) أخرجه البخاري [٣٣٣٩] من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فالصحابة هم صفوة أتباع الرسول، ومما يؤسف له أن يقع في الطعن في الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بعض المنسوبين لأهل السنة، فقد وقع بعض الكتَّاب والشعراء في هذا العصر ممن يوصفون بأنهم كتَّاب إسلاميون بل يوصف بعضهم بأنه شهيد، وأنه..، والشهادة لا يجوز الجزم بها إلا لمن شهد له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك، وقع هؤلاء - عن هوىٰ أو جهل وقلة بضاعة في العلم والهدىٰ - في النيل من الصحابة، وسيأتي مزيد بيان لهذه الوقاحة وقلة الحياء عند ذكر فضائل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه، وأخزىٰ الله من أبغضه وقلاه.

وبعد أن بين أن أفضل الناس بعد الرسل هم الصحابة بين أن أفضلهم العمران: يعني أبا بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أبو بكر الذي قال فيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لو كنت متخذًا من أمتي خليلًا لاتخذت أبا بكر ولكن أخي وصاحبي**»[(١)]، وهو الذي نزلت فيه الآيات الكريمة من سورة الليل كما ذكر أهل العلم ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل: ١٩ - ٢١]، وهو الذي ذكر الله صحبته للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القرآن ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، وآيات ذكر أهل العلم أنها في فضائل أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو الذي استخلفه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صلاته وأعطىٰ كثيرًا من الإشارات والدلالات علىٰ أفضليته وأنه الخليفة بعده، يدلّ لذلك حديث جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أتت امرأة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأمرها أن ترجع إليه قالت أرأيت إن جئت ولم أجدك كأنها تقول الموت قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن لم تجديني فأتي أبا بكر**»[(٢)]، وقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**يأبىٰ الله والمؤمنون إلا أبا بكر**»[(٣)].

(١) أخرجه البخاري [٣٦٥٦] من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
(٢) أخرجه البخاري [٣٦٥٩]، ومسلم [٢٣٨٦].
(٣) أخرجه مسلم [٢٣٨٧] من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

ثـم يليـه في الفضل عمر بن الخطاب الفـاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي فـرّق الله به بين الحق والباطـل، فهـو ثاني الخلفاء الراشـدين، الذي قـال فيه النبـي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنه قد كان فيما مضىٰ قبلكم من الأمم مُحدَّثون وإنه إن كان في أمتي هذه منهم فإنه عمر بن الخطـاب**»(١)، ومعنـىٰ **مُحدَّثـون** أي: ملهمون للحـق والصواب، وفعلًا كثـيرًا ما أُلهم وجـاء الوحـي مطابقا لرأيه، كـما في موافقاتـه المعروفة والمشـهورة - رضي الله عنه وعن أبي بكـر وأرضاهما، وأخزىٰ الله من أبغضهما وقلاهما؛ فهما وزيرا رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كـما قـال زيد بـن علي بن الحسين - عليه رحمـة الله -، فمناقبهـما لا تسـتقصىٰ لبعدها أن تحصىٰ.

فهـما نصـيرا رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهمـا صاحبـاه، وأخـص خواصـه، فكثـيرًا ما كان يقول: جئت أنا وأبو بكر وعمر ودخلت أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر(٢)، وهما مستشاراه، فلله درّهما ما أعظم منزلتهما في الإسلام، وما أقبح وأردىٰ من يحط من شأنهما، ولذلك أثنىٰ عليهما الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ بهذا الثناء العطر الذي هما أهل له.

ومعنىٰ **«تظاهرا»، أي**: تعاونا معه وتناصرا، وكانا ظهيرين له؛ ومن هذا المعنىٰ قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤]. وكلاهمـا تزوّج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابنته، فلهما شرف الصحبة والمناصرة وشرف الاستشارة وشرف الوزارة، ولهما شرف المصاهرة والرحم؛ حيث زوّج أبو بكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنته عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كما زوجه عمر ابنته حفصة أم المؤمنين أيضًا - رضي الله عنها وأرضاها - فنعم النسب ونعمت المصاهرة ونعمت الصحبة.

---

(١) أخرجه البخاري [٣٤٦٩] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم [٢٣٨٩] من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وقوله: «**بنتاهما أسنىٰ**»، أي: أفضل وأكمل، وهذا بعد خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ فعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كان يرىٰ في المنام أنها زوجته - ورؤيا الأنبياء حق - فيقول: «**إن يك هذا من عند الله يمضه**»(١)، وحفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لما طلقها أمر بإرجاعها وقيل له: «**إنها صَوَّامة قَوَّامة، وإنها زوجتك في الجنة**»(٢)، فكلتاهما صاحبته بالوحي.

وقوله: «**أبواهما**» إلخ، يعني: أبا بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فأبواهما أفضل الصحابة وهما أفضل أمهات المؤمنين بعد خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهما من خيرة نساء المؤمنين وهن أمهات المؤمنين.

وقوله: «**يا حبذا**»، أي: نعم البنتان ونعم الأبوان، ولو وُجد فوق هذه الكلمة من أساليب المدح لقالها الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ ويكفي أن الله قد أشاد بعائشة في كتابه، وكذلك أزواجه الطاهرات المطهرات جميعًا.

وقوله: «هما هما» تكرار الضمير للتأكيد وللتعظيم ولبيان فضلهما الذي لا يعدله فضل بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولذلك فهما لهما سابقة الإسلام، ولهما سابقة المصاهرة، ولهما سابقة الخلافة، ولهما سابقة الملازمة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، - رضي الله عنهما وأرضاهما -.

وقوله «**وَهُمَا لأَحْمَدَ نَاظِرَاهُ وَسَمْعُهُ**»، أي: ملازمان للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جميع أحواله، ويؤازرانه في جميع أموره، إلىٰ أن انتقل إلىٰ ربه تَعَالَىٰ، وهما ضجيعاه بعد الموت، أي: دفنا بقربه وجواره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حجرة عائشة.

(١) أخرجه البخاري [٣٨٩٥]، ومسلم [٢٤٣٨] من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) أخرجه الطبراني [٩٣٤]، والبزار [١٤٠١] من حديث عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وقال الهيثمي (٩/ ٢٤٥): «رجاله رجال الصحيح». وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» [٤٣٥١].

وقوله:

١٤٩- «كَانَا عَلَىٰ الإِسْلَامِ أَشْفَقَ أَهْلِهِ وَهُمَا لِدِينِ مُحَمَّدٍ جَبَلَانِ»

❁ أي: كانا أشفق الأمة والصحابة علىٰ الإسلام، وأحرصهم علىٰ نشره، ولذلك يسر الله من الفتوح في عهدهما الشيء العظيم، فلم تكد تنقضي خلافة أبي بكر وعمر حتىٰ وصل الإسلام إلىٰ تخوم الهند وإلىٰ بلاد المغرب حتىٰ تمّ فتح المغرب في عهد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كل هذا في أقل من ربع قرن. فهما يحملان هم الإسلام في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبعد وفاته ومؤتمنان عليه وقد أبليا فيه وفي الذب عنه بلاءً حسنًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ثم بعد ذلك جعلهما الله خليفتين بعد نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نعم إنهما جبلان ردءان للإسلام؛ ولذلك انفتحت بوفاتهما علىٰ الإسلام ثغرة عظيمة لن تسد، وبمقتل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كسر باب الفتن كما في الصحيح، وبمقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وضع السيف في الأمة، وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلىٰ يوم القيامة**»(١).



(١) أخرجه أبو داود [٤٢٥٤]، والترمذي [٢٢٠٢]، وابن ماجه [٣٩٥٢] من حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

١٥٠- أَصْفَاهُمَا أَقْوَاهُمَا أَخْشَاهُمَا	أَتْقَاهُمَا في السِّرِّ وَالإِعْلاَنِ
١٥١- أَسْنَاهُمَا أَزْكَاهُمَا أَعْلاَهُمَا	أَوْفَاهُمَا في الْوَزْنِ وَالرُّجْحَانِ
١٥٢- صِدِّيقُ أَحْمَدَ صَاحِبُ الْغَارِ الَّذي	هُوَ في الْمَغَارَةِ وَالنَّبِيُّ اثْنَانِ
١٥٣- أَعْنِي أبا بَكْرٍ الَّذي لَمْ يَخْتَلِفْ	مِنْ شَرْعِنَا في فَضْلِهِ رَجُلاَنِ
١٥٤- هُوَ شَيْخُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ وَخَيْرُهُمْ	وَإِمَامُهُمْ حَقًّا بِلاَ بُطْلاَنِ
١٥٥- وَأبو الْمُطَهَّرَةِ الَّتي تَنْزِيهُهَا	قَدْ جَاءَنَا في النُّورِ وَالْفُرْقَانِ

❁ بعد أن ذكر الناظم فضل الشيخين إجمالا بدأ يذكر ميزة كل واحد منهما، فبين أن أتقاهما وأرفعهما وأصفاهما وأنقاهما وأفضلهما أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وهذا بنص حديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فهل أنتم تاركوا لي صاحبي**»[1]، وقال: «**ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**»[2]، وقال: «**لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا**»[3]، هو أفضل الاثنين، وليس في تفضيله حط من شأن عمر، ولكنه فضل الله يؤتيه من يشاء.

ثم بين أن من ميزاته أنه كان الصاحب في الغار مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]؛ سبحان الله لما وصل المشركون إلىٰ الغار قال أبو بكر: يا رسول الله لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا. قال: «**يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما**»[4]، فحفظ الله نبيه وحفظ صديق نبيه أبا بكر - رضي الله عنه وأرضاه -.

---

(١) أخرجه البخاري [٣٦٦١] من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) تقدم تخريجه في ص: [٣٠٦].

(٣) رواه مسلم [٢٣٨٣] من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه البخاري [٤٦٦٣]، ومسلم [٢٣٨١] من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وقوله:

١٥٣- «أَعْنِي أبا بَكْرِ الَّذِي لَمْ يَخْتَلِفْ مِنْ شَرْعِنَا في فَضْلِهِ رَجُلَانِ»

❁ أبو بكر الصديق أول من أسلم من الرجال، صاحب الهجرة، وصاحب الوزارة، وصاحب الذب عن النبي ﷺ، كان يذب عن النبي ﷺ وكانوا يضربونه عند الكعبة يوم أن كان الإسلام ضعيفا حتىٰ يُغمىٰ عليه وهو يقول: أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله - فرضي الله عنه وأرضاه -.

وقوله: «... لَمْ يَخْتَلِفْ... مِنْ شَرْعِنَا في فَضْلِهِ رَجُلَانِ»، أي: من أهل السنة والجماعة، أما من شذ من شذاذ الآفاق فلا يُعبأ بخلافهم.

ومن شذّ من النوادر فالعبرة بالكثرة لا بالنادر

وقوله:

١٥٤- «هُوَ شَيْخُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ وَخَيْرُهُمْ وَإِمَامُهُمْ حَقًّا بِلاَ بُطْلَانِ»

❁ نعم، هو شيخ الصحابة جميعا، أقدمهم إسلاما، وأفضلهم درجة، وأكثرهم صحبة وملازمة للمصطفىٰ ﷺ، فهو إمامهم بعد رسول الهدىٰ ﷺ بلا منازع كما تقدم. قال رسول الله ﷺ: **«ما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين علىٰ أفضل من أبي بكر»**(١)

وقوله:

١٥٥- «وَأبو الْمُطَهَّرَةِ الَّتِي تَنْزِيهُهَا قَدْ جَاءَنَا في النُّورِ وَالْفُرْقَانِ»

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٣٢٥)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٢/ ٥٧٦)، رقم الحديث [١٢٢٤]، قال الألباني أخرجه جمع من المحدثين منهم عبد بن حميد والخطيب وغيرهما وقد حسنه بعضهم، انظر: «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (٣/ ٥٣٤).

❁ الله أكبر! أي أبو عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أم المؤمنين التي برأها الله من الإفك من فوق سبع سماوات، عندما تولىٰ كبرها المنافقون وتناقل ذلك قلة قليلة من سرعان الناس فثبتها الله وبرأها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النُّور: ١١ - ٢٦]، ويكفي أن الله شرَّفها بهذه البراءة - رضي الله عنها وأرضاها - في سورة تتلىٰ إلىٰ يوم القيامة وهي سورة النور.

١٥٦- أَكْرِمْ بِعَائِشَةَ الرِّضَا مِنْ حُرَّةٍ	بِكْرٍ مُطَهَّرَةِ الْإِزَارِ حَصَانِ
١٥٧- هِيَ زَوْجُ خَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ وَبِكْرُهُ	وَعَرُوسُهُ مِنْ جُمْلَةِ النِّسْوَانِ
١٥٨- هِيَ عِرْسُهُ هِيَ أُنْسُهُ هِيَ إِلْفُهُ	هِيَ حِبُّهُ صِدْقًا بِلَا إِدْهَانِ
١٥٩- أَوَلَيْسَ وَالِدُهَا يُصَافِي بَعْلَهَا	وَهُمَا بِرُوحِ اللهِ مُؤْتَلِفَانِ

❁ أي: أنعم وأكرم بها من أم للمؤمنين الصديقة بنت الصديق عِرس رسول الله ﷺ وإلفه وحبيبته والتي توفي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهو بين حاقنتها وذاقنتها، بين سحرها ونحرها، مستند علىٰ صدرها الطاهر الطيب المبارك.

حصان رزان ما تزنّ بريبة وتصبح غرثىٰ من لحوم الغوافل

كما قال حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهي الطاهرة المطهرة، المبرأة من فوق سبع سماوات - رضي الله عنها وأرضاها، وأخزىٰ الله ولعن من أبغضها وقلاها -، قال الله تَعَالَىٰ في حقها: ﴿أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: ٢٦].

فهي البكر الوحيدة التي تزوجها عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، حيث تزوجها بنت ست وبنىٰ بها وهي بنت تسع، وكانت من أكثر الصحابة حديثًا، وأحفظ نساء النبي ﷺ علىٰ الإطلاق، بل أحفظ النساء من الصحابة.

وهي عروسه من جملة النسوان، أي: من ضمن أزواجه التسع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ، وكلهن طاهرات مطهرات غير أن عائشة أفضلهن بعد خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فيجب الترضي عنها واعتقاد أنها أم المؤمنين، واعتقاد طهارتها وبراءتها، ومن اتهمها بالإفك فهو كافر؛ لأنه يكذِّب القرآن، ومن كذب القرآن فقد كفر، فاتهام عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في عرضها تترتب عليه أربعة محاذير:

الأول- أنه تكذيب للقرآن. **الثاني-** أنه كفر.

الثالث- أنه اتهام للنبي ﷺ في أعز الأشياء، وهو العرض، وحاشاه ذلك بأبي هو وأمي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

الرابع- أنه مخالف لما أجمعت عليه أمة محمد ﷺ من براءتها وطهارتها.

فأخزىٰ الله من نال منها أو من منزلتها، ولذا قال بعض السلف: «إن من يتكلم في عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فليست بأمه، وهي أم المؤمنين، فأحرىٰ ألا يكون مؤمنا».

وقوله:

١٥٨- هِيَ عِرْسُهُ هِيَ أُنْسُهُ هِيَ إِلْفُهُ هِيَ حِبُّهُ صِدْقًا بِلَا إِدْهَانِ

❁ فهذه الأوصاف العظيمة: عرسه، إلفه، أنسه، حِبه، صدقا بلا بهتان، تليق بأم المؤمنين، عائشة الرضا - رضي الله عنها وأرضاها - تلك الصفات منطبقة علىٰ الصديقة بنت الصديق وعلىٰ سائر أزواج النبي ﷺ، لكن مزية كونها حِبّ رسول الله دون سائر زوجاته، ثبتت في الصحيح لما سأل عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: من أحب الناس إليك؟ قال: «**عائشة**»، قال: من الرجال؟ قال: «**أبوها**»[1].

وقوله:

١٥٩- «أَوَلَيْسَ وَالِدُهَا يُصَافِي بَعْلَهَا وَهُمَا بِرُوحِ اللهِ مُؤْتَلِفَانِ»

❁ والدها أبو بكر وبعلها رسول الله ﷺ وَهُمَا بِرُوحِ الله، **أي**: برحمة الله، وبفضل الله، وتوفيقه وأمره، عَزَّ وَجَلَّ متآلفان متحابان في الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.



(١) أخرجه البخاري [٣٦٦٢]، ومسلم [٢٣٨٤].

١٦٠- لَمَّا قَضَىٰ صِدِّيقُ أَحْمَدَ نحْبَهُ ... دَفَعَ الْخِلَافَةَ لِلْإِمَامِ الثَّانِي

١٦١- أَعْنِي بِهِ الْفَارُوقَ فَرَّقَ عَنْوَةً ... بِالسَّيْفِ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ

١٦٢- هُوَ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ بَعْدَ خَفَائِهِ ... وَمَحَا الظَّلَامَ وَبَاحَ بِالْكِتْمَانِ

❁ بدأ الناظم بذكر بعض فضائل ومزايا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فهو الإمام بعد أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد عهد إليه أبو بكر بالخلافة بعده، وذلك مصداقا للرؤيا التي رآها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بينا أنا نائم رأيتني علىٰ قليب عليها دلو فنزعت منها ما شاء الله ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع بها ذنوبا أو ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ضعفه ثم استحالت غربا فأخذها ابن الخطاب فلم أر عبقريا من الناس ينزع نزع عمر حتىٰ ضرب الناس بعطن**»[(١)]؛ وقد فسر ذلك بزمن الخلافة والفتوح في عهدهما. ففي عهد أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وطد الإسلام بعد وفاة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقاتل المرتدين وفتح الله عليه بعض الأمصار، وفي عهد عمر فتح الفتوح ووسع رقعة الإسلام.

وقوله: «أَعْنِي بِهِ الْفَارُوقَ...»؛

لما أسلم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شهر سيفه وهاجر أمام الملإ وقال من أراد أن تثكله أمه فليلقني خلف هذا الوادي. فإن أكثر الناس قد هاجروا خفية وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هاجر علنا معلنا، وقد سُمي الفاروق لأن الله فرق به بين الحق والباطل، وكثيرًا ما كان الوحي ينزل موافقا لرأيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فقبل إسلام عمر كان الناس يتخفون، فأظهر الله الإسلام ونصره بإسلام عمر؛ مصداقًا لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك؛ بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام**»[(٢)]؛ وقويت شوكة المسلمين ومحا الله به الظلام، أي:

---

(١) أخرجه البخاري [٣٦٦٤]، ومسلم [٢٣٩٢] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد [٥٦٩٦]، وعبد بن حميد [٧٥٩]، والترمذي [٣٦٨١] من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
=

الخـوف من المشركـين وكذا محا ظلام وجـبروت فارس والروم، فقـد قصر قيصر وكسر كـسرىٰ، وأنفقـت كنوزهمـا في سـبيل الله عـلىٰ يـده، وانتشر ضيـاء الإسـلام والتوحيد، واضمحلّ ظلام الكفر والشرك.

❁ ❁ ❁

=

وقال الترمذي: «حسن صحيح غريب».



فضل عثمان بعد أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

١٦٣- وَمَضَىٰ وَخَلَّىٰ الْأَمْرَ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ	فِي الْأَمْـرِ فَـاجْـتَـمَـعُـوا عَلَىٰ عُثْمَانِ
١٦٤- مَنْ كَانَ يَسْهَرُ لَيْلَةً فِي رَكْعَةٍ	وِتْــرًا فَـيُـكْـمِـلُ خَـتْـمَـةَ الْـقُـرْآنِ

❁ ثم ذكر أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الفاروق لما مضىٰ، أي: شعر بدنو أجله حيث طعنه الخبيث أبو لؤلؤة المجوسي، فحقق الله له الشهادة وكان قد دعا بدعوتين مباركتين قد استجيبتا فكان يدعو: اللهم ارزقني شهادة في سبيلك وموتا في بلد رسولك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[١]، وقد تحقق له الأمران.

ترك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الأمر شورىٰ لاختيار خليفة من ستة، ممن توفي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو راض عنهم، وكان قد بشرهم بالجنة، وكلهم من العشرة؛ عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة والزبير، فهؤلاء الستة هم كبار أهل الحل والعقد، تشاوروا فيما بينهم أيهم أحقّ بالخلافة ثم اجتمعوا - كما ذكر الناظم - علىٰ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولهذا قال الإمام الجليل أيوب بن أبي تميمة السختياني: «من لم يقدم عثمان علىٰ علي فقد أزرىٰ بالمهاجرين والأنصار»[٢]، وعلق شيخ الإسلام علىٰ هذا بقوله: «فإنه إن لم يكن عثمان أحق بالتقديم وقد قدموه كانوا إما جاهلين بفضله وإما ظالمين بتقديم المفضول من غير ترجيح ديني، ومن نسبهم إلىٰ الجهل والظلم فقد أزرىٰ بهم»[٣].

ومن فضائل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال فيه: «**ألا أستحيي ممن تستحيي منه الملائكة**»[٤]، وقال لما جهز جيش العسرة: «**ما ضر عثمان ما عمل بعد**

(١) «كشف الخفاء ومزيل الألباس» للعجلوني، ص: [١٨١].
(٢) أخرجه ابن حنبل في «فضائل الصحابة» [٣٠٩].
(٣) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٤٢٨)، «منهاج السنة» (٨/ ٢٢٥).
(٤) أخرجه أحمد [٢٥٢١٦]، ومسلم [٢٤٠١] من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

اليوم مرتين»(١)، وهو الذي أوقف بئر رومة علىٰ المسلمين، اشتراها من يهودي. وهو ذو النورين، صهر رسول الله ﷺ حيث زوجه ابنتيه رقية وأم كلثوم، وقال له لما ماتت الأخيرة: «**لو كانت عندي ثالثة لزوجتها عثمان**»(٢).

ومنها: أن الرسول ﷺ بشره بالجنة علىٰ بلوىٰ تصيبه، وقد حصل ما أخبر به ﷺ، وكان تاليا لكتاب الله، متدبرًا له، معتنيا بفهمه والعمل به، قال أبو عبد الرحمن السلمي: «حدثنا الذين كانوا يقرءوننا القرآن عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يتجاوزوها حتىٰ يتعلموا ما فيها من العلم والعمل. قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعًا»(٣).

وقد جمع القرآن الكريم في مصحف واحد وأرسل به إلىٰ الآفاق، وكان سخيًا صوامًا قوامًا، بكاء من خشية الله.

وله فضائل كثيرة لا تعد ولا تحصىٰ، وقد توفي شهيدًا كما أخبر النبي ﷺ، قتله البغاة المعتدون، الخوارج الفجرة.

وأراد الله له أن ينال هذه الشهادة؛ مصداقًا لقوله ﷺ: «**اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان**»(٤)، فسلَّم عثمان لأمر الله وقضائه، وانتقل إلىٰ ربه شهيدًا، ثم انتقلت الخلافة بعده إلىٰ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

---

(١) أخرجه الترمذي [٣٧٠١]، والحاكم [٤٥٢٩] من حديث عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه. قال الترمذي: «حديث حسن غريب من هذا الوجه». وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه». وحسنه الألباني في «المشكاة» [٦٠٦٤].

(٢) انظر: «الطبقات» لابن سعد (٨/ ٣٨)، «البداية والنهاية» (٥/ ٣٤٦ - ٣٤٧).

(٣) انظر: «البدع» لابن وضاح، ص: [٩٣].

(٤) أخرجه البخاري [٣٦٧٥] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

منزلة علي وفضله بعد الخلفاء الثلاثة قبله رضي الله عن الجميع

١٦٥- وَلِيَ الْخِلَافَةَ صِهْرُ أَحْمَدَ بَعْدَهُ	أَعْنِي عَلِيَّ الْعَالِمَ الرَّبَّانِي
١٦٦- زَوْجَ الْبَتُولِ أَخَا الرَّسُولِ وَرُكْنَهُ	لَيْثَ الْحُرُوْبِ مُنَازِلَ الأَقْرَانِ

❁ نال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شرف الصحبة وشرف التزوج من بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل تربىٰ في حجره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان ابن عمه وعضده؛ يمثل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وينوب عنه في كثير من أعماله لقرابته وأهليته.

وهو الشجاع الذي لا يبارىٰ ولا يجارَىٰ - وكذلك الأئمة قبله شجعان لا يبارون ولا يجارون -، وهو الذي بات في فراش رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة الهجرة وهو الذي قال فيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عشية فتح خيبر: **«لأعطين الراية غدًا رجلًا يفتح الله علىٰ يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله»**[(١)].

وهو أول من أسلم من الغلمان - رضي الله عنه وأرضاه - وأخزىٰ الله من أبغضه وقلاه من الخوارج الذين تقربوا بدمه، ومن غلاة الرافضة الذين ألهّوه وعبدوه، فهو خير الناس بعد الشيخين وعثمان، وأشجعهم وأقواهم عزيمة وفضلًا وقوة وإيمانًا.



---

(١) أخرجه البخاري [٣٦٧٥] من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الكلام على الإمامة والخلافة ومنزلتها من الدين

١٦٧- سُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ الْخِلاَفَةَ رُتْبَةً ... وَبَنَىٰ الإِمَامَةَ أَيَّمَا بُنْيَانِ

١٦٨- وَاسْتَخْلَفَ الأَصْحَابَ كَيْ لاَ يَدَّعِي ... مِنْ بَعْدِ أَحْمَدَ فِي النُّبُوَّةِ ثَانِي

❁ الخلافة جعلها الله من أمور الإسلام ورتبه لينتظم بها حال المسلمين في أمر دينهم ودنياهم، سواء كانت تلك الخلافة اختيارا وإجماعا من أهل الحل والعقد كما حصل لأبي بكر، أو وصية وعهدا كما حصل لعمر، أو شورىٰ بين أهل الحل والعقد كما حصل لعثمان، أو إجماعا من المسلمين كما حصل لعلي بعد استشهاد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أو من حصل عليها بالغلبة وانقاد الناس له كما حصل لعبد الملك بن مروان رَحِمَهُ اللَّهُ. فهي رتبة عظيمة في الدين:

الدين بالملك يقوىٰ ... والملك بالدين يبقىٰ

وقال الآخر:

لا يصلح الناس فوضىٰ لا سُراة لهم ... ولا سُراة إذا جهّالهم سادوا

فلا بد من أمر يقيم للمسلمين حياتهم، واستمرت الخلافة الراشدة ثلاثين عامًا ثم أصبحت ملكا عضوضا كما أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث سفينة مولىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتي الله الملك من يشاء**»(١)، ومع ذلك أوجب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علىٰ المسلمين السمع والطاعة في المنشط والمكره وأثرة عليهم، وألا ينازعوا الأمر أهله إلا أن يروا كفرا بواحا عندهم من الله فيه برهان كما في حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «بايعنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ السمع

---

(١) أخرجه أحمد [٢١٩١٩]، وأبو داود [٤٦٤٧]، والترمذي [٢٢٢٦]. وقال: «هذا حديث حسن». وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٣٢٥٧].

والطاعـة في المنشـط والمكره وأن لا ننـازع الأمر أهله وأن نقوم أو نقـول بالحق حيثما كنا لا نخاف في الله لومة لائم»[(١)].

وكون الملك بعد ذلك وراثيًا أو غير وراثي وسـواء كان ذلك الأمير أو الخليفة ممن اختير أو ممن تغلَّب علىٰ الأمة وحكمهم بشرع الله أو ممن اختاره المسـلمون أو نحو ذلك فيجب له السمع والطاعة كما سيأتي إن شاء الله.

وليسـت الخلافة والإمامة ركنا من أركان الإسـلام كما تزعم الروافض، أو ليست لازمـة كـما تقوله الخـوارج والمعتزلة، فـلا إفراط ولا تفريـط فيها؛ إنما هي أمـر من أمور الإيـمان لابـد منها بحسـب ما يقتضيه الحـال، فإن وُجـد خليفة للمسـلمين جميعًا فذلك المطلوب والمرغوب والمحبوب وإن لم يوجد وصار المسلمون أقطارًا وبلدانًا كما هو الحال بعـد انتهاء الخلافة الإسـلامية، فإنه يجب كذلك السـمع والطاعة لمـن ولاه الله أمرنا من أولياء المسلمين، ما أقاموا الصلاة فينا.

فالصحابة رضوان الله عليهم أجمعين اختاروا الخلفاء الراشـدين واحدًا بعد واحد حتـىٰ لا يدَّعـي مدعٍ النبـوة، وقد قـال ﷺ: «**لا نبي بعـدي**»، وقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما قال له بعض القوم: هل خصكم رسول الله ﷺ - أي: أهل البيت - رسول الله ﷺ بـشيء؟ قـال: «**لا والـذي فلـق الحبـة وبرأ النسـمة، مـا أعلمـه، إلا فهما يعطيـه الله رجـلًا في القـرآن وما في هذه الصحيفـة، قلـت - أي أبو جحيفة - وما في الصحيفة قال العقل وفكاك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر**»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري [٧١٩٩]، ومسلم [١٨٤٠].

(٢) أخرجه البخاري [٣٤٥٥]، ومسلم [١٨٤٢] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فضل فاطمة الزهراء وابنيها الحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

١٦٩- أَكْرِمْ بِفَاطِمَةَ الْبَتُولِ وَبَعْلِهَا ... وَبِمَنْ هُمَا لِمُحَمَّدٍ سِبْطَانِ

١٧٠- غُصْنَانِ أَصْلُهُمَا بِرَوْضَةِ أَحْمَدٍ ... للهِ دَرُّ الأَصْلِ وَالْغُصْنَانِ

❁ فاطمة البتول هي فاطمة بنت محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سيدة نساء الجنة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها -، أم الحسن والحسين سبطي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وريحانته من الدنيا. وقد توفيت بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بستة أشهر، وكانت من خيرة النساء المؤمنات زهدا وكرما وورعا - رضي الله عنها وأرضاها -، وبعلها هو علي بن أبي طالب - ابن عمها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-.

وقد تقدم الكلام علىٰ بعض فضائل علي وشمائله - رضي الله عنه وأرضاه -.

ويعني الناظم بالغصنين: الحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ومناقبهما جمة، وفضائلهما كثيرة، وهما ممن ثبت أيام حصار الخوارج البغاة لعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فثبتا مدافعين عنه حتىٰ قضىٰ الله أمرًا كان مفعولًا، فأما الحسن فقد أصلح الله به الأمة، وجمع به كلمة المسلمين؛ مصداقًا لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»[1]، ولا شك أن الحق مع علي وأنه هو صاحب الخلافة، ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم ينازعه في الخلافة، وإنما يطلب تسليم قتلة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لإقامة الحد عليهم، وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يتمكن من تسليمهم؛ ولكن الفتنة قد حصلت ثم إن الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تنازل عام واحد وأربعين من الهجرة لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فجمع الله المسلمين عليه، فسمي ذلك العام بعام الجماعة.

ومعاوية ابن أبي سفيان الأموي - رضي الله عنه وأرضاه - كاتب وحي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وخال المؤمنين؛ لأنه أخو أم حبيبة: رملة بنت أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وعن جميع الصحابة ولو كره الحاقدون، ولو كره المبتدعون، ولو كره الكافرون.

---

(١) أخرجه البخاري [٢٧٠٤] من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يقول الميموني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سمعت أحمد بن حنبل يقول: ما لهم ولمعاوية؟، نسأل الله العافية! وقال لي: يا أبا الحسن: إذا رأيت أحدًا يذكر أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسوء، فاتهمه على الإسلام»(١).

وأما الحسين رضي الله عنه وأرضاه - فقد بقي ما شاء الله له أن يبقى، ثم إنه خرج إلى العراق لوعد من تخلى عنه بعد ذلك لَـمَّا حصل ما حصل، وكان قد نصحه بعض الصحابة كابن عباس بعدم الخروج، ولكن ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا.

فالحسن والحسين غصنا شجرة أصلها نبي الهدى، نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فنعم الأصل، ونعم الفرع.



(١) انظر: «الحجة في بيان المحجة» (٢/ ٣٩٧).

الكلام على فضل بقية العشرة وأهل بيعة رضوان

١٧١- أَكْرِمْ بِطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ وَسَعْدِهِمْ	وَسَعِيدِهِمْ وَبِعَابِدِ الرَّحْمَنِ
١٧٢- وَأَبِي عُبَيْدَةَ ذِي الدِّيَانَةِ وَالتُّقَىٰ	وَامْدَحْ جَمَاعَةَ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ

❁ هنا بدأ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يعدد بقية العشرة المبشرين بالجنة، فقال: أكرم بسعد بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الزهري، خال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقائد فتح القادسية وغيرها، والذي فداه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأبيه وأمه.

وأكرم بطلحة بن عبيد الله التيمي الذي وقىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيده يوم أحد حتىٰ شلت كما في البخاري[١].

وأكرم بالزبير بن العوام الأسدي، حواري رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وزوج أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ذات النطاقين.

وأكرم بسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي، أحد الكبار وفضلاء الصحابة، ومن السابقين الأولين البدريين.

وأكرم بعبد الرحمن بن عوف الزهري، من كبار الصحابة وأسخيائهم، أحد الستة أهل الشورىٰ، وأحد السابقين البدريين، وأحد الثمانية الذين بادروا إلىٰ الإسلام.

وأكرم بأبي عبيدة عامر بن الجراح الفهري القرشي، أمين هذه الأمة، وأحد قوادها العظام؛ فهؤلاء العشرة نشهد لهم بالجنة؛ لأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد شهد لهم بها[٢]، ولا نشهد لأحد من أهل القبلة ولو كان من أتقىٰ الأبرار، فما دونه بجنة ولا نار، وإنما

(١) البخاري [٣٧٢٤].

(٢) أخرجه الترمذي [٣٧٤٨]، والحاكم [٥٨٥٨] من حديث سعيد بن زيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٥٠].

نرجو للمحسن الثواب، ونخشىٰ علىٰ المسيء العقاب، ونكل الخواتيم إلىٰ رب الأرباب سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

فنشهد للعشرة بالجنة، ونشهد لثابت بن قيس بن شمَّاس، ولعبد الله بن مسعود، ولبلال بن رباح، ولجعفر بن أبي طالب، ولعكاشة بن محصن وغيرهم ممن شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة، ونترضىٰ عن جميع الصحابة، ونشهد لهم بالفضل والخير والتقىٰ والصلاح، وأنهم خير هذه الأمة، وأبرها قلوبًا، وأصدقها لهجة، وأكثرها علمًا، وأقلها تكلفا، وخصوصًا أهل بيعة الرضوان الذين قال الله فيهم: ﴿۞ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا﴾ [الفتح: ١٨]، وقال في الصحابة أجمعين: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقال في المهاجرين والأنصار: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ٨ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الحشر: ٨ - ٩].

ونسأله سُبۡحَانَهُۥ بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العُلىٰ أن يجعلنا ممن قال فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

التنويه بفضل الصحابة جميعًا والإعراض عما شجر بينهم

١٧٣- قُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي صَحَابَةِ أَحْمَدٍ ... وَامْدَحْ جَمِيعَ الآلِ وَالنِّسْوَانِ

١٧٤- دَعْ مَا جَرَىٰ بَيْنَ الصَّحَابَةِ فِي الْوَغَىٰ ... بِسُيُوفِهِمْ يَوْمَ الْتَقَىٰ الْجَمْعَانِ

١٧٥- فَقَتِيلُهُمْ مِنْهُمْ وَقَاتِلُهُمْ لَهُمْ ... وَكِلَاهُمَا فِي الْحَشْرِ مَرْحُومَانِ

١٧٦- وَاللهُ يَوْمَ الْحَشْرِ يَنْزَعُ كُلَّ مَا ... تَحْوِي صُدُورُهُمُ مِنَ الأَضْغَانِ

❁ أصحاب محمد ﷺ هم كل من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به، ومات علىٰ الإسلام، ولو تخلل ذلك ردة علىٰ الصحيح كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فالصحبة تعود إليه بعودته إلىٰ الإسلام.

فيجب أن نذكرهم بالجميل، ومن ذكرهم بغير الجميل فقد ضلّ سواء السبيل. وحب الصحابة تقوىٰ وإيمان، وعدل وأمانة، وبغضهم كفر ونفاق وخيانة.

وقد شملت الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ جميعا الثلاث الآيات في سورة الحشر قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر: ٨]، فهؤلاء المهاجرون السابقون الأولون إلىٰ الإسلام، ثم وصف الأنصار بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]؛ فهذه الآية نص في الأنصار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ الذين قال فيهم النبي ﷺ: **«الأنصار شعار والناس دثار»**[(١)]، والشعار ما يلي الجسم من اللباس، والدثار الغطاء الظاهر، فخص الأنصار بهذه المنقبة العظيمة، وقال: **«آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار»**[(٢)]، ولا شك أن المهاجرين

---

(١) أخرجه البخاري [٤٣٣٠]، ومسلم [١٠٦١] من حديث عبد الله بن زيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري [١٧]، ومسلم [٧٤] من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

أفضل الصحابة على الإطلاق حيث جمعوا بين الهجرة والنصرة، ثم مدح بقية الصحابة بمن فيهم من أسلم قبل الفتح وبعده بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، وذكر في سورة الحديد من أسلم قبل الفتح ومن أسلم بعده، وأن الكل قد وعدهم الله تبارك وتعالى الحسنى، قال الله تعالى: ﴿لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠]، وقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، كل هذا يدل على فضل الصحابة أجمعين بدون استثناء.

ويحرم سبهم أو شتمهم، ومن كفرهم فهو الكافر، ومن وصفهم بالردة فهو المرتد، ومن انتقصهم فهو الناقص الخائب. فهم حملة هذا الدين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم: **«لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»**(١).

وقد أجمع المسلمون على عدالتهم وأنهم صفوة هذه الأمة بعد نبيها عليه الصلاة والسلام، وقرنهم خير القرون، وأن الله قد خصهم بخصائص عظيمة جليلة؛ ولهذا ألّف السلف كتبا في فضائل الصحابة، منها: **«فضائل الصحابة»** للإمام أحمد، وفضائل الصحابة للبغوي ولا تكاد تجد كتابا من كتب العقيدة إلا وفيه بيان فضائل الصحابة، فانظر مثلًا: «شرح العقيدة الطحاوية»، و«عقيدة أهل الحديث» للصابوني، و«السنة» للإمام أحمد،

---

(١) أخرجه البخاري [٣٦٧٣]، ومسلم [٢٥٤١] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

و«السنة» لابنه عبد الله بن الإمام أحمد - وهو أجلها في «التنويه بالفضائل» -، و«السنة» للخلال، و«شرح السنة» للبربهاري، و«شرح السنة» للبغوي، و«شرح أصول اعتقاد أهل السنة» للالكائي، و«الشريعة» للآجري، والكتب الكثيرة المعنونة بالإيمان، كالإيمان لابن أبي شيبة، والإيمان لابن مندة، و الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام والإيمان لشيخ الإسلام بن تيمية وكتب السنة والحديث؛ ففيها ما تقر به أعين أهل السنة، ويدفع فيه باطل أهل البدعة؛ فماذا بعد الحق إلا الضلال، وقد تقدم بعض ما يدل علىٰ فضل آل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونسائه.

ومذهب السلف هو الكف عما شجر بينهم، أي: ما حصل بينهم من بعض الخلاف، مثل ما حصل في الجمل وصفين بسبب كيد وحنق بعض المندسين والمغرضين بينهم من أعداء الملة والدين؛ أمثال عبد الله بن سبأ اليهودي وغيره، -فرضي الله عنهم وأرضاهم-.

قال الحافظ أبو بكر ابن الإمام أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حائيته:

قل خير قول في الصحابة كلهم	**ولا تك طعانا تعيب وتجرح**
فقد نطق الوحي المبين بفضلهم	**وفي الفتح آي في الصحابة تمدح**

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في لاميته:

حب الصحابة كلهم لي مذهب	**ومودة القربىٰ بها أتوسل**
ولكلهم قدر علا وفضائل	**لكنما الصديق منهم أفضل**

وقد أجاد الحافظ أبو بكر ابن العربي المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رد كثير من الروايات الزائفة والشناعات الساقطة عن الصحابة في كتابه الموسوم «**العواصم من القواصم**»، فإنه قد

وُفق فيه أيما توفيق. ومن أحسن وآخر ما كتب في هذا الباب، في عصرنا الحاضر، كتاب الرد علىٰ المالكي المفتون المسمىٰ فرحان، لشيخنا الشيخ عبد المحسن العباد البدر حَفِظَهُ ٱللَّهُ، وكتاب أخينا الشيخ إبراهيم الرحيلي بعنوان: «**الانتصار للصحب والآل في الرد علىٰ السماوي الضال**».

فالصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ معذورون فيما شجر بينهم؛ وكل منهم مأجور غير مأزور؛ فمن كان مصيبا منهم فله أجران، ومن كان مخطئا معذورا فله أجر.

وآل بيت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشمل آل جعفر وآل علي وآل عقيل وآل العباس وأزواجه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. بل إن أزواجه من أهل البيت بنص القرآن كما في سورة الأحزاب: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]؛ فالخطاب لأزواج النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والذي عليه المحققون أنهن من آل بيت النبوة، والرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدىٰ والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث علىٰ كتاب الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي**»(١)، وقال أبو بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كما في البخاري: «ارقبوا محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أهل بيته»(٢)، وفضائل الآل كثيرة وظاهرة.

فيجب الكف عما شجر بين الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، والواجب في ذلك ما قاله الخليفة عمر بن عبد العزيز رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، إمام الهدى والدين، عندما ذكر عنده شيء من ذلك قال: «**تلك فتنة طهّر الله منها سيوفنا، فلا نقذّر بها ألسنتنا**»، وقال الشافعي: «تلك فتنة

(١) أخرجه مسلم [٢٤٠٨] من حديث زيد بن أرقم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه البخاري [٣٧١٣].

قـد طهـر الله منها أيدينا، أفلا نطهر منها ألسـنتنا»[1]، هذا ومما يجب التنبه له أن ما شـجر بـين الصحابـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لا يدخل في حديث: «**إذا التقىٰ المسـلمان بسـيفيهما فالقاتل والمقتـول في النـار**»[2]؛ لأن كلا الطائفتين مجتهدة - كما سـبقت الإشـارة إليه - وإن كان الحق مع علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إلا أن المجتهد مأجور غير مأزور علىٰ كلا الحالتين.

وقوله:

١٧٦- «وَاللهُ يَوْمَ الْحَشْرِ يَنْزَعُ كُلَّ مَا تَحْـوِي صُـدُورُهُـمْ مِـنَ الأَضْـغَـانِ»

❁ يشـير بهـذا إلىٰ أن الصحابة أولىٰ بهذه الآية الكريمـة وأحق ممن دونهم ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].

وروي عـن عـلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قـال: أرجو أن أكون، أنا وعثـمان وطلحة والزبير ممن قال الله فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧][3].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: «مناقب الشافعي» للرازي (١/ ٤٤٩)، «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٩٣).

(٢) أخرجه البخاري [٣١]، ومسلم [٢٨٨٨] من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجـه البيهقـي [١٦٤٩١]، والطبراني [١١١]، وأبو نعيم في «الفتن» [١٩٤]، وابن أبي عاصم في «السـنة» [١٢١٥].

حكم الخوارج الذين قتلوا عثمان وكذا قتلة الحسين واعتقاد أهل السنة في مرتكبي الكبيرة

١٧٧- وَالْوَيْلُ لِلرَّكْبِ الَّذِينَ سَعَوْا إِلَىٰ ... عُثْمَانَ فَاجْتَمَعُوا عَلَىٰ الْعِصْيَانِ

١٧٨- وَيْلٌ لِمَنْ قَتَلَ الْحُسَيْنَ فَإِنَّهُ ... قَدْ بَاءَ مِنْ مَوْلَاهُ بِالْخُسْرَانِ

١٧٩- لَسْنَا نُكَفِّرُ مُسْلِمًا بِكَبِيرَةٍ ... فَاللهُ ذُو عَفْوٍ وَذُو غُفْرَانِ

❁ بعد أن ذكر الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فضل الخلفاء الراشدين وخلافتهم وبعض حقوقهم نبه هنا علىٰ خطورة التعدي عليهم وعلىٰ أولياء الله جميعًا، وبخاصة ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه، الذي كانت تستحيي منه الملائكة، والمبشر بالجنة، ومجهز جيش العسرة وغير ذلك من الفضائل الكثيرة والمناقب العظيمة.

وويل كلمة عذاب وتهديد، فذكر أن ذلك الركب متوعد بذلك، نعم! فويل لهم مما كسبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون، حيث اجتمعوا وتألبوا علىٰ أبشع جريمة بعد الشرك بالله وهي قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأية نفس تلك؟ إنها أنفس وأشرف وأطهر نفس بعد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصاحبيه، نفس أمير المؤمنين، وخليفة رسول رب العالمين، الخليفة الراشد، وأحد السابقين الأولين، إلىٰ غير ذلك من مناقبه رضي الله عنه وأرضاه، وأخزىٰ الله ولعن من أبغضه وقلاه.

وإنه لجدير بي هنا أن أنبه إلىٰ أمر جلل رافق استشهاده رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وهو تجمع الغوغائيين والمفتونين والخوارج ورعاع الناس والجهلة وضعاف الإيمان ومن شايعهم من المندسين والمنافقين، حيث اجتمعوا علىٰ الباطل في شكل أول تظاهرة ابتدعت في الإسلام ورددوا كثيرًا من الشائعات التي في عامتها كذب وافتراء وتأويلات باطلة وإلزامات فاسدة، وقد فند عثمان نفسه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كل دعاوىٰ هؤلاء وافتراءاتهم، ولكن

ليقـضي الله أمـرًا كان مفعـولًا، وليتحقق ما أخبر بـه الصادق المصدوق: «**بشـره بالجنة علىٰ بلوىٰ تصيبه**»(١).

المظاهرات والاعتصامات دخيلة على الإسلام والمسلمين

ومـا أشـبه الليلـة بالبارحة! فإنه لابد من لفتـة حول حكم المظاهـرات والغوغائية في الـشرع؛ لأنـه وجد من الجهلة والمتعالمين في هذا العصر من يدعو إليها ويشـيد بها علىٰ أنهـا السـبيل الأنجع للمطالبة بالحقـوق المهضومة كما يزعمون، وأنه لابد منها لتحسـين الأوضاع الاجتماعية وإصلاح الأمور، والواقع أن هذا كله من باب: وداوني بالتي كانت هـي الداء؛ فالتظاهرات والإضرابات والاعتصامات وما يسـمىٰ بالعصيان المدني دخيل علىٰ الإسـلام، بل هو إفسـاد لا إصـلاح؛ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [البَقَرَة: ١١ - ١٢].

والمتأمل في نصوص الشريعة يجد أن هذه الأعمال ليست من دين الله في شيء لوجوه:

الأول- أنه قد جرت أحداث جسـام في عهد رسـول الله ﷺ، مثل استشهاد سمية أم عمار بن ياسر وزوجها ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وتعرض المسلمين لألوان الأذىٰ قبل الهجرة إلىٰ المدينة وإخراجهم من ديارهم بغير حق، فهل أمر النبي ﷺ بالخروج إلىٰ الشـارع أو نحو ذلك؟ بل حاشاه من ذلك ﷺ!

الوجه الثاني: قول النبي ﷺ: «**إياكم والجلوس في الطرقات**»(٢)، فإن كان النهي منصبا علىٰ مجرد الجلوس في الطرقات فكيف إذا كان ما يفعله أولئك سـدا لطرقات المسلمين، مما يعرقل سيرهم ويضيع مصالحهم؟

---

(١) تقدم تخريجه في ص: [٣١٨].

(٢) أخرجه مسلم [٢١٢١] من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الثالث- قوله ﷺ: «**إياكم وهيشات الأسواق**»[١]، أليس هذا التجمهر أشد من هيشات الأسواق المنهي عنها فتنة وأعظم ضررًا؟

الرابع- ما يفضي إليه ذلك من مفاسد عظيمة من أشنعها الاختلاط عند التزاحم مما قد يؤدي إلىٰ انتهاك الأعراض، وما ينتج عن ذلك أيضا من تدمير وتخريب وإضاعة للممتلكات العامة والخاصة.

الخامس- أن تلك الأفعال دخيلة علىٰ المجتمع المسلم كما تقدم، فهي مستوردة من اليهود والنصارىٰ، بل إنها من مبادئ الماسونية الصهيونية التي دعا إليها الصهاينة في مخططاتهم الشريرة المشتهرة بـ«بروتوكولات حكماء صهيون» بقصد إفساد العلاقة بين الراعي والرعية في بلاد المسلمين.

السادس- أن هذه الغوغائية والفوضىٰ لا يستفيد منها إلا أعداء الإسلام وأعداء السنة؛ لذا فإن الذين يقفون وراءها ست فئات: الكفار علىٰ اختلاف مللهم، والرافضة، والخوارج، والليبراليون، وطلاب الحكم والكراسي، والمصطادون في الماء العكر من الرعاع وطغام الناس الذين يهرفون بما لا يعرفون، أتباع كل ناعق وغيرهم من شذاذ الآفاق.

فجدير بالمسلمين أن ينأوا بأنفسهم عن الوقوع في هذه الأوحال، وأن لا يكونوا إمعاوات «**لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا**»[٢]، بل عليهم سلوك

---

(١) أخرجه مسلم [٤٣٢] من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. **وهيشات الأسواق**: بفتح الهاء وإسكان الياء وبالشين المعجمة، أي: اختلاطها والمنازعة والخصومات وارتفاع الأصوات واللغط والفتن التي فيها.

(٢) أخرجه الترمذي [٢٠٠٧]، والبزار [٢٨٠٢] من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: حسن غريب. وصح وقفه علىٰ ابن مسعود كما قال الألباني في «المشكاة» [٥١٢٩]. =

منهج السلف الصالح في الإصلاح. قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها»(١).

وإني لا أعجب ممن يفتري علىٰ عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وغيره من أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الرافضة وأشباههم، وإنما العجب كل العجب أن يعمد أناس محسوبون علىٰ أهل السنة من بعض الكتاب المعاصرين الذين وصفوا عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بالمحاباة والظلم وأن خلافته فجوة بين خلافتين، وأن الثورة عليه تمثل روح الإسلام، تولىٰ كبر أولئك صاحب كتاب «العدالة الاجتماعية» و«كتب وشخصيات» بل إن هذا الكاتب ومن علىٰ شاكلته لم يسلم منهم حتىٰ الأنبياء، فقد قال بناء علىٰ فهمه السقيم عند قول الله تَعَالَىٰ في تفسيره المسمىٰ في ظلال القرآن والذي فيه كل شيء إلا التفسير، بل إن فيه تعطيل صفات الله تَعَالَىٰ والقول بوحدة الوجود وتكفير المسلمين بدون استثناء والنيل من الأنبياء ونحو ذلك مما شحنه به من الغثاء والأباطيل، من ذلك فهمه؛ لقول الله تَعَالَىٰ: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾: إن موسىٰ عصبي المزاج.

وقوله:

١٧٨- «وَيْلٌ لِمَنْ قَتَلَ الْحُسَيْنَ فَإِنَّهُ قَدْ بَاءَ مِنْ مَوْلَاهُ بِالْخُسْرَانِ»

❁ الويل كل الويل لمن قتل سبط رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وريحانته من الدنيا، الحسين بن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، ولد فاطمة الزهراء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، عندما استدرجه

والإمعة: هو الذي لا رأيٰ له ولا عزم.

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» [٣]، ونقله عن القاضي عياض في «الشفاء» (٢/ ٨٧)، وقال ابن تيمية في «مجموع الفتاوىٰ» (١/ ٣٥٣) الثابت المنقول عنه - يعني: مالك - بأسانيد الثقات من كتب أصحابه.

البغـاة إلىٰ العـراق ثـم تخلوا عنـه وخذلـوه وتركوه يقتـل، قاتلهم الله! - فـرضي الله عنه وأرضاه وأخزىٰ قتلته ومن عاداه-.

وقوله:

١٧٩- «لَسْنَا نُكَفِّرُ مُسْلِمًا بِكَبِيرَةٍ فَـالله ذُو عَـفْـوٍ وَذُو غُـفْـرَانِ»

❁ بين فيه الناظم مذهب السلف، وهو عدم تكفير مرتكبي الكبيرة غير المستحلّ، وقد تقدم تفصيل ذلك عند قول الناظم:

«ودخـول بعـض المسلمين جهنّما بـكـبـائـر الآثـام والـطـغـيـان»

❁ مما يغني عن إعادته هنا.





التواريخ وأهميتها وما يقبل منها ويرد

١٨٠- لا تَقْبَلَنَّ مِنَ التَّوَارِخِ كُلَّ مَا   جَمَعَ الرُّوَاةُ وَخَطَّ كُلُّ بَنَانِ

❁ يحذر رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الاعتماد علىٰ الروايات التاريخية المجردة؛ لأن فيها الغثّ والسمين، والصدق والكذب، ولاسيما تاريخي المسعودي واليعقوبي الرافضيين، وكذا ما يوجد في بعض كتب الأدب من الحكايات والأغاليط والقصص الذي لا أصل له كما في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني الرافضي، وخاصة فيما يتعلق بما جرىٰ بين الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، واستغلال تلك الأحداث للقدح فيهم والنيل منهم، ومثل ذلك ما وجد من بعض التشويه والتشويش علىٰ عصر دولتي بني أمية وبني العباس؛ ولهذا قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ثلاث لا أصل لها وعدّ منها التاريخ، إشارة منه إلىٰ ما انطوت عليه تلك الروايات من مغالطات وكذب وتلبيس.

ومن أمثل كتب التاريخ: تاريخ الأمم والملوك والأمراء والسلاطين لابن جرير الطبري، والبداية والنهاية لابن كثير، وتاريخ الإسلام للذهبي.

والمسلم يستفيد من كتب التاريخ بعد أن يتحصّن ويتسلح بفهم العقيدة الصحيحة والعلم الشرعي المبني علىٰ هدي الكتاب والسنة حتىٰ يميز الخبيث من الطيب؛ وقد أنشدوا في فضل تعلّم علم التاريخ قول الشاعر:

ومن جمع التاريخ إلىٰ صدره   أضاف أعمارا إلىٰ عمره

وقول الآخر:

إذا علم الإنسان أخبار من مضىٰ   توهمته قد عاش أول دهر

قد عاش كل دهر من كان عالما   حليما كريما فاغتنم أطول الدهر

❁❁❁

فضل الحديث وأهله والتنويه بفضل بعضهم

١٨١- ارْوِ الْحَدِيثَ الْمُنْتَقَىٰ عَنْ أَهْلِهِ	سِيمَا ذَوِي الْأَحْلَامِ وَالْأَسْنَانِ
١٨٢- كَابْنِ الْمُسَيِّبِ وَالْعَلَاءِ وَمَالِكٍ	وَاللَّيْثِ وَالزُّهْرِيِّ أَوْ سُفْيَانِ
١٨٣- وَاحْفَظْ رِوَايَةَ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ	فَمَكَانُهُ فِيهَا أَجَلُّ مَكَانِ

❁ بعد استعراض الناظم سير الصحابة - وعلىٰ رأسهم الخلفاء الراشدون - وحثه علىٰ أداء المفروضات واجتناب المنهيات والحرص علىٰ التطوعات، نبه إلىٰ أمر يعتبر أهم المهمات بعد كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، ألا وهو الحديث النبوي الشريف. والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الذي تكفل بحفظ هذا الدين كما قال الله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، ولا شك أن ذلك يشمل حفظ الكتاب والسنة اللذين هما وحي من الله عَزَّوَجَلَّ، «**ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه**»[(١)].

فالقرآن نقل إلينا بالتواتر، بلفظه الذي أنزل علىٰ نبينا محمد صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والسنة قد يكون شيء منها حفظ بالمعنىٰ، ولكنها حفظت كاملة، قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «السنة لا يحيط بها رجل من الأمة، ولا تخفىٰ علىٰ مجموعها» ولله الحمد والمنة.

ولا أدل علىٰ حفظ الله لها من تهيئته الطريقة التي تحفظ بها، ألا وهي علم الإسناد، والعلم بأحوال الرجال حفظًا وضبطًا، جرحًا وتعديلًا، إتقانًا وتوثيقًا.

قال الإمام عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ كما أورده مسلم في مقدمة صحيحه: «الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء»[(٢)]، وفعلا لقد قال من شاء ما شاء، ولكن الله قد حفظ لنا الدين بعلم الإسناد. وما من دين قبل الإسلام إلا وقد دخله

(١) تقدم تخريجه في ص: [٥٩].

(٢) انظر: «مقدمة صحيح مسلم» (١/ ١٥).

التحريف والتبديل إلا الإسلام، فقد تكفل الله بحفظه إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ومن هنا حث الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ العناية بالحديث رواية ودراية؛ رواية أي: حفظا وسبرا لتلك الأسانيد وعناية بها، ومعرفة صحيحها من سقيمها، ودراية: أي فقها؛ لذا فإن الواجب علىٰ المسلمين العناية بها رواية ودراية، وهذا ما عني به السلف من عهد الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ولكنه لم يظهر علما قائما إلا في نهاية القرن الثاني، وإن كانت الملاحظات ونقد الرواة موجودا قبل ذلك.

فقال: عليك أن تُعنىٰ بروايات الأثبات الثقات، ذوي الديانة والأمانة، والحفظ والرشاد والسداد، الذين يجعلون نصب أعينهم - إذا أرادوا أن يرووا حديثا - قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«نضر الله امرأً سمع منا شيئًا فبلغه كما سمعه؛ فرب مبلغ أوعىٰ من سامع»**(١)، وقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«من كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»**(٢).

فهم بحق كما قال الشاعر:

كانوا جَمالا في الحياة وهم ... بعد الممات جَمال الكتب والسِير

وذكر منهم:

❁ سعيد بن المسيب بن حزن القرشي المخزومي، الإمام العلم، عالم أهل المدينة، مات بعد التسعين وقد ناهز الثمانين.

❁ العلاء بن المسيب بن رافع الكاهلي ويقال التغلبي الكوفي ثقة ربما وهم.

---

(١) تقدم تخريجه في ص: [٨٣].

(٢) أخرجه البخاري [١١٠]، ومسلم [٣] من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

....

❁ مالك بــن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو الأصبحـي، إمام دار الهجرة (ت: ١٧٩هـ).

❁ الليث بن سـعد بن عبد الرحمن الفهمي أبو الحارث المـصري ثقة ثبت فقيه إمام مشهور مات سنة خمس وسبعين ومائة.

❁ محمد بن مسلم بن عبيدالله بن عبد الله بن شهاب أبو بكر القرشي الزهري المدني نزيل الشام. الإمام العلم، حافظ زمانه.

❁ سـفيان بن عيينة بن أبي عمـران الهلالي، أبو محمد الكوفي، ثـم المكي. ثقة حافظ فقيه إمام حجة. (ت: ١٩٨هـ).

❁ سـفيان بن سـعيد بن مسروق الثوري الكوفي. ثقة حافـظ فقيه عابد إمام حجة. (ت: ١٦١هـ).

❁ جعفر بـن محمد بـن علي بن الحسـين بن علي بـن أبي طالب الهاشـمي، المعروف بالصادق. صدوق فقيه إمام. (ت: ١٤٨هـ).



أهل السنة يعرفون لأهل البيت حقهم، ومنهجهم في ذلك المنهج الوسط

١٨٤- وَاحْفَظْ لِأَهْلِ الْبَيْتِ وَاجِبَ حَقِّهِمْ	وَاعْــــرِفْ عَـلِـيًّـا أَيَّمَــا عِـرْفَــانِ
١٨٥- لَا تَـنْـتَـقِـصْـهُ وَلَا تَـزِدْ فِي قَـدْرِهِ	فَـعَـلَـيْـهِ تَصْلَىٰ الـنَّـارَ طَـائِـفَـتَـانِ
١٨٦- إِحْـدَاهُـمَـا لَا تَـرْتَـضِـيـهِ خَـلِـيـفَـةً	وَتَــنُــصُّــهُ الْأُخْــــرَىٰ إِلَهًــا ثَــانِـي

❁ في هـذه الأبيـات عود من الناظـم إلىٰ العناية والتنبيه علىٰ وجوب حفظ حقوق أهل البيت، وعلىٰ رأسهم أمير المؤمنين، الخليفة الراشد، علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والناس فيه طرفان ووسط: توسط أهل السنة فأعطوه حقه الذي حباه الله وترضوا عنه، وتقربوا إلىٰ الله بحبه، حيث قال فيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لأعطين الراية رجلًا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قال فتطاولنا لها فقال ادعوا لي عليا فأتي به ارمد فبصق في عينه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه**»[1]، والطرفان هما الجفاة والغلاة؛ أما الجفاة فهم الخوارج الذين لم يرتضوه خليفة، بل كفروه حتىٰ آل بهم الأمر إلىٰ قتله، وغلا فيه آخرون، وهم الروافض وخاصة السبئية منهم الذين أعطوه منزلة الألوهية وزعموا أنّ الله تَعَالَىٰ حلّ فيه، وقالوا: أنت هو، قال: من هو؟ قالوا: الله، فسجنهم، فلما أصروا علىٰ زندقتهم وإلحادهم أمر بإحراقهم، وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لما رأيت الأمر أمرا منكرا	**أججت ناري ودعوت قنبرا**



(١) أخرجه مسلم [٢٤٠٤] من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

تقرير الناظم لمذهب السلف في الرافضة، والتحذير من سلوك منهجهم المشين ووجوب محبة الصحابة

١٨٧- وَالْعَنْ زَنَادِقَةَ الْجَهَالَةِ إِنَّهُمْ ... أَعْنَاقُهُمْ غُلَّتْ إِلَىٰ الأَذْقَانِ

١٨٨- جَحَدُوا الشَّرَائِعَ وَالنُّبُوَّةَ وَاقْتَدَوْا ... بِفَسَادِ مِلَّةِ صَاحِبِ الإِيوَانِ

١٨٩- لَا تَرْكَنَنَّ إِلَىٰ الرَّوَافِضِ إِنَّهُمْ ... شَتَمُوا الصَّحَابَةَ دُونَ مَا بُرْهَانِ

١٩٠- لَعَنُوا كَمَا بَغَضُوا صَحَابَةَ أَحْمَدٍ ... وَوِدَادُهُمْ فَرْضٌ عَلَىٰ الإِنْسَانِ

١٩١- حُبُّ الصَّحَابَةِ وَالْقَرَابَةِ سُنَّةٌ ... أَلْقَىٰ بِهَا رَبِّي إِذَا أَحْيَانِي

❁ يحذر الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الأبيات من مذهب الروافض والغلاة والزنادقة، هم الملاحدة الذين مرقوا من الدين من أمثال الدهريين الذين يجحدون وجود الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ومن شابههم في هذا العصر من الشيوعيين والاشتراكيين والماديين. وهنا يخص غلاة الرافضة ومن علىٰ شاكلتهم من فرق الباطنية علىٰ اختلاف مذاهبهم ومشاربهم، فإن الدين عندهم له ظاهر وباطن؛ ظاهر يخاطب به العوام - والعوام عندهم هم علماء السنة - وباطن لا يعلمه - علىٰ حد زعمهم إلا الخواص، وهم عندهم من بلغوا عندنا درجة الكفر والإلحاد واستحلال المحرمات. ويشبه الباطنيين في هذه الزندقة غلاة المتصوفة الذين اعتقدوا سقوط التكاليف الشرعية، وأن العبادة لا تجب علىٰ كل الناس، وإنما تجب عليهم حتىٰ يأتيهم اليقين وهو عندهم المعرفة، ثم لهم أن يتخلوا عنها. ويستدلون زورا وبهتانا بقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]، ومعلوم معنىٰ هذه الآية عند أهل السنة والجماعة، وأن المقصود بها أن تداوم علىٰ العبادة قولًا وعملًا واعتقادًا حتىٰ يأتيك الموت، وليس المراد بذلك درجة معينة يبلغها أحدٌ من الناس كما يدعون.

ويسمون علماء أهل السنة علماء الرسوم وعلماءهم علماء الفهوم، وهم في الحقيقة علماء زندقة ومجون.

يقول قائلهم:

إذا خاطبوني بعلم الورق ... برزت عليهم بعلم الخرق(١)

المقصود بعلم الخرق: هي تلك التي يخلعها الشيطان أو شيخ الطريقة علىٰ مريديه أو علىٰ الماردين من أتباعه.

يقول: إذا بارزونا بعلم قال الله قال رسوله بارزناهم بعلم خرق الصوفية الغالية، التي يفقد أحدهم معها وعيه وعقله.

يقول البسطامي من أئمتهم ناعيًا علىٰ علماء الشريعة ومفاخرًا لهم: «أخذتم علمكم ميتًا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت؛ يقول أمثالنا: حدثني قلبي عن ربي، وأنتم تقولون: حدثني فلان وأين هو؟ قولوا: مات، عن فلان وأين هو؟ قالوا: مات»، تعالىٰ الله عما يقول الملحدون علوًّا كبيرًا.

ومعنىٰ هذا دعوىٰ تنزل الوحي بعد رسول الله ﷺ، ولا شك في كفر من هذا اعتقاده، إذ لا ينزل الوحي بعده عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وما أحسن ما أورده ابن القيم في كتابه إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان فيهم:

أَلا قُل لهم قَوْلَ عبد نَّصُوحِ ... وحقُّ النصيحة أن تُستَمَعْ
متىٰ علم النَّاسُ في شرعنا ... بأَنَّ الغِنا سُنّةٌ تُتَّبعْ؟
وَأَنْ يَأْكُلَ المَرْءُ أَكلَ الحمار ... وَيَرْقُصَ في الجَمْع حتَّىٰ يَقَعْ

(١) «تلبيس إبليس»، ص: [٢٨٤].

وَلَوْ كَانَ طاوي الحَشَا جائعًا — لما دار من طَرَبٍ واسْتَمعْ
وقَالوا سَكِرْنا بحبّ الإلهِ — وَمَا أسْكَرَ القَوْمَ إلا القِصَع
كذاك الحميرُ إذا أخصْبتْ — يُنَقِّزها ريّها وَالشِبَعْ
ويُسكره الناي ثم الغنا — وياسين لو تليت ما انصدع
تهان مساجدنا بالغناء — وتكرم عن مثل ذاك البيع[1]

١٨٩- لَا تَرْكَنَنَّ إلىٰ الرَّوَافِضِ إنَّهُمْ — شَتَمُوا الصَّحَابَةَ دُونَ مَا بُرْهَانِ

ثم حذر أيضًا من مسلك الروافض مبغضي الصحابة، فإنهم لا يقلّون خطورة عن الباطنية وغلاة الصوفية، وقد تقدم ذكر بعض أوصافهم، حيث إنهم زعموا حب النبي ﷺ وحب علي وآل بيته، وخونوا أصحابه.

فهم - كما قال الناظم - شر من وطئ الحصىٰ، وكيف لا يكونون شر من وطئ الحصىٰ وقد كفروا أصحاب رسول الله ﷺ؟ الذين قام بهم القرآن وبه قاموا، وبهم نطق القرآن وبه نطقوا، الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض - فرضي الله عنهم أجمعين وأرضاهم -.

قال أحد السلف: «يمتحن الناس بحب الصحابة؛ فمن أحبهم جميعًا فهو سني تقي، ومن أبغضهم أو أبغض بعضهم فهو رافضي شقي أو مقلد للرافضة من بعض الكتاب والمتعالمين الذي قلدوهم وإن لم ينتسبوا إليهم.

ومن المعلوم من دين الإسلام بالضرورة تحريم سب صحابة رسول الله ﷺ، وعندما يطلق لفظ الصحابة يدخل في ذلك الصحابة من آل بيت النبوة، وكيف لا تكون

---

(١) «إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان» (١/ ٢٣١).

حرمة سبهم معلومة بالضرورة من دين الإسلام وقد حرمها القرآن والسنة وقام عليها الإجماع، ودل علىٰ تحريمها العقل السليم، والفطرة المستقيمة، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب:٥٧-٥٨].

فساب الصحابة مؤذ لله ولرسوله وللمؤمنين؛ لأنه خالف أمر الله وارتكب نهيه، فأما وجه مخالفته لأمر الله فقد أمر الله نبيه بقوله: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [آل عمران:١٥٩]؛ قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أمروا أن يستغفروا لأصحاب رسول الله فسبوهم»[(١)].

فالطاعن فيهم مخالف لأمر الله ورسوله بالإحسان إليهم والاستغفار لهم، ومخالفة الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الأمر العظيم تدخل في قوله تَعَالَىٰ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

وأما ارتكاب ما نهىٰ الله عنه ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد روىٰ الشيخان من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه**»[(٢)]، وفي لفظ لمسلم: «**لا تسبوا أحدًا من أصحابي...**» **فلفظ**: «**لا تسبوا أصحابي**» أفاد العموم، **ولفظ**: «**لا تسبوا أحدًا من أصحابي**» بين العموم، فكل من ثبتت صحبته فقد عظمت حرمته وارتفعت منزلته وعلت مكانته؛ لأن شرف الصحبة لا يدرك بأي عمل صالح مهما كان.

(١) أخرجه مسلم [٣٠٢٢].

(٢) أخرجه البخاري [٣٦٧٣]، ومسلم [٢٥٤١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسير قوله تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾: «**ومن أكثر من يدخل في هذا الوعيد**: من كفر بالله ورسوله، ثم الرافضة الذين يتنقصون الصحابة، ويعيبونهم بما قد برأهم الله منه ويصفونهم بنقيض ما أخبر الله عنهم»[(١)]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ [الفَتْح: ٢٩].

قال ابن كثير أيضًا: «ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رواية عنه بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة، قال: لأنهم يغيظونهم، ومن غاظ الصحابة فهو كافر لهذه الآية، ووافقه طائفة من العلماء علىٰ ذلك. والأحاديث في فضائل الصحابة والنهي عن التعرض لهم بمساءة كثيرة، ويكفيهم ثناء الله عليهم ورضاه عنهم»[(٢)].

وقال الإمام النووي في «**شرح مسلم**»: «واعلم أن سب الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ حرام من فواحش المحرمات سواء من لابس الفتن منهم وغيره لأنهم مجتهدون في تلك الحروب متأولون»[(٣)].

وقال الشوكاني مخاطبًا من يسب الصحابة: «فيا من أفسد دينه بذم خير القدوة! اقتديت بالكتاب العزيز كذلك في هذه الدعوىٰ؟ من كان له في معرفة القرآن أدنىٰ تبريز،

(١) «تفسير ابن كثير» (١١/ ٢٤١).
(٢) «تفسير ابن كثير» (١٢/ ١٣٥).
(٣) «شرح مسلم» (١٦/ ٩٣).

فإنه مصرح بأن الله جَلَّجَلَالُهُ قد رضي عنهم، ومشحون بمناقبهم ومحاسن أفعالهم ومرشد إلىٰ الدعاء لهم.

وإن قلت: اقتديت بسنة رسول الله المطهرة قام في وجه دعواك الباطلة العاطلة ما في كتب السنة الصحيحة من مؤلفات أهل البيت وغيرهم من النصوص المصرحة بالنهي عن سبهم وعن أذية رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بذلك وأنهم خير القرون وأنهم من أهل الجنة وأن رسول الله مات وهو راض عنهم، وما في طي تلك الدفاتر الحديثية من ذكر مناقبهم الجمة كجهادهم بين يدي رسول الله، وبيعهم نفوسهم وأموالهم من الله ومفارقتهم للأهل والأوطان والأحباب والأخدان طلبا للدين وفرارا من مساكنة الجاحدين، وكم يعد العاد من هذه المناقب التي لا يتسع لها إلا سجلات، ومن نظر في كتب السير والحديث عرف من ذلك ما لا يحيط به الحصر، وإن قلت أيها الساب لخيرة هذه الأمة من الأصحاب: إنك اقتديت بأئمة أهل البيت في هذه القضية الفظيعة فقد حكينا لك في هذه الرسالة إجماعهم علىٰ خلاف ما أنت عليه من تلك الطرق. وإن قلت: إنك اقتديت بعلماء الحديث أو علماء المذاهب الأربعة أو سائر المذاهب فلتأتنا بواحد يقول بمثل مقالتك، فهذه كتبهم قد ملأت الأرض وأتباعهم علىٰ ظهر البسيطة أحياء، وقد اتفقت كلمة متقدميهم ومتأخريهم علىٰ أن من سب الصحابة مبتدع، وذهب بعضهم إلىٰ فسقه، وبعضهم إلىٰ كفره كما حكىٰ ذلك جماعة من علمائهم منهم ابن حجر الهيتمي فإنه ذكر في كتابه المعروف بـ«الصواعق المحرقة» أن كثيرًا من الأئمة كفَّروا من سب الصحابة، وإن قلت أيها الساب إنك اقتديت بفرقة من غلاة الإمامية فنقول: صدقت

فإن فيهم فرقة مخذولة تصرح بسب أكابر الصحابة، وقد أجمع علىٰ تضليلهم جميع علماء الإسلام من أهل البيت وغيرهم)[١].

وقال علي القاري: «وأما من سب أحدا من الصحابة فهو فاسق ومبتدع بالإجماع، إلا إذا اعتقد انه مباح، كما عليه بعض الشيعة وأصحابهم، أو يترتب عليه ثواب كما هو دأب كلامهم، أو اعتقد كفر الصحابة وأهل السنة في فصل خطابهم؛ فانه كافر بالإجماع».

فيجب أن يكون موقفنا تجاه الصحابة الترضي عنهم واعتقاد عدالتهم، وأنهم خير هذه الأمة بعد نبيها عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ونكف عما شجر بينهم ولا نعبأ بنعيق الروافض والباطنية ومن نهج نهجهم من الملاحدة المارقين.



(١) «إرشاد الغبي إلىٰ مذهب آل البيت في صحب النبي»، ص: [٦٥].

منهج أهل السنة في الرجاء والخوف

١٩٢- احْـذَرْ عِقَـابَ اللهِ وَارْجُ ثَوَابَهُ   حَـتَّـىٰ تَـكُـونَ كَـمَـنْ لَـهُ قَـلْـبَـانِ

❁ يشير هنا إلىٰ التحذير من نحلة خطيرة ومعتقد فاسد، يرددها بعض الجهلة تقليدًا لبعض المتصوفة. وينسبونها إلىٰ رابعة العدوية، وهي قولهم: إنا لا نعبد الله طمعًا في ثوابه، ولا خوفًا من عقابه، وإنما حبًّا له وعشقًا وتتيما فيه. فما زادوا علىٰ أن شبهوا عبادتهم الله بحال العاشق مع معشوقته - تعالىٰ الله عما يقولون علوًّا كبيرًا -.

وفي هذا المعنى يقول شاعرهم:

أبدا تحنُّ إليكم الأرواح   ووصالكم ريحانُه والراح

بالسر إن باحوا تباح دماؤهم   وكذا دماء العاشقين تباح

وقول الآخر:

لقد هتفت في جنح ليل حمامة   علىٰ فَنَن وَهنا وإني لنائم

كذبتُ وبيتُ الله إن كنت عاشقا   لما سبقتني بالبكاء الحمائم

وأزعم أني عاشق ذو صبابة   لربي فلا أبكي وتبكي الحمائم؟

إلىٰ غير ذلك من ترهاتهم وخرافاتهم.

وقد نص أهل العلم علىٰ أنه ينبغي للمسلم أن يكون بين الخوف والرجاء كالطائر بين جناحيه، وأن يغلّب جانب الخوف حال الصحة والفتوة والنشاط حتىٰ لا يأمن من مكر الله، ويغلب جانب الرجاء حال المرض والشعور بدنو الأجل حتىٰ لا ييأس من روح الله، قال رسول الله ﷺ: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن**»(١).

(١) أخرجه مسلم [٢٨٧٧] من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

واقنُت وبين الرَّجا والخوف قم أبدا	تخشىٰ الذنوب وترجو عفو ذي الكَرَم
فالخوف ما أورث التقوىٰ وحثَّ علىٰ	مـرضـاةِ ربـي وهَـجْـرِ الإثـم والأَثِـم
كذا الرَّجا ما علىٰ هذا يُحّث لَتصـ	ديـق بمـوعـود ربّـي بـالجـزا العَظِم
والخوف إن زاد أفضىٰ للقُنوط كما	يُفضِي الـرَّجـاء لأمـن المكر والنِّقَم
فلا تُفـرِّطْ ولا تُفْـرط وكـن وسَطا	ومـثـلَ مـا أمـر الـرحمـن فاستقم
سـدِّد وقـارب وأبشـر واستـعن بغُدُو	وبـالــرواح وأدلج قـاصـدا ودُم

أليس الله يقـول في كتابه في وصف المؤمنين الخلص: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٦ - ١٧]؟ ويقـول تعالىٰ: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ [الزمر: ٩]، ويقـول سُبْحَانَهُ: ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ [الإسراء: ٥٧]، ويقول عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٦].

فلذلك يقول العلماء: «أركان العبادة القلبية ثلاثة: الحب والرجاء والخوف»؛ فمن عبـد الله بالرجـاء وحده فهو مرجئ ومـن عبد الله بالخوف وحده فهو حـروري خارجي، ومن عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبد الله بالخوف والرجاء والحب فهو المسلم الموحد[١].



(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (١٠/ ٨١).

الإيمان عند أهل السنة والجماعة

١٩٣- إِيمَانُنَا بِاللهِ بَيْنَ ثَلَاثَةٍ عَمَلٍ وَقَوْلٍ وَاعْتِقَادِ جَنَانِ
١٩٤- وَيَزِيدُ بِالتَّقْوَىٰ وَيَنْقُصُ بِالرَّدَىٰ وَكِلَاهُمَا فِي الْقَلْبِ يَعْتَلِجَانِ

❁ بين الناظم تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة. وأصح ما قيل في تعريف الإيمان لغة أنه الإقرار، فهو يشمل التصديق وزيادة، وهذا ما قرره الراغب في «المفردات» وشيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «الإيمان»، ورد علىٰ الباقلاني في قصره الإيمان علىٰ مجرد التصديق بستة عشر وجها. وأما الإيمان شرعًا عندهم فهو: قول وعمل واعتقاد؛ قول باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالأركان، يزيد بالطاعة، وينقص بالعصيان.

وللسلف تعريف آخر مرادف لهذا التعريف وإن كان أخصر منه، وهو قولهم: إن الإيمان قول وعمل، وهو المنصوص عن أكثر المتقدمين. ولا فرق بين التعريفين؛ إذ أن الذين قالوا: إن الإيمان قول وعمل، يعنون به ما يتضمنه قول القائلين: إن الإيمان قول اللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان؛ لأن القول في التعريف الثاني يشمل قول القلب وقول اللسان، والعمل يشمل عمل القلب وعمل اللسان وعمل الجوارح، وبذلك يتفق التعريفان.

فقول القلب: تصديقه ويقينه، ومن ذلك قول الله تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ بَيَّنَّا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [البَقَرَة: ١١٨]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ [الأَنعَام: ٧٥]، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحُجُرَات: ١٥].

وقول اللسان هو: النطق بالشهادتين وغيرهما من الأذكار مع العلم بالمعنىٰ والعمل بالمقتضىٰ، ظاهرا وباطنا ما استطاع إلىٰ ذلك سبيلًا كما قال الله تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ

....

وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦]، وقال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩].

وأما عمل القلب فهو: الإخلاص والخوف والرجاء والمحبة والانقياد والخشوع والتوكل وما إلىٰ ذلك من أعمال القلوب الكثيرة.

والرابع- أعمال اللسان، وهي ما لا يؤدىٰ من العبادات إلا به كالذكر وتلاوة القرآن والكلمة الطيبة ونحو ذلك..

والخامس- أعمال الجوارح، وهي ما لا يؤدىٰ إلا بالجوارح كالأيدي والأرجل ونحو ذلك كالصلاة والحج والجهاد في سبيل الله وغير ذلك من أعمال الجوارح.

وقوله:

١٩٤- «وَيَزِيدُ بِالتَّقْوَىٰ وَيَنْقُصُ بِالرَّدَىٰ ... وَكِلَاهُمَا فِي الْقَلْبِ يَعْتَلِجَانِ»

❁ تقدم قريبًا أن عقيدة أهل السنة والجماعة في الإيمان أنه قول وعمل واعتقاد، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فزيادته بزيادة أعمال القلوب وأعمال اللسان والجوارح كما ينقص بنقص شيء من ذلك. وأكثر الأدلة الواردة في ذلك في زيادته، وهناك أدلة تدلّ علىٰ النقصان، والقاعدة عند أهل العلم: أن ما قبل الزيادة قبل النقصان باللزوم.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢].

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣].

وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مُلأ عمار إيمانا إلىٰ مشاشه»**(١).

ومن أدلة النقصان قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«من رأىٰ منكم منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»**(٢)، وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير»**(٣)، وفي رواية **«من إيمان»** مكان **«من خير»**.

ومن أراد التوسع في هذا فليرجع إلىٰ كتب السلف، ومنها: كتاب الإيمان لابن أبي شيبة، كتاب الإيمان للقاسم بن سلام أبي عبيد، كتاب الإيمان لابن منده، وكتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية.



(١) أخرجه ابن أبي شيبة [٣٢٩٢١]، وابن ماجه [١٤٧] من حديث علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في «الصحيحة» [٨٠٧].

(٢) أخرجه مسلم [٤٩] من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري [٤٤]، ومسلم [١٩٣] من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وجوب مراقبة الله عَزَّوَجَلَّ

١٩٥- وَإِذَا خَلَوْتَ بِرِيبَةٍ فِي ظُلْمَةٍ	وَالنَّفْسُ دَاعِيَةٌ إِلَىٰ الطُّغْيَانِ
١٩٦- فَاسْتَحْيِ مِنْ نَظَرِ الإِلَٰهِ وَقُلْ لَهَا	إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الظَّلَامَ يَرَانِي

❁ ينبِّه الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذين البيتين علىٰ أهمية مراقبة العبد لربّه وخشيته خشية مَن يَعلم أنه يَعلم السِّر وأخفىٰ، وأنه يعلم حركاته وسكناته، يعلم ما يُسِّر وما يعلن، وما يظهر وما يبطن، إذ أنه سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ لا تخفىٰ عليه خافية في الأرض ولا في السماء، بل يعلم ما توسوس به الصدور، وما يجول في الخواطر والضمائر، يعلم ما في البر والبحر ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، فإذا ما حدثته نفسه بفعل سيئة أو ذنب أو منكر تذكر أن له ربًا يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فأقلع وترك خوفًا وفرَقًا من الله وترك لأنه يعلم أن الله يراه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]. وذلك هو العبد المؤمن المحسن الذي بلغ درجة الإحسان، - والإحسان هو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك -، فإذا بلغ المسلم هذه الدرجة وسوّلت له نفسه فعل منكر أو سوء ولو في أحلك الظلام الذي لا يراه فيه إلا الله وحده، قال لها: ارْعَوِي أيتها النفس، فإن الذي خلق هذا الظلام، الذي تَسْتكِنِّين فيه وتستترين به يراني، ومُطَّلِعٌ عليّ، يعود إلىٰ ربه، ويتذكر الآخرة والجنة والنار والثواب والعقاب ويقلع عن ذلك ويترك رغبةً فيما عند الله وخوفًا منه.

فمراقبة الله عَزَّوَجَلَّ من أعظم ما يُقرب إلىٰ الله سُبْحَانَهُۥ، وهذا هو دأب المسلم الذي يعيش في الدنيا للآخرة، الذي يراقب ربه مستعدًا للرحيل في أيّة لحظة، كما أرشد النبي

ﷺ إلىٰ ذلـك بقولـه: «**فصـلِّ صلاة مـودع**»[(١)]، وقـال: «**كـن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سـبيل**»[(٢)]، وكما كان ابن عمر يقول: «إذا أمسـيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء»[(٣)].

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه أحمد [٢٣٤٩٨]، والطبراني في «الكبير» [٣٩٨٧] من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، قـال: جـاء رجـل إلىٰ النبـي ﷺ فقـال: عظني وأوجـز، فقال: فذكـره. وصححـه الألباني في «الصحيحة» [٤٠١].

(٢) أخرجه البخاري [٦٤١٦] من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البخاري [٦٤١٦] من حديث بن عمر رضي الله عنهما.



أهمية العلم النافع وأنه سبيل الهدى والفلاح

١٩٧- كُنْ طَالِبًا لِلْعِلْمِ وَاعْمَلْ صَالِحًا   فَهُمَا إِلَىٰ سُبُلِ الْهُدَىٰ سَبَبَانِ

❁ من أعظم أسباب السعادة والهدىٰ التي توصل المسلم إلىٰ مرضاة ربه أن يكون طالبا للعلم الحق، عاملًا به.

فالعلم أساس العمل، والعمل لابد أن يبنىٰ علىٰ العلم كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [محمد: ١٩]، وقد لحظ الإمام البخاري هذا المعنىٰ فبوب في صحيحه: «باب العلم قبل القول والعمل». وصدره بهذه الآية.

فمن أراد أن يكون عمله صحيحا فليكن مبنيًا علىٰ العلم، وأي عمل لا يكون مبنيًا علىٰ علم نافع، فإن صاحبه عرضة للوقوع في زلات الشهوات والشبهات، إذ لم يؤسس العمل علىٰ العلم النافع؛ والعلم النافع هو ما كان مؤصلا علىٰ الكتاب والسنة؛

كل العلوم سوىٰ القرآن مشغلة   إلا الحديث وإلا الفقه في الدين
العلم ما كان فيه قال حدثنا   وما سوىٰ ذاك وسواس الشياطين

❁ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٩]، قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: **ربانيون، أي**: يعلمون أو يتعلمون صغار العلم قبل كباره، وفي البخاري: **الرباني**: الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره، وهذا هو ما يعرف بالتدرج في العلم.

قال الشاعر:

تعلم صغير العلم حتىٰ   يُرقيك الصغير إلىٰ الكبير

فتعرف بالتفكر في صغير ... كبيرا بعد معرفة الصغير

وقال آخر:

تعلم العلم لوجه الله ... بلا مرآة ولا تباهي
ثم إذا علمت شيئا فاتْبَع ... فالعلم محض الجهل إن لم ينفع

والناس في باب العلم والعمل طرفان ووسط: طرف علم ولم يعمل بعلمه كاليهود ومن شابههم من هذه الأمة، وطرف عبد الله علىٰ جهل كالنصارىٰ ومن شابههم من هذه الأمة، ووسط وهي أمة الإجابة من أهل السنة والجماعة.

قال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ: «من فسد من علمائنا كان فيه شبه من اليهود، ومن فسد من عُبَّادنا كان فيه شبه من النصارىٰ»[(١)].

وقد ذكر الخطيب البغدادي والقاضي عياض في شرح حديث «المسيء صلاته» أن أفعال الجاهل في العبادة علىٰ غير علم لا تجزئ، بل حكىٰ ابن الوزير الإجماع علىٰ ذم العمل بغير علم، لأن الذي يعمل من غير علم قد يقع في مخالفات يظنّها حقًّا وهي باطل؛ فقد يقع في الشرك يظنّه توحيدًا، وفي البدعة يظنها سنة، وفي الباطل يظنه حقًّا؛ لأن العلم فرقان ونور كما قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ.

ومن أعظم ما يحول بينك وبين شعاع هذا النور المعاصي والمنكرات، فإنها تصِمّ وتُعمي عن سلوك درب الهدىٰ.

ومما يذكر عن الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال:

شكوت إلىٰ وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلىٰ ترك المعاصي

(١) انظر: «اقتضاء الصراط المستقيم» لابن تيمية، ص: [١٦٧].

وأخبرني بأن العلم نور ... ونور الله لا يؤتىٰ لعاصي(١)

فالعلم يضيء لك الطريق، ويمهد لك السبيل؛ ولذلك فإن العلم النافع مع العمل الصالح هما سبيل الرشاد، والطريق السوي لمرضات رب العباد.

هذا وقد كثر التنويه بفضل العلم وأهله نظمًا ونثرًا من علماء المسلمين وأدبائهم، قديمًا وحديثًا. فمن ذلك قول ابن عصفور، من أئمة اللغة:

مع العلم فاسلك حيثما سلك العلم ... وعنه فكاشف كل من عنده فهم

ففيه جلاء للقلوب من العمىٰ ... وعون علىٰ الدين الذي أمره حتم

يُعدّ كبير القوم وهو صغيرهم ... وينفذ منه فيهم القول والحكم

فخالط رواة العلم واصحب خيارهم ... فصحبتهم زين وخلطتهم غُنم

فوالله لولا العلم ما اتضح الهدىٰ ... ولا لاح من غيب الأمور لنا رسم

ويقول آخر:

رأيت العلم صاحبه شريف ... وإن ولدته آباء لئام

وليس يزال يرفعه إلىٰ أن ... يُعظم قدرَه القومُ الكرامُ

ويحمل قوله في كل أفق ... ومن يكن عالما فهو الإمام

فلولا العلم ما سعدت نفوس ... ولا عُرف الحلال ولا الحرام

وقال آخر:

والعلم زين وتشريف لصاحبه ... أتت إلينا بذا الأنباء والكتب

والعلم يرفع أقواما بلا حسب ... فكيف من كان ذا علم له حسب

---

(١) «ديوان الإمام الشافعي» لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، ص: [٥٤].

فاطلب بعلمك وجه الله محتسبا ... فما سوى العلم فهو اللهو واللعب

ويقول أحد النظام في نصيحة ظريفة لأبناء المسلمين:

فازدن به فالحِلم زَين الظُّرفا ... والعلم نعم المقتنى والمقتفى
طلبه فريضة وأفرضه ... علمُ مهمّك به ابدأ تقبضه
فقوته الفقه وملحه الذي ... يُصلحه النحوُ جَهولَه انبذِ
وأُسُّه إدامه تحقيقه ... سيرة خير واجبٍ تصديقه
له تغَّربْ وتواضعْ واتبع ... وجُع وهُن واعص هواك واترع
واقصد به وجه الذي أنشاكا ... ولا تمارِ فيه من ناواكا

ويقول الشيخ حافظ الحكمي:

العلم أغلى وأحلى ما له استمعت ... أذن وأعرب عنه ناطق بفم
العلم غايته القصوى ورتبته الـ ... علياء فاسعوا إليه يا أولي الهمم
العلم أشرف مطلوب وطالبه ... لله أكرم من يمشي على قدم
العلم نور مبين يستضيء به ... أهل السعادة والجهال في الظلم
العلم أعلى حياة للعباد كما ... أهل الجهالة أموات بجهلهم
لا سمع لا عقل بل لا يبصرون وفي السـ ... ـعير معترف كل بذنبهم
فالجهل أصل ضلال الخلق قاطبة ... وأصل شقوتهم طرا وظلمهم
والعلم أصل هداهم مع سعادتهم ... فلا يضل ولا يشقى ذوو الحكم
والخوف بالجهل والحزن الطويل به ... وعن أولي العلم منفيان فاعتصم
فقدس العلم واعرف قدر حرمته ... في القول والفعل والآدابَ فالتزم
يا طالب العلم لا تبغ به بدلا ... فقد ظفرت ورب اللوح والقلم

واجهد بعزم قوي لا انثناء له ... لو يعلم المرء قدر العلم لم ينم
والنيةَ اجعل لوجه الله خالصة ... إن البناء بدون الأصل لم يقم
لا تتبع علم النجوم فإنه ... متعلق بزخارف الكهان
علم النجوم وعلم شرع محمد ... في قلب عبد ليس يجتمعان
لو كان علم للكواكب أو قضا ... لم يهبط المريخ في السرطان
والشمس في الحمل المضيء سريعة ... وهبوطها في كوكب الميزان
والشمس محرقة لستة أنجم ... لكنها والبدر ينخسفان
ولربما اسودا وغاب ضياهما ... وهما لخوف الله يرتعدان
أردد علىٰ من يطمئن إليهما ... ويظن أن كليهما ريان
يا من يحب المشتري وعطاردا ... ويظن أنهما له سعدان
لم يهبطان ويعلوان تشرفا ... ويوهج حر الشمس يحترقان
أتخاف من زحل وترجو المشتري ... وكلاهما عبدان مملوكان
والله لو ملكا حياة أو فنا ... لسجدت نحوهما ليصطنعان
وليفسحا في مدتي ويوسعا ... رزقي وبالإحسان يكتنفاني
بل كل ذلك في يد الله الذي ... ذلت لعزة وجهه الثقلان
فقد استوىٰ زحل ونجم المشتري ... والرأس والذنب[1] العظيم الشان
والزهرة الغراء مع مريخها ... وعطارد الوقاد مع كيوان[2]
إن قابلت وتربعت وتثلثت ... وتسدست وتلاحقت بقران

(١) يعدها المنجمون من سهام الكواكب السبعة، ويطلقون علىٰ الأول سهم القمر، وعلىٰ الثاني سهم الشمس. انظر: «التفهيم»، ص: [٢٨٣].
(٢) زعموا أنها من الأفلاك الكلية التسعة. وقيل هو زُحَلُ. انظر: «لسان العرب» (١٣/ ٣٦٣).

ألهـا دليـل سـعـادة و شـقـوة ... لا والـذي بـرأ الـورىٰ وبـراني
مـن قـال بـالـتـأثير فـهـو معطل ... لـلـشـرع مـتـبـع لـقـول ثـان
إن الـنـجـوم عـلـىٰ ثـلاثـة أوجـه ... فـاسمع مقال الناقد الدهقان[1]
بعض الـنـجـوم خلقن زيـنـة للسما ... كـالـدر فـوق ترائـب الـنـسـوان
وكواكب تهدي المسافر في السرىٰ ... ورجـوم كـل مـثـابـر شـيـطـان
لا يعلم الإنـسـان مـا يقضىٰ غدا ... إذ كـل يـوم ربـنـا في شـان
والله يمطرنا الغيوث بفضله ... لا نـوء عـواء[2] ولا دبـران[3]
من قال إن الغيث جاء بهنعة[4] ... أو صـرفـة[5] أو كـوكـب المـيـزان
فقد افـترىٰ إثـمـا وبـهـتـانـا ولم ... يـنـزل بـه الـرحمـن مـن سلطان

هذه الأبيات تتعلق بموضوع واحد، فكلها تتعلق بالتحذير من عبادة النجوم والكواكب، ونفي أن يكون لها أيّ تأثير في الكون، لا من قريب ولا من بعيد، فهي - كما ذكر الناظم - لا تنفع ولا تضر، ولا تسعد ولا تُنحس، ولا تقدم ولا تؤخر، ولا تسعد ولا تشقي، ولا تُفرح ولا تحزن، ولا ترفع أو تخفض، ولا تطلع أو تسقط لموت زيد أو حياة عَمرو، ولا لولادة عظيم أو موته.

وأصل عبادة الكواكب بدأ من الصابئة الكلدانيين الذين أرسل الله إليهم خليله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ ويقال: إنهم نُسبوا إلىٰ رجل يقال له صابئ بن متوشلح بن يشجب بن

(١) القويّ علىٰ التصرف. انظر: «لسان العرب» (٢/ ١٤٤٣).
(٢) جعلها بعضهم أربعة كواكب. انظر: «المخصص» لابن سيده (٢/ ٣٦٧).
(٣) نجم، قيل: سمي بذلك لأنه يدبر الثريا. انظر: «الفروق اللغوية»، ص: [٢٥١].
(٤) كوكبان بينهما قيد سوط رأي العين علىٰ إثر الهقعة. انظر: «المخصص» (٢/ ٣٦٧).
(٥) كوكب واحد نير علىٰ إثر الزبرة، سمي صرفة لانصراف الحر عند طلوعه غدوة، وانصراف البرد عند سقوطه غدوة. انظر: «المخصص» لابن سيده (٢/ ٣٦٧).

يعرب بن قحطان. والذي يهمنا أن نعرف أن الصابئة في الأصل عباد النجوم والكواكب، وكانت العرب في الجاهلية تطلق كلمة «الصابئ» علىٰ كل من غيّر دينه، سواء كان غيّره إلىٰ حقّ أو إلىٰ باطل.

وخلق الله النجوم لثلاثة أمور: - قال قتادة بن دعامة السدوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «خلق الله هذه النجوم لثلاث: رجومًا للشياطين، وزينة للسماء، وعلامات يهتدىٰ بها، فمن تأول فيها غير هذا فقد أخطأ حظه وأضاع نصيبه وتكلف ما لا يعنيه وما لا علم له به وما عجز عن علمه الأنبياء والملائكة صلوات الله عليهم أجمعين»[1]

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴾ [النحل: ١٦]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ﴾ [الملك: ٥]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ٦ وَحِفۡظًا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ ٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٖ ٨ دُحُورًاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ وَاصِبٌ ﴾ [الصافات: ٦ - ٩]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظًاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾ [فصلت: ١٢].

فهذا هو الغرض والحكمة من خلق النجوم: زينة للسماء ورجوما للشياطين، وعلامات يهتدىٰ بها في البر والبحر للدلالة علىٰ الطريق ومعرفة منازل القمر ومواقع النجوم، وعلامات للصلوات والقبلة، وبها تعرف أوقات الزراعة والحصاد، وما إلىٰ ذلك من معرفة مواسم الحر والبرد، ودخول فصول السنة، وفهم الظواهر الكونية ونحو ذلك.

---

(١) رواه البخاري تعليقًا انظر: «صحيح البخاري» مع «الفتح» (٦/ ٢١١).

وقول الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا تتبع علم النجوم فإنه... متعلق بزخارف الكهان» إلخ فيه تفصيل؛ فعلم النجوم علىٰ قسمين: علم التسيير وعلم التأثير، فعلم التسيير جائز، وتعلمه مباح، وعلم التأثير محرم كما سيأتي بيانه.

علم التسيير هو أن يتعلم المسلم علم الفلك وما يتعلق بالظواهر الجوية ونحو ذلك مما يتعلق بالنجوم ومواقعها وما إلىٰ ذلك مما سبقت الإشارة إليه قريبًا من فوائد خلق النجوم.

ويجب التنبيه علىٰ أن علم التسيير ينظر إليه علىٰ أنه يدخل في باب الأسباب التي يشرع الاستفادة منها مع عدم الاعتماد عليها.

وعقيدة أهل السنة والجماعة في الأسباب أن الله عَزَّوَجَلَّ هو خالق الأسباب والمسببات، وليس السبب مستقلا في إيجاد المسبب، وليست الأشياء موجودة بدون سبب، لكن خالق السبب والمسبب هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وحده. فهذا هو الذي يجب اعتقاده خلافا لمن ألغىٰ الأسباب كالجبرية ومن نهج نهجهم من الأشاعرة والماتريدية، أو اعتمد علىٰ الأسباب وحدها كشأن المعتزلة والقدرية الذين يقولون: إن العبد هو خالق فعله. وأهل السنة وسط في هذا الباب بين الجبرية الذين يفقدون الأشياء أسبابها ولا يرتبون المسببات علىٰ أسبابها، ويلغون الحكمة والسبب، والغرض والغاية، وبين الغلاة القدرية الذين جعلوا السبب وحده مستقلا بفعل الأشياء؛ فكان أهل السنة وسطا بين هؤلاء وأولئك، ولذلك فإن الذين جعلوا الأسباب هي كل شيء - والعياذ بالله - أتوا بأمر مفترىٰ، جعلوا للأسباب الاستقلالية، كأنها هي الآلهة، والذين أهملوا الأسباب أيضا وقعوا في الغلو واعتقدوا أن الله لم يخلق الأشياء لحكمة ولا لعلة ولا لسبب

ولا لغاية. والنجوم والكواكب بما فيها الشمس والقمر وسائر كبار النجوم كزحل وعطارد والثريا والزهرة والجوزاء والمشتري والمريخ وغيرها مما سمىٰ الناظم لا تقدم ولا تؤخر، ولا تضر ولا تنفع... فمنهم من يدعي أنها هي الآلهة فينصبون لها الهياكل كما هو شأن الصابئة، ويقيمون لها الدور، ويعتقدون أن بيدها تصريف الكون. وبعضهم يرىٰ أنها دون الإله الأكبر، ومنهم من يعتقد فيها الألوهية الكبرىٰ، وآخرون يجعلونها علامة للسعود والنحوس، فإذا ولد فلان في نجم كذا مثلا فهو نجم السعد، وبناء علىٰ ذلك سوف يكون هذا الشخص سعيدًا، وإذا ولد في نجم كذا فهو نجم النحس، وبناء عليه سيكون منحوسًا وغير موفق وشقي - والعياذ بالله -، وهذا قد وقع فيه كثير من الضُّلال.

وقد سمعت في بعض الإذاعات لبلاد إسلامية برنامجًا خاصًا يقرر هذا الشرك، وهو اعتقاد السعود والنحوس في النجوم، فقد تسأل المرأة أنها ولدت في النجم الفلاني، فيقال لها أنت نجمك الفلاني ستصابين بكذا، وسيحصل لك كذا، ووصفك كذا وعقيدتك كذا، وعندك كذا وربما يكون لك كذا قريبًا وما إلىٰ ذلك من الترهات وادعاء علم الغيب الذي استأثر الله به.

وآخرون لا يعبدونها ولكنهم يعلقون حدوث بعض الأشياء بها كقولهم مطرنا بنوء كذا وكذا؛ وهذا هو الذي ذمه الله عَزَّوَجَلَّ بقوله: ﴿ أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ٨١ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴾ [الواقعة: ٨١ - ٨٢]، أي: بنسبتكم المطر إلىٰ النجوم.

وقد ثبت في الصحيح من حديث زيد بن خالد الجهني رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته**

فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب وأما من قال بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب»(١)، وقال ﷺ: **«أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن الفخر في الأحساب والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة»**(٢)، وقال عليه الصلاة والسلام: **«خلالٌ من خلال الجاهلية: الطعن في الأنساب، والنياحة، ونسي - الراوي - الثالثة قال سفيان ويقولون إنها الاستسقاء بالأنواء»**(٣)، وقال ﷺ: **«أربعٌ في أمتي من أمرِ الجاهليةِ لن يَدَعَهُنَّ الناسُ: الطعنُ في الأنسابِ، والنياحةُ على الميتِ، وَالأَنْوَاءُ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كذا وكذا، والإعداءُ: جَرِبَ بعيرٌ فَأَجْرَبَ مائةَ بعيرٍ فمَنْ أجرب البعيرَ الأولَ»**(٤).

فمن اعتمد على هذه النجوم وحدها وظن أنها تقربه أو تبعده أو تسقيه أو تنزل الغيث، فإن قال هذا بحكم العادة والتقليد دون اعتقاد فهذا شرك أصغر، وإن قال: مطرنا بنوء كذا وكذا معتقدا أن النوء مستقل بالسقيا فهذا هو الشرك الأكبر الذي لا يغفر الله لمن مات عليه. فيجب التنبه لهذه القضية الخطيرة، فالنجوم لا تقدم ولا تؤخر: لا الثريا ولا الشعرى ولا الزهرى ولا المريخ ولا زحل ولا الرأس ولا الذنب ولا العقرب ولا أي نجم يلوح في السماء، بل إن بعض النجوم تحرقها الشمس كما أشار إلى ذلك الناظم.

---

(١) أخرجه البخاري [٨٤٦]، ومسلم [٧١] من حديث زيد بن خالد رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم [٩٣٤] من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري [٣٨٥٠] من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه الطيالسي [٢٣٩٥]، وأحمد [٩٨٧٣]، والترمذي [١٠٠١]، وابن حبان [٣١٤٢] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قال الترمذي: حسن. وقال الهيثمي: هو في الصحيح باختصار (انظر: «صحيح مسلم» برقم: [٦٧])، رواه البزار، وإسناده حسن. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٨٨٣].

والشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينكسفان ولا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته، وإنما يخوف الله بهما عباده كما دلت على ذلك النصوص الصحيحة. ومنها قوله ﷺ: **«إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا»**(١).

وأيا ما كان فعلم التسيير علم نافع ولا ينكر على أحد تعلمه وتعاطيه والاستفادة منه، ولكن من خرج عن تلك الأمور الثلاثة التي خلقت لأجلها النجوم فإنه يكون حينئذ قد انتقل إلى القسم الثاني من علم النجوم وهو علم التأثير المحرم.

فعلم التأثير: هو الاستدلال بالكواكب العلوية على الحوادث الأرضية أو يقال: نسبة الحوادث الأرضية إلى الأحوال الفلكية كما لو قالوا: إن هذا النجم نجم سعد وذاك نجم نحس، أو كقولهم: إن كل نجم مقابل لروح إنسان، وكل نجم له كذا وكذا من التأثير، فذلك في غاية الخطورة، لأنه إن اعتقد أن النجم أو الكوكب يعلم ذلك أو يتصرف فيه، فإن هذا هو الشرك الأكبر الذي لا يغفر الله لمن مات عليه.

والمنجمون يشبهون الكهان والسحرة، ولذلك جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: «من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد»(٢).

والواجب على المسلم أن يعتقد أنها من سائر المخلوقات الدالة على قدرة الله، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧]، وقال تبارك وتعالى:

---

(١) أخرجه البخاري [١٠٤٤]، ومسلم [٩٠١] من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه أحمد [٢٨٤١]، وأبو داود [٣٩٠٥]، وابن ماجه [٣٧٢٦] عن ابن عباس به مرفوعًا. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٦٠٧٤].

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٥ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٥ - ٦].

فالتعلق بعلم النجوم واعتقاد أن لها تأثيرا فيما يجري علىٰ الأرض من حوادث من موت زيد أو حياة عمرو أو ولادة أو موت علان أو رفعه أو خفضه أو سعوده أو نحوسه وما إلىٰ ذلك مما قد يتصوره البعض مما هو من علم الغيب، فإن ذلك محرم، بل هو عين الشرك. والكهان أكثرهم يتعلقون بهذا الأمر، يتعلقون بدعوىٰ تعلم النجوم، ويضحكون علىٰ الناس ويلبسون عليهم، ويهولون لهم الأمر حتىٰ يؤمنوا بترهاتهم ويقعوا في فخاخ خزعبلاتهم.

والناظم أشار إلىٰ كثير مما يعتقده الناس في هذه الكواكب.

وإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أراد أن يعطي قومه درسا في بيان أن هذه الكواكب لا تقدم ولا تؤخر كما حكىٰ الله لنا عنه في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ۝٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ۝٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ۝٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝٧٨ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥ - ٧٩].

ومن زعم من الناس أن إبراهيم الخليل كان شاكا حتىٰ تيقن فهذا الزعم - والعياذ بالله - غاية في البطلان، بل سوء أدب مع الله وسوء أدب مع خليله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ألا ترىٰ إلىٰ قوله تَعَالَىٰ في حقه: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾

[النَّحل: ١٢٠ - ١٢٣]

فلابد من الحذر كل الحذر من هذا العلم الفاسد - أعني علم التأثير - ومما يؤسف له أن ينتشر هذا العلم في أغلب العالم الإسلامي تقليدا للكفار، بل في بعض وسائل الإعلام الإسلامية إظهار ودعوة وترويج لهذه الخزعبلات والدجل والخط في الأرض والنظر في الفنجان وخط الكف... مما هو من الكهانة وادعاء علم الغيب من جعل النجوم لها تأثير مباشر في حياة الناس.

فالتنجيم غاية في الخطورة، لاسيما وأنه قد ينطلي علىٰ بعض ضعاف النفوس والعقول من المسلمين الذين يتساهلون في دينهم، فلا يطلبون الحق من مصادره، ولا يرجعون إلىٰ علماء الأمة والسنة الذين ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، حتىٰ يبينوا لهم الحق بدليله.



٢٢٣- وَكَذَا الطَّبِيعَةُ لِلشَّرِيعَةِ ضِدُّهَا ... وَلَقَلَّمَا يَتَجَمَّعُ الضِّدَّانِ

٢٢٤- وَإِذَا طَلَبْتَ طَبَائِعًا مُسْتَسْلِمًا ... فَاطْلُبْ شُوَاظَ النَّارِ في الْغُدْرَانِ

٢٢٥- عِلْمُ الْفَلَاسِفَةِ الْغُوَاةِ طَبِيعَةٌ ... وَمَعَادُ أَرْوَاحٍ بِلَا أَبْدَانِ

٢٢٦- لَوْلَا الطَّبِيعَةُ عِنْدَهُمْ وَفِعَالُهَا ... لَمْ يَمْشِ فَوْقَ الْأَرْضِ مِنْ حَيَوَانِ

٢٢٧- وَالْبَحْرُ عُنْصُرُ كُلِّ مَاءٍ عِنْدَهُمْ ... وَالشَّمْسُ أَوَّلُ عُنْصُرِ النِّيرَانِ

٢٢٨- وَالْغَيْثُ أَبْخِرَةٌ تَصَاعَدُ كُلَّمَا ... دَامَتْ بِهَطْلِ الْوَابِلِ الْهَتَّانِ

٢٢٩- وَالرَّعْدُ عِنْدَ الْفَيْلَسُوفِ بِزَعْمِهِ ... صَوْتُ اصْطِكَاكِ السُّحْبِ فِي الْأَعْنَانِ

٢٣٠- وَالْبَرْقُ عِنْدَهُمُ شُوَاظٌ خَارِجٌ ... بَيْنَ السَّحَابِ يُضِيءُ فِي الْأَحْيَانِ

٢٣١- كَذَبَ أَرِسْطَالِيسُهُمْ فِي قَوْلِهِ ... هَذَا وَأَسْرَفَ أَيَّمَا هَذَيَانِ

٢٣٢- الْغَيْثُ يُفْرَغُ فِي السَّحَابِ مِنَ السَّمَا ... وَيَكِيلُهُ مِيكَالُ بِالْمِيزَانِ

٢٣٣- لَا قَطْرَةٌ إِلَّا وَيَنْزِلُ نَحْوَهَا ... مَلَكٌ إِلَى الْآكَامِ وَالْفَيَضَانِ

٢٣٤- وَالرَّعْدُ صَيْحَةُ مَالِكٍ وَهوَ اسْمُهُ ... يُزْجِي السَّحَابَ كَسَائِقِ الْأَظْعَانِ

٢٣٥- وَالْبَرْقُ شُوظُ النَّارِ يَزْجُرُهَا بِهِ ... زَجْرَ الْحُدَاةِ الْعِيسِ بِالْقُضْبَانِ

٢٣٦- أَفَكَانَ يَعْلَمُ ذَا أَرِسْطَالِيسُهُمْ ... تَدْبِيرَ مَا انْفَرَدَتْ بِهِ الْجِهَتَانِ

٢٣٧- أَمْ غَابَ تَحْتَ الْأَرْضِ أَمْ صَعِدَ السَّمَا ... فَرَأَى بِهَا الْمَلَكُوتَ رَأْيَ عِيَانِ

٢٣٨- أَمْ كَانَ دَبَّرَ لَيْلَهَا وَنَهَارَهَا ... أَمْ كَانَ يَعْلَمُ كَيْفَ يَخْتَلِفَانِ

٢٣٩- أَمْ سَارَ بَطْلَيْمُوسُ بَيْنَ نُجُومِهَا ... حَتَّى رَأَى السَّيَّارَ وَالْمُتَوَانِي

٢٤٠- أَمْ كَانَ أَطْلَعَ شَمْسَهَا وَهِلَالَهَا ... أَمْ هَلْ تَبَصَّرَ كَيْفَ يَعْتَقِبَانِ

٢٤١- أَمْ كَانَ أَرْسَلَ رِيحَهَا وَسَحَابَهَا ... بِالْغَيْثِ يَهْمِلُ أَيَّمَا هَمَلَانِ

....

٢٤٢- بَلْ كَانَ ذَلِكَ حِكْمَةَ اللهِ الَّذِي بِقَضَائِهِ مُتَصَرَّفُ الأَزْمَانِ

❁ يرد الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الأبيات علىٰ الفلاسفة الطبائعيين الذين ينسبون الأمور إلىٰ الطبيعة، وهم إلىٰ حد كبير قريبون من الماديين الذين يقولون: لا إله والحياة مادة غير أن أولئك يصرحون بنفي الإله، والفلاسفة يقولون: إن هناك قوة خفية تدير العالم كله وتتحكم فيه وهي الطبيعة، وبعضهم يسميها العقل الفعال الذي انبثقت منه بعض العقول الأخرىٰ ونحو ذلك من اصطلاحاتهم الباطلة وسفسطائيتهم الساقطة.

فعندهم الرب أو الإله هو الذي يُفيض علىٰ العقول الفعالة، والعقول الفعَّالة يرون أنها هي الملائكة، ويرون أن الأنبياء إنما هي رموز لتنفيذ تلك الأعمال، وينكرون الوحي والبعث والحشر والجنة والنار، ويدعون أن الوحي من قرآن وسنة ما هو إلا لانتظام أمور الناس في الدنيا، والوحي والنبوات إنما هي فيوضات تنتج عن العقول الفعالة تفيضها علىٰ أولئك الأنبياء دونما وحي ودونما كلام ودونما تنزل وتنزيل، فينسبون كل شيء إلىٰ الطبيعة؛ فمن ذلك قولهم: الشمس أصل كل نار، والبحر أصل كل ماء؛ بمعنىٰ أنها خلقت منه ووجدت منه دونما خالق خلق هذه الأمور خلقا مستقلا، بقوله كن فيكون والعياذ بالله. وهذا من أعظم أنواع الكفر، وهذه هي عقيدة أرسطاليس وأفلاطون وسقراط وبقراط وغيرهم من الفلاسفة، وكذلك من تبعهم ممن يُسمَّون بالفلاسفة الإسلاميين كابن سينا وابن سبعين وابن الفارض والفارابي وغيرهم من الملاحدة الذين ليسوا بمسلمين في الواقع لأنهم ينكرون البعث وينكرون حقائق الأشياء، ويسندون كل شيء إلىٰ طبائع معينة. فمثلا يقولون في حقيقة الروح: إنها اعتدال الطبائع الأربعة: الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، فإذا اختل واحد من هذه الأربعة انتهت الروح. والبعض منهم يقول: الروح تنتقل من مكان إلىٰ مكان، ومن إنسان إلىٰ إنسان؛ وآخرون منهم يقولون:

إن هذه الروح هي التي تبعث دون الجسـد. ومنهم من يقول: إن هذه الأمور كلها عبارة عـن أمور دورانية، كلما انتهىٰ دهر عاد أدراجه من جديد، مرة أخرىٰ، يعني حلقة دائرية يـدور عليها الزمان، كلـما انتهت حقبة عادت من جديد، وهـم القائلون بالدور. ومنهم الدهريـون المنكرون لكل شيء؛ يقولـون: إن هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع، فينكرون البعث والنشور.

والناظـم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنكـر ذلك كلـه وبين أنه خلاف مـا دلت عليه نصـوص الكتاب والسـنة، فليس أصل النيران الشـمس، وليس أصـل المياه البحر؛ وليس إنـكاره للبخار - فيـما يظهـر والله أعلـم - إنـكارا لحقيقة تبخـر الماء، وإنما هـو إنكار لاسـتقلال البخار بتكوين المطر والسـحاب، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الذي يكونه، سـواء خلقـه من البخار أو خلقه من العدم، وهو قادر علىٰ كل حال، ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، ويسـوقه إلىٰ ما شـاء من الأرض فيحيي به بلدة ميتة. ومما يدل علىٰ أن البخار ليس مسـتقلا كما يدعون أنه قد يتهيأ في مكان ما، وجميع الظروف التي يقولها الطبائعيون متهيأة ولا ينزل مطر، وليس في هذا دفع أو إنكار لبعض العلوم التي توصل إليها الناس من بعض العلوم الكونية الظنية من تأثير البخار ونحوه، لكن الذي يُنكَر هو اعتقاد استقلال ذلك البخار بإنزال السحب والمطر.

والبرق والرعد أمر يحدثه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عبر السـحاب كما قال الله تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ [الرعد: ١٢ - ١٣]، وجـاء عـن عبد الله بـن الزبـير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنه كان إذا سـمع الرعد ترك

الحديث، وقال: «سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ثم يقول إن هذا لوعيد لأهل الأرض شديد»[١].

فأما الأمور التجريبية الثابتة فهذه لا اعتراض عليها ولا تعارض نصا شرعيا، وأما الأمور التي في طور النظريات فلا ينبغي المسارعة في تصديقها أو تكذيبها أو التعويل عليها؛ فإن ثبتت علميا - فالحمد لله - والله علىٰ كل شيء قدير، قادر علىٰ أن يطلع عباده علىٰ مثل هذا، ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية: ١٣]، وإلا فإن بعض الأمور التي يدعونها ويزعمون صحتها ما هي إلا ضحك وتلبيس علىٰ ضعاف الإيمان، والواجب علينا نحن المسلمين أن لا نخضع النصوص للنظريات وألا نحمل الآيات ما لا تحتمل، فنستدلّ بالآيات القرآنية علىٰ إثبات أو نفي بعض النظريات دونما وعي وعلم صحيح حتىٰ - والعياذ بالله - إن ذلك أدىٰ ببعضهم إلىٰ أن يحمل بعض الآيات الواردة في مشاهد يوم القيامة علىٰ بعض النظريات التي وجدت في هذا العصر، وربما حملها علىٰ أشياء علمية لا تدل عليها، وقد تكون علمية ثابتة لكن الاستدلال لها بالآية أو بالحديث في غير محله، بل قد يدخل ذلك كله في عموم قوله تَعَالَىٰ: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣]، وفي قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٨]، وفي قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٧٦].

وأما أن تخضع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية لبعض النظريات حتىٰ ولو ثبتت علميًا، فتخضع بخصوصها لهذا الغرض، فإن ذلك غير سائغ.

(١) أخرجه البخاري في «أدب المفرد» [٧٢٣] ومالك في «الموطأ» (٢/ ٩٩٢)، والطبراني في «الدعاء» [٩٨٥].

كما زعم بعضهم في تفسير قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴾ [الرحمن: ٣٣ - ٣٦] أنها محمولة علىٰ صعودهم القمر، وهذا قد أعظم علىٰ الله الفرية؛ لأن الآيات وردت في شأن يوم القيامة كما دلّ علىٰ ذلك السياق، مع أننا لا نعارض - إن ثبت ذلك علميًّا - الصعود إلىٰ القمر لكن نعارض الاستدلال بالآيات والأحاديث علىٰ مثل هذا الأمر وتحميلها ما لا تحتمل.

والملائكة عباد مكرمون من عباد الله، لا يعصون الله ما أمرهم، يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون، فمنهم من كلفه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بأعمال يقوم بها كما قال الله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾ [النازعات: ١ - ٥]، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا﴾ [الصافات: ١ - ٣].

ومن بينها ذاريات الرياح وحاملات السحب التي يسوقها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حيث يشاء كما قال الله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا﴾ [الذاريات: ١ - ٤]، لكن التحديد بأن ذلك يستند إلىٰ ملك بعينه، هو الذي يسوق السحاب أو يزجره أو يفعل كذا وكذا... كقول الناظم: «يزجره بالبرق» فإن ذلك يحتاج إلىٰ دليل ثابت يستند عليه في مثل هذه الأمور؛ لأنها أمور غيبية لابد فيها من الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة، فإن ثبتت تلك الآثار والأخبار - فالحمد لله - وإلا فنعلم أن الكل يجري بتدبير الله عَزَّوَجَلَّ وتقديره.

ولا شك أنّ الله عَزَّوَجَلَّ قد أمر الملائكة بتدبير كثير من الأمور وهو قادر علىٰ أن يخلقها ويهيئها بكلمة «كن» لكن لأمر وحكمة عظيمة أرادها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فإنه لا يمكن

أن تتخلـف حكمته البالغة في خلق هذه الأشـياء، لكن الـذي يُنكر هو التكلف والتعمق بدون علم ولا فقه ولا دليل يسـتند عليه وبخاصة في المسائل الغيبية التي لا تعلم إلا عن طريق الوحي من كتاب أو سنة.

وقول الناظم: «أفكان يعلم ذا أرسطاليسـهم... تدبير ما انفردت به الجهتان» إلخ يعني أن أرسطاليس لم يطلع علىٰ علم ما في المشرق والمغرب، وما فوق الأرض وما تحتها حتىٰ يدعي تلك الدعاوىٰ الباطلة.

وتعاقب النجوم ومعرفة منازلها - كما تقدم تفصيله قريبًا - ومعرفة منازل الشمس والقمـر وتعاقبهـا وتعاقب الليل والنهـار ونحو ذلك مما قد يوصل إليـه عن طريق علم الفلـك أمـر وارد، لكـن الناس فيـه طرفان ووسـط، بين مفْـرط ومفرِّط ومتبـع؛ فهناك المبالغون في إنكار علم الفلك وعلم النجوم الذي هو علم التسيير، وهذا الإنكار في غير محله. وهناك من يجعلها وحدها تستقل بفعل الأشياء وليست مجرد علامات، وهذا أيضًا باطل. والواجب علىٰ المسلم أن يقرّ ما دلّ عليه الدليل؛ أما الأمور التي لا دليل عليها من كتاب ولا من سنة، ولا يثبت فيها شيء عن الصحابة الكرام، مما لا مجال للرأي فيه، فكل ذلك يتوقف فيه ويوكل علمه إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والمهـم أن نؤمن بأنّ الكلّ يجري بأمـر الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠].

فهـذه الكواكب والقمر والشـمس ونحوهـا يجب أن نؤمن بأنهـا من مخلوقات الله ومـن آياتـه العظيمـة: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧]، فيجـب الوقـوف عنـد حدود مـا شرع الله لك، وعند حدود مـا أباحه لك في هذا البـاب، أما أن

تتكلف وتتعمق وتقحم نفسـك في علم قد اسـتأثر الله بعلمه فهذا عين الضلال والتقول علىٰ الله بغير علم، ولذلك تحدىٰ الناظم الفلاسفة بأسئلة تعجيزية ليقررهم بعجزهم عن الاطلاع علىٰ ما اسـتأثر الله بعلمـه من الغيوب فقال: «أفكان يعلم ذا أرسطاليسـهم...» إلـخ؛ وهذا أسـلوب قد اتبـع فيه الناظم هدي القـرآن بإفحام الخصـوم وتقرير أنهم غير قادريـن عـلىٰ شيء مما يدعـون، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الطور: ٣٠ - ٤١].

ومـن السـنة: قـول الله تَعَالَىٰ في الحديـث القـدسي: «**مـن ذا الذي يتـألىٰ علي أن لا أغفـر لفلان؟ فإنـي قد غفرت لفلان وأحبطت عملـك**»(١)، وفي رواية: «**هل علمت ما عندي؟**».

ولهذا ختم الناظم الأبيات بالتسليم بأن الله وحده هو الذي بيده ملكوت كل شيء، فهو المقدر لكل شيء لحكمة بالغة لا يعلمها إلا هو، فقال:

بـل كـان ذلـك حـكـمـة الله الـذي ... بـقـضـائـه مـتـصـرف الأزمـان



(١) أخرجه مسلم [٢٦٢١] من حديث جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



بيان أن العرافة والطيرة من الشرك

٢٤٣- لَا تَسْتَمِعْ قَوْلَ الضَّوَارِبِ بِالْحَصَا ... وَالزَّاجِرِينَ الطَّيْرَ بِالطَّيَرَانِ

٢٤٤- فَالْفِرْقَتَانِ كَذُوبَتَانِ عَلَىٰ الْقَضَا ... وَبِعِلْمِ غَيْبِ اللهِ جَاهِلَتَانِ

❁ الضاربات أو الضوارب بالحصا، هذا نوع من ادعاء علم الغيب وأكثر ما يقع من النساء، وهو أن بعض أدعياء علم الغيب يجمعون ألوانا من الحصىٰ والأصداف والودع ثم ينشرونه في الأرض فإذا وقع علىٰ هيئة معينة رتبوا عليه ادعاء بعض المغيبات من موت زيد أو حياته أو قدوم عمرو أو نزول المطر أو حدوث شيء ما من المغيبات؛ وهو نوع من الكفر وادعاء علم الغيب.

وعلم الغيب مما استأثر الله به، ومن ادعاه فهو طاغوت كافر، وقد سبق أن بينت الفرق بين ادعاء علم الغيب فيما يتعلق بالنجوم وهو المسمىٰ بعلم التأثير وبين علم التسيير الذي هو علم الفلك والحساب، والفرق بينهما كالفرق بين السماء والأرض. فمن دعاوىٰ علم الغيب الضرب بالحصىٰ أو النوىٰ. قد تقول لك بعض العجائز المتهنات لهذا الأمر بعد أن تضرب بالحصىٰ ستتزوج بامرأة جميلة مليحة شكلها كذا وكذا، سترزق بمال نوعه كذا وكذا، سيقدم والدك المسافر، سيولد لك ولد أمره كذا وكذا، وهكذا من دعاوىٰ علم الغيب المرتبة علىٰ الضرب بالحصىٰ. وسواء ضربت بالحصىٰ أو خطت خطوطًا في الأرض أو نظرت في الكف أو قرأت في الفنجان بعد كفئه ونحو ذلك، فالبعض منهن تجمع بين الضرب والطرق فتجعل خطوطا في الأرض وتنشر فيها ذلك الحصىٰ والنوىٰ والصدف والودع وترتب علىٰ بعض أحواله أو حركاته دعوىٰ من دعاوىٰ علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه. ومن صدقهن فهو كمن يصدق الكاهن أو العرّاف أو الساحر أو المنجم؛ ولذا يكفر، قال ﷺ: «**من أتىٰ كاهنا، أو عرافا، فصدقه بما يقول،**



فقد كفر بما أنزل علىٰ محمد»[١]، ومن سألهن ولم يصدقهن لا تقبل له صلاة أربعين يوما ذلك أنهن مثل الكهان تماما بتمام، قال ﷺ: **«من أتىٰ عرافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»**[٢].

كذلك مما حذر منه الناظم هنا تصديق الذين يتعلقون بالطيور ويرتبون علىٰ حركاتها أي دعوىٰ من دعاوىٰ علم الغيب. ومن ذلك الطِيَرة، والطيرة التشاؤم بالسوانح من الطيور والبوارح والسوانح: التي تأتي من اليسار، **والبوارح**: التي تأتي من اليمين، فيتفاءلون بالبوارح ويتشاءمون بالسوانح، كما أنهم يتشاءمون بصوت البومة إذا صوتت، ومنهم من يزعم أن البومة هي أرواح الموتىٰ التي تستجدي. وهذا كان موجودًا في الجاهلية وفي الأمم الخالية، حيث يزعمون أنها عندما تصوت تقول: اسقوني اسقوني. ومنه قول الشاعر الجاهلي ذي الإصبع العدواني:

يا عمرُو إن لم تَدَعْ ذمّي ومَنْقَصتي ... أَضْرِبْكَ حتىٰ تقولَ الهامةُ اسْقُونِي[٣]

والهامة هي البومة، وقد حذر النبي ﷺ من ذلك كله، فقال: **«لا عدوىٰ ولا طيرة ولا هامة ولا صفر»**[٤]، زاد مسلم **«ولا نوء ولا غول»**؛ وذكر الله عن فرعون

---

(١) أخرجه أحمد [٩٥٣٦]، وأبو داود [٣٩٠٦] والترمذي [١٣٥] وابن ماجه [٦٣٩] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قال الترمذي: «لا نعرف هذا الحديث إلا من حديث حكيم الأثرم عن أبي تميمة الهجيمي عن أبي هريرة. وإنما معنىٰ هذا الحديث عند أهل العلم علىٰ التغليظ». وصححه الألباني في «الإرواء» [٢٠٠٦].

(٢) أخرجه مسلم [٢٢٣٠] من حديث بعض أزواج النبي ﷺ.

(٣) انظر: «لسان العرب» (١٢/ ٦٢٤).

(٤) أخرجه البخاري [٥٧٥٧]، ومسلم [٢٢٢٠] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقومه أنهم كانوا يتطيرون بموسىٰ ومن معه، فقال الله عنهم: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٠ - ١٣١]، وكذا حكىٰ لنا قصة أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون، فقال الله عنهم أنهم قالوا لهم: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [يس: ١٨ - ١٩].

فقد أفاد الحديث تحريم التطير سواء بالهامة التي هي البومة أو أي طائر آخر أو التطير بأي مخلوق كان.

والبعض من الناس يتشاءم ببعض الأصوات أو ببعض الشهور والأيام ونحو ذلك كمن يتشاءم بشهر صفر أو لا يحب السفر يوم الأربعاء وكل ما أشبه ذلك من أنواع التشاؤم.

والتطير شرك أصغر إن لم يردك أو يمضيك في حاجتك، أما إن حملك علىٰ الفعل أو الترك كما جاء في الأثر عن الفضل بن عباس: «**إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك**»(١) فإنه يكون شركًا أكبر، قال ﷺ: «**الطيرة شرك الطيرة شرك، وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل**»(٢)، لكن أكثر أهل العلم يرون أنَّ هذا الحديث موقوف علىٰ ابن مسعود.

---

(١) أخرجه أحمد [١٨٢٤] من حديث فضل ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(٢) أخرجه أحمد [٤١٩٤]، وأبو داود [٣٩١٢]، وابن ماجه [٣٥٣٨]، وابن حبان [٦١٢٢]، والحاكم [٤٣] من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في «الصحيحة» [٤٢٩].

وهناك حديث مرفوع في الصحيحين وهو: «**لا عدوىٰ ولا طيرة، ولا هامة ولا صفر**»[١]، زاد مسلم «**ولا نوء ولا غُول**»[٢]. وقد ذكر جمع من السلف بأن الطيرة هنا ما أمضاك أو ردك، ومن وجد في نفسه شيئًا من ذلك فليقل: «**اللهم لا خير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك**»[٣] كما جاء في الأثر.

ويُستثنىٰ من ذلك الفأل، فإن النبي ﷺ قال: «**ويعجبني الفأل**»[٤]؛ فالفأل يستحب ولكن لا تُرتب عليه أمور، لا يرتب عليه إمضاء أو ترك، فالتفاؤل مطلوب كأن تسمع اسمًا طيبًا فتستبشر خيرًا كما قال النبي ﷺ لما قدم سهيل بن عمرو رسولًا في الحديبية، قال: «**لقد سهُل لكم من أمركم**»[٥]. فالتفاؤل بالأسماء الطيبة لا بأس به كما يقولون عن المريض: سليم، وعن المسحور: مطبوب، كل هذا من أجل التفاؤل لا فرارا من القدر، فالتفاؤل لا يدخل في الطيرة، بل هو مشروع.

وقد ذكر الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا أن كلاًّ من الضرب بالحصىٰ والطيرة يعارضان قضاء الله وقدره. فالطيرة تعارض القدر عندهم؛ وكأن المتطير علم أن القدر بحصول الشر حصل عندما جاء ذلك الطير من الجهة اليسرىٰ أو عندما يأتي من الأمام، وهو الذي يسمونه بالنواطح يحصل الخير.

---

(١) أخرجه البخاري [٥٧٥٧]، ومسلم [٢٢٢٠] من حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب «السلام» [٢٢٢٢] من حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أحمد [٧٠٤٥]، وابن السني [٢٩٣] من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا. وصححه الألباني في «الصحيحة» [١٠٦٥].

(٤) أخرجه البخاري [٥٧٧٦]، ومسلم [٢٢٢٤] من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٥) أخرجه البخاري [٢٧٣١] من حديث المسور بن مخرمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

....

وأما الضارب بالحصىٰ ونحوه فإنه يتنبّأ بالعلم بالمغيبات من وقوع خير أو شر، وكل ذلك مما استأثر الله بعلمه؛ ووجه معارضته للقدر يوضحه قول علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «القدر سرّ الله في خلقه فلا نكشفه»[1].

وأحب أن أنبه إلىٰ بعض الزبالات المنشورة في الشبكة العنكبوتية «الإنترنت»، وهو كتاب يتناقله بعض الجهلة وقليلو البضاعة في العلم المؤصل، يسمىٰ هرمجدّون، وقد اغترّ به بعض الكتاب، ونسج حوله مقالا أيّد ما جاء فيه، بل نصّ علىٰ توقع قيام الساعة عام: ١٤١٢هـ بعد ذكره أحداثا معيّنة.



(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» من حديث ابن عمر وابن عدي، قال الألباني ضعيف: انظر: حديث رقم [٤١٣١] في «ضعيف الجامع».



الرد على المنجمين ومن في حكمهم والتعريض بالطبائعيين والفلاسفة

٢٤٥- كَذَبَ الْمُهَنْدِسُ وَالْمُنَجِّمُ مِثْلُهُ ... فَهُمَا لِعِلْمِ اللهِ مُدَّعِيَانِ

٢٤٦- الأَرْضُ عِنْدَ كِلَيْهِمَا كُرَوِيَّةٌ ... وَهُمَا بِهَذَا الْقَوْلِ مُقْتَرِنَانِ

٢٤٧- وَالأَرْضُ عِنْدَ أُولِي النُّهَىٰ لَسَطِيحَةٌ ... بِدَلِيلِ صِدْقٍ وَاضِحِ الْقُرْآنِ

٢٤٨- وَاللهُ صَيَّرَهَا فِرَاشًا لِلْوَرَىٰ ... وَبَنَىٰ السَّمَاءَ بِأَحْسَنِ الْبُنْيَانِ

٢٤٩- وَاللهُ أَخْبَرَ أَنَّهَا مَسْطُوحَةٌ ... وَأَبَانَ ذَلِكَ أَيَّمَا تِبْيَانِ

٢٥٠- أَأَحَاطَ بِالأَرْضِ الْمُحِيطَةِ عِلْمُهُمْ ... أَمْ بِالْجِبَالِ الشُّمَّخِ الأَكْنَانِ

٢٥١- أَمْ يُخْبِرُونَ بِطُولِهَا وَبِعَرْضِهَا ... أَمْ هَلْ هُمَا فِي الْقَدْرِ مُسْتَوِيَانِ

٢٥٢- أَمْ فَجَّرُوا أَنْهَارَهَا وَعُيُونَهَا ... مَاءً بِهِ يُرْوَىٰ صَدَىٰ الْعَطْشَانِ

٢٥٣- أَمْ أَخْرَجُوا أَثْمَارَهَا وَنَبَاتَهَا ... وَالنَّخْلَ ذَاتَ الطَّلْعِ وَالْقِنْوَانِ

٢٥٤- أَمْ هَلْ لَهُمْ عِلْمٌ بِعَدِّ ثِمَارِهَا ... أَمْ بِاخْتِلَافِ الطَّعْمِ وَالأَلْوَانِ

٢٥٥- اللهُ أَحْكَمَ خَلْقَ ذَلِكَ كُلِّهِ ... صُنْعًا وَأَتْقَنَ أَيَّمَا إِتْقَانِ

٢٥٦- قُلْ لِلطَّبِيبِ الْفَيْلَسُوفِ بِزَعْمِهِ ... إِنَّ الطَّبِيعَةَ عِلْمُهَا بُرْهَانِ

٢٥٧- أَيْنَ الطَّبِيعَةُ عِنْدَ كَوْنِكَ نُطْفَةً ... فِي الْبَطْنِ إِذْ مُشِجَتْ بِهِ الْمَاءَانِ

٢٥٨- أَيْنَ الطَّبِيعَةُ حِينَ عُدْتَ عُلَيْقَةً ... فِي أَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِينَ تَوَانِي

٢٥٩- أَيْنَ الطَّبِيعَةُ عِنْدَ كَوْنِكَ مُضْغَةً ... فِي أَرْبَعِينَ وَقَدْ مَضَىٰ الْعَدَدَانِ

٢٦٠- أَتُرَىٰ الطَّبِيعَةَ صَوَّرَتْكَ مُصَوَّرًا ... بِمَسَامِعٍ وَنَوَاظِرٍ وَبَنَانِ

٢٦١- أَتُرَىٰ الطَّبِيعَةَ أَخْرَجَتْكَ مُنَكَّسًا ... مِنْ بَطْنِ أُمِّكَ وَاهِيَ الأَرْكَانِ

٢٦٢- أَمْ فَجَّرَتْ لَكَ بِاللِّبَانِ ثُدَيَّهَا ... فَرَضَعْتَهَا حَتَّىٰ مَضَىٰ الْحَوْلَانِ

....

٢٦٣- أَمْ صَيَّرتْ فِي وَالِدَيْكَ مَحَبَّةً	فَهُمَا بِمَا يُرْضِيكَ مُغْتَبِطَانِ
٢٦٤- يَا فَيْلَسُوفُ لَقَدْ شُغِلْتَ عَنِ الْهُدَىٰ	بِالْمَنْطِقِ الرُّومِيِّ وَالْيُونَانِي

❁ المهندس هو الذي يشتغل بادعاء علم الغيب فيما يتعلق بالنجوم بناء علىٰ هندسته التخرصية التي لا تعتمد علىٰ علم تجريبي، ولا تستند إلىٰ حقيقة، ولا ترجع إلىٰ علم مادي معروف كالفيزياء والكيمياء والإليكترونيات ونحو ذلك.

وكذلك قد يطلق علىٰ بعض الفلاسفة، وليس المقصود بالمهندس في هذه المنظومة المتعارف عليه اليوم، ممن يتقن صنعته، فهذا لا اعتراض عليه، بل الهندسة من العلوم النافعة التي قد تتعين، ويجب علىٰ المسلمين أن يتقنوها، ولا يكونوا عالة علىٰ غيرهم في هذه العلوم.

ومدعي علم الغيب سواء سموه مهندسا أو منجما فإنه ملحد كافر؛ لأنه يدعي ما استأثر الله به، وقد تقدم الكلام علىٰ ذلك عند كلام الناظم علىٰ الكهان والسحرة والمنجمين.

والمنجم هو: الذي يدعي علم الغيب بدعوىٰ معرفته لمطالع النجوم والقمر، ويربط علم المغيبات بالنجوم.

قال الشيخ حافظ الحكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كذا الكهانة والتنجيم إنهما	**كفران قد عبثا بالناس من قِدم**
إسنادها حزب إبليس اللعين كما	**مُتونها أكذب المنقول من كَلِم**
ما للتراب وما للغيب يدركه	**ما للتصرّف والمخلوقُ من عَدَم**
لو كانت الجن تدري الغيب ما لبثت	**دهرا تعالج أصنافا من الألم**
كالمقتفين لعُبّاد الهياكل في	**عزو التصرُّف والتأثير للنُّجُم**

والكاتبين نظاما في عبادتها	عَقدا وكَيفا وتوقيتا لنُسكِهم
فذا سُعود وذا نحس وطلسَمُه	كذا وناسَبه ذا كم بخَرصِهم
واعجب لعُدوان قوم حاولوا سَفَها	أن يجمعوه إلىٰ الإسلام في كَمَم
كالنار في الماء أو طُهرٍ علىٰ حدَث	في وقته أو إخاء الذئب والغنم[(١)]

ويبدو أن الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عندما أنكر كروية الأرض لم يصل إلىٰ علمه بعض الدراسات الجغرافية والفلكية التي دلت علىٰ كروية الأرض؛ الأمر الذي أصبح مسلَّما به. وقد حكىٰ الإجماع علىٰ كرويتها شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)].

وكرويتها لا تتعارض مع تسطيحها ومع ثباتها وتمهيدها وانبساطها وكون الجبال رواسي عليها. أما القول بدوران الأرض فيقال فيه: إنه معارض لظاهر القرآن: أنها قرار، وأن الشمس تجري. ولشيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ رسالة نفيسة في تقرير ذلك.

وأما كرويتها فكما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من أهل العلم؛ فالأرض أقرب ما تكون كروية بيضاوية. وهذا لا يمنع أن تكون مسطحة للناس نظرًا لسعتها وعظمها وكبر حجمها. ولها مركز معين ترتكز عليه.

وينبه الناظم علىٰ إبداع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في خلق الأرض والسماوات.

ويقرر ذلك بطريقة الاستفهام التقريري فيذكر ما أودع الله فيها من خيرات عظام وعجائب جسام، لا يمكن حصرها ولا عدها ولا إحصاؤها؛ لأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هو الذي يعلم ذلك كله، لا تخفىٰ عليه خافية في الأرض ولا في السماء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(١) انظر: «المنظومة الميمية» للحافظ الحكمي.

(٢) انظر: «مجموعة الفتاوىٰ» لابن تيمية (٥/ ١٥٠).

فهو يتساءل؛ هل هؤلاء الذين يدعون علم الغيب هل يعلمون هذه الأشياء؟ والجواب، لا يمكنهم ذلك، وإن أحصوا بعض الإحصائيات، وإن توصلوا إلىٰ بعض الأشياء التقريبية في مسألة الطول والعرض ونحو ذلك، لكنها ليست دقيقة، بل تقريبية بحسب ما وصل إليه اجتهادهم، وربما يظهر في المستقبل غير ما توصلوا إليه؛ ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦]، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨].

والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة، ففيها حكم وعبر، كقوله تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٩٥ - ٩٩].

وقوله: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا﴾ [النبأ: ٥ - ١٦].

وقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ [الرعد: ٢].

وقال عز وجل: ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الحج: ٥ - ٦].

وقال: ﴿ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن: ١٠ - ١٣].

وقال سبحانه: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٠ - ٢٢].

وقال: ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴾ [الطارق: ١٧ - ٢٠].

وقال تبارك وتعالى: ﴿ أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾ [النازعات: ٢٧ - ٣٣].

وغير ذلك من الآيات الكثيرة مثل ما فصل الله تعالى في سورتي الأنعام والنحل وغيرهما.

والحديث عن الأرض وما أودع الله فيها من أسرار عظام لا يمكن حصره. فهؤلاء القوم كل يوم يكتشفون أمورا لم يكتشفوها من قبل، وما جهلوا من أسرار الكون أعظم وأعظم ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣]؛

لأن الله تَعَالَىٰ هو الذي أحاط بكل شيء علمًا، هو الذي يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن أن لو كان كيف يكون.

فقد أمرنا الله عَزَّوَجَلَّ أن نستدل بذلك كله علىٰ عظمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وقدرته الباهرة التي لا تقف عند حد، ولا يحصيها أحد؛ فكل ما أودع الله في هذا الكون يشهد بربوبيته ووحدانيته، وأنه المستحق وحده للعبادة، فكيف يعبد غيره ويبارز بالمعاصي!

فواعجبًا كيف يعصى الإله ... أم كيف يجحده الجاحد

وفي كل شيء له آية ... تدل علىٰ أنه واحد

فيجب علىٰ المسلم أن يتأمل ويتدبر في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء حتىٰ يقوىٰ بذلك إيمانه ويقينه، ويزداد إيمانا مع إيمانه.

فهذا إمام الحنفاء إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وقدوة الأنام يسأل ربه ما يقوي إيمانه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البَقَرَة: ٢٦٠]؛ أي: ليزيد إيماني؛ ولذلك استدل أهل العلم - ومنهم البخاري - بهذه الآية علىٰ زيادة الإيمان ونقصانه.

فالمؤمنون يزدادون إيمانا بمثل هذه الآيات والمخلوقات والمخترعات. وكثير من الكفار هداهم الله بسبب ما توصلوا إليه من إبداع الله في هذا الكون العظيم.

وقوله:

٢٥٦- «قُلْ لِلطَّبِيبِ الْفَيْلَسُوفِ بِزَعْمِهِ ... إِنَّ الطَّبِيعَةَ عِلْمُهَا بُرْهَانِ

٢٥٧- أَيْنَ الطَّبِيعَةُ عِنْدَ كَوْنِكَ نُطْفَةً ... فِي الْبَطْنِ إِذْ مُشِجَتْ بِهِ الْمَاءَانِ

٢٥٨- أَيْنَ الطَّبِيعَةُ حِينَ عُدْتَ عُلَيْقَةً ... فِي أَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِينَ تَوَانِي

٢٥٩- أَيْنَ الطَّبِيعَةُ عِنْدَ كَوْنِكَ مُضْغَةً ... فِي أَرْبَعِينَ وَقَدْ مَضَىٰ الْعَدَدَانِ

٢٦٠- أَتُرَىٰ الطَّبِيعَةَ صَوَّرَتْكَ مُصَوَّرًا ... بِمَسَامِعٍ وَنَوَاظِرٍ وَبَنَانِ

٢٦١- أَتُرَىٰ الطَّبِيعَةَ أَخْرَجَتْكَ مُنَكَّسًا ... مِنْ بَطْنِ أُمِّكَ وَاهِيَ الْأَرْكَانِ

٢٦٢- أَمْ فَجَّرَتْ لَكَ بِاللِّبَانِ ثُدِيَّهَا ... فَرَضَعْتَهَا حَتَّىٰ مَضَىٰ الْحَوْلَانِ

٢٦٣- أَمْ صَيَّرَتْ فِي وَالِدَيْكَ مَحَبَّةً ... فَهُمَا بِمَا يُرْضِيكَ مُغْتَبِطَانِ

٢٦٤- يَا فَيْلَسُوفُ لَقَدْ شُغِلْتَ عَنِ الْهُدَىٰ ... بِالْمَنْطِقِ الرُّومِيِّ وَالْيُونَانِي»

❁ في هذه الأبيات يرد الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ الفلاسفة والدهريين الطبيعيين الذين ينسبون خلق كل شيء إلىٰ الدهر والطبيعة.

وهم علىٰ أقسام؛ منهم من يرون أن للفلك دورة تبلغ ستا وثلاثين ألف سنة، كلما مضت هذه المدة عاد الدهر من جديد، وأنه كان يدور في حلقة مفرغة لا ينتهي إلىٰ مدىٰ، وهم المسمون بالفلاسفة الدوريين، فهم ينكرون أصل الخليقة والبعث من باب أولىٰ وأحرىٰ. وينكرون النبوات وينكرون الإله؛ والأنبياء عندهم ما هم إلا أؤلئك الحذاق الذين برزوا وأفاض عليهم العقل الفعال حتىٰ وصلوا إلىٰ ما وصلوا إليه من الحكمة. وعلىٰ أية حال فهم من أكفر عباد الله.

ولا يقصد بالطبيب هنا الطبيب المتعارف عليه عند الناس، الذي يعالج المرضىٰ، وإنما يقصد به الفيلسوف مثل ابن سينا – وإن كان جمع بين طب الأجساد والفلسفة الإلحادية في العقيدة، وغيره كالفارابي وابن عربي وابن سبعين وابن الفارض والحلاج وأمثالهم من الملاحدة. وقبلهم الفلاسفة القدامىٰ كأرسطو وأفلاطون وسقراط وبقراط.

وقد وصف الناظم حال هؤلاء الدهريين بنسبة كل شيء إلىٰ الطبيعة: الطبيعة فعلت، والطبيعة أوجدت، والطبيعة أوجعت... وهذا - والعياذ بالله - كفر؛ وإليه أشار القرآن في قوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [الجاثية: ٢٤]؛ لأنهم يقولون: ما هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع. وقد شابههم في هذا العصر الماديون الشيوعيون القائلون: لا إله والحياة مادة.

ثم يتساءل الناظم تساؤل المنكر المتعجب لجهل هؤلاء ويقول للواحد منهم: هل هذه الطبيعة هي التي خلقتك من العدم بعد أن لم تكن شيئا مذكورا؟

بل منهم من يقول: إن الحياة هي اعتدال الطبائع الأربعة: الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة - فإذا اختلت واحدة من تلك الطبائع مات الإنسان وانتهىٰ إلىٰ ما لا نهاية. فهو يسألهم هنا بطريقة تدرجية متعلقة بالخلق، أي من بداية الخلق: هل الطبيعة خلقتك من العدم؟ هل الطبيعة أوجدتك من نطفة؟ أم حولتك إلىٰ علقة؟ أم صيرتك مضغة؟ أم أنشزت عظامك؟ أم كست عظامك لحما؟ أم صورتك فأحسنت صورتك؟ وشقت سمعك وبصرك؟ أم أخرجتك من بطن أمك برحمة ولطف وتيسير؟ أم فجرت لك لبن أمك وألهمْتها حبك والحنان عليك ورعايتك والاغتباط بخدمتك؟ أم كل ذلك تسخير من العزيز الرحيم؟

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ [يس: ٧٧ - ٧٩]، أي: استبعد إعادة الله تَعَالَىٰ - ذي القدرة العظيمة - للأجساد والعظام الرميمة، ونسي خلقه، وأن الله خلقه من العدم، فعلَّمه من نفسه ما هو

أعظم مما استبعده وأنكره وجحده؛ ولهذا قال تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٩].

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾؛ أي: خلق الرحمَ مُعَدا لذلك ومهيأً له، ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ [المرسلات: ٢٠ - ٢٣]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢] أي: نطفة من أخلاط متفرقة، فالذي خلقه من هذه النطفة أليس بقادر علىٰ إعادته بعد موته؟ بلىٰ، تبارك الله أحسن الخالقين.

ومما يؤسف له أن نرىٰ بعض النظريات الإلحادية تدرّس في بعض بلاد المسلمين، مثل نظرية التطور والارتقاء التي تبناها الملحد الخبيث داروين، وأيدها من أيدها من الدهريين الماديين، وخلاصتها أن أصل الإنسان سمكة ثم تطور قردا إلىٰ أن أصبح إنسانا بشكله الحالي، ويكفي في رد هذه الخزعبلات أن عامة البشر مفطورون علىٰ الإيمان بأن الناس خلقوا من آدم، وآدم من تراب.

وقوله:

٢٦٤- «يَا فَيْلَسُوفُ لَقَدْ شُغِلْتَ عَنِ الْهُدَىٰ بِالْمَنْطِقِ الرُّومِيِّ وَالْيُونَانِي»

❁ يخاطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ الفلاسفة الدهريين بأن علم الكلام والمنطق شغلهم عن هدىٰ الله الذي جاءت به الرسل عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ فالواحد منهم يولد أشياء من أشياء، ويبني نتائج علىٰ مقدمات، ويفرع جزئيات علىٰ كليات، ويخضع ذلك كله لبعض القواعد الفلسفية التي تفضي بصاحبها إلىٰ الشك حتىٰ في الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ولذلك يروى عن بعض العلماء لما قيل له: إن الرازي قد جمع ألف دليل على وجود الله، قال: ما احتاج إلى ألف دليل حتى حصل عنده ألف شك.

وليس يصح في الأفهام شيء ... إذا احتاج النهار إلى دليل

كما قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والفيلسوف وذا الرسول لديهم ... متفاوتان وما هما عِدلان

أما الرسول فيلسوف عوامِّهم ... والفيلسوف نبيّ ذي البرهان

والحق عندهمُ ففيما قاله ... أتباع صاحب منطق اليونان

أفسدتم المعقول والمنقول والـ ... ـمسموع من لغة بكل لسان

وهكذا شأن كل من خرج عن الجادة، فإنه لابد أن يضيع ويحتار. ولذلك أفضت الفلسفة والمنطق بأهلها إلى الشك في دين الله عَزَّوَجَلَّ، بل إلى الإلحاد في أسمائه وصفاته، بل إلى الإلحاد في وجوده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وقد تقدم بعض ما عبر عنه بعض أساطين القوم من الحالة التي كان عليها بقوله:

نهاية إقدام العقول عقال ... وأكثر سعي العالمين ضلال

وأرواحنا في وحشة من جسومنا ... وأكثر دنيانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

وقال الشهرستاني:

لعمري لقد طفت المعاهد كلها ... وسيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعا كف حائر ... على ذقن أو قارعا سن نادم[1]

ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي.

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٥/ ١٠).



الإسلام هو دين الأنبياء والرسل قاطبة، وأفضل تلك الأديان وأكملها دين نبينا محمد ﷺ

٢٦٥- وَشَرِيعَةُ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ شِرْعَةٍ ... دِينُ النَّبِيِّ الصَّادِقِ الْعَدْنَانِ

٢٦٦- هُوَ دِينُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَشَرْعُهُ ... وَهُوَ الْقَدِيمُ وَسَيِّدُ الْأَدْيَانِ

٢٦٧- هُوَ دِينُ آدَمَ وَالْمَلَائِكِ قَبْلَهُ ... هُوَ دِينُ نُوحٍ صَاحِبِ الطُّوفَانِ

٢٦٨- وَلَه دَعَا هُودُ النَّبِيُّ وَصَالِحٌ ... وَهُمَا لِدِينِ اللهِ مُعْتَقِدَانِ

٢٦٩- وَبِهِ أَتَىٰ لُوطٌ وَصَاحِبُ مَدْيَنٍ ... فَكِلَاهُمَا فِي الدِّينِ مُجْتَهِدَانِ

٢٧٠- هُوَ دِينُ إِبْرَاهِيمَ وَابْنَيْهِ مَعًا ... وَبِهِ نَجَا مِنْ نَفْحَةِ النِّيرَانِ

٢٧١- وَبِهِ حَمَىٰ اللهُ الذَّبِيحَ مِنَ الْبَلَا ... لَمَّا فَدَاهُ بِأَعْظَمِ الْقُرْبَانِ

٢٧٢- هُوَ دِينُ يَعْقُوبَ النَّبِيِّ وَيُونُسٍ ... وَكِلَاهُمَا فِي اللهِ مُبْتَلَيَانِ

٢٧٣- هُوَ دِينُ دَاوُدَ الْخَلِيفَةِ وَابْنِهِ ... وَبِهِ أَذَلَّ لَهُ مُلُوكَ الْجَانِ

٢٧٤- هُوَ دِينُ يَحْيَىٰ مَعْ أَبِيهِ وَأُمِّهِ ... نِعْمَ الصَّبِيُّ وَحَبَّذَا الشَّيْخَانِ

٢٧٥- وَلَهُ دَعَا عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ قَوْمَهُ ... لَمْ يَدْعُهُمْ لِعِبَادَةِ الصُّلْبَانِ

٢٧٦- وَاللهُ أَنْطَقَهُ صَبِيًّا بِالْهُدَىٰ ... فِي الْمَهْدِ ثُمَّ سَمَا عَلَىٰ الصِّبْيَانِ

❁ يبين الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن دين الإسلام الذي بعث الله به محمدًا ﷺ هو دين جميع الأنبياء قبله، وهو الدين الذي لا يقبل الله من أحد دينا سواه. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

فدين الإسلام أساسه التوحيد الذي هو محور دعوة جميع الرسل؛ فأي دين لا يقوم علىٰ التوحيد فهو دين باطل، وهذا الدين الذي أساسه توحيد الله تَعَالَىٰ هو الذي بعث الله به جميع الرسل.

قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [الشورى: ١٣].

وقال عن صالح وشعيب وهود ونوح، أنهم كلهم قالوا لقومهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود: ٦١] إلىٰ غير ذلك من الآيات في هذا المعنىٰ.

ومثل الناظم لجميعهم بذكر بعضهم؛ لأن ذكر البعض يغني عن ذكر الكلّ، ولهذا قال صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتىٰ ودينهم واحد»**[1]، فمن آمن ببعض الأنبياء دون بعض فهو كافر في الحقيقة؛ لأن كل واحد منهم يدعو إلىٰ الإيمان بالبقية، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

فجميع الأنبياء بعثوا بدين واحد، وهو توحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإن كانت تفصيلات شرائعهم تختلف باختلاف أممهم وأقوامهم وحاجاتهم، فهم في أصول الدين متفقون، ولهذا ذكر أهل العلم أنهم متفقون في التوحيد والمعاد والنبوات؛ ولهذا قال تَعَالَىٰ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة: ٤٨]، ولكن لما بعث الله نبينا صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان دينه مهيمنا علىٰ كل الأديان قبله، فلا يقبل الله من أحد بعد بعثته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ دينا سوىٰ الإسلام، قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ

---

(١) أخرجه البخاري [٣٤٤٣] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

﴿ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**»[(١)]، وقال ﷺ: «**والذي نفسي بيده لو أن موسىٰ كان حيا، ما وسعه إلا أن يتبعني**»[(٢)]، وعيسىٰ عليه السلام عندما ينزل آخر الزمان إنما يحكم بشريعة نبينا محمد ﷺ.

فالله تبارك وتعالى فضّل دين نبينا محمد ﷺ علىٰ سائر الأديان، وجعله مهيمنًا عليها وخاتمتها وأكملها وأشملها، قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠].

بل إن الله خفف عن هذه الأمة كثيرًا من الآصار والأغلال التي كانت علىٰ الأمم السابقة؛ فدين الإسلام هو أيسر الأديان.

قال عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وقال ﷺ: «**بعثت بالحنيفية السمحاء**»[(٣)]، وقال: «**أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا**

---

(١) أخرجه مسلم [١٥٣] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد [١٤٦٣١]، وأبو يعلىٰ [٢١٣٥] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما. وحسنه الألباني في «المشكاة» [١٧٧].

(٣) أخرجه أحمد [٢٢٣٤٥]، والطبراني [٧٨٦٨] من حديث أبي أمامة رضي الله عنه. قال الهيثمي (٥/ ٢٧٩): =

فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلىٰ قومه خاصة وبعثت إلىٰ الناس عامة»[(١)].

وكان الأنبياء والرسل يبعثون إلىٰ قوم معينين وفي زمن معين، أما نبينا محمد ﷺ فقد بعث إلىٰ الناس كافة إلىٰ قيام الساعة؛ ولهذا جعله الله دينًا ميسرًا سمحًا، لا عنت فيه ولا تقصير ولا شطط، دين لا إصر فيه ولا حرج، صالحا لكل زمان ومكان ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة: ٣].

فكل الأنبياء دعوا إلىٰ إفراد الله تعالىٰ بالعبادة ونبذ عبادة من سواه، وكلهم كان يبشر بنبينا محمد ﷺ الذي يبعث آخر الزمان ويأمر قومه إن أدركوه أن يؤمنوا به ويعزروه وينصروه كما حكىٰ الله عن عيسىٰ أنه قال لقومه: ﴿إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ [الصف: ٦].

فأية دعوة مهما دعا إليها الداعون ومهما زينها المزينون أو نعق بها الناعقون، إن لم تنطلق من الدعوة إلىٰ التوحيد أولا فهي مردودة علىٰ أصحابها، بل هي بدعة وحدث ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقوله: «هو دين رب العالمين وشرعه... وهو القديم وسيد الأديان» **يعني**: أن دين نبينا محمد ﷺ هو الذي ارتضاه الله وفضله وجعل شريعته شاملة كاملة تامة

= فيه علىٰ بن يزيد الألهاني، وهو ضعيف. وحسن متنه الألباني لشواهده في «الصحيحة» [٨٨١].

(١) أخرجه البخاري [٣٣٥]، ومسلم [٥٢١] من حديث جابر رضي الله عنه.

مهيمنة علىٰ ما سبقها من الشرائع ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة: ٣].

وقوله:

٢٦٧- «هُوَ دِينُ آدَمَ وَالْـمَلَائِكِ قَبْلَهُ   هُوَ دِينُ نُوحٍ صَاحِبِ الطُّوفَانِ»

❁ «هو دين آدم» آدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، خلقه الله بيده وأسجد له ملائكته تشريفًا وتكريمًا، وكان حنيفًا مسلمًا حتىٰ توفاه الله، واستمرت ذريته علىٰ ذلك طيلة عشرة قرون حتىٰ اجتالتهم الشياطين وزينت لهم الشرك كما قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا: «كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم علىٰ شريعة من الحق، فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، قال: وكذلك في قراءة عبد الله: كان الناس أمة واحدة فاختلفوا»[1]؛ فبعث الله فيهم نوحا عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ الذي وصفه بصاحب الطوفان الذي أغرق الله به من كذبه، وبعد أن عبدوا ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا، وبعد أن زين لهم الشيطان عبادتها قام فيهم يدعوهم ومكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا وما آمن معه إلا قليل.

وقوله: «**والملائك قبله**» أي: قبل خلق آدم؛ لأنه أول البشر وأبوهم، والملائكة موجودون قبله، وهم عِبَادٌ مُكْرَمُونَ، ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

وقوله:

٢٦٨- «وَلَـه دَعَا هُودُ النَّبِيُّ وَصَالِحٌ   وَهُمَا لِدِينِ اللهِ مُعْتَقِدَانِ»

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢/ ١٩٤)، والحاكم [٤٠٠٩] من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا. وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح علىٰ شرط البخاري ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في «الصحيحة» [٣٢٨٩].

* يعـني: أن هودًا عَلَيْهِ السَّلَامُ بعثـه الله في قوم عاد يدعوهم إلىٰ عبادة الله تَعَالَىٰ وحده لا شريـك له، وهم أصحاب الأحقاف في الصحـراء وكانت قبل ذلك جنات، ومكانهم والله أعلم في الربع الخالي في وسـط الجزيرة، جنـوب المملكة، فكذبوا هودا فأهلكهم الله كـما قـال الله عنهـم: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ١٣٩ - ١٤٠].

وكذلك صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ بعثه الله إلىٰ ثمود، أولئك الذين أعطوا من القوة ما أعطوا فلـما استمروا علىٰ شركهم وتجبروا أخذهـم الله بالصيحة أخذ عزيـز مقتدر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾ [هود: ٦٧ - ٦٨].

وقولـه: «وبـه أتىٰ لـوط وصاحب مدين فكلاهمـا في الدين مجتهـدان»؛ وكذا لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ دعا قومه إلىٰ التوحيد، ودعاهم إلىٰ نبذ الفاحشـة فأعرضوا وتولوا فأهلكهم الله بقلب قراهم عليهم، فجعل عاليها سـافلها، وأتبعهم بحجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين.

كما بعث الله به شـعيبًا وهو أخو مدين، حيث دعـا قومه إلىٰ التوحيد وحذرهم من الإفسـاد في الأرض بالتطفيف في الكيل والوزن فكذبوه، فأهلكهم الله برجفة فأصبحوا في دارهـم جاثمين ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ [هود: ٩٥].

وقوله:

٢٧٠- «هُوَ دِينُ إِبْرَاهِيمَ وَابْنَيْهِ مَعًا ... وَبِـهِ نَجَـا مِـنْ نَـفْـحَـةِ الـنِّـيرَانِ

٢٧١- وَبِهِ حَمَىٰ اللهُ الذَّبِيحَ مِنَ الْبَلا ... لَـمَّـا فَـدَاهُ بِـأَعْـظَـمِ الْـقُـرْبَـانِ»

﴿ أي: أن الإسلام الذي أساسه التوحيد هو دين إبراهيم الخليل أبي الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وبه أنجاه الله من النار، قال الله: ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾

[الأنبياء: ٦٩]

وكذا ابناه إسماعيل الذبيح وإسحاق عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

وحمى الله الذبيح إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما صدق في توحيده واستسلم لأمر ربه وأذعن، قال الله تَعَالَىٰ في شأنه مع أبيه: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ [الصافات: ١٠٢ - ١٠٧].

وقوله:

٢٧٢- «هُوَ دِينُ يَعْقوبَ النَّبيِّ وَيُونُسٍ وَكِلَاهُمَا فِي اللهِ مُبْتَلَيَانِ»

﴿ كذلك يونس بن متىٰ ويعقوب بن إسحاق عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، كل هؤلاء الأنبياء دعوا إلىٰ توحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ونبذ عبادة ما سواه.

ويشير بقوله: «وَكِلَاهُمَا فِي اللهِ مُبْتَلَيَانِ» إلىٰ ما حصل ليعقوب من ابتلاء في الفتنة التي حصلت بين بنيه وفقده يوسف وأخيه كما قصّ الله علينا ذلك في سورة يوسف.

وكذا يونس بن متّىٰ الذي التقمه الحوت فدعا ربه بقوله: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فاستجاب له ربه وأنجاه فيما قصّ الله علينا في غير ما سورة كيونس والصافات.

وقولـه: «هـو دين داود الخليفـة وابنه وبه أذل لـه ملوك الجان»؛ كذلـك دين داود وابنه سليمان، وقد سخر الله لداود ما سخر من الجان والطير والجبال وكل ما في الأرض بفضل توحيد الله عَزَّوَجَلَّ، ودعوتهما إليه. وسخر لسليمان الريح والجن يعملون له ما يشاء، وأعطاه ملكًا لم يعطه أحدًا من العالمين.

وقولـه: «هو دين يحيـىٰ مع أبيه وأمه نعـم الصبي وحبذا الشـيخان»؛ كذلك يحيىٰ وأمه وأبوه زكريا عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كلهم دعوا إلىٰ توحيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، بل استشهد زكريا ويحيىٰ في سبيل الدعوة إلىٰ توحيد الله.

وقوله:

٢٧٥- وَلَهُ دَعَا عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ قَوْمَهُ	لَمْ يَدْعُهُمْ لِعِبَادَةِ الصُّلْبَانِ
٢٧٦- وَاللهُ أَنْطَقَهُ صَبِيًّا بِالْهُدَىٰ	فِي الْمَهْدِ ثُمَّ سَمَا عَلَىٰ الصِّبْيَانِ

❁ بـين الناظـم رَحِمَهُ اللَّهُ أن عيسـىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ قد أنطقـه الله في المهد صبيـا كما دل علىٰ ذلـك القرآن والحديـث. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: ٣٠ - ٣٢]، وأخـذ يكلمهـم ويبـين لهـم التوحيد، ويبين لهـم أن الله قد منَّ عليـه بذلـك، وبعـد أن دعا قومـه إلىٰ ما دعت إليـه الأنبياء، وهو توحيـد الله تَعَالَىٰ اتبعه مـن اتبعـه من الحواريـين، وكفر به مـن كفر مـن اليهود الذيـن ادعوا بعد ذلـك - زورًا وبهتانـا- أنهم قتلوه وصلبوه فكذبهـم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بقوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧].

فقد عاقبهم الله بنقيض قصدهم. وقد قال تَعَالَىٰ في شأن دعوته إلىٰ التوحيد وبراءته من أهل الصليب: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٦ - ١١٨]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلًا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتىٰ لا يقبله أحد حتىٰ تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها ثم يقول أبو هريرة واقرءوا إن شئتم** ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾»[(١)]، فالآيات والأحاديث دلت علىٰ إثبات نزول عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ آخر الزمان، ولا نلتفت إلىٰ تلك المدارس العقلية التي تشكك في ذلك أو ترده علىٰ الرغم من دلالة النصوص الواضحة عليه كما شككوا في غيره من المغيبات مثل المسيح الدجال ويأجوج ومأجوج والدابة، بل وصل الحال ببعضهم إلىٰ إنكار الحوض والميزان والصراط كما تقدم بيان ذلك، وقد ورثوا ذلك عن المعتزلة.

وليس العجب أن يقع في هذا قليلو البضاعة في العلم الشرعي مثل محمد عبده، الملقب بالإمام، وصاحب كتب «ضحىٰ الإسلام» و«فجر الإسلام» وسيد قطب والمودودي وغيرهم من الكتاب المعاصرين، وإنما العجب كل العجب، بل المصيبة والرزية أن تزل قدم من اشتهر بالانتساب إلىٰ العلم الشرعي، وعرف بالدعوة إلىٰ

(١) أخرجه البخاري [٣٤٤٨]، ومسلم [١٥٥] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الكتاب والسنة مثل الشيخ محمد رشيد رضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ. فالناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أشار إلىٰ قصص هؤلاء الأنبياء ليبين أنهم جميعًا دعوا بادئ ذي بدء إلىٰ توحيد الله الخالص ونبذ الشرك والبراءة منه ومن أهله.



٢٧٧- وَكَمَالُ دِينِ اللهِ شَرْعُ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ عَلَيْهِ مُنَزِّلُ الْقُرْآنِ
٢٧٨- الطَّيِّبُ الزَّاكِي الَّذِي لَمْ يَجْتَمِعْ يَوْمًا عَلَىٰ زَلَلٍ لَهُ أَبَوَانِ
٢٧٩- الطَّاهِرُ النِّسْوَانِ وَالْوَلَدِ الَّذِي مِنْ ظَهْرِهِ الزَّهْرَاءُ وَالْحَسَنَانِ
٢٨٠- وَأُولُو النُّبُوَّةِ وَالْهُدَىٰ مَا مِنْهُمُ أَحَدٌ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِي
٢٨١- بَلْ مُسْلِمُونَ وَمُؤْمِنُونَ بِرَبِّهِمْ حُنَفَاءُ فِي الْإِسْرَارِ وَالْإِعْلَانِ

❁ فقوله: «**صلىٰ عليه منزل القرآن**» أي: صلىٰ عليه الله القائل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، وقال رسول الله ﷺ: «**من صلىٰ عليّ صلاة صلىٰ الله عليه بها عشرًا**»(١).

وأكد الناظم ما سبق أن بينه من أن الله هو منزل القرآن حيث قال في أول نظمه:

«**يا منزل التوراة والفرقان بيني وبينك حرمة القرآن**»

❁ ثم أخذ يبين بعض شمائل النبي ﷺ وخصائصه وشهرة ذلك، ووضوحه يغني عن التعليق عليه، وجلّ ما ذكر في هذه الأبيات قد تقدم شرحه وبيانه.

قوله:

٢٨٠- «وَأُولُو النُّبُوَّةِ وَالْهُدَىٰ مَا مِنْهُمُ أَحَدٌ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِي»

❁ قال الله تعالىٰ في ذلك المعنىٰ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧].

❁❁❁

---

(١) أخرجه مسلم [٣٨٤] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

أركان الإسلام

٢٨٢- وَلِمِلَّةِ الإِسْلامِ خَمْسُ عَقَائِدٍ   وَاللهُ أَنْطَقَنِي بِهَا وَهَدَانِي

❁ قوله: «.. **الله أنطقني بها وهداني**» في هذا الإقرار لون من ألوان العبودية، حيث يعترف بأن الله هو الذي تفضل وأنعم عليه ومن ثمَّ فهو المستحق للعبادة دون سواه. ما دام أنه هو الذي تفضل عليه وأنطقه وشقّ سمعه وبصره وجعله سميعًا بصيرًا، أنطقه الله الذي أنطق كل شيء؛ وهو الذي هداك ووفقك لسلوك الصراط السوي. فهداية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ منة منه حيث تفضل علىٰ عباده بالهداية؛ ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد: ١٠]، ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ ﴾ [الحجرات: ١٧]؛... وهذه هي هداية التوفيق الخاصة بالله عَزَّوَجَلَّ لا يشركه فيها لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، فهداية التوفيق هداية ليس لله فيها شريك، بل هي خاصة به وحده. وهناك هداية الإرشاد والدلالة والبيان، والله عَزَّوَجَلَّ قد جعلها للأنبياء والعلماء والدعاة والمصلحين. مهمتهم الدلالة علىٰ الخير وبيانه للناس والتحذير من الشر وبيان خطورته.

ثم بدأ الناظم يبين هذه العقائد الخمس التي امتنّ الله بها عليه وهداه إليها، بل إن هذا ما من الله به علىٰ كل مسلم، وقد تقدم تفصيل ما يتعلق بالكلام علىٰ عقائد الإسلام العظام ومبانيه الخمس، وإن كان الأولىٰ أن يعبر الناظم بعقيدة الإسلام بدلا من قوله عقائد، لأن العقيدة الإسلامية واحدة تبنىٰ عليها سائر الأعمال.

❁❁❁

ما يعمله العباد محفوظ عليهم

٢٨٣- لَا تَعْصِ رَبَّك قَائِلًا أَوْ فَاعِلا فَكِلَاهُمَا فِي الصُّحُفِ مَكْتُوبَانِ

* نهىٰ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن ارتكاب جميع المعاصي والفواحش القولية والفعلية، ما ظهر منها وما بطن كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام: ٥١]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم: ٣٢]، وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

فالمعاصي خطيرة، لا تعص ربك، لا بقول ولا بفعل. ويدخل في المعاصي الإشراك بالله، وهو أعظمها على الإطلاق، بل هو أعظم ذنب عصي الله عَزَّوَجَلَّ به، ويدخل في ذلك صغائر الذنوب وكبائرها، فإن كل ذلك مسجل عليك في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٢]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٧ - ١٨].

فيجب تجنب المعاصي، صغيرها وكبيرها، دقيقها وجليلها، والاجتهاد في السلامة منها، والبُعد عما يؤدي إليها من الأقوال والأفعال والمعتقدات، وسد كل باب يوصل إليها أو يوقع فيها. هذا هو درب المسلم الصالح الذي يريد السلامة، ويريد طريق النجاة، والخير والهدىٰ والرشاد. أما - والعياذ بالله - من لم يهتم بذلك فإنه يستمرئ الذنوب والمعاصي حتىٰ إذا ما تراكمت عليه أعمته عن الحق وأوبقته وأهلكته حتىٰ يرىٰ الحسن قبيحًا والقبيح حسنًا.

يقضَىٰ علىٰ المرء في أيام محنتهِ حتىٰ يرىٰ حسنًا ما ليس بالحسن

السكوت في محله فضيلة

٢٨٤- جَمِّل زَمَانَكَ بِالسُّكُوتِ فَإِنَّهُ زَيْنُ الْحَلِيمِ وَسُتْرَةُ الْحَيْرَانِ

* لما حثّ الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ ترك الذنوب صغيرها وكبيرها، وأن كل أحد محاسب علىٰ ما فرّط في جنب الله، وذلك لا يكون إلا بمحاسبة النفس دائمًا، فيحاسب نفسه ما دام في دار الحساب؛ لأن اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل، وبهذا يبقىٰ المسلم دائمًا مستعدًا للقاء الله فـ«**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه**»[1]، قال تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال سُبحانَهُ: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

وبعد هذا وجه الناظم المسلم إلىٰ ما يعينه علىٰ ذلك بلزوم الصمت إلا فيما فيه خير كما قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠]، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**»[2]، فكل شيء محاسب عليه مما يتكلم به أو يعمله، فلا يخوضنّ فيما ليس له به علم.

والصمت هو إمساك اللسان الذي هو في غاية من الخطورة علىٰ صاحبه، ففيه نجاته وهلاكه، فيه سعادته وشقاوته، بل فيه موته وحياته. قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

احفظ لسانك أيها الإنسان لا يلدغنك إنّه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه كانت تهاب لقاءه الأقران[3]

وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ:

يموت الفتىٰ من عثرة بلسانه وليس يموت المرء من عثرة الرجل

---

(١) أخرجه البخاري [٦٥٠٧]، ومسلم [٢٦٨٣] من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه البخاري [٦٠١٨]، ومسلم [٤٧] من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٣) انظر: «ديوان الإمام الشافعي» (١/ ١٠٥).

فعثرته من فيه ترمي برأسه وعثرته في الرجل تبرا علىٰ مهل[(١)]

وقبل هذا قول النبي ﷺ: «**إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا - وأشار إلىٰ لسانه - أو يرحم**»[(٢)].

فيجب علىٰ المسلم أن يتجنب زلات اللسان، وأن يخشىٰ منها، وأن يمسك لسانه إلا فيما يرجو ذخره عند الله، وبخاصة إذا كان كلامه تقولا علىٰ الله بلا علم، فهذا من أخطر الذنوب علىٰ العبد، أو كان فيما حرم الله عليه من الغيبة والنميمة ونحوها، أو كثرة القيل والقال واللغو وما لا فائدة فيه، يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، ويقول تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في وصف عباده المؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣]، ويقول عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢].

وفي توجيه النبي ﷺ لمعاذ والمؤمنين من بعده في الحديث المشهور أنه قال له بعد أن بين بعض الخصال الحميدة: «**... ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قال: قلت: بلىٰ يا نبي الله! فأخذ بلسانه، وقال: كفَّ عليك هذا، فقلت: يا نبي الله! وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: ثكلتك أمك يا معاذ! وهل يكب الناس في النار علىٰ وجوههم** - أو قال: علىٰ مناخرهم - **إلا حصائد ألسنتهم!**»[(٣)]، وفي الصحيح: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة**

(١) انظر: «العقد الفريد» لابن عبد ربه الأندلسي (١/ ٢٤٦).

(٢) أخرجه البخاري [١٣٠٤]، ومسلم [٩٢٤] من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه الطيالسي [٥٦٠]، وأحمد [٢٢٠٦٩]، والترمذي [٢٦١٦]، وابن ماجه [٣٩٧٣]، والحاكم [٣٥٤٨] من حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الترمذي: «حسن صحيح». وقال الحاكم: «صحيح علىٰ شرط الناظمين». ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٢٠٥].

مـن رضوان الله لا يلقـي لها بالًا يرفعه الله بها درجات وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم سبعين خريفًا»(١).

فحفظ اللسان وعدم إطلاقه في الكذب والغيبة والنميمة وأعراض الناس والسب والشتم والاستهزاء بالدين والنيل من السنة وأهلها والنيل ممن يدعو إلىٰ السنة والعقيدة الصحيحة كما يفعل بعض أصحاب الاتجاهات المنحرفة، فإن ذلك كله من أوجب الواجبات، والتهاون فيه خطورة عظيمة علىٰ المسلم في أمر دينه ودنياه؛ «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**»(٢).

فالسكوت زين للمسلم في أفراحه وأتراحه، وفي عسره ويسره، وفي جميع أحواله.

وقوله: «**زين الحليم وسترة الحيران**» أي: أن الصمت يزين المرء ويجمله ويجنبه العثرات كما أن فيه ستر عيوبه حال جهله.

قال الشاعر:

الصمت زين والسكوت سلامة ... فإذا نطقت فلا تكن مهذارا(٣)

وقال آخر:

الصمت زين للفتى ... يكرمه حيث أتى

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري [٦٤٧٨]، ومسلم [٧٤٨٢] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) تقدم تخريجه في ص: [٤٠٣].

(٣) انظر: «جواهر الأدب» لأحمد الهاشمي (٢/ ٦٥).



توقي الفتن مطلب شرعي

٢٨٥- كُنْ حِلْسَ بَيْتِكَ إِنْ سَمِعْتَ بِفِتْنَةٍ ... وَتَوَقَّ كُلَّ مُنَافِقٍ فَتَّانِ

٢٨٦- أَدِّ الْفَرَائِضَ لَا تَكُنْ مُتَوَانِيًا ... فَتَكُونَ عِنْدَ اللهِ شَرَّ مُهَانِ

❁ الحلس في الأصل يطلق علىٰ البساط الخفيف الذي يجلس عليه الناس أو يلتحفونه، والذي لا يفارق البيت.

والمقصود: أنك تلزم بيتك عند حدوث الفتن التي أخبر النبي ﷺ أنها ستقع لا محالة وأنها تموج كموج البحر حيث قال حذيفة لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لما سأله عن الفتن التي تموج كموج البحر، والحديث في الصحيح، وقال رسول الله ﷺ: **«ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي من تشرف لها تستشرفه ومن وجد فيها ملجأ فليعذ به»**(١)، وقال ﷺ: **«بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا أو يمسي مؤمنا ويصبح كافرًا يبيع دينه بعرض من الدنيا»**(٢).

فلا تضيع نفسك بالجريان خلفها ولو بأدنىٰ مشاركة فيها حتىٰ تسلم من شرها؛ ولذلك لما ذكر النبي ﷺ لحذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما يكون من الفتن وظهور الشر قال: **«فما تأمرني إن أدركني ذلك قال تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قال: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام، قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض علىٰ أصل شجرة حتىٰ يدركك الموت وأنت علىٰ ذلك»**(٣).

---

(١) أخرجه البخاري [٣٦٠١]، ومسلم [٢٨٨٦] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم [١١٨] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري [٣٦٠٦]، مسلم [١٨٤٧] من حديث حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فلنجتهد في السلامة من هذه الفتن، والتي ينتشر منها الكثير في هذه الأزمنة المتأخرة، وإن كان الخير باقيًا - ولله الحمد والمنة -، والإسلام عزيز - ولاسيما في هذه البلاد المباركة التي تحكّم شرع الله - عقيدة وسلوكًا وآدابًا وأخلاقًا وعبادة ومنهج حياة، علىٰ الرغم من نعيق الناعقين، وصياح الموتورين من دعاة الفتنة والمروق من الدين من المفرطين أو المفرِّطين. فيجب علىٰ المسلم أن يتجنب الفتن كلها؛ لأن ضررها وشرها لا يقتصر علىٰ أصحابها، بل يتعداهم إلىٰ غيرهم، فيهلك الحرث والنسل. وانظر - يا رعاك الله - إلىٰ ما صدر به الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتاب الفتن من صحيحه حيث أورد عن سفيان بن عيينة عن خلف بن حوشب - أحد التابعين - أنه قال: «كانوا يستحبون أن يتمثلوا بأبيات امرئ القيس أو عمرو بن معديكرب عند ظهور الفتن.

والحرب أول ما تكون فتية ... تسعىٰ بزينتها لكل جهول

حتىٰ إذا اشتعلت وشب ضرامها ... ولت عجوزا غير ذات حليل

شمطاء ينكر لونها وتغيرت ... مكروهة للشم والتقبيل

وقد قال الله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥]. فتجنبوا الفتن كلها - عباد الله - واحذروا منها بالاعتصام بكتاب الله تَعَالَىٰ وسنة رسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ ولزوم جماعة المسلمين وعلماء السنة.

وما أفقه الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ترتيب كتب صحيحه، حيث جعل كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة وكتاب التوحيد بعد كتاب الفتن مباشرة لينبه علىٰ أنه لا تكون النجاة من الفتن إلا بالتوحيد والاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

ومما يجب الانتباه له ما يقوم به بعض الموتورين والمغرضين وقليلي الحياء من غمز لعلماء الأمة وولاة أمرها، ومن الكلام علىٰ المستقيمين علىٰ المنهج السلفي القويم، من

مستغل للنقص أو التقصير في بعض الأمور ممن يصطاد في الماء العكر ممن ينادي بالإلحاد والعلمنة، والتنكر للدين، وممن ينادي بمسخ مناهج التعليم ونحو ذلك. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولىٰ إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت»**(١).

لكننا علىٰ ثقة من أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ سيقمعهم ويرد كيدهم في نحورهم وسيخرس ألسنتهم وأقلامهم التي تتزعم الآن الدعوة إلىٰ المنكرات والتنكر للدين ومبادئه ومحاولة إيذاء من يلتزم بالسنة أو يدعو إليها.

فيجب علىٰ المسلمين وبخاصة علماء السنة وطلاب العلم أن يضيقوا الهوة فيما بينهم، ويتركوا الخلاف، وأن يقطعوا الطريق علىٰ هؤلاء اللصوص الذين يصطادون في الماء العكر ويتلاحموا مع علمائهم وولاة أمرهم مدافعين عن دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، رافعين لراية التوحيد، مقبلين غير مدبرين، مجتهدين في ذلك بما يرضي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ ولهذا قال الناظم: «وتوقّ كل منافق فتان» لأنه عند الفتن تشرئب أعناق المنافقين والمفتونين ليُردوا الناس في أوحالها ونارها ﴿لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٧].

وكذلك يجب أن نقف مع ولاة أمورنا نسددهم وندعو لهم وننصح لهم ونذب عن أعراضهم، فإن هذا من علامات أهل السنة والجماعة؛ والوقيعة فيهم أو الخروج عليهم من علامات أهل البدعة والضلال والإلحاد والخيانة.

ونسأل الله تَعَالَىٰ أن يجنبنا الفتن، ما ظهر منها وما بطن، عن بلادنا خاصة وعن سائر بلاد المسلمين عامة.

---

(١) أخرجه البخاري [٦١٢٠] من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والمتأمل لحال الفتن يجدها قسمين:

فهناك فتن خفيفة يستطيع أن يقاومها وأن يطفئها وأن يشارك في وقاية المجتمع المسلم منها وحمايته من آثارها. وفي هذا الحال لا يعذر في ترك اتخاذ الطريق الذي يستطيع به معالجتها وفق المعايير الشرعية؛ هذا إذا كان قادرًا علىٰ شيء مما يطفئ به تلك الفتن أو التخفيف منها مع تحمل أخف الضررين. أما إذا عمت الفتن وطمت، فلا شك أنه والحال هذه ينبغي له أن يلزم بيته كما وجه الناظم. ولذلك قال: «**كن حلس بيتك**»، فكن ملازمًا لبيتك حال ظهور الفتن التي لا تستطيع أن تسهم في إطفائها وعلاجها.

وهذا ما فعله بعض الصحابة عندما كثرت الفتن حتىٰ إن عليا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أثنىٰ عليهم في ذلك؛ ومنهم عبد الله بن عمر وأبو بكرة وسعد بن أبي وقاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ وغيرهم من الصحب الكرام. وهذا هو الذي ينبغي؛ لأن الفتن أحيانا عندما تكثر وتتوالىٰ وتموج كموج البحر يرقق بعضها بعضًا.

وقد بين الناظم أن لزوم البيت حال الفتن لا يفهم منه التهاون في أداء الفرائض، بل إن أداءها جماعة من أعظم وسائل السلامة من الفتن، فإن الفرائض أحب الأعمال إلىٰ الله. قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فيما يرويه عن الله تَعَالَىٰ: «**وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه**»[1]، ويقول عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: «**إنّ الله فرض فرائض فلا تضيعوها**»[2]؛ فالواجب علىٰ المسلم أن يحافظ علىٰ الفرائض فإنها هي المعتَصَم من الوقوع في الفتن والآثام.

(١) أخرجه البخاري [٦٥٠٢] من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه الدارقطني في «السنن» [٤٢] والحاكم [٧١١٤]، والبيهقي [٢٠٢١٧] من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. وقال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (ص ٢٧٥): حديث حسن. ووافقه النووي في «رياض الصالحين» (٢/ ٣٠٩).

فضل السواك والوضوء وتفصيل أعمال الوضوء
والرد على المنحرفين عن السنة فيه

٢٨٧- أَدِمِ السِّوَاكَ مَعَ الْوُضُوءِ فَإِنَّهُ ... مُرْضِي الْإِلَهِ مُطَهِّرُ الْأَسْنَانِ

❁ **السواك هو:** عود الأراك وبخاصة الرطب منه، ويطلق علىٰ كل ما ينظف به الفم، وهو: «**مطهرة للفم مرضاة للرب**»(١)، كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ.

فأمر الناظم بالمداومة علىٰ السواك في كل وقت، ويتأكد ذلك عند كل صلاة وعند كل وضوء، وعند القيام من النوم وبعد الطعام، وهو من أفضل الأعمال التي يحبها الله تَعَالَىٰ، ومن السنن المؤكدة. ولذلك كان النبي ﷺ يستاك عند كل صلاة ويقول: «**لولا أن أشق علىٰ المؤمنين - أو علىٰ أمتي - لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة**»(٢)، وعند البخاري: «**أكثرت عليكم في السواك**»(٣)، و«كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يشوص(٤) فاه بالسواك»(٥)، ولما سئلت أمنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن أول عمل رسول الله ﷺ إذا دخل بيته قالت: «**كان إذا دخل يبدأ بالسواك**»(٦).

---

(١) أخرجه أحمد [٢٤٢٠٣] والنسائي [٥] وابن ماجه [٢٨٩] وابن خزيمة [١٣٥] وابن حبان [١٠٦٧] من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
قال النووي في «رياض الصالحين»(٢/ ٥٦): «رواه النسائي وابنُ خُزَيْمَةَ في صحيحهِ بأسانيدَ صحيحةٍ». وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٣٦٩٥].

(٢) أخرجه مسلم [٢٥٢] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري [٨٨٨] من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أي: يَدْلُك أسْنانَه ويُنَقِّيها.

(٥) أخرجه البخاري [٢٤٥] من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٦) أخرجه أحمد [٢٥٤٨٧]، وابن أبي شيبة [١٧٨٥]، وابن ماجه.

ومن الدلائل علىٰ تأكيد سنية السواك أن النبي ﷺ فعله حتىٰ في آخر لحظة من لحظات حياته حيث أمر أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن تناوله سواكا فلينته وطيبته ودفعته إليه فاستن به كما في الصحيح(١).

هذا يدل علىٰ سنية السواك وأهميته وكونه من أفضل الأعمال وآكدها. وقد زهد بعض الناس فيه ورغبوا عنه واستبدلوه بالمعاجين والمساحيق الحديثة، والتي أكد الأطباء وذوو الخبرة أنها لا تغني عن السواك، الأمر الذي حدا بهم إلىٰ صنع معاجين تتضمن نسبة من الأراك؛ لأنه قد ثبت طبيا أنّ فيه مادة تقوي الأسنان واللثة.

وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ للسواك كثيرًا من الفوائد تنظر في «الهدي النبوي».



(١) أخرجه البخاري [٤٤٣٨] من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

٢٨٨- سَمِّ الْإِلَـهَ لَدَىٰ الْوُضُوءِ بِنِيَّةٍ ثُـمَّ اسْتَعِذْ مِنْ فِتْنَةِ الْوَلْهَانِ

٢٨٩- فَأَسَاسُ أَعْمَالِ الْوَرَىٰ نِيَّاتُهُمْ وَعَلَىٰ الْأَسَاسِ قَوَاعِدُ الْبُنْيَانِ

٢٩٠- أَسْبِغْ وُضُوءَكَ لَا تُفَرِّقْ شَمْلَهُ فَالْفَوْزُ وَالْإِسْبَاغُ مُفْتَرَضَانِ

٢٩١- فَإِذَا انتَشَقْتَ فَلَا تُبَالِغْ جَيِّدًا لَكِنَّهُ شَمٌّ بِلَا إِمْعَانِ

٢٩٢- وَعَلَيْكَ فَرْضًا غَسْلُ وَجْهِكَ كُلِّهِ وَالْمَاءُ مُتَّبِعٌ بِهِ الْجَفْنَانِ

٢٩٣- وَاغْسِلْ يَدَيْكَ إِلَىٰ الْمَرَافِقِ مُسْبِغًا فَكِلَاهُمَا فِي الْغَسْلِ مَدْخُولَانِ

٢٩٤- وَامْسَحْ بِرَأْسِكَ كُلِّهِ مُسْتَوْفِيًا وَالْمَاءُ مَمْسُوحٌ بِهِ الْأُذُنَانِ

٢٩٥- وَكَذَا التَّمَضْمُضُ فِي وُضُوئِكَ سُنَّةٌ بِالْمَاءِ ثُمَّ تَمُجُّهُ الشَّفَتَانِ

٢٩٦- وَالْوَجْهُ وَالْكَفَّانِ غَسْلُ كِلَيْهِمَا فَرْضٌ وَيَدْخُلُ فِيهِمَا الْعَظْمَانِ

٢٩٧- غَسْلُ الْيَدَيْنِ لَدَىٰ الْوُضُوءِ نَظَافَةٌ أَمَرَ النَّبِيُّ بِهَا عَلَىٰ اسْتِحْسَانِ

٢٩٨- سِيمَا إِذَا مَا قُمْتَ فِي غَسَقِ الدُّجَىٰ وَاسْتَيْقَظَتْ مِنْ نَوْمِكَ الْعَيْنَانِ

٢٩٩- وَكَذَلِكَ الرِّجْلَانِ غَسْلُهُمَا مَعًا فَرْضٌ وَيَدْخُلُ فِيهِمَا الْكَعْبَانِ

٣٠٠- لَا تَسْتَمِعْ قَوْلَ الرَّوَافِضِ إِنَّهُمْ مِنْ رَأْيِهِمْ أَنْ تُمْسَحَ الرِّجْلَانِ

٣٠١- يَتَأَوَّلُونَ قِرَاءَةً مَنْسُوخَةً بِقِرَاءَةٍ وَهُمَا مُنَزَّلَتَانِ

٣٠٢- إِحْدَاهُمَا نَزَلَتْ لِتَنْسَخَ أُخْتَهَا لَكِنْ هُمَا فِي الصُّحْفِ مُثْبَتَتَانِ

٣٠٣- غَسَلَ النَّبِيُّ وَصَحْبُهُ أَقْدَامَهُمْ لَمْ يَخْتَلِفْ فِي غَسْلِهِمْ رَجُلَانِ

٣٠٤- وَالسُّنَّةُ الْبَيْضَاءُ عِنْدَ أُولِي النُّهَىٰ فِي الْحُكْمِ قَاضِيَةٌ عَلَىٰ الْقُرْآنِ

❁ بعد أن حثَّ الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ علىٰ السواك، الذي هو من سنن الوضوء والصلاة، ورغب فيه بين وجوب التسمية في الوضوء، وهذا مع الذكر، ويكون ذلك الوضوء بنية

التقرب إلىٰ الله؛ لأنه عبادة، والنية شرط في صحة العبادة؛ فشأنه شأن الصلاة وغيرها من العبادات، قال النبي ﷺ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَىٰ**»(١).

وقد لخص الناظم صفة الوضوء، ولعله يكفي في شرح هذه الأبيات الواضحة صفة وضوء النبي ﷺ وفق ما جاء في حديث عثمان وعبد الله بن زيد رضي الله عنهما.

فعن حمران مولىٰ عثمان «أن عثمان بن عفان رضي الله عنه دعا بوضوء فتوضأ فغسل كفيه ثلاث مرات ثم مضمض واستنثر ثم غسل وجهه ثلاث مرات ثم غسل يده اليمنىٰ إلىٰ المرفق ثلاث مرات ثم غسل يده اليسرىٰ مثل ذلك ثم مسح رأسه ثم غسل رجله اليمنىٰ إلىٰ الكعبين ثلاث مرات ثم غسل اليسرىٰ مثل ذلك ثم قال رأيت رسول الله ﷺ توضأ نحو وضوئي هذا ثم قال رسول الله ﷺ: «**من توضأ نحو وضوئي هذا ثم قام فركع ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه**»(٢)، وعن عبد الله بن زيد الأنصاري رضي الله عنه، قيل له: توضأ لنا وضوء رسول الله ﷺ، فدعا بإناء فأكفأ منها علىٰ يديه فغسلهما ثلاثًا ثم أدخل يده فاستخرجها فمضمض واستنشق من كف واحدة ففعل ذلك ثلاثًا ثم أدخل يده فاستخرجها فغسل وجهه ثلاثا ثم أدخل يده فاستخرجها فغسل يديه إلىٰ المرفقين مرتين مرتين ثم أدخل يده فاستخرجها فمسح برأسه فأقبل بيديه وأدبر ثم غسل رجليه إلىٰ الكعبين ثم قال هكذا كان وضوء رسول الله ﷺ(٣)، وعن نعيم بن عبد الله المجمر أنه رأىٰ أبا هريرة يتوضأ فغسل وجهه ويديه حتىٰ كاد يبلغ المنكبين ثم غسل رجليه حتىٰ رفع إلىٰ الساقين

(١) تقدم تخريجه في ص: [٦٤].

(٢) أخرجه البخاري [١٥٩]، ومسلم [٢٢٦].

(٣) أخرجه البخاري [١٨٥]، ومسلم [٢٣٥].

ثم قال سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إن أمتي يأتون يوم القيامة غرا محجلين من أثر الوضوء فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل**»(١).

وقوله:

٢٩٠- «أَسْبِغْ وُضُوءَكَ لَا تُفَرِّقْ شَمْلَهُ فَالْفَوْزُ وَالْإِسْبَاغُ مُفْتَرَضَانِ

٢٩١- فَإِذَا انتَشَقْتَ فَلَا تُبَالِغْ جَيِّدًا لَكِنَّهُ شَمٌّ بِلَا إِمْعَانِ»

❁ السنة إسباغ الوضوء كما قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**ألا أدلكم علىٰ ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟**» قالوا: بلىٰ يا رسول الله، قال: «**إسباغ الوضوء علىٰ المكاره...**»(٢)، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث لقيط بن صبرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أسبغ الوضوء، وخلل بين الأصابع، وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائمًا**»(٣)، لكن ثبت أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ توضأ مرة مرة(٤)، ومرتين مرتين(٥)، وثلاثًا ثلاثًا، فدلّ هذا علىٰ أن الإسباغ ليس من باب الوجوب مطلقًا كما ذكر الناظم؛ لأن منه ما هو مفترض - وهو تروية الأعضاء المفترضة ولو بغسلة واحدة - ومنه ما هو مسنون، وذلك بالزيادة علىٰ الغسلة الواحدة إلىٰ ثلاث.

وفي الحديث أيضًا النص علىٰ أن السنة هي المبالغة في الاستنشاق إلا في حال الصوم خلاف ما ذكر الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ.

---

(١) أخرجه مسلم [٢٤٦].

(٢) أخرجه مسلم [٢٥١].

(٣) أخرجه أبو داود [١٤٢]، والترمذي [٧٨٨]، والنسائي [١١٤]، وابن ماجه [٤٤٨]. وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح». وصححه الألباني في صحيح أبي داود [١٣٠].

(٤) أخرجه البخاري [١٥٧] من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٥) أخرجه البخاري [١٥٨] من حديث عبد الله بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ونبه علىٰ وجوب الترتيب بقوله «لا تفرق شمله»، وعلىٰ وجوب الموالاة بقوله: «فالفور والإسباغ مفترضان».

وثبت في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إنَّ أمتي يأتون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء**»، قال أبو هريرة: فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل[١].

وقوله: «شم بلا إمعان» أي: إدخال الماء إلىٰ الأنف بلا مبالغة، وهذا إنما يكون في حق الصائم لا المفطر كما تقدم في الحديث.

وقوله:

٢٩٢- «وَعَلَيْكَ فَرْضًا غَسْلُ وَجْهِكَ كُلِّهِ وَالْمَاءُ مُتَّبِعٌ بِهِ الْجَفْنَانِ»

❁ هكذا يرىٰ قلة من العلماء يرحمهم الله، ولكن السنة هي إمرار الماء علىٰ الوجه كاملا من غير تتبع للأجفان.

وقوله:

٢٩٥- وَكَذَا التَّمَضْمُضُ فِي وُضُوئِكَ سُنَّةٌ بِالْمَاءِ ثُمَّ تَمُجُّهُ الشَّفَتَانِ»

❁ فهذا محل نظر، ولعل الراجح هو وجوب المضمضة لحديث: «**إذا توضأت فمضمض**»[٢] ونحوه، ولما تقدم من صفة وضوء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهديه في ذلك.

وقوله:

٢٩٧- غَسْلُ الْيَدَيْنِ لَدَىٰ الْوُضُوءِ نَظَافَةٌ أَمَرَ النَّبِيُّ بِهَا عَلَىٰ اسْتِحْسَانِ

٢٩٨- سِيمَا إِذَا مَا قُمْتَ فِي غَسَقِ الدُّجَىٰ وَاسْتَيْقَظَتْ مِنْ نَوْمِكَ الْعَيْنَانِ

(١) أخرجه البخاري [١٣٦]، ومسلم [٢٤٦] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه أبو داود [١٤٤]، والبيهقي [٢٤٠]. وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» [١٣٠].

❁ فهذا فيه نظر أيضًا، والصواب التفريق بين غسل اليدين للوضوء وغسلهما عند القيام من النوم، فيستحسن في الأول ويجب في الثاني؛ لحديث «**إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتىٰ يغسلها ثلاثا فإنه لا يدري أين باتت يده**»(١).

وقوله:

٢٩٩- وَكَذَلِكَ الرِّجْلَانِ غَسْلُهُمَا مَعًا ... فَرْضٌ وَيَدْخُلُ فِيهِمَا الْكَعْبَانِ

٣٠٠- لَا تَسْتَمِعْ قَوْلَ الرَّوَافِضِ إِنَّهُمْ ... مِنْ رَأْيِهِمْ أَنْ تُمْسَحَ الرِّجْلَانِ

٣٠١- يَتَأَوَّلُونَ قِرَاءَةً مَنْسُوخَةً ... بِقِرَاءَةٍ وَهُمَا مُنَزَّلَتَانِ

٣٠٢- إِحْدَاهُمَا نَزَلَتْ لِتَنْسَخَ أُخْتَهَا ... لَكِنْ هُمَا فِي الصُّحْفِ مُثْبَتَتَانِ

٣٠٣- غَسَلَ النَّبِيُّ وَصَحْبُهُ أَقْدَامَهُمْ ... لَمْ يَخْتَلِفْ فِي غَسْلِهِمْ رَجُلَانِ

٣٠٤- وَالسُّنَّةُ الْبَيْضَاءُ عِنْدَ أُولِي النُّهَىٰ ... فِي الْحُكْمِ قَاضِيَةٌ عَلَىٰ الْقُرْآنِ

❁ نبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ الحذر من طريقة فهم الرافضة المنحرفة الضالة في شعائر الإسلام ومبانيه العظام، وبخاصة في الوضوء فإنهم يكتفون بمسح الرجلين ولا يصح لهم وضوء بذلك. كيف والرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتىٰ يتوضأ**»(٢). وقد تقدم أن هديه صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الوضوء غسل الرجلين إلىٰ الكعبين، ورواية غسل رجليه حتىٰ رفع إلىٰ الساقين كما تقدم. وقال صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في الصحيحين «**ويل للأعقاب من النار**»(٣)، وفي رواية السنن «**ويل للأعقاب وبطون الأقدام من النار**»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري [١٦٢]، ومسلم [٢٧٨] من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري [٦٩٥٤] من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري [٦٠]، ومسلم [٢٤١] من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٤) أخرجه أحمد [١٧٧٤٣]، وابن خزيمة [١٦٣]، والطبراني (١/ ٢٤٠)، والهيثمي (١/ ٢٤٠)، والدارقطني [١]، والحاكم [٥٨٠]، والبيهقي [٣٣١]، والديلمي [٧١٣٩].

وذكر الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الروافض اعتمدوا في الاكتفاء بالمسح علىٰ قراءة منسوخة؛ وبيان ذلك أن قراءة ابن عامر (وَأَرْجُلِكُمْ) بالخفض ثابتة، وقد وجهها أهل العلم بأنه عطف علىٰ المحل في الإعراب لا في الحكم حيث إن الحكم قد بينته السنة، ومعلوم أن السنة مبينة للقرآن وشارحة له، وبعض أهل العلم حمل قراءة الخفض علىٰ المسح علىٰ الخفين، وهذا بيِّنٌ - ولله الحمد -.

وأما زعم الرافضة بأن هذا مذهب الإمام ابن جرير الطبري، فهذا تلبيس علىٰ من ليس لديه علم من أهل السنة، بيد أنهم يعنون بالطبري أحد أئمتهم وليس الحافظ ابن جرير الطبري صاحب التفسير المشهور، بل لا يوجد في تفسيره الذي عول فيه علىٰ الأثر شيء مما زعموا، ولا حاجة إلىٰ دعوىٰ النسخ التي ذكرها الناظم بعد هذا التوجيه الذي ذكره العلماء لقراءة ابن عامر رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقوله:

٣٠٤- وَالسُّنَّةُ الْبَيْضَاءُ عِنْدَ أُولِي النُّهَىٰ فِي الْحُكْمِ قَاضِيَةٌ عَلَىٰ الْقُرْآنِ؛

❁ أي: عند أصحاب العقول النيرة، المستنيرة بالشرع المعتمدة علىٰ كتاب الله تعالىٰ وسنة رسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ويشير رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ القاعدة الأصولية المعروفة من أن السنة تنسخ القرآن وتوضحه، وهذا هو الحق الذي عليه المحققون من أهل الأصول والسنة، الذين عناهم الناظم بقوله: «عند أولي النهىٰ»، فالسنة توضح القرآن؛ تفسر مجمله وتقيد مطلقه وتخصص عمومه، والكل وحي من الله ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٤]، وقال رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه»**[1].

(١) أخرجه البخاري [٦٩٥٤] من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

من أحكام المسح على الخفين

٣٠٥- فَإِذَا اسْتَوَتْ رِجْلَاكَ فِي خُفَّيْهِمَا ... وَهُمَا مِنَ الْأَحْدَاثِ طَاهِرَتَانِ

٣٠٦- وَأَرَدْتَ تَجْدِيدَ الطَّهَارَةِ مُحْدِثًا ... فَتَمَامُهَا أَنْ يُمْسَحَ الْخُفَّانِ

٣٠٧- وَإِذَا أَرَدْتَ طَهَارَةً لِجَنَابَةٍ ... فَلْتُخْلَعَا وَلْتُغْسَلِ الْقَدَمَانِ

❁ لما فرغ الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الوضوء وأحكامه شرع في ذكر أحكام المسح علىٰ الخفين؛ وبيّن أنّه إذا أدخلت رجليك في خفيك وأنت علىٰ طهارة تامة، من الحدثين الأكبر والأصغر، جاز لك المسح علىٰ الخفين ومثلهما الجوربان الساتران علىٰ الصحيح.

والمقصود بالخفين: ما يلبس علىٰ الرجلين من جلد ونحوه كالجوربين، وكان الملبوس ساترا ومغطيا لمحل الفرض وهو الكعبان؛ لحديث المغيرة بن شعبة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «كنت مع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سفر فأهويت لأنزع خفيه، فقال: «**دعهما، فإني أدخلتهما طاهرتين فمسح عليهما**»[1]. ولحديث صفوان بن عسال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إذا كنا مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سفر أمرنا أن لا ننزعه ثلاثًا إلا من جنابة ولكن من غائط وبول ونوم»[2] ولذلك قال: «فلتخلعا ولتغسل القدمان»؛ ويُمسح ظاهر الخف دون باطنه لأثر علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولىٰ بالمسح من أعلاه وقد رأيت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يمسح علىٰ ظاهر خفيه»[3].

---

(١) أخرجه البخاري [٢٠٦]، ومسلم [٢٧٤] من حديث المغيرة بن شعبة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الترمذي [٩٦]، والنسائي [١٢٧]، وابن ماجه [٤٧٨]. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». وصححه الألباني في «الإرواء» [١٠٤].

(٣) أخرجه أبو داود في «سننه» [١٦٢٦]، والدارقطني في «سننه» [٧٣] والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (١/ ٢٩٢) عن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. قال الحافظ ابن حجر في «التلخيص»: «وإسناده صحيح». وقال في «بلوغ المرام»: «أخرجه أبو داود بإسناد حسن».
وقال الألباني: «والصواب الأول كما ذكرت في «صحيح أبي داود»، رقم: [١٥٣].

والمسح علىٰ الخفين هو هدي النبي ﷺ من قوله وفعله وتقريره كما ثبت المسح علىٰ الجوربين في عدة أحاديث وآثار عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وهذا فيه تيسير وتخفيف علىٰ هذه الأمة، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، وقال: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٧٨].

وهو دليل علىٰ سماحة هذه الشريعة ورفع الحرج عنها والتيسير علىٰ أهلها؛ فليس في شرعنا تكاليف غير مقدور عليها، بل كلها يسيرة لمن يسرها الله عليه إلا علىٰ الكسالىٰ والمنافقين كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ في حق الصلاة ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٦].

وهنا وقفة حيث ذكر جمعٌ من أئمة السلف الذين ألفوا في العقيدة مسألةَ المسح علىٰ الخفين ضمن ما يجب اعتقاده ردا علىٰ من خالف في ذلك من أهل الأهواء من الرافضة والمعتزلة ومن شابههم حتىٰ صار المسح علىٰ الخفين من شعار أهل السنة وعلاماتهم التي تميزهم عن المبتدعة.

فالمسألة مسألة دين وتعبد، ليس لنا أن نغير ولا أن نبدل في شرع الله عَزَّ وَجَلَّ، فما جاء في كتاب الله تَعَالَىٰ وسنة رسوله ﷺ ليس للمسلم تغييره ولا تبديله ولا النظر في شيء خالفه، وإنما يمتثل ويسلّم، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: ٥١ - ٥٢].

وقوله:

٣٠٧- وَإِذَا أَرَدْتَ طَهَارَةً لِجَنَابَةٍ   فَلْتُخْلَعَا وَلْتُغْسَلِ الْقَدَمَانِ؛

❁ يبين أن المسح على الخفين يبقى المدة المقررة ما لم يكن هناك حدث أكبر وهو الجنابة أو الحيض في حق النساء؛ أما إذا انتقض الوضوء بحدث أصغر فإنه يمسح يومًا وليلة للمقيم وثلاث ليال بأيامهن للمسافر كما هو هدي النبي ﷺ، ولا ينتقض المسح إلا إذا أجنب أو حاضت المرأة. فإذا أجنب لزمه غسل الرجلين، سواء كانت الجنابة من جماع أو احتلام فإنه والحال هذه يخلع الخفين فيغتسل ويتوضأ ثم إن شاء يمسح بعد ذلك.



غسل الجنابة

٣٠٨- غُسْلُ الْجَنَابَةِ فِي الرِّقَابِ أَمَانَةٌ	فَأَدَاؤُهَا مِنْ أَكْمَلِ الْإِيمَانِ
٣٠٩- فَإِذَا ابْتُلِيتَ فَبَادِرَنَّ بِغَسْلِهَا	لَا خَيْرَ فِي مُتَثَبِّطٍ كَسْلَانِ
٣١٠- وَإِذَا اغْتَسَلْتَ فَكُنْ لِجِسْمِكَ دَالِكًا	حَتَّىٰ يَعُمَّ جَمِيعَهُ الْكَفَّانِ
٣١١- وَإِذَا عَدِمْتَ الْمَا فَكُنْ مُتَيَمِّمًا	مِنْ طِيبِ تُرْبِ الْأَرْضِ وَالْجُدْرَانِ
٣١٢- مُتَيَمِّمًا صَلَّيْتَ أَوْ مُتَوَضِّئًا	فَكِلَاهُمَا فِي الشَّرْعِ مُجْزِيَتَانِ
٣١٣- وَالْغُسْلُ فَرْضٌ وَالتَّدَلُّكُ سُنَّةٌ	وَهُمَا بِمَذْهَبِ مَالِكٍ فَرْضَانِ

❁ **من موجبات الغسل:** الجنابة، وهي خروج المني دفقا بلذة، سواء كان بجماع أو مباشرة أو احتلام أو استمناء أو نظر أو نحو ذلك.

وموجبها أحد أمرين: أولًا- خروج المني بلذة بأي طريقة كانت.

ثانيًا- التقاء الختانين ولو لم يحصل إنزال؛ لقول النبي ﷺ: «**إذا جلس بين شعبها الأربع ثم جهدها فقد وجب الغسل وإن لم ينزل**»(١)، وقوله: «**إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل، أنزل أو لم ينزل**»(٢)، والحديثان مخصصان؛ لحديث «**إنما الماء من الماء**»(٣). وقد نص الناظم على أن غسل الجنابة أمانة، أي: لا بد من أدائه، فهو إذا فرض ولازم، وهو من كمال الإيمان الواجب.

فإذا حصلت الجنابة على نحو مما ذكر بادر المسلم إلى الاغتسال دون توان أو كسل.

---

(١) أخرجه البخاري [٢٩١] ومسلم [٣٤٨] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه الترمذي [١٠٨] وابن ماجة [٦٠٨] وابن حبان [١١٨٣] من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٣٨٥].
(٣) أخرجه البخاري [٢٩١] ومسلم [٨٠١] من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقد نص الناظم علىٰ الدلك حتىٰ يعم الماء جميع أجزاء البدن، والصحيح أن الدلك سنة لا واجب كما ذكر الناظم، فيجزئ في الغسل إفاضة الماء حتىٰ يعم البدن؛ لحديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**إنما يكفيك أن تحثي علىٰ رأسك ثلاث حثيات ثم تفيضين عليك الماء فتطهرين**»(١)، وإن كان الأكمل هو الدلك.

ثم بين رَحِمَهُ اللَّهُ أنه عند فقد الماء أو العجز عن استعماله أنه يجزئه التيمم من الحدثين الأكبر والأصغر، وذلك لقول الله تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المَائِدَة: ٦]، ولحديث عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا(٢).

وأشار الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ إلىٰ وجوب الدلك في مذهب مالك رَحِمَهُ اللَّهُ مرجحا أنه سنة، وهو الصواب إن شاء الله تَعَالَىٰ.

وهنا وقفات يجدر التنبيه عليها:

الوقفة الأولىٰ: أنه يحظر علىٰ الجنب الصلاة والطواف وتلاوة القرآن ومس المصحف ودخول المسجد إلا لعابري سبيل.

أنه يجوز للجنب أن يكتفي بالوضوء للنوم أو المعاودة أو الأكل والشرب ما لم يحن وقت الصلاة؛ لحديث: أيرقد أحدنا وهو جنب قال: «**نعم، إذا توضأ أحدكم فليرقد**

(١) أخرجه مسلم [٣٣٠].

(٢) أخرجه البخاري [٣٤٧]، ومسلم [٣٦٨]، وفيه: «إنما كان يكفيك أن تقول بيديك هكذا ثم ضرب بيديه الأرض ضربة واحدة ثم مسح الشمال علىٰ اليمين وظاهر كفيه ووجهه».

وهـو جنـب»(١)، ولحديث عائشـة: «كان يدركه الفجـر وهو جنب من أهله ثم يغتسـل ويصوم»(٢).

أنه لا يلزم المرأة أن تنقض ضفائرها للغسل من الجنابة، وإنما يجزئها إفاضة الماء علىٰ رأسـها حتىٰ تروي شعرها بخلاف الغسـل من الحيض، فإنه يلزمها نقض ضفائرها علىٰ الصحيح لحديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عند مسلم(٣).

أن ذكـر هـذه المسـائل والتفقـه فيها أمر لابـد منه ولا يهمـل بدعوىٰ الاسـتحياء، قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وقالـت عائشـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: **«نعم النسـاء نسـاء الأنصار لم يكـن يمنعهن الحيـاء أن يتفقهن في الديـن»**(٤)، وجاءت أم سـليم إلىٰ رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالت: «يا رسـول الله إن الله لا يسـتحيي من الحق فهـل علىٰ المرأة مـن غسـل إذا احتلمت؟ فقـال رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«نعـم، إذا رأت الماء»**(٥).



(١) أخرجه البخاري [٢٨٧] ومسلم [٣٠٦] من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
(٢) أخرجه البخاري [١٩٢٥] ومسلم [١١٠٩] من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
(٣) أخرجه مسلم [٣٣٠] من حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
(٤) أخرجه مسلم [٣٣٢].
(٥) أخرجه البخاري [١٣٠] ومسلم [٣١٣] من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

أحكام المياه

٣١٤- وَالْمَاءُ مَا لَمْ تَسْتَحِلْ أَوْصَافُهُ	بِنَجَاسَةٍ أَوْ سَائِرِ الأَدْهَانِ
٣١٥- فَإِذَا صَفَا فِي لَوْنِهِ أَوْ طَعْمِهِ	مَعْ رِيحِهِ مِنْ جُمْلَةِ الأَضْغَانِ
٣١٦- فَهُنَاكَ سُمِّي طَاهِرًا وَمُطَهِّرًا	هَذَانِ أَبْلَغُ وَصْفِهِ هَذَانِ
٣١٧- فَإِذَا صَفَا فِي لَوْنِهِ أَوْ طَعْمِهِ	مِنْ حَمْأَةِ الآبَارِ وَالْغُدْرَانِ
٣١٨- جَازَ الْوُضُوءُ لَنَا بِهِ وَطُهُورُنَا	فَاسْمَعْ بِقَلْبٍ حَاضِرٍ يَقْظَانِ
٣١٩- وَمَتَىٰ تَمُتْ فِي الْمَاءِ نَفْسٌ لَمْ يَجُزْ	مِنْهُ الطُّهُورُ لِعِلَّةِ السَّيَلَانِ
٣٢٠- إِلَّا إِذَا كَانَ الْغَدِيرُ مُرَجْرِجًا	غَدَقًا بِلَا كَيْلٍ وَلَا مِيزَانِ
٣٢١- أَوْ كَانَتِ الْمَيْتَاتُ مِمَّا لَمْ تَسِلْ	وَالْمَا قَلِيلٌ طَابَ لِلْغُسْلَانِ
٣٢٢- وَالْبَحْرُ أَجْمَعُهُ طَهُورٌ مَاؤُهُ	وَتَحِلُّ مَيْتَتُهُ مِنَ الْحِيتَانِ

❁ يبين الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أحكام المياه، واعتمد تقسيمها إلىٰ قسمين: طاهر ونجس، وقسمه بعض العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ إلىٰ ثلاثة أقسام: طهور وطاهر ونجس، والأشبه أن هذا الخلاف لفظي، والله أعلم.

والماء الطهور: هو الباقي علىٰ خلقته بأن لم يتغير طعمه أو لونه أو ريحه بشيء يخالطه، فهذا طاهر في نفسه، مطهر لغيره، كمياه الآبار والعيون والأنهار، ولا يضره تغيره بطول مكث أو تأثره باختلاطه ببعض المعادن التي قد يجري عليها.

فإن تغير لونه أو طعمه أو ريحه تغير كثيرا بطاهر كطعام أو عجين أو شراب أو نحو ذلك فهو طاهر في نفسه غير مطهر لغيره والمقصود الغاران نوع من الشجر ومنه دهن الغاران[1].

---

(١) انظر: «الصحاح» للجوهري (٢/ ٧٧٤).

وإذا وقعت فيه نجاسة ولم تغير أحد أوصافه الثلاثة ينظر، فإن كان أقل من قلتين حكم بنجاسته، وإن كان قلتين فأكثر فإنه لم يحمل الخبث؛ أي: لم يتنجس في أرجح الأقوال.

والقلتان تقدران قديمًا بخمس قرب وحديثًا بمترين مربعًا تقريبًا. قال النبي ﷺ: «**إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث**»(١) أما إن تغير أحد أوصافه بنجاسة فإنه ينجس ولا يجوز استعماله - قليلًا كان أو كثيرًا -.

وقوله: «ومتىٰ تمت في الماء نفس لم يجز..»؛ أي: أن ما لا نفس له سائلة، **أي:** ما ليس له دم سائل، فإنه لا يؤثر موته في الماء بخلاف موت ما له دم سائل فإنه يؤثر وينجس ذلك الماء إلا إذا كان الماء مستبحرًا كما عبر عنه الناظم بالغدير المرجرج الغدق فإنه يبقىٰ طاهرًا طهورًا.

وقوله: «والبحر أجمعه» إلخ يشير بذلك إلىٰ قول النبي ﷺ فيه لما سئل عن الوضوء منه، «**هو الطهور ماؤه، الحل ميتته**»(٢)؛ فالبحر طاهر في نفسه، مطهر لغيره سواء كان البحر عذبًا حلوًا أو مالحًا أجاجًا، فضلًا من الله ونعمة، والله عليم حكيم.



---

(١) أخرجه أبو داود [٦٣]، والترمذي [٦٧]، والنسائي [٥٢]، وابن ماجه [٣٨٦] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» [٥٦].

(٢) أخرجه أبو داود [٨٣]، والترمذي [٦٩]، والنسائي [٥٩]، وابن ماجه [٣٨٦] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح»، وصححه الألباني في «الصحيحة» [٤٨٠].

تتمة الكلام على الوضوء والتحذير من الوسوسة

٣٢٣- إِيَّاكَ نَفْسَكَ وَالْعَدُوَّ وَكَيْدَهُ ... فَكِلَاهُمَا لِأَذَاكَ مُبْتَدِيَانِ

٣٢٤- وَاحْذَرْ وُضُوءَكَ مُفرِطًا وَمُفَرِّطًا ... فَكِلَاهُمَا فِي الْعِلْمِ مَحْذُورَانِ

٣٢٥- فَقَلِيلُ مَائِكَ فِي وُضُوئِكَ خَدْعَةٌ ... لِتَعُودَ صِحَّتُهُ إِلَىٰ الْبُطْلَانِ

٣٢٦- وَتَعُودَ مَغْسُولَاتُهُ مَمْسُوحَةً ... فَاحْذَرْ غُرُورَ الْمَارِدِ الْخَوَّانِ

٣٢٧- وَكَثِيرُ مَائِكَ فِي وُضُوئِكَ بِدْعَةٌ ... يَدْعُو إِلَىٰ الْوَسْوَاسِ وَالْهَمَلَانِ

٣٢٨- لَا تُكْثِرَنَّ وَلَا تُقَلِّلْ وَاقْتَصِدْ ... فَالْقَصْدُ وَالتَّوْفِيقُ مُصْطَحِبَانِ

❁ ثم كرّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مرة أخرىٰ يحذر من وسوسة الشيطان وتزيينه فيما يتعلق بالطهارة والوضوء، فإنّ الشيطان لنا عدو فلنتخذه عدوا كما أمرنا الله. وإنه ليوسوس للإنسان في وضوئه وفي صلاته وفي غسله، بل في كل شيء من أموره. فإما أن يزين له تقليل الماء في الوضوء وفي الغسل حتىٰ يتحول الغسل إلىٰ مجرد مسح؛ وهذه وسوسة، وقد يكون مرد ذلك إلىٰ الكسل والعجز أو البخل، وقد تبقىٰ أماكن لم يصلها الماء. وقد «رأىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلًا يصلي وفي ظهر قدمه لمعة قدر الدرهم لم يصبها الماء فأمره أن يعيد الوضوء والصلاة»(١)، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ويل للأعقاب من النار**»(٢)، وفي السنن «**ويل للأعقاب وبطون الأقدام من النار**».

فعلىٰ المسلم إسباغ الوضوء بلا إسراف ولا تقتير، وفي هديه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يتوضأ بالمدّ ويغتسل بالصاع خير وبركة.

---

(١) أخرجه أحمد [١٥٤٩٥] وأبو داود [١٧٥] عن بعض أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
وأخرجه ابن ماجه [٦٦٦] من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» [١٦٥].

(٢) تقدم تخريجه في ص: [٤١٦].

فالاقتصاد في سنة خير من الاجتهاد في بدعة، وكما قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٣٢٨- لَا تُكْثِرَنَّ وَلَا تُقَلِّلْ وَاقْتَصِدْ فَالْقَصْدُ وَالتَّوْفِيقُ مُصْطَحِبَانِ؛

❁ بل القصد توفيق من الله، قال ﷺ: «**القصد القصد تبلغوا**»(١)، وأشار الناظم إلىٰ أن التقليل دون ما يعتبر شرعا وسوسة والزيادة علىٰ المعهود شرعا بدعة، وهو كذلك؛ قال ﷺ: «**إنه سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور والدعاء**»(٢)، وقال بعد ما توضأ ثلاثًا ثلاثًا: «**فمن زاد علىٰ هذا فقد أساء وتعدىٰ وظلم**»(٣).

وخير أمور المرء ما كان سنة وشر الأمور المحدثات البدائع



(١) أخرجه البخاري [٦٤٦٣] من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد [١٦٧٩٦]، وأبو داود [٩٦]، وابن ماجه [٣٨٦٤]، والحاكم [١١١٣] من حديث عبد الله بن مغفل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٨٦].

(٣) أخرجه أحمد [٦٦٨٤]، والنسائي [١٤٠]، وابن خزيمة [١٧٤] من حديث معاوية بن حيدة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وحسنه الألباني في «المشكاة» [٤١٧].

أحكام الاستطابة

٣٢٩- وَإِذَا اسْتَطَبْتَ فَفِي الْحَدِيثِ ثَلَاثَةٌ ... لَمْ يُجْزِنَا حَجَرٌ وَلَا حَجَرَانِ

٣٣٠- مِنْ أَجْلِ أَنَّ لِكُلِّ مَخْرَجِ غَائِطٍ ... شَرْجًا تَضُمُّ عَلَيْهِ نَاحِيَتَانِ

٣٣١- وَإِذَا الْأَذَىٰ قَدْ جَازَ مَوْضِعَ عَادَةٍ ... لَمْ يُجْزِ إِلَّا الْمَاءُ بِالْإِمْعَانِ

❁ نص الناظم في هذه الأبيات علىٰ أن الاستطابة وهي الاستجمار تكون بثلاثة أحجار منقية، وأنه لا يجزئ أقل من ثلاث، وهذا هو الحق لحديث سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد قال له بعض اليهود متهكما: علمكم نبيكم كل شيء حتىٰ الخراءة، قال: «**أجل لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول أو أن نستنجي باليمين أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار أو أن نستنجي برجيع أو بعظم**»[(١)]؛ وعلل ذلك الناظم بأن مخرج البول والغائط يشمل ناحيتين ولا يحصل تنقية المحل غالبا إلا بثلاثة أحجار، وهذا كله إذا لم يتجاوز الخارج موضع العادة؛ فإن تجاوز وجب الاستنجاء بالماء، لأن الأصل الطهارة بالماء وأبيح الاستجمار رخصة، فلما تعدىٰ الأذىٰ موضع الرخصة رجع إلىٰ الأصل. وفي هذه الأحكام دليل علىٰ كمال هذا الدين وشموله وسماحته.



---

(١) أخرجه مسلم [٢٦٢].

نواقض الوضوء

٣٣٢- نَقْضُ الْوُضُوءِ بِقُبْلَةٍ أَوْ لَمْسَةٍ ... أَوْ طُولِ نَوْمٍ أَوْ بِمَسِّ خِتَانِ

٣٣٣- أَوْ بَوْلَة أَوْ غَائِطٍ أَوْ نَوْمَةٍ ... أَوْ نَفْخَةٍ فِي السِّرِّ وَالْإِعْلَانِ

٣٣٤- وَمِنَ الْمَذِيِّ أَوِ الْوَدِيِّ كِلَاهُمَا ... مِنْ حَيْثُ يَبْدُو الْبَوْلُ يَنْحَدِرَانِ

٣٣٥- وَلَرُبَّمَا نَفَخَ الْخَبِيثُ بِمَكْرِهِ ... حَتَّىٰ يُضَمَّ لِنَفْخِهِ الْفَخِذَانِ

٣٣٦- وَبَيَانُ ذَلِكَ صَوْتُهُ أَوْ رِيحُهُ ... هَاتَانِ بَيِّنَتَانِ صَادِقَتَانِ

❁ بدأ الناظم بالحديث عن نواقض الوضوء، وذكر من النواقض أولًا: القبلة واللمس. **والمقصود باللمس**: مطلق لمس المرأة بدون حائل، وكذلك القبلة.

فهل اللمس والقبلة ناقضان؟ للعلماء في ذلك ثلاثة أقوال:

القول الأول: وهو قول الشافعية: أن مجرد اللمس بدون حائل ناقض للوضوء، واستدلوا بقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [المَائِدَة: ٦].

والقول الثاني: التفصيل، وهو قول الحنابلة وأكثر الفقهاء، أن اللمس إذا كان بشهوة، - أي: بتلذذ - فهو ناقض وإلا فلا.

القول الثالث: وهو قول أكثر الصحابة؛ أبو بكر وابن عباس وابن عمر وعامة أهل الحديث وهو قول أبي حنيفة وأصحابه: أن مجرد اللمس لا ينقض الوضوء سواء كان بشهوة أم بغير شهوة ما لم يخرج شيء من القبل من مذي أو ودي أو مني، فالمعول عليه هو خروج شيء من القبل، ويستوي في ذلك الرجل والمرأة.

واستدلوا بأدلة منها: «أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل امرأة من نسائه ثم خرج إلىٰ الصلاة ولم يتوضأ»(١)، وكان وهو يصلي يغمز عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فتكف رجليها

(١) أخرجه أحمد [٢٥٧٦٦]، وأبو داود [١٧٩]، والترمذي [٨٦]، وابن ماجه [٥٠٢] من حديث عائشة =

إذا أراد السجود[١]، وحملوا اللمس الوارد في الآية على الجماع لدلالة السياق عليه.

هذا القول هو الراجح لقوة أدلته.

الناقض الثاني: هو النوم الطويل أو القصير المستغرق. والمقصود بالنوم الطويل هو النوم الذي يكون صاحبه مضطجعًا أو مستلقيًا أما الغطيط حال الجلوس أو النوم جالسا إذا كان يسيرا فهذا لا ينقض الوضوء. وإنما كان النوم ناقضًا؛ لأنه مظنة الحدث.

وعلة كون النوم ناقضًا للوضوء، ودليله قول النبي ﷺ: «**العين وكاء السه فإذا نامت العين انتطلق الوكاء**»[٢]، فإنه إذا نام لا يدري ما يخرج منه. ولذلك علل ﷺ الأمر بغسل اليدين عند القيام من النوم بقوله: «**فإن أحدكم لا يدري أين باتت يده**»[٣].

أما النوم اليسير الخفيف من جالس فليس بناقض على الصحيح؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم كانوا أحيانًا يسمع لبعضهم غطيط وهم جلوس ينتظرون صلاة العشاء ولم يؤمروا بالوضوء[٤].

= رضي الله عنها. وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» [١٧٢].

(١) أخرجه البخاري [٣٨٢]، ومسلم [٥١٢] من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه أحمد [١٦٨٧٩]، وأبو داود [٢٠٣]، وابن ماجه [٤٧٧] من حديث معاوية رضي الله عنه. وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» [٤١٤٨].

(٣) تقدم تخريجه في ص: [٤١٦].

(٤) أخرج مسلم [٣٧٦]، وأبو داود [٢٠٠] عن أنس رضي الله عنه «أن أصحاب النبي ﷺ كانوا ينتظرون العشاء الآخرة حتى تخفق رءوسهم ثم يصلون ولا يتوضأون».

الثالث- **مس الختان**: وهو لمس الفرج باليد مباشرة بدون حائل، سواء مس فرجه أو فرج غيره. والصحيح أن هذا ناقض للوضوء؛ لقول النبي ﷺ: «**من مس فرجه فليتوضأ**»[1] وفي رواية «**ذكره**»، وفي رواية «**من مس ذكره أو أنثييه أو رفغيه فليتوضأ**» والأنثىٰ تلحق بالذكر في ذلك.

وهذا ناسخ لحديث طلق بن علي رضي الله عنه الذي جاء فيه «**وهل هو إلا بضعة منك**»[2].

ومن نواقض الوضوء خروج شيء من أحد السبيلين من بول أو غائط أو ريح أو مني أو مذي أو ودي أو دم. فمتىٰ خرج شيء من ذلك فهو ناقض، أما الدم الخارج من غير السبيلين، فالتحقيق أنه غير ناقض، لأن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يصلون في جراحاتهم ودماؤهم تثعب وتسيل ولم يؤمروا بقطع الصلاة أو الوضوء.

وقوله: «**أونفخة في السر والإعلان**»: - إن الله لا يستحيي من الحق، أنا أعرف أن البعض - من بعض الجهلة وممن لا فقه عنده - قد يقول: لم تتكلمون في هذه القضايا والمسلمون عندهم من المصائب التي يعيشونها ما الله به عليم. أقول: ما ضيع المسلمين إلا جهلهم بمثل هذه القضايا؛ فلو حققوا التوحيد ثم أدوا العبادة علىٰ الوجه الصحيح بأركانها وواجباتها وشروطها لما سلط عليهم أعداؤهم.

---

(١) أخرجه أحمد [٢٧٢٩٤]، والنسائي [٤٤٤]، وابن حبان [١١١٤]، والحاكم [٤٧٩] من حديث بسرة بنت صفوان رضي الله عنها. وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح». ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في «الإرواء» [١١٦].

(٢) أخرجه أحمد [٤٣]، وأبو داود [١٨٢]، والنسائي [١٠١]، وابن حبان [١١٢٠]. وصححه الألباني في «المشكاة» [٣٢٠].

فقوله: «أو نفخة في السر والإعلان»؛ **يقصد** خروج الريح بصوت، وهو الضراط، أو بدون صوت وهو الفساء كما بين ذلك أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما روىٰ حديث: «**لا تقبل صلاة من أحدث حتىٰ يتوضأ**» قال رجل من حضرموت: ما الحدث يا أبا هريرة؟ قال: «فساء أو ضراط»(١).

ولا يستحب الاستنجاء من الريح أو النوم، بل يرىٰ بعض العلماء أن ذلك بدعة. ولا من أكل لحم الجزور عند من يرىٰ انتقاض الوضوء به - وهو الصحيح - لجواب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمن سأله أنتوضأ من لحوم الإبل؟ قال: نعم(٢).

ويشير الناظم بقوله: «ولربما نفخ الخبيث بمكره... صادقتان» إلىٰ الحذر من تلاعب الشيطان بمقاعد بني آدم ووساوسه وتخييلاته، فيخيّل إلىٰ المرء أنه خرج منه شيء ولم يخرج، وقد سئل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرجل يخيل إليه أنه يجد الشيء، فقال: «**لا ينصرف حتىٰ يسمع صوتًا أو يجد ريحًا**»(٣).



(١) أخرج البخاري [١٣٥].
(٢) أخرجه مسلم [٣٦٠] من حديث جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
(٣) أخرجه البخاري [١٣٧] ومسلم [٣٦١] من حديث عبد الله بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الغسل وموجباته

٣٣٧- وَالْغُسْلُ فَرْضٌ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ ... دَفْقُ الْمَنِيِّ وَحَيْضَةُ النِّسْوَانِ

٣٣٨- إِنْزَالُهُ فِي نَوْمِهِ أَوْ يَقْظَةٍ ... حَالَانِ لِلتَّطْهِيرِ مُوجِبَتَانِ

٣٣٩- وَتَطَهُّرُ الزَّوْجَيْنِ فَرْضٌ وَاجِبٌ ... عِنْدَ الْجِمَاعِ إِذَا الْتَقَى الْفَرْجَانِ

٣٤٠- فَكِلَاهُمَا إِنْ أَنْزَلَا أَوْ أَكْسَلَا ... فَهُمَا بِحُكْمِ الشَّرْعِ يَغْتَسِلَانِ

٣٤١- وَاغْسِلْ إِذَا أَمْذَيْتَ فَرْجَكَ كُلَّهُ ... وَالْأُنْثَيَانِ فَلَيْسَ يُفْتَرَضَانِ

❁ **ذكر الناظم من موجبات الغسل ثلاثة:** الجماع، والإنزال باحتلام أو غيره، والحيض والنفاس؛ وقد تقدم الكلام علىٰ وجوب الغسل من الجماع أو إنزال المني بأي صفة كان عند قول الناظم: «غسل الجنابة في الرقاب أمانة...» إلخ.

ويجب الغسل علىٰ المرأة عند انقطاع دم الحيض أو النفاس، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٢]، ومعنىٰ تطهرن، أي: اغتسلن، فمتىٰ حاضت المرأة أو نفست فإنه لا يجوز لها أن تصلي ولا أن تصوم ولا أن تطوف بالبيت ولا أن تمس المصحف ولا أن يأتيها زوجها حتىٰ تطهر وتغتسل.

ويجب علىٰ الزوجين الغسل من الجنابة بمجرد التقاء الختانين، ويستوي في ذلك الإنزال أو الإكسال.

وقوله:

٣٤١- وَاغْسِلْ إِذَا أَمْذَيْتَ فَرْجَكَ كُلَّهُ ... وَالْأُنْثَيَانِ فَلَيْسَ يُفْتَرَضَانِ

❁ **يعني**: إذا خرج المذي وجب غسل المحل بما فيه الذكر والأنثيين وهما الخصيتان علىٰ الصحيح لحديث المقداد بن الأسود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «**ليغسل ذكره وأنثييه ويتوضأ**»[1] وهو الأحوط.

ولا يجب الغسل من المذي، وإنما الواجب ما ذكر، وكذلك يجب غسل ما أصابه المذي من البدن أو اللباس.

ويجب علىٰ المرأة غسل ما خرج من رطوبة الفرج، وكذا علىٰ الرجل غسل ما أصابه من تلك الرطوبة لحديث أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: يا رسول الله إذا جامع الرجل المرأة فلم ينزل قال: «**يغسل ما مس المرأة منه ثم يتوضأ ويصلي**»[2].

وقد تقدم تفصيل ذلك وهو وجوب الغسل عند التقاء الختانين.



(١) أخرجه أحمد [١٠٠٩]، وأبو داود [٢٠٨]، والنسائي [١٥٣]. وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» [٢٠٣].

(٢) أخرجه البخاري [٢٩٣]، ومسلم [٣٤٦].

أحكام الحيض والنفاس

٣٤٢- وَالْحَيْضُ وَالنُّفَسَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ ... عِنْدَ انْقِطَاعِ الدَّمِّ يَغْتَسِلَانِ
٣٤٣- وَإِذَا أَعَادَتْ بَعْدَ شَهْرَيْنِ الدِّمَا ... تِلْكَ اسْتِحَاضَةُ بَعْدَ ذِي الشَّهْرَانِ
٣٤٤- فَلْتَغْتَسِلْ لِصَلَاتِهَا وَصِيَامِهَا ... وَالْمُسْتَحَاضَةُ دَهْرُهَا نِصْفَانِ
٣٤٥- فَالنِّصْفُ تَتْرُكُ صَوْمَهَا وَصَلَاتَهَا ... وَدَمُ الْمَحِيضِ وَغَيْرِهِ لَوْنَانِ
٣٤٦- وَإِذَا صَفَا مِنْهَا وَأَشْرَقَ لَوْنُهُ ... فَصَلَاتُهَا وَالصَّوْمُ مُفْتَرَضَانِ
٣٤٧- تَقْضِي الصِّيَامَ وَلَا تُعِيدُ صَلَاتَهَا ... إِنَّ الصَّلَاةَ تَعُودُ كُلَّ زَمَانِ
٣٤٨- فَالشَّرْعُ وَالْقُرْآنُ قَدْ حَكَمَا بِهِ ... بَيْنَ النِّسَاءِ فَلَيْسَ يُطَّرَحَانِ
٣٤٩- وَمَتَىٰ تَرَىٰ النُّفَسَاءُ طُهْرًا تَغْتَسِلْ ... أَوْ لَا فَغَايَةُ طُهْرِهَا شَهْرَانِ
٣٥٠- مَسُّ النِّسَاءِ عَلَىٰ الرِّجَالِ مُحَرَّمٌ ... حَرْثُ السِّبَاخِ خَسَارَةُ الْحِرْثَانِ

❁ الحائض والنفساء متىٰ انقطع الدم من إحداهما وجب عليها أن تغتسل.

ويجب عليها نقض شعرها إن كان مضفورًا علىٰ ما تقدم تفصيله.

وقوله:

٣٤٣- وَإِذَا أَعَادَتْ بَعْدَ شَهْرَيْنِ الدِّمَا ... تِلْكَ اسْتِحَاضَةُ بَعْدَ ذِي الشَّهْرَانِ؛

❁ يشير الناظم إلىٰ مذهب المالكية والجمهور من أن مدة النفاس شهران، فما جاوز الشهرين فهو استحاضة.

والذي دلّ عليه الدليل أن أقصىٰ مدة النفاس أربعون يومًا؛ لحديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**كانت النفساء علىٰ عهد رسول الله ﷺ تقعد بعد نفاسها أربعين يومًا أو أربعين ليلة**»[1]، وعليه فإذا زاد علىٰ الأربعين وجب عليها الغسل؛ لأنه أصبح استحاضة، يجب علىٰ المرأة فيها الصلاة والصوم كما يجوز لزوجها مباشرتها.

---

(١) أخرجه أحمد [٢٦٥٦١]، وأبو داود [٣١١]، والترمذي [١٣٩] وابن ماجه [٦٤٨]. وصححه
=

وقولـه: «والمستحاضة دهرها نصفان» يشير بـه إلىٰ المذهب من أن المستحاضة تقسم الشهر نصفين، فتجلس نصفا - لأن غاية الحيض خمسة عشر يومًا - وتصلي وتصوم في النصف الآخر، والتحقيق الـذي يعضده الدليل في المسألة أن المرأة في ذلك لا تخلو من ثلاث حالات: إما أن تكون معتادة كحديث أم حبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فهذه تعمل بعادتها، فمثلًا إذا كان عادتها سبعا فإنها تمكث سبعا، أو مميزة كحديث فاطمة بنت أبي حبيش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فتعمل بالتمييز بحسب لون الدم، أو مترددة كحديث حمنة بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فهذه تمكث عادة أكثر النساء اجتهادًا كست أو سبع أو بحسب ما يظهر لها من لون أو غلظ أو ألم.

وقولـه: «ودم المحيض وغيره لونان» إشارة إلىٰ التفريق بين دم الحيض ودم الاستحاضة، فدم الحيض أسود داكن يُعرف، ودم الاستحاضة أحمر قان صاف.

ومن الفروق بينهما أيضا من حيث الرائحة والألم والكثرة والقلة والغلظ والرقة أو وصف طبيب، فدم الحيض رائحته شديدة ويصاحبه الألم وقليل وغليظ، ودم الاستحاضة بعكسه، قال الناظم:

بـاللون والريح وبالتألم وغلظ وكثرة مزُّ الدم

وقوله:

٣٤٦- «وَإِذَا صَفَا مِنْهَا وَأَشْرَقَ لَوْنُهُ فَصَلَاتُهَا وَالصَّوْمُ مُفْتَرَضَانِ»

❁ **أي:** إذا صار الدم أحمر صافيا قانيا من أي كدر فإنها تصلىٰ وتصوم لأنه يكون حينئذ استحاضة وليس حيضًا علىٰ ما تقدم تفصيله.

= الألباني في «صحيح سنن أبي داود» [٣٣٠].

وقوله:

٣٤٧- «تَقْضِي الصِّيَامَ وَلَا تُعِيدُ صَلَاتَهَا ... إِنَّ الصَّلَاةَ تَعُودُ كُلَّ زَمَانِ»

❁ تنبيه علىٰ أن الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة، وهذا مما لا خلاف فيه بين أهل السنة، يدل لذلك حديث معاذة رَحِمَهَاٱللَّهُ، قالت: «سألت عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، فقلت: «ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ فقالت: أحرورية أنت؟ قلت: لست بحرورية ولكني أسأل، قالت: كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة»[1].

وقوله:

٣٤٨- «فَالشَّرْعُ وَالْقُرْآنُ قَدْ حَكَمَا بِهِ ... بَيْنَ النِّسَاءِ فَلَيْسَ يُطَّرَحَانِ»

❁ يعني أن الله قد بيّن في كتابه وعلىٰ لسان رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أحكام الحيض والنفاس بما في ذلك أن الحائض والنفساء تقضيان الصوم ولا تقضيان الصلاة، فيجب التسليم لأحكام الله ورسوله دون تردد أو اعتراض خلافا لما عليه الخوارج ومن شاكلهم من الغلاة المتنطعين من أنها تقضي الصلاة، وقد قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**هلك المتنطعون**» ثلاثًا[2].

وقوله:

٣٥٠- مَسُّ النِّسَاءِ عَلَىٰ الرِّجَالِ مُحَرَّمٌ ... حَرْثُ السِّبَاخِ خَسَارَةُ الْحِرْثَانِ

❁ **هذا يحتمل معنيين: الأول**- وهو ألصق بالموضوع، أن جماع النساء حال الحيض أو النفاس محرم في موضع الحرث، فأما ما دونه فإنه يباح للزوج أن يستمتع

---

(١) أخرجه مسلم [٣٣٥].

(٢) أخرجه مسلم [٢٦٧٠] من حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ..

بامرأته فيما دون الفرج. والله عَزَّوَجَلَّ قد نهىٰ عن إتيان النساء حال الحيض والنفاس كما في الآية الكريمة: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٢ - ٢٢٣]؛ أي: بعد الطهر والتطهر، وله أن يستمتع بما دون الفرج لحديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قالت: «كان رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يأمرني فأتزر، فيباشرني وأنا حائض»(١).

ويحتمل البيت معنىٰ آخر وهو ما يتعلق بمس النساء الأجنبيات، وما إلىٰ ذلك، وهذا سيذكره الناظم عند قوله: «لا تخل بامرأة...» إلخ.



(١) أخرجه البخاري [٣٠٠]، ومسلم [٢٩٣] من حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا.



التحذير من السرقة والخيانة والخمر والظلم والزنا

٣٥١- لَا تَلْقَ رَبَّكَ سَارِقًا أَوْ خَائِنًا أَوْ شَارِبًا أَوْ ظَالِمًا أَوْ زَانِي

❁ يحذر الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ من عدة فواحش مما حذر منها الله ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وبدأ بالسرقة وهي: أخذ المال خِلسة من حرزه، أي من المكان الذي يحفظ فيه مثله عادة. وهي تختلف عن السلب والنهب وقطع الطريق والحرابة، وقد قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المَائدة: ٣٨]، وقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده**»[١]. وحد السارق أن تقطع يده من مفصل اليد إذا أقر بذلك أو شهد عليه شاهدا عدل، وكان حرًا مكلفًا، أي: بالغًا عاقلًا، وأن يكون من حرز مثله، وكل نوع من المال له حرز معين بحسب العرف، وفي قطع يده سلامة لأموال كثيرة وسلامة لأيد كثيرة؛ فإذا تذكر السارق أنه سوف تقطع يده فإنه سيرعوي: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٧٩].

وقد جاء الدين الإسلامي بحفظ الضروريات الخمس، وهي: النفس والدين والعرض والعقل والمال. فحفظ الدين بحد الردة، والمال بحد السرقة ونحوها، والنفس بحد القتل، والعرض بحد الزنا، والعقل بحد الخمر ونحوه. وكل هذه الخمس حرمها الشارع بل حرم قربانها ورتب علىٰ ارتكابها عقوبات، بل سد الشارع الحكيم كل الذرائع التي قد تخل بهذه الضروريات أو الكليات.

ثم حذر من الخيانة، وهي أن يخون العهد، أو يخون الأمانة التي ائتمن عليها؛ ومن أعظم الخيانات: الخيانة في جنب الله عَزَّوَجَلَّ بأن تترك أوامره وترتكب محارمه ثم الجناية

---

(١) أخرجه البخاري [٦٧٨٣]، ومسلم [١٦٨٧] من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

مع الخلق، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٣٨]، والخيانة من سمات المنافقين، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان»**(١)، بل كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستعيذ بربه من الخيانة، فيقول: **«اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة»**(٢).

ثم حذر من الأشربة المحرمة، وهذا يشمل الخمر وما في حكمها من المسكرات والمخدرات والمفترات - عافانا الله وإياكم منها -، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾

[المائدة: ٩٠ - ٩١]

ومن شرب خمر الدنيا حُرم خمر الآخرة و**«ما أسكر كثيره فقليله حرام»**(٣).

فالعقل نعمة عظيمة امتن الله به علىٰ عباده من بني آدم ولكن البعض يعطله أو يمرضه ويضعفه.

ثم حذر من الظلم، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة»**(٤)، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله**

---

(١) أخرجه البخاري [٣٣]، ومسلم [٥٩] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أبو داود [١٥٤٩]، والنسائي [٥٤٦٨]، وابن ماجه [٣٣٥٤] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وحسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» [١٣٨٣].

(٣) أخرجه أبو داود[٣٦٨٣]، والترمذي [١٨٦٥]، وابن ماجه[٣٣٩٣] من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب من حديث جابر».

(٤) أخرجه مسلم [٢٥٧٨] من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

حجاب»[1]، وأعظم الظلم: الشرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حكاية عن لقمان: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، ويقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

والظلم في اللغة: وضع الشيء في غير موضعه، وفي الاصطلاح: تجاوز الحد والاعتداء، سواء كان ذلك بالشرك - وهو أعظم أنواع الظلم - أو ظلم العباد فيما بينهم وتعدي بعضهم علىٰ بعض أو ظلم العبد لنفسه فيما بينه وبين ربه، وفيما بينه وبين نفسه، وقد تقدم الكلام علىٰ الدواوين الثلاثة، وأن الظلم أنواع ثلاثة: ظلم لا يغفره الله، وهو الإشراك بالله ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، وظلم لابد فيه من القصاص، وهو ظلم العباد بعضهم لبعض، وظلم تحت المشيئة، وهو ظلم العبد فيما بينه وبين ربه وفيما بينه وبين نفسه.

وقد قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في الحديث القدسي: «**يا عبادي إني حرمت الظلم علىٰ نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا**»[2]، ويقول الله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠].

وقال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من أخذ شبرًا من الأرض ظلمًا فإنه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين**»[3]، وقال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض فمن قضيت له بشيء من حق أخيه بقوله فإنما أقطع له قطعة من النار فلا يأخذها**»[4].

---

(١) أخرجه البخاري [١٤٩٦]، ومسلم [١٩] من حديث معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم [٢٥٧٧] من حديث أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري [٣١٩٨]، ومسلم [١٦١٠] من حديث سعيد بن زيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه البخاري [٢٦٨٠]، ومسلم [١٧١٣] من حديث أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

فاحذر منه يا عبد الله، فإنه من أعظم أسباب زوال النعم عن العباد.

ثـم حذر من الزنـا، وهو إتيان غـير الزوجات أو ملك اليمـين، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ٥ - ٧]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢] - عافانـا الله وإياكـم مـن ذلـك -، وقد رتب الشارع علىٰ هذا الفعل المشين عقوبات شديدة، وهي الرجم للمحصن والجلد مائة جلدة وتغريب عام للبكر.

وهذا كله بعد اعترافه وإقراره، أو شـهادة أربعة عدول، يصفونه وصفًا دقيقًا بأنهم رأوا ذلك منه عيانًا بيانًا. وسيأتي لهذا مزيد بيان قريبًا - إن شاء الله تَعَالَىٰ -.

فليحـذر المسـلمون مـن هـذة الآفة الخطـيرة، فإنها ما فشـت في بلـد إلا كثرت فيه الأمـراض والمصائـب والفقر والأوجاع التي لم يعرفها أسـلافه. ومعلوم مـا تعانيه تلك الـدول التـي ينتشر فيها هـذا الداء العضـال من الأمـراض الفتاكة كالإيـدز وهو نقص المناعة، والزهري والسـيلان وغيرها من الأمراض الخطيرة التي حار الأطباء في علاجها - نعوذ بالله من ذلك كله - وما عند الله أشد.

۞ ۞ ۞

٣٥٢- قُلْ إِنَّ رَجْمَ الزَّانِيَيْنِ كِلَيْهِمَا فَــرْضٌ إِذَا زَنَـيَـا عَلَىٰ الْإِحْـصَـانِ
٣٥٣- وَالـرَّجْـمُ فِي الْـقُـرْآنِ فَـرْضٌ لَازِمٌ لِـلْـمُـحْـصَـنَـيْنِ وَيُجْـلَـدُ الْـبِـكْـرَانِ

❁ يبين رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن عقوبة الزانيين بعد الإحصان هي الرجم، ويثبت الإحصان بحصول جماع في نكاح صحيح وهما بالغان عاقلان حران.

وقد ثبت الرجم بآية منسوخة التلاوة، باقية الحكم: «**الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم**»(١). وبالسنة المتواترة، وقد رجم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ماعزا والغامدية واليهوديين والمرأة في قصة العسيف. ويقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث النفس بالنفس والثيب الزاني والمارق من الدين التارك للجماعة**»(٢).

وما أكثر المارقين من الدين في هذا الزمان بالإفراط أو التفريط، لا كثرهم الله.
وقد ثبت الجلد للبكر غير المحصن - وهو مائة جلدة وتغريب عام بالقرآن والسنة، قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ﴾ [النُّور: ٢]، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلًا البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة والثيب بالثيب جلد مائة والرجم**»(٣).



(١) أخرجه الحاكم [٤٥١٣] من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وأصل الحديث في الصحيحين.
(٢) أخرجه البخاري [٦٨٧٨]، ومسلم [١٦٧٦] من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٣) أخرجه مسلم [١٦٩٠] من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

٣٥٤- وَالْخَمْرُ يَحْرُمُ بَيْعُهَا وَشِرَاؤُهَا سِيَّانِ ذَلِكَ عِنْدَنَا سِيَّانِ
٣٥٥- فِي الشَّرْعِ وَالْقُرْآنِ حُرِّمَ شُرْبُهَا وَكِلَاهُمَا لَا شَكَّ مُتَّبَعَانِ

❁ قد تقدم ذكر بعض الأدلة الدالة علىٰ تحريم الخمر؛ فيحرم بيعها وشراؤها وعصرها وحملها وكل ما يتعلق بصنعها، بل حرم بيع العنب لمن يتخذه خمرًا، ويلحق بهذا كل ما يصنع منه الخمر ولو كان في الأصل مباحًا لمن يتخذه خمرًا، وقال ﷺ: «**لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه**»[1]، وكل هؤلاء ملعونون علىٰ لسان رسول الله ﷺ.

وقوله:

٣٥٥- فِي الشَّرْعِ وَالْقُرْآنِ حُرِّمَ شُرْبُهَا وَكِلَاهُمَا لَا شَكَّ مُتَّبَعَانِ

❁ أي في السنة والقرآن حرّم شرب الخمر وهما المعول عليهما في أخذ الأحكام الشرعية، إذ هما المصدر الوحيد للتشريع، وكلاهما وحي من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قال رسول الله ﷺ: «**ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه**»[2].



---

(١) أخرجه أحمد [٢٨٩٧]، وأبو داود [٣٦٧٦]، وابن ماجه [٣٣٨٠] من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وصححه الألباني في «الإرواء» [١٥٢٩].

(٢) أخرجه البخاري [٦٨٧٨]، ومسلم [١٦٧٦] من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أشراط الساعة

٣٥٦- أَيْقِنْ بِأَشْرَاطِ الْقِيَامَةِ كُلِّهَا	وَاسْمَعْ هُدِيتَ نَصِيحَتِي وَبَيَانِي
٣٥٧- كَالشَّمْسِ تَطْلُعُ مِنْ مَكَانِ غُرُوبِهَا	وَخُرُوجِ دَجَّالٍ وَهَوْلِ دُخَانِ
٣٥٨- وَخُرُوجِ يَأْجُوجٍ وَمَأْجُوجٍ مَعًا	مِنْ كُلِّ صَقْعٍ شَاسِعٍ وَمَكَانِ
٣٥٩- وَنُزُولِ عِيسَىٰ قَاتِلًا دَجَّالَهُمْ	يَقْضِي بِحُكْمِ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ
٣٦٠- وَاذْكُرْ خُرُوجَ فَصِيلِ نَاقَةِ صَالِحٍ	يَسِمُ الْوَرَىٰ بِالْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ
٣٦١- وَالْوَحْيُ يُرْفَعُ وَالصَّلَاةُ مِنَ الْوَرَىٰ	وَهُمَا لِعِقْدِ الدِّينِ وَاسِطَتَانِ

❁ بدأ الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالحديث عن أشراط الساعة ووجوب الإيمان بها، وذلك بالإيمان بكل ما ورد في كتاب الله منها أو صح في سنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وهي نوعان: علامات صغرىٰ وعلامات كبرىٰ، والكل غيب يجب الإيمان به والتسليم.

وأشراط الساعة، أي: علاماتها التي تسبقها، قال تعالىٰ: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾ [لقمان: ٣٤]؛ وهذه هي مفاتيح الغيب الخمس التي استأثر الله بعلمها.

وفي حديث جبريل الطويل: «**قال: أخبرني عن الساعة، قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، قال: فأخبرني عن أماراتها**»[(١)] أي: علاماتها.

---

(١) تقدم تخريجه في ص: [٢٧٨].

والناظم هنا ذكر العلامات الكبرى، بينها هناك علامات صغرى تسبق ذلك كله، ومنها:

مبعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بُعِثْتُ أنا والسَّاعَةُ كَهاتَيْن، وأشار بالسَّبابة والوُسطَى**»(١)، يعني: أن مبعثه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤذن بقرب الساعة.

ومنها: انشقاق القمر في عهده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: ١].

ومنها: بل أعظمها وأخطرها، وقوع الشرك في هذه الأمة ورجوع فئام منها إلى عبادة الأوثان.

ومنها قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اعدد ستا بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس**» - وقد فتح في عهد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الفتح الأول - «**ثم موتان** - بضم الميم - **يأخذ فيكم كقعاص الغنم**» - وهو: مرض يصيب الغنم، فيهلك منها كثيرا، ولعله الطاعون الذي وقع بعمواس وذهب من جرائه بإذن الله تَعَالَى جمع من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى رأسهم أبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وغيرهم من الصحب الأجلاء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - «**ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطًا، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته**» - وقد تكون الفتنة التي حصلت بمقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وما تبعها من الفتن - «**ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر** - وهم الروم -، **فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفا**»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم [٨٦٧] من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري [٣١٧٦] من حديث عوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومنها: قلة العلم وكثرة الجهل، وكثرة النساء وقلة الرجال، وزخرفة المساجد، وكثرة الزلازل والفتن، وتقارب الزمان، وأن تلد الأمة ربتها، وأن ترىٰ الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان، وذهاب الأمانة، وإسناد الأمر إلىٰ غير أهله، وموت العلماء، ونار تخرج بالمدينة تضيء لها أعناق الإبل ببصرىٰ، - وبصرىٰ علىٰ حدود الشام-، ولعله البركان الذي ثار في المدينة عام ٦٥٤هـ، وقد رئيت منه أعناق الإبل ببُصرىٰ.

هـذه بعض العلامات الصغرىٰ، وهي كثيرة، ما صح منها قد يزيد علىٰ الخمسين، وجلها قد وقع.

وأحيل القارئ إلىٰ بعض الكتب النافعة في هذا الباب، منها: الإشاعة في أشراط الساعة للبرزنجي، ومنها إتحاف الجماعة بأشراط الساعة للشيخ حمود التويجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكتب التاريخ الموثقة والفتن والملاحم، وكتب السنة، ومن أجمع وأنفس ما ألف فيها في هذا العصر: كتاب أشراط الساعة للشيخ يوسف الوابل، وهو مطبوع .

وهـذه الأشراط، الكبرىٰ منها والصغرىٰ، يجب الإيمان بها، حيث إنَّ من صفات المؤمنين: الإيمان بالغيب. قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البَقَرَة: ٢ - ٣].

وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «آمنت بالله وبما جاء عن الله علىٰ مراد الله، وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله، علىٰ مراد رسول الله»[(١)].

وهكذا شأن المؤمنين فإنهم دائمًا يؤمنون بالغيب وإن لم تستوعبه عقولهم، أو تدركه أفهامهم.

---

(١) انظر: «لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد» للإمام ابن قدامة المقدسي، ص: [٧].

وهناك من ينكر أشراط الساعة أو بعضها، وهم العقلانيون. ويتمثلون قديمًا في المعتزلة وحديثًا فيمن يُخْضعون القرآن وصحيح السنة لمحض عقولهم الكاسدة وآرائهم الفاسدة.

وتقدم الكلام علىٰ هؤلاء العقلانيين عند ذكر الناظم لبعض أحوال الآخرة، وكما يقول الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَوَ كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل إلىٰ محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لجدل هؤلاء؟»[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فليت شعري، بأي عقل يوزن الكتاب والسنة!»[2].

تبًّا لهاتيك العقول فإنها والله قد مسخت علىٰ الأبدان
تبًّا لمن أضحىٰ يقدمها علىٰ الـ آثار والأخبار والقرآن

❁ فالعقل مع النص كالفرع مع الأصل؛ فليخضع العقل للنص لا العكس، والعقل السليم لا يتعارض مع النقل الصحيح، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل؛ فلا نعطل العقل كشأن الواقفة أو الجامدين الجهلة الذين يرون أن العقل لا يفكر به ولا يتدبر به، ولا نعتمد عليه كما تفعل المعتزلة ومن نهج نهجهم.

فأشراط الساعة مما وقع فيه الخلط الكثير من هؤلاء العقلانيين، فهم ما بين مؤول وبين منكر لها بدعوىٰ أنها وردت من طريق أحاديث الآحاد.

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» لابن تيمية (٥/ ٢٩)، «شرح أصول اعتقاد لأهل السنة والجماعة» للالكائي، (١/ ١٤٤).
(٢) «الفتوىٰ الحموية الكبرىٰ»، ص: [٢٧٢].

وقد تقدم تقرير أن المعتبر في ذلك صحة النص وسلامة الدلالة بغض النظر عن كون ذلك متواترًا أو آحادًا.

وقوله:

٣٥٧- كَالشَّمْسِ تَطْلُعُ مِنْ مَكَانِ غُرُوبِهَا ... وَخُرُوجِ دَجَّالٍ وَهَوْلِ دُخَانِ

❁ بدأ الناظم في الكلام علىٰ العلامات الكبرىٰ، وهي ما تضمنها حديث حذيفة بن أسيد الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «اطلع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علينا ونحن نتذاكر فقال: ما تذاكرون؟ قالوا: نذكر الساعة. قال: «**إنها لن تقوم حتىٰ تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسىٰ بن مريم** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلىٰ محشرهم**»(١)، وقد جاء في الحديث أنها تتابع كما يتتابع الخرز في النظام إذا انقطع..

وبدأ الناظم بذكر طلوع الشمس من مغربها. ولن نتطرق لأيها أول وقوعا؛ لأن ذلك محل خلاف بين أهل العلم، ولا يترتب عليه كبير فائدة، لأنها تتتابع سراعا كما تقدم.

فالشمس تستأذن ربها كل ليلة للطلوع، فتطلع بعد إذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. وهذا أمر لا ندركه، ولكن نؤمن به لأنه صح به الخبر، وإذا صح به الخبر وجب الإيمان به. ثم إنها تستأذن في آخر الزمان مرتين فتطلع والمرة الثالثة لا يؤذن لها فتطلع من حيث غربت، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]؛ وفسر ذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «**إن الله** عَزَّ وَجَلَّ **يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتىٰ تطلع**

(١) أخرجه مسلم [٢٩٠١].

الشمس من مغربها»[(١)]، وقال ﷺ: **«لا تنقطع الهجرة حتىٰ تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتىٰ تطلع الشمس من مغربها»**[(٢)].

ثانيا- الدجال؛ والدجال رجل من بني آدم يخرج آخر الزمان، له صفات كثيرة جاءت بها الأحاديث لتعريف الناس به، وتحذيرهم من شره حتىٰ إذا خرج عرفه المؤمنون فلا يفتتنون به، بل هم علىٰ علم وبصيرة به للعلم بصفاته التي أخبر بها الصادق المصدوق ﷺ وهذه الصفات تميزه عن غيره من الناس فيعرفه كل مسلم ومسلمة.

يخرج فيدعي أنه رب الناس وأنه الإله، وعنده خوارق، ويتبعه الكثير؛ وأكثر أتباعه من اليهود والنساء، وسيخرج لا محالة، فإذا خرج عاث في الأرض فسادا إلىٰ أن يقتله مسيح الهداية عيسىٰ ابن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

فمن صفاته أنه أعور، عقيم لا يولد له، شاب، أحمر، قصير، جعد الشعر قطط، أجلىٰ الجبهة، أقنىٰ الأنف، عريض النحر، ممسوح العين اليمنىٰ كأنها عنبة طافئة، وعينه اليسرىٰ عليها ظفرة غليظة - **والظفرة**: قطعة اللحم -، مكتوب بين عينيه (كـ فـ ر) بالحروف المقطعة، أو كافر بدون تقطيع، يقرؤها كل مسلم كاتب وغير كاتب.

قال رسول الله ﷺ في وصفه: **«ثم رأيت رجلًا وراءه جعدًا قططًا أعور العين اليمنىٰ كأشبه من رأيت بابن قطن واضعًا يديه علىٰ منكبي رجل يطوف بالبيت فقلت: من هذا قالوا: المسيح الدجال»**[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم [٢٧٥٩] من حديث أبي موسىٰ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد [١٦٩٠٦]، وأبو داود [٢٤٨١]، والدارمي [٢٥١٣] من حديث معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» [٢٢٤١].

(٣) أخرجه البخاري [٣٤٤٠] من حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

وهل هو عبد الله بن صياد أو غيره؟ الظاهر أنه غيره بدليل حديث فاطمة بنت قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عند مسلم، حيث إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما حدثه تميم الداري بخبر الدجال، «جمع الناس مناديًا الصلاة جامعة، فلما قضىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلاته جلس علىٰ المنبر وهو يضحك، فقال: «**ليلزم كل إنسان مصلاه**»، ثم قال: «**أتدرون لم جمعتكم**» قالوا الله ورسوله أعلم. وقال لهم: «**إن تميمًا حدثني بما كنت قد حدثتكم به من خبر الدجال**»، ليؤكد ذلك للصحابة، وليرسخ الخبر في أذهانهم ثم ذكر قصة تميم وأنهم كانوا في البحر. قال: «**إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة ولكن جمعتكم لأن تميمًا الداري كان رجلًا نصرانيًا فجاء فبايع وأسلم وحدثني حديثًا وافق الذي كنت أحدثكم عن المسيح الدجال حدثني أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلًا من لخم وجذام فلعب بهم الموج شهرًا في البحر ثم أرفؤا إلىٰ جزيرة في البحر حتىٰ مغرب الشمس فجلسوا في أقرب السفينة فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلب كثير الشعر لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر فقالوا: ويلك ما أنت فقالت: أنا الجساسة قالوا: وما الجساسة قالت: أيها القوم انطلقوا إلىٰ هذا الرجل في الدير فإنه إلىٰ خبركم بالأشواق قال: لما سمت لنا رجلًا فرقنا منها أن تكون شيطانة قال: فانطلقنا سراعًا حتىٰ دخلنا الدير فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقًا وأشده وثاقًا مجموعة يداه إلىٰ عنقه ما بين ركبتيه إلىٰ كعبيه بالحديد قلنا: ويلك ما أنت قال: قد قدرتم علىٰ خبري فأخبروني ما أنتم قالوا: نحن أناس من العرب ركبنا في سفينة بحرية فصادفنا البحر حين اغتلم فلعب بنا الموج شهرًا ثم أرفأنا إلىٰ جزيرتك هذه فجلسنا في أقربها فدخلنا الجزيرة فلقيتنا دابة أهلب كثير الشعر لا يدري ما قبله من دبره من كثرة الشعر فقلنا: ويلك**

ما أنت فقالت: أنا الجساسة قلنا: وما الجساسة قالت: اعمدوا إلىٰ هذا الرجل في الدير فإنه إلىٰ خبركم بالأشواق فأقبلنا إليك سراعًا وفزعنا منها ولم نأمن أن تكون شيطانة فقال: أخبروني عن نخل بيسان قلنا: عن أي شأنها تستخبر قال: أسألكم عن نخلها هل يثمر قلنا له: نعم قال: أما إنه يوشك أن لا تثمر قال: أخبروني عن بحيرة طبرية قلنا: عن أي شأنها تستخبر قال: هل فيها ماء قالوا هي كثيرة الماء قال: أما إن ماءها يوشك أن يذهب قال: أخبروني عن عين زغر قالوا: عن أي شأنها تستخبر قال: هل في العين ماء وهل يزرع أهلها بماء العين قلنا له: نعم هي كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها قال: أخبروني عن نبي الأميين ما فعل قالوا: قد خرج من مكة ونزل يثرب قال أقاتله العرب قلنا: نعم قال: كيف صنع بهم فأخبرناه أنه قد ظهر علىٰ من يليه من العرب وأطاعوه قال لهم قد كان ذلك قلنا نعم قال أما إن ذاك خير لهم أن يطيعوه وإني مخبركم عني إني أنا المسيح وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة فهما محرمتان علىٰ كلتاهما كلما أردت أن أدخل واحدة أو واحدًا منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتا يصدني عنها وإن علىٰ كل نقب منها ملائكة يحرسونها» قالت: قال رسول الله ﷺ: «**وطعن بمخصرته في المنبر هذه طيبة هذه طيبة - يعني: المدينة - ألا هل كنت حدثتكم ذلك**» فقال الناس: «**نعم**» فقال: «**فإنه أعجبني حديث تميم أنه وافق الذي كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة ألا أنه في بحر الشام أو بحر اليمن لا بل من قبل المشرق ما هو من قبل المشرق ما هو من قبل المشرق ما هو**» وأومأ بيده إلىٰ المشرق قالت: «فحفظت هذا من رسول الله ﷺ»[1].

(١) أخرجه مسلم [٢٩٤٢].

ومن صفاته أن معه جنة ونارًا، فناره جنة وجنته نار، قال ﷺ: **«لأنا أعلم بما مع الدجال منه؛ معه نهران يجريان: أحدهما رأي العين ماء أبيض، والآخر رأي العين نار تأجج، فإن أدركه أحدٌ فليأت النهر الذي يراه نارًا وليغمض ثم ليطأطئ رأسه فيشرب منه فإنه ماء بارد»**(١).

وقال ﷺ في صفته: **«يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفا عليهم الطيالسة»**(٢).

وورد في وقت مجيئه حديث: **«عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب حضور الملحمة وحضور الملحمة فتح القسطنطينية وفتح القسطنطينية خروج الدجال قال: ثم ضرب معاذ على منكب عمر بن الخطاب فقال: والله إن ذلك لحق كما أنك جالس»**(٣).

وفتنته أعظم الفتن؛ لذلك ما من نبي إلا حذر أمته المسيح الدجال.

ومن أسباب الوقاية والخلاص من فتنته - بإذن الله - ما يلي:

الأول- العلم والتعلم فإن العلم منجاة والجهل مهلكة، فإن المسلم إذا تعلم وعمل بما تعلم ظاهرًا وباطنًا فإن ذلك سيكون سببًا في نجاته - بإذن الله - من فتنة الدجال وغيرها من الفتن.

---

(١) أخرجه مسلم [٢٩٣٤] من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم [٢٩٤٤] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد [٢٢٠٢٣]، وأبو داود [٤٢٩٦]، والترمذي [٢٢٣٨]، والحاكم [٨٢٩٧] من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه. قال الترمذي: «وهذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه»، وقال الحاكم: «هذا الحديث وإن كان موقوفا، فإن إسناده صحيح»، وقال الذهبي: «صحيح موقوف».

فإذا عرف المسلم الدجال وأوصافه وأحواله وأنه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤها كل مسلم ومسلمة؛ فإن هذا من أعظم الأسباب الواقية من فتنته.

الثاني- معرفة الله بأسمائه وصفاته؛ ذلك لأن الدعاء بأسماء الله وصفاته خير الأدعية.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فيستعيذ المسلم بها دائما من فتنة المسيح الدجال، بل أمر النبي ﷺ أن نستعيذ من أربع، فقال: «**إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر فليتعوذ بالله من أربع من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن شر المسيح الدجال**»(١).

ثالثًا- الاجتهاد في سكنىٰ مكة والمدينة مع العمل الصالح قبل كل شيء فإن ذلك مرغب فيه أولا ثم إن الدجال لا يدخل مكة ولا المدينة كما دلت النصوص الصحيحة علىٰ ذلك، ومن ذلك قوله ﷺ: «**ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة ليس له من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فيخرج الله كل كافر ومنافق**»(٢).

ومن طرق النجاة من فتنته لمن أدركه قراءة أوائل أو خواتيم سورة الكهف عليه(٣)، وإن جمع المسلم بينها كان حسنا، بل حث النبي ﷺ علىٰ المواظبة علىٰ

---

(١) تقدم تخريجه في ص: [٦٢].

(٢) أخرجه البخاري [١٨٨١]، ومسلم [٢٩٤٣] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) أخرج مسلم [٢٩٣٧] من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**كأني أشبهه بعبد العزىٰ بن قطن، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف**». =

قـراءة سـورة الكهف كاملة ليلة الجمعة أو يومها، وقـال: إن من فعل ذلك وقي شر فتنة المسيح الدجال.

ومـن العلامـات الكبرىٰ: الدخـان؛ وهو دخان يخـرج قبل يوم القيامـة. وقد ذكر بعـض أهـل العلم بأنـه الدخان الـذي أصاب قريشـا يوم أن سـلط الله عليهم السـنين، فاغـبرت الأرض كأنـما يعلوهـا الدخـان، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الدخان: ١٠ - ١١]. وهـذا القـول قـول مرجوح، والحق أنه دخان يحصل في آخر الزمان، ويؤيده:

أولًا- أنه قول أكثر أهل العلم سلفا عن خلف.

ثانيًا- ذكر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدخان ضمن العلامات الكبرىٰ في حديث حذيفة بن أسيد المتقدم ذكره.

وقوله:

٣٥٨- وَخُـرُوجِ يَـأْجُـوجٍ وَمَـأْجُـوجٍ مَعًا　　　مِـنْ كُـلِّ صَـقْـعٍ شَـاسِـعٍ وَمَـكَـانِ

❁ يأجـوج ومأجـوج قوم يظهرون آخـر الزمان يأتون مـن كل حدب وصوب كما قـال الله تَعَالَىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾ [الأنبياء: ٩٦ - ٩٧]، ويقـول تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في قصة ذي القرنين: ﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ

= وأخرج [٨٠٩] من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال**»، وفي رواية شعبة: «**من آخر الكهف**».

قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرًا ﴾ [الكهف: ٩٤ - ٩٦]، ويقول النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«فبينما هم كذلك إذ أوحىٰ الله إلىٰ عيسىٰ إني قد أخرجت عبادًا لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلىٰ الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم علىٰ بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر نبي الله عيسىٰ وأصحابه حتىٰ يكون رأس الثور لأحدهم خيرا من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسىٰ وأصحابه فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسىٰ كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسىٰ وأصحابه إلىٰ الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب نبي الله عيسىٰ وأصحابه إلىٰ الله فيرسل الله طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتىٰ يتركها كالزلفة»**(١).

وقوله:

٣٥٩- وَنُـزُولِ عِيسَىٰ قَاتِلًا دَجَّالَهُمْ يَقْضِي بِحُكْمِ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ

❁ يشير رَحِمَهُ اللَّهُ أن عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ ينزل آخر الزمان علىٰ المنارة البيضاء، شرقي دمشق، فيقتل الدجال، ويكسر الصليب، ويرفع الجزية، ويحكم بالعدل - يحكم بشريعة نبينا محمد صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ويحكم سبع سنين، يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا.

قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ١٥٩]، قال المفسرون: إن المراد بالآية نزول عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال

(١) جزء من حديث النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المتقدم في الكلام عن المسيح الدجال.

ﷺ: «**فبينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة فينزل عيسىٰ بن مريم ﷺ فأمهم فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء فلو تركه لانذاب حتىٰ يهلك ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته**»(١).

وقوله: «واذكر خروج فصيل ناقة صالح يسم الورىٰ بالكفر والإيمان»: يقصد بهذا البيت خروج الدابة التي تخرج آخر الزمان، وتسِمُ كل إنسان بما هو عليه من إسلام أو كفر.

قال الله تعالىٰ: ﴿۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢].

فتسمهم علىٰ وجوههم كما ثبت في الحديث الصحيح؛ تكتب علىٰ جبين المؤمن: مؤمن، وعلىٰ جبين الكافر: كافر.

وقد نصّ علىٰ الدابة حديث حذيفة المتقدم.

وقول الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن الدابة فصيل ناقة صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ليس عليه دليل يعتمد، وأضعف منه قول من قال: إنها تخرج من الصفا، وأضعف من ذلك كله دعوىٰ أن الدابة هي الجراثيم المنتشرة في الهواء، وهذا باطل وهو قول العقلانيين.

والواجب اعتقاده أنها دابة تخرج آخر الزمان وتسم الناس كما تقدم.

وقد ترك الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ من العلامات الكبرىٰ الثابتة في حديث حذيفة الخسوفات الثلاث - خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب - والنار التي تخرج من قعر عدن أبين، تسوق الناس إلىٰ محشرهم.

---

(١) أخرجه مسلم [٢٨٩٧] من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وقوله:

٣٦١- «وَالْوَحْيُ يُرْفَعُ وَالصَّلَاةُ مِنَ الْوَرَىٰ   وَهُمَا لِعِقْدِ الدِّينِ وَاسِطَتَانِ»

❁ وضح الناظم أنه يرفع القرآن من صدور الرجال ومن بطون الكتب كما ترفع الصلاة، وذلك بأن يتركها الناس حينما يضعف الإيمان، فيتناقص شيئًا فشيئًا حتىٰ لا تقوم الساعة وعلىٰ وجه الأرض من يقول: الله، الله[1]؛ وفي حديث أبي أمامة الباهلي أن رسول الله ﷺ قال: «**لتنقضن عرىٰ الإسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، وأولهن نقضا الحكم وآخرهن الصلاة**»[2].

وقوله: «وهما لعقد الدين واسطتان»؛ أي: أن الدين مرتكز عليهما، فبذهاب القرآن والصلاة ذهاب الدين.



(١) رواه مسلم [١٤٨] من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد [٢٢١٦٠]، وابن حبان في صحيحه [٦٧١٥]. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٥٠٧٥].

أوقات الصلاة

٣٦٢- صَلِّ الصَّلَاةَ الْخَمْسَ أَوَّلَ وَقْتِهَا إِذْ كُلُّ وَاحِدَةٍ لَهَا وَقْتَانِ

❁ بين الناظم في هذا البيت أن الأفضل في الصلاة المفروضة أن تؤدىٰ في أول وقتها لما ثبت في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «سألت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أي العمل أفضل؟ قال: «**الصلاة لوقتها**»[(١)]؛ فالأكمل والأفضل أن تصلىٰ الصلاة في أول وقتها إلا ما كان من هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الإبراد بصلاة الظهر حال اشتداد الحر، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا كان اليوم الحار فأبردوا بالصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم**»[(٢)]، وتأخير العشاء إلىٰ ثلث الليل إذا أمكن.

وقوله: «إذ كل واحدة لها وقتان» سيأتي تفصيله قريبًا، إن شاء الله.



(١) أخرجه مسلم [٨٥].

(٢) أخرجه البخاري [٥٣٤]، ومسلم [٦١٥] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



أحكام الجمع والقصر والإفطار

٣٦٣- قَصْرُ الصَّلَاةِ عَلَىٰ الْمُسَافِرِ وَاجِبٌ	وَأَقَلُّ حَدِّ الْقَصْرِ مَرْحَلَتَانِ
٣٦٤- كِلْتَاهُمَا فِي أَصْلِ مَذْهَبِ مَالِكٍ	خَمْسُونَ مِيلًا نَقْصُهَا مِيلَانِ
٣٦٥- وَإِذَا الْمُسَافِرُ غَابَ عَنْ أَبْيَاتِهِ	فَالْقَصْرُ وَالْإِفْطَارُ مَفْعُولَانِ
٣٦٦- وَصَلَاةُ مَغْرِبِ شَمْسِنَا وَصَبَاحِنَا	فِي الْحَضْرِ وَالْأَسْفَارِ كَامِلَتَانِ

❁ يوضح الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا وجوب قصر الصلاة في السفر، تقول عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ركعتين في الحضر والسفر فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر»(١).

والمقصود هنا: قصر صلاة الظهر والعصر والعشاء، أما الفجر فركعتان، وأما المغرب فإنها لا تقصر كما نص عليه الناظم، وهو إجماع.

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [النساء: ١٠١]

وقول الناظم بوجوب القصر علىٰ المسافر هو المختار، وهل القصر عزيمة أو رخصة؟ الأشبه أنه عزيمة. والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إن الله يحب أن تؤتىٰ رخصه، كما يكره أن تؤتىٰ معصيته**»(٢)، ولم يثبت عنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه أتم في السفر في جميع أسفاره؛ لذا فإن بعض أهل العلم، ومنهم الحنفية والظاهرية يرون بطلان صلاة المسافر إذا أتم.

لكن أقول: لو أتم المسافر ورأىٰ أن القصر رخصة فلا ينكر عليه إذ لا إنكار في مسائل الخلاف وبخاصة أنه قد ورد ذلك عن أمنا عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

(١) أخرجه البخاري [٣٥٠]، ومسلم [٦٨٥].
(٢) أخرجه أحمد [٥٨٦٦]، وابن حبان [٣٥٦٨] من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا. وقال الهيثمي (٣/ ١٦٢): «رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح». وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [١٨٨٦].

وقد أشار الناظم إلىٰ حد المسافة التي تقصر فيها الصلاة وهو مذهب جمهور الفقهاء، ومنهم المالكية، وهي ثمانية وأربعون ميلًا. وقد قدره كثير من أهل العلم في عصرنا بنحو اثنين وسبعين كيلا، وهي مرحلتان للإبل الجادة في السير، وثلاثة مراحل للقوافل.

والذي يظهر - والله أعلم - أن تحقيق المناط في ذلك يرجع إلىٰ ما يسمىٰ سفرا عرفا ومثله مدة قصر الصلاة لعدم ورود دليل مرفوع يحدد ذلك، وإن كان جمهور أهل العلم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ يحددون للسفر الذي تقصر فيه الصلاة بأربعة أيام وبعض العلماء بخمسة عشر يوما. والذي يظهر أن الأولىٰ عدم التحديد، بل كل ما يسمىٰ سفرا عرفا تقصر فيه الصلاة الرباعية إلىٰ ركعتين؛ بحيث إذا سئل عن فلان من الناس قيل: إنه مسافر. هذا هو الذي يظهر من حيث الأدلة، وهو الذي رجحه بعض المحققين من أهل العلم.

اللهم إذا كان المسافر لا يدري متىٰ يرجع كحال المرابطين في الثغور أو الحدود، فيقول لعلي أسافر غدا أو بعد غد؛ لأنه لا يدري متىٰ تنتهي مهمته، فمثل هذا يقصر ولو طال الوقت لاحتمال سفره في أي وقت، أما من تيقن أن إقامته طويلة بحيث يزول عنه اسم السفر عادة وعرفا كحال المبتعثين والعاملين في السفارات فلا يشرع لهم القصر علىٰ الصحيح.

ومما ينبغي التنبيه عليه: من آداب القصر أن تصلىٰ كل صلاة في وقتها - اللهم إلا إذا كان المسلم قد جدَّ به السير فإنه يجمع ويقصر، وله أن يجمع جمع تقديم أو جمع تأخير بحسب الأرفق المناسب للحال.

والـذي يجمـع هو الظهـر مع العـصر، والمغرب مـع العشـاء للاشـتراك في الوقت، ولا يجـوز جمـع صلاة العصر مـع صلاة الجمعة في أصـح أقوال أهل العلـم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ؛ لأنها ليست من جنسها، ولأنه لم يرد.

وإذا صـلىٰ مسـافر خلـف مقيم وجـب عليه الإتمـام معه لقولـه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنما جعل الإمام ليؤتم به**»(١).

وقوله:

٣٦٥- وَإِذَا الْمُسافِرُ غَابَ عَنْ أَبْيَاتِهِ فَالْقَصْرُ وَالإِفْطَارُ مَفْعُولاَنِ

❁ يبـين رَحِمَهُ ٱللَّهُ مـا يـراه كثير من أهل العلم من أنه يشـترط حتىٰ يجـوز لك القصر والإفطار أن تفارق عامر قريتك أو مدينتك حيث إنه متىٰ ما ركبت دابتك أو سيارتك أو مركوبك أيا كان عازما علىٰ السفر فلك الإفطار والقصر كما ثبت ذلك عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وغيره من الصحابة والسلف، حيث جاء عن أحدهم أنه كان إذا ركب السفينة أو ارتحل دعا بالسفرة وهو صائم.



(١) أخرجه البخاري [٣٧٨]، ومسلم [٤١١] من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

تفصيل الكلام في أوقات الصلاة

٣٦٧-وَالشَّمْسُ حِينَ تَزُولُ مِنْ كَبِدِ السَّمَا ... فَالظُّهْرُ ثُمَّ الْعَصْرُ وَاجِبَتَانِ

٣٦٨- وَالظُّهْرُ آخِرُ وَقْتِهَا مُتَعَلِّقٌ ... بِالْعَصْرِ وَالْوَقْتَانِ مُشْتَبِكَانِ

٣٦٩- لَا تَلْتَفِتْ مَا دُمْتَ فِيهَا قَائِمًا ... وَاخْشَعْ بِقَلْبٍ خَائِفٍ رَهْبَانِ

٣٧٠-وَكَذَا الصَّلَاةُ غُرُوبَ شَمْسِ نَهَارِنَا ... وَعِشَاءَنَا وَقْتَانِ مُتَّصِلَانِ

٣٧١- وَالصُّبْحُ مُنْفَرِدٌ بِوَقْتٍ مُفْرَدٍ ... لَكِنْ لَهَا وَقْتَانِ مَفْرُودَانِ

٣٧٢- فَجْرٌ وَإِسْفَارٌ وَبَيْنَ كِلَيْهِمَا ... وَقْتٌ لِكُلِّ مُطَوِّلٍ مُتَوَانِ

٣٧٣- وَارْقُبْ طُلُوعَ الْفَجْرِ وَاسْتَيْقِنْ بِهِ ... فَالْفَجْرُ عِنْدَ شُيُوخِنَا فَجْرَانِ

٣٧٤- فَجْرٌ كَذُوبٌ ثُمَّ فَجْرٌ صَادِقٌ ... وَلَرُبَّمَا فِي الْعَيْنِ يَشْتَبِهَانِ

❁ شرع الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان أول أوقات الصلوات وآخرها، ويدل لهذا الصنيع قول الله تَعَالَىٰ: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣]، وقد ذم الله تَعَالَىٰ الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها، فقال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤ - ٥]، وقال: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩]؛ قال المفسرون: أي يؤخرونها عن وقتها، وقد فصل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما أجملت الآيات الكريمة في أوقات الصلوات ببيان أول وآخر كل وقت، فقال في قصة الأعرابي الذي سأله عن وقت الصلاة ووضح له صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك توضيحًا عمليًا شافيًا ثم قال له: **«والوقت ما بين هذين الوقتين»**(١)، وهذا ما بينه جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل ذلك في صبيحة الإسراء.

---

(١) أخرجه أحمد [٣٠٨١]، أبو داود [٣٩٣]، والترمذي [١٤٩]، والحاكم [٦٩٣] من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.
=

يقول: إن وجوب وقت الظهر يبدأ بزوال الشمس عن كبد السماء إذا مالت قليلًا. والعلامة الظل، فإذا مال الظل قليلًا، فهذا دليل علىٰ زوال الشمس وذهابها عن كبد السماء. فإذا وصلت إلىٰ هذا الحد فهذا أول وقت الظهر، وللصلوات وقت اختياري ووقت ضروري فمختار الظهر من بعد الزوال إلىٰ أن يصير ظل كل شيء مثله. وعندها يبدأ وقت صلاة العصر ويمتد إلىٰ أن يصير ظل كل شيء مثليه، وهو ضروري الظهر، ويمتد ضروري العصر إلىٰ غروب الشمس؛ لأن جبريل جاء وصلىٰ بالنبي ﷺ في أول الوقت من ظهر صبيحة الإسراء، ثم صلىٰ به في اليوم الثاني في أواخر أوقات الصلوات، وقال له «**يا محمد، الوقت ما بين هذين الوقتين**».

وأشار الناظم إلىٰ هذا الاشتراك الحاصل بين الظهر والعصر بقوله: «والوقتان مشتبكان».

وقوله:

٣٦٩- لَا تَلْتَفِتْ مَا دُمْتَ فِيهَا قَائِمًا وَاخْشَعْ بِقَلْبٍ خَائِفٍ رَهْبَانِ

❁ ينبه الناظم إلىٰ أهمية الخشوع في الصلاة، قال تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ① الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١ - ٢]، ويحذر من الالتفات الذي هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد كما أخبر بذلك النبي ﷺ، وقال أيضًا: «**أسوأ السرقة الذي يسرق صلاته لا يتم ركوعها ولا سجودها**»[1].

= وقال الترمذي: «حسن صحيح غريب». وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [١٤٠٢].

(١) أخرجه مالك [٥٧٩]، ومن طريقه البيهقي [١٧٣٥٦] عن النعمان بن مرة به مرسلًا. وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» [٥٣٤]: «صحيح لغيره».

وفي قوله:

٣٧٠- وَكَذَا الصَّلَاةُ غُرُوبَ شَمْسِ نَهَارِنَا ... وَعِشَاءَنَا وَقْتَانِ مُتَّصِلَانِ

❁ بيان وقت صلاتي المغرب والعشاء؛ فوقت المغرب يبدأ من غروب الشمس إلىٰ مغيب الشفق الأحمر، والسنة أداؤها في أول وقتها؛ لأن جبريل صلىٰ بالنبي ﷺ المغرب في اليومين في أول وقتها. وبمغيب الشفق الأحمر يدخل وقت صلاة العشاء، والسنة تأخيرها إلىٰ ثلث الليل الأول ما لم تكن هناك مشقة علىٰ المصلين لأن النبي ﷺ أخر العشاء ذات ليلة حتىٰ رقد النساء والصبيان ثم خرج عليهم فقال: «**إنه لوقتها لولا أن أشق علىٰ أمتي**»، وفي رواية: «**لولا أن يشق علىٰ أمتي**»(١)، وفي رواية: «**لولا أن أشق علىٰ أمتي لأمرتهم بالصلاة في مثل هذه الساعة**»، ولكن بيان هديه ﷺ في العشاء ما ذكره جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الصحيح، قال: «**والعشاء أحيانًا، وأحيانًا إذا رآهم اجتمعوا عجل، وإذا رآهم أبطؤوا أخر**»(٢).

ويمتد اختياري العشاء إلىٰ نصف الليل علىٰ الأصح، وضروريه إلىٰ طلوع الفجر.

وقوله: «وقتان متصلان» يشير إلىٰ الاشتراك الحاصل بين ضروري المغرب والعشاء إلىٰ طلوع الفجر.

وقوله:

٣٧١- وَالصُّبْحُ مُنْفَرِدٌ بِوَقْتٍ مُفْرَدٍ ... لَكِنْ لَهَا وَقْتَانِ مَفْرُودَانِ

٣٧٢- فَجْرٌ وَإِسْفَارٌ وَبَيْنَ كِلَيْهِمَا ... وَقْتٌ لِكُلِّ مُطَوِّلٍ مُتَوَانِ

---

(١) أخرجه مسلم [٦٣٨] من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) أخرجه البخاري [٥٦٠].



❁ وقت صلاة الفجر يبدأ من طلوع الفجر الصادق، الذي عبر عنه الناظم بالفجر أي: الفجر الثاني، إلىٰ أن يحصل الإسفار جدًّا، وهو آخر الوقت الاختياري ويمتد الضروري إلىٰ طلوع الشمس. والسنة أن يصليها في أول وقتها، بل هو هديه ﷺ، الذي هو غالب فعله لحديث عائشة في الصحيحين، قالت: «كان النبي ﷺ يصلي الفجر فيشهد معه نساء من المؤمنات متلفعات في مروطهن ثم يرجعن إلىٰ بيوتهن ما يعرفهن أحد من الغلس»(١)، ولحديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**والصبح كانوا أو كان النبي** ﷺ **يصليها بغلس**»(٢).

ونص **الناظم علىٰ أن للفجر وقتين**: التغليس كما تقدم بيانه، وهو الأفضل، والإسفار، ويحتمل أن يكون المقصود بالإسفار الإطالة في القراءة مع الدخول في الصلاة في الغلس، أي: في أول وقتها؛ يدل لذلك فعل أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره من الصحابة والسلف.

وقوله:

٣٧٣- وَارْقُبْ طُلُوعَ الْفَجْرِ وَاسْتَيْقِنْ بِهِ ... فَالْفَجْرُ عِنْدَ شُيُوخِنَا فَجْرَانِ

٣٧٤- فَجْرٌ كَذُوبٌ ثُمَّ فَجْرٌ صَادِقٌ ... وَلَرُبَّمَا فِي الْعَيْنِ يَشْتَبِهَانِ

❁ يبين رَحِمَهُ اللَّهُ أنه علىٰ المسلم الاحتياط لدخول وقت الفجر بالاجتهاد في تحري طلوع الفجر الصادق؛ لأن الفجر فجران: الفجر الكاذب وهو المرتفع في السماء كذنب السرحان، والفجر الصادق مستطيل في الأفق؛ أي: ممتدًا ولبيانه مدّ النبي ﷺ يده من عن يمينه ويساره مشيرًا إلىٰ ذلك كما في البخاري.

---

(١) أخرجه البخاري [٣٧٢]، ومسلم [٦٤٥] من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) أخرجه البخاري [٥٦٠] من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

٣٧٥- وَالظِّلُّ فِي الْأَزْمَانِ مُخْتَلِفٌ كَمَا ... زَمَنُ الشِّتَا وَالصَّيْفِ مُخْتَلِفَانِ

* الظل يراعىٰ بحسب الفصل المعين من فصول السنة، فقد يكون الفصل شتاء فيطول فيه الظل، وقد يكون في الصيف فيقصر الظل، فيراعىٰ ذلك في أوقات الصلوات، فهو بحسب فصول السنة وبحسب الزمان والمكان.



من أحكام الإمامة والمأموم

٣٧٦- فَاقْرَأْ إِذَا قَرَأَ الإِمَامُ مُخَافِتًا ... وَاسْكُتْ إِذَا مَا كَانَ ذَا إِعْلَانِ

❁ ذكر الناظم هنا ما عليه أكثر العلماء من أن قراءة الإمام قراءة للمأموم في الصلاة الجهرية، وهو قول مرجوح. والصحيح أن قراءة الإمام ليست قراءة للمأموم في الفاتحة، وأنه لابد من قراءتها في جميع الأحوال حتىٰ ولو اضطررت أن تقرأها مع قراءة الإمام إذا لم تكن له سكتات. وهذا ما دلت عليه الأدلة الصحيحة الصريحة كقول النبي ﷺ: «**لعلكم تقرءون خلف إمامكم**»، قلنا: نعم يا رسول الله، قال: «**لا تفعلوا إلا بفاتحة الكتاب فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها**»(١)، فهذا الحديث نص في محل النزاع، وقوله ﷺ: «**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**»(٢)، وقوله ﷺ: «**من صلىٰ صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج ثلاثًا غير تمام**»(٣)، اللهم إلا من دخل والإمام راكع فتسقط عنه قراءة الفاتحة علىٰ الصحيح، لما ثبت في حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه انتهىٰ إلىٰ النبي ﷺ وهو راكع فركع قبل أن يصل إلىٰ الصف، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «**زادك الله حرصا ولا تعد**»(٤)، بل الفاتحة ركن من أركان الصلاة، لا تصح الصلاة إلا بها سواء كانت سرية أم جهرية، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه أحمد [٢٢٦٧١]، وأبو داود [٨٢٣] من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وحسنه الألباني في «المشكاة» [٨٥٤].

(٢) أخرجه البخاري [٧٥٦]، ومسلم [٣٩٤] من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم [٣٩٥] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه البخاري [٧٨٣].

من أحكام السهو

٣٧٧- وَلِكُلِّ سَهْوٍ سَجْدَتَانِ فَصِلْهَا ... قَبْلَ السَّلَامِ وَبَعْدَهُ قَوْلَانِ

٣٧٨- سُنَنُ الصَّلَاةِ مُبِينَةٌ وَفُرُوضُهَا ... فَاسْأَلْ شُيُوخَ الْفِقْهِ وَالْإِحْسَانِ

٣٧٩- فَرْضُ الصَّلَاةِ رُكُوعُهَا وَسُجُودُهَا ... مَا إِنْ تَخَالَفَ فِيهِمَا رَجُلَانِ

٣٨٠- تَحْرِيمُهَا تَكْبِيرُهَا وَحَلَالُهَا ... تَسْلِيمُهَا وَكِلَاهُمَا فَرْضَانِ

٣٨١- وَالْحَمْدُ فَرْضٌ فِي الصَّلَاةِ قِرَاتُهَا ... آيَاتُهَا سَبْعٌ وَهُنَّ مَثَانِي

٣٨٢- فِي كُلِّ رَكْعَاتِ الصَّلَاةِ مُعَادَةٌ ... فِيهَا بِبَسْمَلَةٍ فَخُذْ تِبْيَانِي

٣٨٣- وَإِذَا نَسِيتَ قِرَاتَهَا فِي رَكْعَةٍ ... فَاسْتَوْفِ رَكْعَتَهَا بِغَيْرِ تَوَانِ

٣٨٤- اتْبَعْ إِمَامَكَ خَافِضًا أَوْ رَافِعًا ... فَكِلَاهُمَا فِعْلَانِ مَحْمُودَانِ

٣٨٥- لَا تَرْفَعَنْ قَبْلَ الْإِمَامِ وَلَا تَضَعْ ... فَكِلَاهُمَا أَمْرَانِ مَذْمُومَانِ

❁ بين الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعض أحكام سجود السهو، ونص علىٰ الخلاف في كونه قبل السلام أو بعده. والصحيح أن فيه تفصيلا: فإن كان موجب السجود نقصا أو شكا فإنه يكون قبل السلام، وإن كان زيادة فإنه بعد السلام. يتضح ذلك مما حصل للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عدة أحاديث؛ ومنها حديث ذي اليدين، وحديث نسيان التشهد الأول، وصلاته لخمس ركعات في العصر؛ ففي حديث ذي اليدين وصلاته العصر خمسا سجد بعد السلام، وفي ترك التشهد الأول سجد قبل السلام.

وأنبه إلىٰ أن سجود السهو يجب بترك ركن أو واجب سهوًا، ولا يلزم بترك السنن علىٰ الصحيح.

ثم ذكر الناظم سنن الصلاة وفروضها، ولعله يقصد بالفروض هنا الأركان.

فأما الأركان فأربعة عشر: القيام مع القدرة، وتكبيرة الإحرام، وقراءة الفاتحة، والركوع، والرفع منه، والسجود علىٰ الأعضاء السبعة، والاعتدال منه، والطمأنينة في جميع الأركان، والجلسة بين السجدتين، والصلاة علىٰ النبي ﷺ، والتشهد الأخير، وجلسته، والتسليمتان - والصحيح أن التسليمة الأولىٰ هي الركن -.

وينبغي للإمام أن ينوي التحلل في تسليمته الأولىٰ حتىٰ لا يعرّض صلاة بعض الناس للبطلان؛ لأن منهم من يقوم بمجرد السلام الأول، وذلك من فقه الإمامة، والله الموفق.

وأما الواجبات فهي: جميع التكبيرات خلا تكبيرة الإحرام، وقول: سبحان ربي العظيم في الركوع، وسبحان ربي الأعلىٰ في السجود، ورب اغفر لي بين السجدتين، وقول الإمام والمنفرد: سمع الله لمن حمده، وقول: ربنا ولك الحمد للمأموم وللإمام والمنفرد علىٰ الراجح، والتشهد الأول، والجلوس له.

أما السنن فهي: دعاء الاستفتاح، والاستعاذة، وقراءة السورة بعد الفاتحة، والزيادة علىٰ واحدة في قول: سبحان ربي الأعلىٰ، وسبحان ربي العظيم، والزيادة علىٰ ربنا لك الحمد، والتسليمة الثانية، والدعاء في السجود، والدعاء بعد التشهد الأخير. فهذه أهم السنن القولية. أما السنن الفعلية فرفع اليدين في أربعة مواضع إلىٰ حذو المنكبين - أو الأذنين - عند تكبيرة الإحرام، وعند الركوع، وعند الرفع منه، وعند القيام من التشهد الأول.

هذه أركان الصلاة وواجباتها وسننها وقد أشار الناظم إلىٰ بعضها.

وقوله:

٣٧٩- فَرْضُ الصَّلَاةِ رُكُوعُهَا وَسُجُودُهَا ... مَا إِنْ تَخَالَفَ فِيهِمَا رَجُلَانِ

❁ يذكر أن الركوع والسجود فرضان - يعني ركنان من أركان الصلاة -، وهذا محل إجماع بين أهل العلم، وهذا اصطلاح عند بعض أهل العلم، يعبرون عن الركن بالفرض، ولا مشاحة في الاصطلاح.

وقوله:

٣٨٠- تَحْرِيمُهَا تَكْبِيرُهَا وَحَلَالُهَا ... تَسْلِيمُهَا وَكِلَاهُمَا فَرْضَانِ

❁ يشير إلىٰ حديث: «**تحريمها التكبير وتحليلها التسليم**»(١)، والتكبير ركن بالإجماع، والتسليم ركن علىٰ الصحيح.

وقوله:

٣٨١- وَالْحَمْدُ فَرْضٌ فِي الصَّلَاةِ قِرَاتُهَا ... آيَاتُهَا سَبْعٌ وَهُنَّ مَثَانِي

٣٨٢- فِي كُلِّ رَكْعَاتِ الصَّلَاةِ مُعَادَةٌ ... فِيهَا بِبَسْمَلَةٍ فَخُذْ تِبْيَانِي

٣٨٣- وَإِذَا نَسِيتَ قِرَاتَهَا فِي رَكْعَةٍ ... فَاسْتَوْفِ رَكْعَتَهَا بِغَيْرِ تَوَانِ

❁ قراءة الفاتحة ركن من أركان الصلاة في حق كل من الإمام والمأموم والمنفرد لقول النبي ﷺ: «**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**»(٢)، وقد تقدم التحقيق في ذلك.

---

(١) أخرجه أحمد [١٠٠٦]، وأبو داود [٦١]، والترمذي [٣]، وابن ماجه [٢٧٥] من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: «حسن صحيح». وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» [٥٥].

(٢) تقدم تخريج.

ويشـير بقوله: «وإذا نسـيت... » إلـخ إلىٰ أنه يجب علىٰ المصلي إعـادة تلك الركعة التي نسي فيها الفاتحة بأن يعتبر الركعة الثانية مثلا هي الأولىٰ، وهذا هو الصحيح.

وقوله:

٣٨٤- اتْبَعْ إِمَامَكَ خَافِضًا أَوْ رَافِعًا ... فَكِلَاهُمَا فِعْلَانِ مَحْمُودَانِ

٣٨٥- لَا تَرْفَعَنْ قَبْلَ الْإِمَامِ وَلَا تَضَعْ ... فَكِلَاهُمَا أَمْرَانِ مَذْمُومَانِ

❁ الواجب الاقتداء بالإمام في رفعه وخفضه وفي جميع صلاته؛ لقول النبي ﷺ: «**إنما جعل الإمام ليؤتم به فلا تختلفوا عليه فإذا ركع فاركعوا، ولا تركعوا حتىٰ يركع، وإذا قال: سمع الله لمن حمده فقولوا: ربنا لك الحمد وإذا سجد فاسجدوا، ولا تسجدوا حتىٰ يسجد، وإذا صلىٰ جالسا فصلوا جلوسًا أجمعون**»(١)؛ وهكذا تجب متابعته وتحرم مسابقته. وقد توعد النبي ﷺ من يسابق الإمام بقوله: «**أما يخشىٰ الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمار - أو يجعل الله صورته صورة حمار -** »(٢).



(١) أخرجه البخاري [٧٢٢]، ومسلم [٤١٤] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري [٦٩١]، ومسلم [٤٢٧] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

سنن الصلاة وفرائضها

٣٨٦- إنَّ الشَّرِيعَةَ سُنَّةٌ وَفَرِيضَةٌ	وَهُمَا لِدِينِ مُحَمَّدٍ عِقْدَانِ
٣٨٧- لَكِنْ أَذَانُ الصُّبْحِ عِنْدَ شُيُوخِنَا	مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَبَيَّنَ الْفَجْرَانِ
٣٨٨- هِيَ رُخْصَةٌ فِي الصُّبْحِ لَا فِي غَيْرِهَا	مِنْ أَجْلِ يَقْظَةِ غَافِلٍ وَسْنَانِ
٣٨٩- أَحْسِنْ صَلَاتَكَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا	بِتَطَمْؤُنٍ وَتَرَفُّقٍ وَتَدَانِ
٣٩٠- لَا تَدْخُلَنَّ إِلَىٰ صَلَاتِكَ حَاقِنًا	فَالِاحْتِقَانُ يُخِلُّ بِالْأَرْكَانِ

❁ الشريعة بين فرض وسنة، يمثلهما دين النبي ﷺ؛ فهناك الواجبات والأركان، وهي التي عبر عنها بالفريضة، وهناك السنن وهي تشمل أمرين: المستحبات، وتشمل كل سنة وطريقة سنها رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير. فإن هذه الشريعة الغراء شريعة كاملة، وكان الصحابة رضوان الله عليهم والسلف الصالح يمتثلون الأوامر ويجتنبون النواهي ولا يفرقون بين كون هذا الأمر واجبا أو سنة أو بين كونه حرامًا أو مكروها، وكان ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إذا سئل عن أمر أفرض هو أم سنة؟ أجاب بقوله: فعل رسول الله ﷺ كذا، ونهىٰ عن كذا.

فلابد من مراعاة هذا الأمر، مراعاة السنن والفرائض وأن تطبق سنن المصطفىٰ ﷺ في جميع الأمور التي جاء بها كما هي، سواء كان ذلك في العبادات أو في غيرها، يُقتدي به ويُتأسىٰ به ﷺ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

❁ ❁ ❁



من أحكام الأذان

وقوله:

٣٨٧- لَكِنْ أَذَانُ الصُّبْحِ عِنْدَ شُيُوخِنَا ... مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَبَيَّنَ الْفَجْرَانِ

٣٨٨- هِيَ رُخْصَةٌ فِي الصُّبْحِ لَا فِي غَيْرِهَا ... مِنْ أَجْلِ يَقْظَةِ غَافِلٍ وَسْنَانِ

❁ بين الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن للفجر أذانين، وأنه رخصة في الفجر خاصة، ولم يكن بين الأذانين في عهد النبي ﷺ إلا مقدار ما يصعد هذا، وينزل هذا. وكذلك الجمعة الأذان الأول الذي أمر به الخليفة الراشد عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إن بلالا كان يؤذن بليل، فكلوا واشربوا حتىٰ يؤذن ابن أم مكتوم فإنه لا يؤذن حتىٰ يطلع الفجر**». قال القاسم: ولم يكن بين أذانها إلا أن يرقىٰ ذا وينزل ذا[1].

ولا بأس بتقديم الأذان الأول قليلًا ليستيقظ الوسنان، وهو النائم وينبه الغافل كما قال الناظم؛ وقد ورد فيه حديث: «**لا يمنعن أحدا منكم أذان بلال** - أو قال: نداء بلال- **من سحوره فإنه يؤذن** - أو قال: ينادىٰ - **بليل ليرجع قائمكم ويوقظ نائمكم**»[2]، وقوله ﷺ: «**إن بلالًا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتىٰ ينادي ابن أم مكتوم، قال وكان رجلًا أعمىٰ لا ينادي حتىٰ يقال له أصبحت أصبحت**»[3]، وهذا يفيد أن الصائم لا يجب أن يمسك إلا عند الأذان الثاني وذلك لأن وقت أذان الأول ليس محددًا وإنما يكون قبل طلوع الفجر الثاني.

❁❁❁

(١) أخرجه البخاري [١٩١٨].

(٢) أخرجه مسلم [٢٥٩٣] من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري [٦١٧]، ومسلم [٢٥٨٨] من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

من أحكام الصلاة وآدابها

وقوله:

٣٨٩- أَحْسِنْ صَلَاتَكَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا ... بِتَطَمْؤُنٍ وَتَرَفُّقٍ وَتَدَانِ

٣٩٠- لَا تَدْخُلَنَّ إِلَىٰ صَلَاتِك حَاقِنًا ... فَالإِحْتِقَانُ يُخِلُّ بِالأَرْكَانِ

❁ يحث الناظم المسلمَ علىٰ الإحسان في صلاته بأن يؤديها كما أداها رسول الله ﷺ، القائل: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»(١)، ومن الإحسان في الصلاة الطمأنينة في جميعها، قال ﷺ للمسيء صلاته وهو خلاد بن رافع الأنصاري مبينًا له وجوب الطمأنينة في جميع أفعال الصلاة قائلًا: «**ثم اركع حتىٰ تطمئن راكعا ثم ارفع حتىٰ تعتدل قائما ثم اسجد حتىٰ تطمئن ساجدًا ثم ارفع حتىٰ تطمئن جالسا وافعل ذلك في صلاتك كلها**»(٢)، ومن الطمأنينة ما هو ركن وواجب تبطل الصلاة بالإخلال به، وهو القدر الذي يؤدىٰ به الركن؛ ولأجل هذا قال ﷺ للمسيء صلاته: «**ارجع فصل، فإنك لم تصلّ**». ومن أظهر الأمثلة علىٰ هذا السجود علىٰ الأعضاء السبعة، واعتدال الظهر في الركوع، وعلىٰ هذا فقس بقية الأركان.

ومما يلاحظ علىٰ كثير من المسلمين عدم العناية والاهتمام بالطمأنينة في الصلاة فتجد بعض الناس لا يطمئن بين الركوع والسجود، وكذلك في الجلسة بين السجدتين حتىٰ وصل الحال ببعضهم إلىٰ أن من يصلي خلفه من المأمومين لا يتمكن من قول: ربنا ولك الحمد، أو رب اغفر لي بين السجدتين فضلًا عن كونه لا يتمكن من الاعتدال.

وقد حذر النبي ﷺ من الإخلال بالطمأنينة والخشوع في الصلاة والتهاون في ذلك فقال: «**إن الرجل لينصرف، وما كتب له إلا عُشر صلاته، تُسعها، ثُمنها، سُبعها، سُدسها، خُمسها، رُبعها، ثُلثها، نُصفها**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري [٦١٧]، ومسلم [٢٥٨٨] من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
(٢) أخرجه البخاري [٧٥٧]، ومسلم [٣٩٧] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) أخرجه أحمد [١٨٩١٤]، وأبو داود [٧٩٦]، وابن حبان [١٨٨٩] من حديث عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
=

ونهىٰ رسول الله ﷺ عن نقرة الغراب، وافتراش السبع[(١)].

وقال ﷺ: «**أسوأ الناس سرقة الذي يسرق صلاته**»، قالوا: يا رسول الله وكيف يسرق من صلاته؟ قال: «**لا يتم ركوعها ولا سجودها**»[(٢)].

وقوله:

٣٩٠- لَا تَدْخُلَنَّ إِلَىٰ صَلَاتِكَ حَاقِنًا فَالْإِحْتِقَانُ يُخِلُّ بِالْأَرْكَانِ

❁ فيه إشارة إلىٰ التوجيه النبوي بعدم دخول المرء في صلاته وهو يدافع الأخبثين: البول والغائط. ويلحق بهما الريح وما في معنىٰ ذلك، قال رسول الله ﷺ: «**لا صلاة بحضرة الطعام ولا هو يدافعه الأخبثان**»[(٣)]؛ فإن ذلك يخل بالطمأنينة في أداء الأركان علىٰ الوجه المطلوب إن لم يكن يبطلها.

ومما ينبه إليه هنا أنه لا ينبغي أن يُستغل ما أفاد هذا الحديث بترتيب الطعام في أوقات الصلاة دائمًا من أجل التخلف عن صلاة الجماعة، فمثل هذا لا يجوز، أما لو حصل ذلك اتفاقًا لا قصدًا فلا حرج في ذلك من باب استحباب الأخذ بالرخص، ومن أجل الطمأنينة في الصلاة وحضور القلب.

❁ ❁ ❁

وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» [١٦٢٦].

(١) رواه أبو داود [٨٦٢]، وابن ماجه [١٤٢٩]، والنسائي [١١١٢]، وابن خزيمة [١٣١٩]، والحاكم في «المستدرك» وقال: هذا حديث صحيح ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه أحمد [٢٢٦٤٢]، وابن خزيمة [٦٦٣] من حديث أبي قتادة الأنصاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٩٨٦].

(٣) أخرجه مسلم [٥٦٠] من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

تتمة أحكام الصوم

٣٩١- بَيِّتْ مِنَ اللَّيْلِ الصِّيَامَ بِنِيَّةٍ ... مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَيَّزَ الْخَيْطَانِ
٣٩٢- يُجْزِيكَ فِي رَمَضَانَ نِيَّةُ لَيْلَةٍ ... إِذْ لَيْسَ مُخْتَلِطًا بِعَقْدٍ ثَانِ
٣٩٣- رَمَضَانُ شَهْرٌ كَامِلٌ فِي عَقْدِنَا ... مَا حَلَّهُ يَوْمٌ وَلَا يَوْمَانِ
٣٩٤- إِلَّا الْمُسَافِرُ وَالْمَرِيضُ فَقَدْ أَتَىٰ ... تَأْخِيرُ صَوْمِهِمَا لِوَقْتٍ ثَانِ
٣٩٥- وَكَذَاكَ حَمْلٌ وَالرَّضَاعُ كِلَاهُمَا ... فِي فِطْرِهِ لِنِسَائِنَا عُذْرَانِ
٣٩٦- عَجِّلْ بِفِطْرِكَ وَالسُّحُورُ مُؤَخَّرٌ ... فَكِلَاهُمَا أَمْرَانِ مَرْغُوبَانِ
٣٩٧- حَصِّنْ صِيَامَكَ بِالسُّكُوتِ عَنِ الْخَنَا ... أَطْبِقْ عَلَىٰ عَيْنَيْكَ بِالْأَجْفَانِ

❁ يجب علىٰ المسلم في صوم الفريضة أن يبيت النية من الليل، والمقصود أن ينوي الصوم قبل طلوع الفجر الصادق ولو بلحظة لحديث: «**من لم يبيت الصيام قبل الفجر فلا صيام له**»(١).

أما النفل فلا يشترط فيه تبييت النية لما ثبت عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قال لي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذات يوم: «**يا عائشة، هل عندكم شيء؟**» قالت: فقلت: يا رسول الله ما عندنا شيء، قال: «**فإني صائم**»(٢).

وقوله:

٣٩٢- يُجْزِيكَ فِي رَمَضَانَ نِيَّةُ لَيْلَةٍ ... إِذْ لَيْسَ مُخْتَلِطًا بِعَقْدٍ ثَانِ

❁ تقدم أن صوم رمضان لابد فيه من تبييت النية من الليل. وهل يجب تبييت النية لكل ليلة أم أن ذلك ينسحب علىٰ باقي الشهر؟

---

(١) أخرجه الدارمي [١٧٤٠]، والنسائي [٢٣٣٤]، والبيهقي [٧٦٩٨] من حديث حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٦٥٣٤].
(٢) أخرجه مسلم [١١٥٤].

قولان لأهل العلم، لعل الأحوط والأرجح منهما وجوب تبييت النية لكل ليلة؛ لعموم حديث: «**من لم يبيت الصيام قبل الفجر فلا صيام له**»، فظاهره التعلق بكل ليلة من ليالي الشهر، وإن كان الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد رجح القول الآخر؛ وهو أنه يجزئ نية الصوم في أول ليلة من رمضان عن باقي الشهر.

وقوله:

٣٩٣- رَمَضَانُ شَهْرٌ كَامِلٌ فِي عَقْدِنَا مَا حَلَّهُ يَوْمٌ وَلَا يَوْمَانِ

٣٩٤- إِلَّا الْمُسَافِرُ وَالْمَرِيضُ فَقَدْ أَتَىٰ تَأْخِيرُ صَوْمِهِمَا لِوَقْتٍ ثَانِ

❁ شهر رمضان يجب صومه كاملا ولا يجوز الإخلال بصومه؛ إن كمل الشهر ثلاثين صيمت كاملة وإن كان تسعة وعشرين صيم كذلك. ولا يحل لمسلم الفطر في رمضان إلا لمن استثنىٰ الشارع، وهو المريض والمسافر والحامل والمرضع - إذا خافتا علىٰ نفسيهما أو ولديهما - والشيخ الكبير تيسيرا من الله علىٰ عباده.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٨٥].

ويقضي المسافر والمريض ومن في حكمهما من أيام أخر، ويطعم الشيخ الكبير والمريض الذي لا يرجىٰ برؤه، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البَقَرَة: ١٨٤]، قال ابن عباس: هو الشيخ الكبير لا يستطيع الصوم فرخص له أن يفطر ويطعم عن كل يوم مسكينًا ولا قضاء عليه، وهو فعل أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وقوله:

٣٩٦- عَجِّلْ بِفِطْرِكَ وَالسُّحُورُ مُؤَخَّرٌ فَكِلَاهُمَا أَمْرَانِ مَرْغُوبَانِ

❁ يبين الناظم مسألتين مهمتين وهما سنة مؤكدة عن رسول الله ﷺ، بل هي هديه؛ فعن سهل بن سعد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: **«لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر وأخَّروا السحور»**[1]، وقال ﷺ: **«تسحروا فإن في السحور بركة»**[2]، وعن أنس، عن زيد بن ثابت رضي الله عنه، قال: **«تسحرنا مع النبي ﷺ ثم قام إلى الصلاة قلت كم كان بين الأذان والسحور قال قدر خمسين آية»**[3].

وقوله:

٣٩٧- حَصِّنْ صِيَامَكَ بِالسُّكُوتِ عَنِ الْخَنَا أَطْبِقْ عَلَىٰ عَيْنَيْكَ بِالْأَجْفَانِ

يحث الصائم علىٰ حفظ لسانه وعينيه وجوارحه في الصوم عما لا يليق من الغيبة والنميمة والسب والشتم وقبيح الكلام. وخير ما يعصم به اللسان أن تشغله بذكر الله عز وجل وقراءة القرآن وكل كلام طيب يقربك من الله زلفىٰ، قال رسول الله ﷺ: **«الصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم مرتين»**[4]. وصح عنه ﷺ أنه قال: **«من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»**[5].

---

(١) أخرجه البخاري [١٩٥٧].

(٢) أخرجه البخاري [١٩٢٣]، ومسلم [١٠٩٥] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري [١٩٢١] ومسلم [١٠٩٧].

(٤) أخرجه البخاري [١٨٩٤]، ومسلم [١١٥١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه البخاري [١٩٠٣] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

من أخلاق الإسلام وآدابه ذم ذي الوجهين

٣٩٨- لَا تَمْشِ ذَا وَجْهَيْنِ مِنْ بَيْنِ الْوَرَىٰ ... شَرُّ الْبَرِيَّةِ مَنْ لَهُ وَجْهَانِ

۞ صاحب الوجهين هو المنافق الذي يظهر ما لا يبطن، وصاحب الوجهين لا يكون عند الله وجيها، بل قد يجر صاحبه إلىٰ الدرك الأسفل من النار؛ أعني: المنافق الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر.

والنفاق نوعان: نفاق إعتقادي، وهو إظهار الإسلام وإبطان الكفر، وهذا مخرج من الملة، بل إن صاحبه مخلد في الدرك الأسفل من النار كما قال الله تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٤٥].

ونفاق عملي وهو الاتصاف ببعض علامات النفاق، قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتىٰ يدعها إذا اؤتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر»**(١)، وهذا لا يخرج من حظيرة الإسلام، ولكن صاحبه علىٰ خطر ومتوعد بالوعيد الشديد.



---

(١) أخرجه البخاري [٣٤]، ومسلم [٥٨] من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

ذم الحسد

٣٩٩- لَا تَحْسُدَنْ أَحَدًا عَلَىٰ نَعْمَائِهِ إِنَّ الْحَسُودَ لِحُكْمِ رَبِّكَ شَانِي

❁ يبين خطورة خصلة الحسد، **والحسد**: هو تمني زوال النعمة عن الغير، وربما نتجت عنه نظرة من عين شريرة تصيب المحسود نتيجة لحقد في قلب الحاسد.

والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أمر نبيه ونحن تبع له أن نستعيذ من شر حاسد إذا حسد في سورة الفلق، وقد قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تناجشوا وكونوا عباد الله إخوانًا**»(١).

والحاسد وإن كان لا يهلك إلا نفسه إلا أنه قد يفعل الحيل لإيذاء المحسود، وإلا فهو يأكل نفسه:

قال بن المعتز:

اصبر علىٰ مضض الحسود فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله(٢)

بل إن الحاسد - والعياذ بالله - كأنه يعترض على الله في قضائه وعطائه لخلقه:

ألا قل لمن ظل لي حاسدًا أتدري علىٰ من أسأت الأدب
أسأت علىٰ الله في رزقه إذ لم ترض لي ما وهب

❁❁❁

(١) أخرجه البخاري [٦٠٦٦]، ومسلم [٢٥٦٣] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) انظر: «الإيضاح في علوم البلاغة» للقرويني، ص: [٢٣٤].

ذم النميمة

٤٠٠- لَا تَسْعَ بَيْنَ الصَّاحِبَيْنِ نَمِيمَةً ... فَلِأَجْلِهَا يَتَبَاغَضُ الْخِلَّانِ

❁ يتحدث الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا البيت عن النميمة وخطورتها والتنفير والتحذير منها. وصدق في قوله: «فلأجلها يتباغض الخلان» كما قال قيس المجنون:

ومن يطعِ الواشينَ لا يتركوا له ... صديقًا وإن كان الحبيبَ المقربا

فهي من أخطر الأعمال التي تفرق أوصال المجتمع وتجر إلىٰ التنافر والتناحر.

ومعنىٰ النميمة: نقل الكلام من شخص أو من أشخاص إلىٰ آخرين بقصد الإفساد بينهما حتىٰ لو كان الكلام الذي ينقله صحيحا، فإن ذلك يفسد بين أفراد المجتمع. وقد قال يحيىٰ بن أبي كثير اليمامي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يفسد النمام في ساعة ما لا يفسد الساحر في سنة؛ لأن ضرر الساحر قاصر علىٰ أفراد، أما النمام فضرره قد ينعكس علىٰ الجماعة، بل وعلىٰ المجتمع، وقد يوقع الحرب بين القبيلة والقبيلة، والقطر والقطر، والدولة والدولة، ناهيك عن الأفراد.

ولما ذكر المقدسي كلام يحيىٰ بن أبي كثير آنف الذكر في كتابه «مختصر منهاج القاصدين» حكىٰ واقعة شاهدةً علىٰ ذلك فذكر: «أن رجلا ساوم في عبد، فقال مولاه: إني أبرأ من كل عيب فيه إلا من النميمة والكذب، (يعني: أن هذا العبد كذاب ونمام) فقال: رضيت، أنت بريء منهما، فاشتراه. فجعل يقول لمولاه: إن امرأتك تبغي وتفعل، وإنها تريد أن تقتلك، ويقول للمرأة: إن زوجك يريد أن يتزوج عليك ويتسرىٰ، فان أردت أن أعطفه عليك، فلا يتزوج عليك ولا يتسرىٰ، فخذي الموسىٰ واحلقي شعرة من حلقه إذا نام، وقال للزوج: إنها تريد أن تقتلك إذا نمت. قال فذهب (أي: الزوج) فتناوم لها، فجاءت بموسىٰ لتحلق شعرة من حلقه، فأخذ بيدها فقتلها، فجاء أهلها فاستعدوا عليه فقتلوه».

وقد جاء التحذير من النميمة في الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ [القلم: ١١]، وقال: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١]، وقال النبي ﷺ: «**لا يدخل الجنة قتات**»[1]، والقتات: هو النمام. وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما في الصحيحين أن النبي ﷺ: مر على قبرين، فقال: «**أما إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير؛ أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله**»[2].



(١) أخرجه البخاري [٦٠٥٦]، ومسلم [١٠٥] من حديث حذيفة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري [٦٠٥٢]، ومسلم [٢٩٢] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

العين حق

٤٠١- وَالْعَيْنُ حَقٌّ غَيْرُ سَابِقَةٍ لِمَا يُقْضَىٰ مِنَ الأَرْزَاقِ وَالْحِرْمَانِ

❁ **الإصابة بالعين:** هي حصول أثر قد ينتج عنه مرض أو موت من جراء نظرة من حاسد. وهي حق كما قال رسول الله ﷺ: «**العين حق**»(١)، وخطرها عظيم، فإنها تورد الرجل القبر والجمل القِدْرَ، وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لو أن شيئا يسبق القدر لسبقته العين**»(٢).

وللوقاية منها – بإذن الله – أن يبادر من أعجبه شيء في نفسه أو خاصته أو عند غيره ويسارع إلىٰ التبريك، وهو قول ما شاء الله، لا قوة إلا بالله، أو تبارك الله أحسن الخالقين وما أشبه ذلك. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩].

وعلىٰ المسلم أن يحرز نفسه وأهله وماله بملازمة أذكار الصباح والمساء، فإنها حصن حصين – بإذن الله تَعَالَىٰ –.

أما إذا وقعت العين أو غلب علىٰ الظن وقوعها فليسارع إلىٰ العلاج النبوي، ومنه الرقية الشرعية، قال رسول الله ﷺ: «**لا رقية إلا من عين أو حُمة**»(٣)، وقال ﷺ: «**علام يقتل أحدكم أخاه؟ إذا رأىٰ أحدكم من أخيه ما يعجبه فليدع له بالبركة**»(٤) وللحديث قصة.

---

(١) أخرجه البخاري [٥٧٤٠]، ومسلم [٢١٨٧] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد [٢٧٤٧٠]، والترمذي [٢٠٥٩]، وابن ماجه [٣٥١٠] من حديث أسماء بنت عميس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وقال الترمذي: «وهذا حديث حسن صحيح».

(٣) أخرجه البخاري [٥٧٠٥]، ومسلم [٢٢٠] من حديث بريدة بن الحصيب الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه مالك [٣٤٥٩]، وأحمد [١٥٩٨٠]، وابن ماجه [٣٥٠٩] من حديث أبي أمامة بن سهل بن حنيف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» [٢٨٢٨].

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: **«العين حق ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين وإذا استغسلتم فاغسلوا»**(١).

وطريقة الاغتسال من العائن أو ممن يظن منه ذلك أن يغسل مغابنه (مثل الآباط وداخلة إزاره) ويتمضمض ويمج الماء ويصب على المريض، فإنه يشفى بإذن الله كما أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك.

ومن الملاحظ في زماننا هذا المبالغة عند بعض الناس في دعوى الإصابة بالعين من أي مرض يجده، وقد لا يكون ثمة مرض، بل هو مجرد وهم، فليتنبه لهذا، وليحذر من الوسواس.



(١) أخرجه مسلم [٥٨٣١] من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

أحكام السحر

٤٠٢- وَالسِّحْرُ كُفْرٌ فِعْلُهُ لا عِلْمُهُ ... مِنْ هَاهُنَا يَتَفَرَّقُ الحُكْمَانِ

٤٠٣- وَالْقَتْلُ حَدُّ السَّاحِرِينَ إِذَا هُمُ ... عَمِلُوا بِهِ لِلْكُفْرِ وَالطُّغْيَانِ

❁ السحر ما دق أمره ولَطُفَ سببه، وهو عُقَدٌ وتعاويذ معينة يستخدمها بعض الشُّذاذ باستخدام الأرواح الخبيثة من الجن؛ فيؤثِّر ويمرض ويفرق بين المرء وزوجه ويقتل بإذن الله، وله حقيقة قائمة؛ فإنه يؤثر تأثيرًا مباشرًا - بإذن الله تَعَالَىٰ - كما تؤثر العين.

وهذه أمور غيبية، لكن أخبرنا الله عَزَّوَجَلَّ أن لها تأثيرًا فنحن نصدق بذلك.

وهو قسمان: حقيقي، وهو ما تقدم تعريفه، وتخييلي، وهو ما يظهر الأشياء علىٰ غير حقيقتها في أعين الناس كما قال الله تَعَالَىٰ: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٦].

قال الشيخ حافظ الحكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَالسِّحْرُ حَقٌّ وَلَهُ تَأْثِيرُ ... لَكِنْ بِمَا قَدَّرَهُ الْقَدِيرُ

أَعْنِي بِذَا التَّقْدِيرِ مَا قَدْ قَدَّرَهْ ... فِي الْكَوْنِ لا فِي الشِّرْعَةِ الْمُطَهَّرَهْ

قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

والساحر ومن يتعاطىٰ السحر يكفر حتىٰ ولو أراد حل السحر بسحر آخر؛ لأن الغاية في الإسلام لا تبرر الوسيلة، ولأن الله عَزَّوَجَلَّ كفَّر أهل السحر مطلقًا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ

ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٠٢]؛ ولأنه ثبت أن من يتعاطىٰ السحر لا يؤثر سحره إلا بعد أن يكفر بالله إما بصرف شيء من أنواع العبادة للشياطين، أو بإهانة القرآن أو تعريضه للنجاسات ونحو ذلك من ألوان الكفر.

وقال تعالى: ﴿وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [يونس: ٨١].

فينتج عن ذلك تأثيرٌ حقيقيٌ بإذن الله تبارك وتعالى، بل لقد أثر السحر في النبي ﷺ - أعني: في تصرفاته الدنيوية - ولم يقدح ذلك في شيء مما جاء به من عند الله من الوحي، وهذا في حد ذاته دليل من أدلة العصمة له ﷺ؛ لذلك لا حجة في هذا عند من ينكرون هذا الحديث عقلًا بدعوىٰ أنه كيف يؤثر ذلك وقد عصمه الله حتىٰ يبلغ رسالته؟ والجواب: أنه أثر فيما يتعلق ببعض تصرفاته الدنيوية؛ حتىٰ إنه ليخيل إليه أنه يفعل الشيء ولم يفعله، والذي سحره هو لبيد بن الأعصم اليهودي سحره في مشط ومشاطة في جف طلع ذكر ووضعه تحت صخرة أو رعوفة في بئر ذروان - والقصة ثابتة في الصحيحين. فنزل جبريل عليه السلام بالمعوذتين وقرأهما علىٰ النبي ﷺ، ورقاه ورقىٰ هو نفسه، فقام من ذلك كأنما نشط من عقال بعد أن أوحىٰ الله إليه وأبطل الله السحر والسحرة، وهذا يوافق الآية: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾، ولا يعارضها - كما قلت - بل هذا من أعظم دلائل عصمته ﷺ؛ فلا يُلتفت إلىٰ نعيق أو نهيق بعض أصحاب المدارس العقلانية التي تُخضِع النصوص الشرعية لعقولها وأهوائها؛ كالذين ينكرون السحر، وينكرون الجن، وينكرون العين، وينكرون بعض أشراط الساعة.

ونحـو ذلـك مما ينتـشر في بعض كتب القـوم – والعياذ بالله – كما تقـدم التنبيه علىٰ ذلك عند قول الناظم «والقبر صحّ نعيمه وعذابه» إلخ.

والسـحر كفرٌ بجميع أشكاله وألوانه، وقد تقدم بعض الأدلة علىٰ ذلك. ومما يجب التنبيه عليه لخطورته أن بعض ضعاف الإيمان لاسيما النساء يترددن علىٰ السحرة بدعوىٰ الاستشـفاء مـن الأمراض أو البحث عن مفقود أو تحبيـب الزوجين إلىٰ بعضهما، وما إلىٰ ذلك، ويجهلون أو يتجاهلون النصوص الواردة في تحريم الذهاب إلىٰ الكهان والسـحرة والمشـعوذين كقـول النبي ﷺ: **«من أتـىٰ كاهنًا، أو عرافًـا، فصدقه بما يقول، فقـد كفـر بما أنزل علىٰ محمـد»**[(١)]، وقوله ﷺ: **«من أتىٰ عرافًا فسـأله عن شـيء لم تقبـل له صلاة أربعـين ليلة»**[(٢)]، ولم يجعل الله شـفاء أمة محمد ﷺ فيما حـرم عليهـا، قال رسـول الله ﷺ: **«تداووا فإن الله** عَزَّوَجَلَّ **لم يضـع داء إلا وضع له دواء غير داء واحد الهرم»**[(٣)]، وقال ﷺ: **«إن الله لم يجعل شـفاءكم فيما حرم عليكم»**[(٤)].

فالواجب التنبه إلىٰ خطورة السـحر والسـحرة والبعد عنهم، بل يجب الإبلاغ عن أماكن وجودهم ليقام حد الله عليهم، ويحرم التسـتر عليهم، قال رسـول الله ﷺ: **«لعن الله من آوىٰ محدثا»**[(٥)].

---

(١) تقدم تخريجه في ص: [٣٧٥]. (٢) تقدم تخريجه في ص: [٣٧٦].

(٣) أخرجـه أبـو داود [٣٨٥٧]، والترمـذي [٢٠٣٨] مـن حديـث أسـامة بـن شريـك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: «حسن صحيح». وصححه الألباني في [٢٩٣٠].

(٤) أخرجه ابن حبان [١٣٩١]، والبيهقي [٢٠١٧١] من حديث أم سـلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وقال الألباني: «وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات معروفون غير حسان بن مخارق، فهو مستور لم يوثقه أحد غير ابن حبان، ويشهد له أيضًا حديث «نهىٰ عن الدواء الخبيث».

(٥) أخرجه مسلم [٥٢٣٩] من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقول الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والسحر كفر فعله لا علمه...» باطل لأنه كما تقدم لا يتعلم السحر حتىٰ يكفر، والآية شاهدة علىٰ ذلك.

وقوله:

٤٠٣- وَالْقَتْلُ حَدُّ السَّاحِرِينَ إِذَا هُمُ ... عَمِلُوا بِهِ لِلْكُفْرِ وَالطُّغْيَانِ

❁ حد الساحر ضربة بالسيف كما ثبت عن السلف؛ وقد قتل عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ السحرة، وقتلت حفصة جارية لها سحرتها، وقتل جندب الصحابي ساحرًا، بل يكاد يكون إجماعا بين أئمة السلف، والبعض من أهل العلم يفرق بين ما إذا سحر بشيء قاتل أو ما دون ذلك. والحق هو الحكم بقتله، لأنه كافر مجرم، وفي بقائه خطر علىٰ الأمة، فقتله لذلك واجب متعين. والساحر مستحق للقتل لأنه كافر مرتد بسحره؛ لأن السحر من نواقض الإسلام، ومن أنواع الردة.

لكن إذا لم يقتل بسحره أحدًا وتاب، هل تقبل توبته؟ قولان لأهل العلم:

الأول: أن توبته لا تقبل، فيقتل بكل حال؛ لأنه زنديق ولأن علم السحر يبقىٰ معه، والآثار عن السلف تؤيد هذا.

القول الثاني: قبول توبته إذا لم يقتل فيما يظهر ووكل سريرته إلىٰ الله، وإنما يعزر بما دون القتل؛ لعموم الآيات والأحاديث الدالة علىٰ قبول توبة التائبين، من أي ذنب كان؛ ومن ذلك أن الله عَزَّوَجَلَّ ذكر في سورة الفرقان بعض كبائر الذنوب، وعلىٰ رأسها الشرك والقتل والزنا، ثم قال: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان: ٦٩].

والأصح أنه يستتاب كغيره من الكفرة الذين يستتابون من كفرهم، اللهم إلا إن كان قتل بسحره، فإنه يقتل حدًّا وقصاصًا لا ردة، والله أعلم.

وجوب بر الوالدين وطاعة ولي الأمر في غير معصية والدين هو رأس المال

٤٠٤- وَتَحَرَّ بِرَّ الْوَالِدَيْنِ فَإِنَّهُ	فَرْضٌ عَلَيْكَ وَطَاعَةُ السُّلْطَانِ
٤٠٥- لَا تَخْرُجَنَّ عَلَىٰ الْإِمَامِ مُحَارِبًا	وَلَوْ انَّهُ رَجُلٌ مِنَ الْحُبْشَانِ
٤٠٦- وَمَتَىٰ أُمِرْتَ بِبِدْعَةٍ أَوْ زَلَّةٍ	فَاهْرُبْ بِدِينِكَ آخِرَ الْبُلْدَانِ
٤٠٧- الدِّينُ رَأْسُ الْمَالِ فَاسْتَمْسِكْ بِهِ	فَضَيَاعُهُ مِنْ أَعْظَمِ الْخُسْرَانِ

❁ تكلم الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في البيت الأول عن مسألتين هامتين: **أولاهما**- بر الوالدين، **وثانيهما**- طاعة السلطان في غير معصية الله.

فأما بر الوالدين فإنه من أعظم الواجبات، وأهم المهمات بعد طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، وقد قرن الله عَزَّوَجَلَّ حق الوالدين بحقه في أكثر من آية فحذر من الشرك ثم ثنىٰ ببر الوالدين كذلك. قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢٣ - ٢٤]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [النساء: ٣٦]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [الأنعام: ١٥١]، وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [لقمان: ١٤]، بل إن الله عَزَّوَجَلَّ أوجب برهما وإن كانا كافرين غير مسلمين في حدود الأمور المشروعة المباحة الدنيوية، أما لو أمرا بمعصية فلا طاعة لهما ولا لغيرهما إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَاۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ [لقمان: ١٥]

وأما الأحاديث في هذا فكثيرة أيضًا منها حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في الصحيحين، قال: «سألت رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أي الأعمال أحب إلىٰ الله قال: «**الصلاة علىٰ وقتها**» قلت ثم أي؟ قال: «**ثم بر الوالدين**» قلت ثم أي؟ قال: «**ثم الجهاد في سبيل الله**»(١).

وقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر**» ثلاثًا قالوا: بلىٰ يا رسول الله قال: «**الإشراك بالله وعقوق الوالدين**»(٢) الحديث.

وقالت أسماء بنت أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «قدمت علي أمي وهي مشركة في عهد رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فاستفتيت رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قلت: وهي راغبة أفأصل أمي قال: «**نعم صلي أمك**»(٣).

وجاء رجل إلىٰ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقال: «يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي قال: «**أمك**» قال: ثم من قال: «**ثم أمك**» قال: ثم من قال: «**ثم أمك**» قال: ثم من قال: «**ثم أبوك**»(٤).

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: «جاء رجل إلىٰ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فاستأذنه في الجهاد فقال: «**أحي والداك**» قال: نعم قال: «**ففيهما فجاهد**»(٥).

والآيات والأحاديث في وجوب بر الوالدين وتحريم عقوقهما كثيرة. يجب علىٰ المسلمين أن يقوموا بها خير قيام، وأن يؤدوا حقهما، ونحن في عصر كثرت فيه المدلهمات

---

(١) أخرجه مسلم [٨٥].
(٢) أخرجه البخاري [٢٦٥٤]، ومسلم [٨٧] من حديث أبي بكرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.
(٣) أخرجه البخاري [٢٦٢٠]، ومسلم [١٠٠٣].
(٤) أخرجه البخاري [٥٩٧١]، ومسلم [٢٥٤٨] من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.
(٥) أخرجه البخاري [٣٠٠٤]، ومسلم [٢٥٤٩].

إلىٰ درجة أن هناك من يرمي والديه عند الكبر في دور الرعاية نزولًا عند رغبة زوجته المتسلطة، تقول: إما أنا وإما أمك وأبوك! وهذا مما قلد فيه بعض المسلمين أولئك الكفرة الملحدين.

وأنا لا أهون من حقوق الزوجات، لكن إذا أدىٰ الأمر إلىٰ الاستهانة بحقوق الوالدين، فلا يضيع حق أحد علىٰ حساب حق أحد آخر، بل يجب إعطاء كل ذي حق حقه.

فلنتذكر ما عاناه الوالدان من أجلنا؛ كم هي الليالي التي سهرا من أجل أن نسعد نحن؟ وكم ليلة جافت عيونهما الراحة والنوم من أجل أن ننام نحن ونستريح؟ فيجب التنبه لحقوق الوالدين الذي يهمله الكثير إلا من رحم الله.

قال رسول الله ﷺ: «**ما من ذنب أجدر أن يعجل الله تعالىٰ لصاحبه العقوبة في الدنيا - مع ما يدخر له في الآخرة - مثل البغي وقطيعة الرحم**»(١).

والمسألة الثانية: وجوب طاعة ولي الأمر، وهو السلطان في حدود طاعة الله. وقد أمر الله سبحانه وتعالىٰ بذلك في كتابه كما أمر بذلك رسوله ﷺ.

قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]؛ **وأولو الأمر:** هم العلماء والأمراء الذين ولاهم الله أمر المسلمين ولو بالغلبة، فيجب أداء حقوقهم، واعتقاد أن لهم بيعة شرعية في أعناق الرعية، وطاعتهم في غير معصية الله تعالىٰ.

وقال رسول الله ﷺ: «**من خلع يدًا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية**»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد [٢٠٣٧٤]، وأبو داود [٤٩٠٤]، والترمذي [٢٥١١]، وابن ماجه [٤٢١١] من حديث أبي بكرة رضي الله عنه. وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٢) أخرجه مسلم [١٨٥١] من حديث جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه.

والمقصود: بيعة السلطان القائم، لا بيعة السلطان المجهول الذي يبايع له بعض الأحزاب من أمثال الخوارج ومن نهج نهجهم، حتى ولو كان هذا السلطان الذي تجب طاعته غلب تغلبا وحكم بشرع الله، فإن له في عنقنا بيعة يجب الوفاء بها، ومن نقضها فإنه غادر وناقض.

وقال رسول الله ﷺ: **«من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني وإنما الإمام جنة يقاتل من ورائه ويتقى به فإن أمر بتقوى الله وعدل فإن له بذلك أجرًا وإن قال بغيره فإن عليه منه»**(١).

وقال ﷺ: **«عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك»**(٢).

وقال رسول الله ﷺ: **«ثلاث لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم»** وعد منهم: **«ورجل بايع إماما لا يبايعه إلا لدنيا فإن أعطاه منها وفّى وإن لم يعطه منها لم يف»**(٣).

وقال حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير شر قال: **«نعم»** فقلت: هل بعد ذلك الشر من خير قال: **«نعم وفيه دخن»** قلت وما دخنه قال: **«قوم يستنون بغير سنتي**

---

(١) أخرجه البخاري [٢٩٥٧]، ومسلم [١٨٤١] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم [١٨٣٦] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري [٢٣٥٨]، ومسلم [١٠٨] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ويهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر» فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر قال: «**نعم دعاة علىٰ أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها**» فقلت: يا رسول الله صفهم لنا قال: «**نعم قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا**» قلت: يا رسول الله فما ترىٰ إن أدركني ذلك قال: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**» فقلت: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام قال: «**فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض علىٰ أصل شجرة حتىٰ يدركك الموت وأنت علىٰ ذلك**»(١).

وقال النبي ﷺ: «**من كره من أميره شيئًا فليصبر فإنه من خرج من السلطان شبرًا مات ميتة جاهلية**»(٢).

وعن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «دعانا النبي ﷺ فبايعناه فكان فيما أخذ علينا أن بايعنا علىٰ السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان»(٣).

وقال ﷺ في حق أئمة الجور لما قيل له: أفلا ننابذهم بالسيف فقال: «**لا ما أقاموا فيكم الصلاة وإذا رأيتم من ولاتكم شيئًا تكرهونه فاكرهوا عمله ولا تنزعوا يدا من طاعة**»(٤).

والذي يَحكم عليه بالكفر البواح هم العلماء الربانيون وليس الرعاع أو من تملىٰ عليه الفتاوىٰ من وراء الكهوف أو عبر الفضائيات والمواقع المشبوهة، وما شاكل ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري [٣٦٠٦]، ومسلم [١٨٤٧].

(٢) أخرجه البخاري [٧٠٥٣]، ومسلم [١٨٤٩] من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه البخاري [٧٠٥٥]، ومسلم [١٧٠٩].

(٤) أخرجه مسلم [١٨٥٥] من حديث عوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهذا هو حديث الساعة، حيث إن بعض الشباب الذين استهوتهم الشياطين، وأملىٰ عليهم الجهلة عبر زبالات الإنترنت أو من وراء الكواليس والكهوف، فأفتوهم بغير علم فضلوا وأضلوا، بل وصل الأمر ببعضهم إلىٰ استباحة دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم وتخريب مرافقهم باستخدام وسائل التدمير والتفجير وتغذيهم بعض المنظمات المشبوهة والأقلام المأجورة المسعورة والفتاوىٰ المضللة الأمر الذي أدىٰ إلىٰ التغرير ببعض حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام حيث تحولوا إلىٰ مخربين يقتلون المسلمين والمستأمنين والمعاهدين والذميين، ويعتدون علىٰ الأنفس والأموال والممتلكات، ويسمون ذلك جهادًا وهذا ولا شك من تلبيس إبليس كحال الذين يستحلون الخمر ويسمونها بغير اسمها.

أخافوا الآمنين وروعوا المسلمين وأساءوا إلىٰ الإسلام وأهله، وقدموا خدمة لأعداء الإسلام لم يقدمها حتىٰ اليهود والنصارىٰ أنفسهم منذ مئات السنين، فشغلوا المسلمين بأنفسهم، وخلا الجو لأعداء الإسلام يعيثون في الأرض فسادًا؛

خلا لك الجو فبيضي واصفري ... ونقري ما شئت أن تنقري

۞ وهم مخذولون مدحورون دائمًا ولله الحمد، لكنهم كما أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كلما ظهر منهم قرن قطع حتىٰ يظهر في عراضهم الدجال**»(١).

وقوله:

٤٠٥- لَا تَخْرُجَنَّ عَلَىٰ الْإِمَامِ مُحَارِبًا ... وَلَوْ انَّهُ رَجُلٌ مِنَ الْحُبْشَانِ

۞ يشير رَحِمَهُ اللَّهُ إلىٰ حديث: «**أوصيكم بتقوىٰ الله والسمع والطاعة، وإن عبد حبشي**»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد [٦٨٧١]، والحاكم [٨٤٩٧] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» [٨١٧١].

(٢) تقدم تخريجه في ص: [٢٨٩].

الدين هو رأس المال

وقوله:

٤٠٦- وَمَتَىٰ أُمِرْتَ بِبِدْعَةٍ أَوْ زَلَّةٍ ... فَاهْرُبْ بِدِينِكَ آخِرَ الْبُلْدَانِ

٤٠٧- الدِّينُ رَأْسُ الْمَالِ فَاسْتَمْسِكْ بِهِ ... فَضَيَاعُهُ مِنْ أَعْظَمِ الْخُسْرَانِ

❁ يوضح الناظم في هذين البيتين بأنه علىٰ المسلم إذا أمر بمعصية أو بدعة أو فتن في دينه ولم يتمكن من إقامة دينه، فعليه أن يهاجر ويهرب إلىٰ بلد يتمكن فيه من إقامة شعائر دينه؛ لأن رأس مال المرء دينه، فليفر به وليستمسك به إلىٰ أن يلقىٰ ربه كما قال الله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]، وقال: ﴿فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٤٣ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٣ - ٤٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

قال البستي:

وكل كسر فإن الله يجبره ... وما لكسر قناة الدين جبران

وقال الشيخ حافظ الحكمي في ميميته:

وكل كسر الفتىٰ فالدين جابره ... والكسر في الدين صعب غير ملتئم

وقال الشاعر:

ما صحة أبدًا بنافعة ... حتىٰ يصح الدين والخلق

وقال آخر:

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا ... فلا ديننا يبقىٰ ولا ما نرقع

فطوبىٰ لعبد آثر الله ربه ... وجاد بدنياه لما يتوقع

وقول الناظم: «فضياعه من أعظم الخسران»، بل هو أعظم الخسران، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [الزمر: ١٥]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾ [العصر: ١ - ٣].

والمقصود بأمره بالهروب بدينك ليس مجرد الهروب، وإنما إذا علمت أو غلب علىٰ ظنك أنك تجد بلدا أحسن من المكان الذي أنت فيه، تقيم فيه شعائر دينك، أما أن تهرب من بلاد المسلمين إلىٰ بلاد الكفر فهذا كالمستجير من الرمضاء بالنار.



التوقي من فتنة النساء والمردان

٤٠٨- لَا تَخْلُ بِامْرَأَةٍ لَدَيْكَ بِرِيبَةٍ ... لَوْ كُنْتَ فِي النُّسَّاكِ مِثْلَ بُنَانِ

٤٠٩- إِنَّ الرِّجَالَ النَّاظِرِينَ إِلَىٰ النِّسَا ... مِثْلُ الْكِلَابِ تَطُوفُ بِاللُّحْمَانِ

٤١٠- إِنْ لَمْ تَصُنْ تِلْكَ اللُّحُومَ أُسُودُهَا ... أُكِلَتْ بِلَا عِوَضٍ وَلَا أَثْمَانِ

٤١١- لَا تَقْبَلَنَّ مِنَ النِّسَاءِ مَوَدَّةً ... فَقُلُوبُهُنَّ سَرِيعَةُ الْمَيَلَانِ

٤١٢- لَا تَتْرُكَنْ أَحَدًا بِأَهْلِكَ خَالِيًا ... فَعَلَىٰ النِّسَاءِ تَقَاتُلَ الْأَخَوَانِ

٤١٣- وَاغْضُضْ جُفُونَكَ عَنْ مُلَاحَظَةِ النِّسَا ... وَمَحَاسِنِ الْأَحْدَاثِ وَالصِّبْيَانِ

۞ أعظم فتنة يفتتن بها الرجال: هي فتنة النساء، قال رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما تركت بعدي فتنة أضر علىٰ الرجال من النساء**»(١)، ولذلك فإن هنا آدابًا شرعية يجب أن تراعىٰ في هذا الباب، منها:

ألا تخلو بامرأة من غير وجود محرم بينكما، وإذا كان ثم محرم بينكما فلابد أن تكون محتشمة، كل الاحتشام، ولا تتكلم إلا بقدر الحاجة. فإن الخلو بالمرأة الأجنبية مظنة لنزغات الشيطان، ولذلك يقول الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يخلون رجل بامرأة فإن ثالثهما الشيطان**»(٢)، وقال: «**لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم، ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم**» فقام رجل فقال: يا رسول الله إن امرأتي خرجت حاجة وأني اكتتبت في غزوة كذا وكذا قال: «**انطلق فحج مع امرأتك**»(٣)، ولما قيل له: يا رسول الله أرأيت الحمو؟ قال: «**الحمو الموت**»(٤)، **والحمو**: هو أخو الزوج أو قريبه..

---

(١) أخرجه البخاري [٥٠٩٦]، ومسلم [٢٧٤٠] من حديث أسامة بن زيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه أحمد [١٤٦٩٢]، والترمذي [٢٨٠١] من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا. وصححه الألباني في «الإرواء» [١٨١٣].

(٣) أخرجه البخاري [٣٠٠٦]، ومسلم [١٣٤١] من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٤) أخرجه البخاري [٥٢٣٢]، ومسلم [٢١٧٢] من حديث عقبة بن عامر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

والأحاديث في النهي عن الخلوة بالنساء كثيرة، ويجب علىٰ المسلم أن يبتعد عن مواضع الريبة. وما يطالب به الآن المستغربون والمتفرنجون من إطلاق العنان للنساء، يسافرن وحدهن دون محارم، ويقدن السيارات إلىٰ ما شاء الله، ويخلون بالرجال الأجانب؛ فهذه دعوة إلىٰ الانسلاخ من الدين، وإلىٰ السفور، وإلىٰ قلة الحياء، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وأشار الناظم إلىٰ أنه لا ينبغي لأحد ان يأمن فتنة النساء علىٰ نفسه ولو كان من أعبد الناس؛ وبنان هذا هو ابن محمد الواسطي الحمال، أحد تلاميذ الجنيد، متوفىٰ ٣١٦هـ، له ترجمة في تاريخ بغداد وسير أعلام النبلاء.

وقوله:

٤٠٩- إِنَّ الرِّجَالَ النَّاظِرِينَ إِلىٰ النِّسَا ... مِثْلُ الْكِلَابِ تَطُوفُ بِاللُّحْمَانِ

٤١٠- إِنْ لَمْ تَصُنْ تِلْكَ اللُّحُومَ أُسُودُهَا ... أُكِلَتْ بِلَا عِوَضٍ وَلَا أَثْمَانِ

❁ يحذر الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ من النظر إلىٰ النساء والتعلق بهن بطرق غير شرعية، فإن النظر إلىٰ الأجنبيات سهم من سهام إبليس المسمومة،

خدعوها بقولهم حسناء ... والغواني يغرُّهنَّ الثناء

نظرة فابتسامة فسلام ... فكلام فموعد فلقاء

وشبه الناظم الناظرين إلىٰ النساء بالكلاب التي تحوم حول اللحوم وتشمها من مسافة بعيدة، إذ الكلب معروف بقوة حاسة الشم، وحري بمن حام حول الحمىٰ أن يقع فيه كما قال رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعىٰ حول الحمىٰ يوشك أن يرتع فيه ألا وإن لكل ملك حمىٰ ألا وإن حمىٰ الله**

محارمه»[(١)]، وإذا كان الجاهليون يغضون أبصارهم عن النظر إلىٰ جاراتهم ونسائهم كما يقول شاعرهم:

وأغض طرفي إن بدت لي جارتي حتىٰ يواري جارتي ماواها

فمن منّ الله عليهم بنعمة الإسلام أولىٰ وأحرىٰ بذلك، وقد أقر الإسلام ما عليه الناس من عادات حميدة وأخلاق سامية وهذبها، بل زادها قوة وحماية، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝٣٠ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ [النُّور: ٣٠-٣١].

ونهي الشارع الحكيم عن النظر فيه حماية لجناب الأعراض. وقد رفع الشارع الحرج عن النظرة الأولىٰ التي عن غير قصد، ونهىٰ عن التمادي فيها أو تكرارها، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعلي: «**يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولىٰ وليست لك الآخرة**»[(٢)].

وهناك عادة قبيحة يقع فيها بعض المسلمين، لا تقل خطرًا عن النظر إن لم تكن أشد خطورة وهي المصافحة بدعوىٰ السلام وتأليف القلوب ومراعاة العادات، وقد قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما جاءته إحدىٰ الصحابيات تريد أن تبايعه، فقالت: أمدد يدك يا رسول الله أبايعك، فقال: «**لا أصافح النساء**»[(٣)]، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لأن يطعن في رأس أحدكم**

---

(١) أخرجه البخاري [٥٢]، ومسلم [١٥٩٩] من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه أحمد [١٣٧٣]، وأبو داود [٢١٥١]، والترمذي [٢٧٧٧]. وقال: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث شريك.

(٣) أخرجه أحمد [٢٧٠٠٦]، والترمذي [١٥٩٧]، والنسائي [٤١٨١] من حديث أميمة بنت رقيقة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا. وقال الترمذي: حسن صحيح.

بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له»(١)، وقال: «**إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العين النظر وزنا اللسان المنطق والنفس تتمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك كله ويكذبه**»(٢).

فكيف يتساهل المسلم الغيور بمثل هذه العادات؟ يأتي أحدهم ضيف أجنبي فيقدم له زوجته لتصافحه فيضع يده في يدها ويهشها ومحرمها ينظر كالتيس الأسكّ لا يغار على محارمه.

إذا لم تصن عرضا ولم تخش خالقا ... وتستح مخلوقا فما شئت فاصنع

ويخشى أن يجر مثل هذا الأمر إلى الدياثة التي لا يشم صاحبها رائحة الجنة، فاعتبروا يا أولي الأبصار.

لعمري لقد نبهت من كان نائما ... وأسمعت من كان له أذنان

وما تلك القبائح إلا تقليدًا للإفرنج وأعداء الإسلام. والمسلم مطالب بأن يربأ بنفسه عن ذلك.

قد هيؤوك لأمر لو فطنت له ... فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

ويزعم البعض أنه لا يفتن بمثل النظر والمصافحة بدعوى طهارة القلب ونظافته وما يدري هذا المسكين أن المصافحة طريق المسافحة.

ألقاه في اليم مكتوفا وقال له ... إياك إياك أن تبتل بالماء

---

(١) أخرجه الطبراني [٤٨٧] من حديث معقل بن يسار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.. وقال الهيثمي (٤/ ٣٢٦): رجاله رجال الصحيح. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٥٠٤٥].

(٢) أخرجه البخاري [٦٢٤٣] من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قال بعض السلف وهو في سن الشيخوخة: لو ائتمنت علىٰ مثل أحد ذهبا لأمنت نفسي، ولا آمن نفسي علىٰ جارية عوراء.

وأقول للمتساهلين في هذه الأمور من أدعياء طهارة القلوب: اسمعوا قول الله عَزَّوَجَلَّ مخاطبًا الطاهرات المطهرات أمهات المؤمنين، أزواج النبي ﷺ: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

وقوله:

٤١١- لَا تَقْبَلَنَّ مِنَ النِّسَاءِ مَوَدَّةً ... فَقُلُوبُهُنَّ سَرِيعَةُ الْمَيَلَانِ

❁ يشير إلىٰ خطورة العلاقات المشبوهة مع الأجنبيات، وذلك لما تنطوي عليه من فتنة وشر ولو بدعوىٰ التعارف والمودة والمحبة، لكون هذا قد يفضي إلىٰ ما لا تحمد عقباه، لاسيما أنهن ضعيفات وميالات مميلات إلىٰ الشر، قال رسول الله ﷺ: «**ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن**»[1]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٨].

قال جرير الشاعر:

إن العيون التي في طرفها حور ... قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

يصرعن ذا اللب حتىٰ لا حراك به ... وهن أضعف خلق الله إنسانا

وقال آخر:

لا تأمن الأنثىٰ حبتك بودّها ... إن النساء وِدادهن مُقسَّم

(١) أخرجه البخاري [٣٠٤] من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

اليوم عندك دلُّها وحديثها وغدًا لغيرك كفُّها والمعصم

وقال آخر:

كأين ترىٰ من ذات شجو ولوعة طوت كشحها بعد الحنين المرجّع

ويشير بقوله: «لا تتركن أحدا بأهلك خاليا فعلىٰ النساء تقاتل الأخوان» إلىٰ قصة ابني آدم؛ والمقصود التحذير من الأمن علىٰ العرض من أي أجنبي كائنًا من كان، قريبًا كان أو بعيدًا، وليس فيما حكىٰ الله لنا في قصة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ وتعلق المرأة به وهو ينفر منها، وما جاء في السنة من قصة العسيف[1] عنا ببعيد.

وقوله:

٤١٣- وَاغْضُضْ جُفُونَكَ عَنْ مُلَاحَظَةِ النِّسَا وَمَحَاسِنِ الْأَحْدَاثِ وَالصِّبْيَانِ

❁ علىٰ المسلم أن يغض طرفه، سواء عن الأجنبية، وعن الغلمان والولدان والمردان؛ لأنه قد يفتتن بذلك بعض الشذاذ كما جرىٰ في بعض العصور - والعياذ بالله -.

❁ ❁ ❁

(١) أخرج البخاري [٢٦٩٥] عن زيد بن خالد الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه جاء أعرابي فقال يا رسول الله اقض بيننا بكتاب الله فقام خصمه فقال صدق اقض بيننا بكتاب الله فقال الأعرابي إن ابني كان عسيفا علىٰ هذا فزنىٰ بامرأته فقالوا لي علىٰ ابنك الرجم ففديت ابني منه بمائة من الغنم ووليدة ثم سألت أهل العلم فقالوا إنما علىٰ ابنك جلد مائة وتغريب عام فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأقضين بينكما بكتاب الله أما الوليدة والغنم فرد عليك وعلىٰ ابنك جلد مائة وتغريب عام وأما أنت يا أنيس لرجل فاغد علىٰ امرأة هذا فارجمها فغدا عليها أنيس فرجمها.

٤١٤- لَا تَجْعَلَنَّ طَلَاقَ أَهْلِكَ عُرْضَةً إِنَّ الطَّلَاقَ لَأَخْبَثُ الأَيْمَانِ
٤١٥- إِنَّ الطَّلَاقَ مَعَ الْعِتَاقِ كِلَاهُمَا قَسَمَانِ عِنْدَ اللهِ مَمْقُوتَانِ

❁ يحذر الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ من التساهل في أمر الطلاق، فلا تجعله على لسانك كلما عنّ لك أمر، والواجب في هذا اتباع السنة.

والذي ينبغي للمسلم أن يكون الطلاق عنده هو العلاج الأخير، عندما يتعذر الوئام بين الزوجين، وبعد الاجتهاد في استخدام جميع وسائل الإصلاح، ولا يلجأ إليه إلا عند الضرورة القصوى، من باب آخر الدواء الكي، حيث جعله الله مخرجا للزوجين، قال تعالى: ﴿ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ [الطلاق: ٧]، وقال تعالى: ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٣٠].

وبين الناظم أن من الأقسام المذمومة عند الله الحلف بالطلاق أو العتاق كقوله علي الطلاق أو علي العتاق، وذلك لما فيه من محاذير شرعية عدة منها: كونه استعمل استعمال اليمين في الحث أو المنع أو التصديق أو التكذيب، وقد قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت»**[(١)].

ومنها: أنه بدعة من البدع؛ ووجه بدعته أنه يدخل تحت قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد»**[(٢)]، فهو لم يعرف لا في الكتاب ولا في السنة ولا عن أحد من سلف الأمة.

ومنها: أنه من المشتبهات عند أهل العلم من حيث وقوع الطلاق به وعدمه.

---

(١) رواه البخاري [٦٦٤٦] من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) رواه مسلم [١٧١٨] من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

ومنها: ما يفضي إليه من تفكك أسري وضرر علىٰ الفرد والمجتمع، وجاء في الحديث: «**أبغض الحلال إلىٰ الله الطلاق**»(١)، بل ثبت في الحديث أن إبليس «**إذا أصبح بث جنوده فيقول: من أضل اليوم مسلمًا ألبسته التاج فيجيء أحدهم فيقول: لم أزل به حتىٰ عق والده فقال: يوشك أن يبره ويجيء أحدهم فيقول: لم أزل به حتىٰ طلق امرأته فيقول: يوشك أن يتزوج ويجيء أحدهم فيقول: لم أزل به حتىٰ أشرك فيقول: أنت أنت ويجيء أحدهم فيقول: لم أزل به حتىٰ قتل فيقول: أنت أنت ويلبسه التاج**»(٢)، وقد قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعة**»(٣).



---

(١) أخرجه أبو داود [٢١٨٠]، وابن ماجه [٢٠١٨]، والحاكم [٢٧٩٤] من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وقال الحاكم: صحيح الإسناد. وقال الذهبي: علىٰ شرط مسلم.
وأورده ابن الجوزي في «العلل المتناهية» [١٠٥٦]، وقال: هذا حديث لا يصح، قال يحيىٰ: الوصافي ليس بشيء، وقال الفلاس والنسائي: متروك الحديث. وضعفه الألباني في «إرواء الغليل» [٢٠٤٠] وذكر عن أبي حاتم والدارقطني والبيهقي والمنذري أن المشهور فيه الإرسال.

(٢) أخرجه ابن حبان [٦٥]، والحاكم [٢١٨٠] من حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وقال الذهبي: صحيح.

(٣) أخرجه أبو داود [٢١٩٦]، والترمذي [١١٨٤]، وابن ماجه [٢٠٣٩] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال أبو عيسىٰ: «هذا حديث حسن غريب والعمل علىٰ هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم». وقال الألباني في «صحيح سنن أبي داود» [١٩٠٤]: «قلت: حديث حسن، وقال الترمذي: حديث حسن غريب، ووافقه الحافظ، ومن قبله الخطابي، وصححه ابن الجارود والحاكم».



حفظ السر ومراعاة آداب الصحبة

٤١٦- وَاحْفِرْ لِسِرِّكَ فِي فُؤَادِكَ مَلْحَدًا ... وَادْفِنْهُ فِي الْأَحْشَاءِ أَيَّ دِفَانِ

٤١٧- إِنَّ الصَّدِيقَ مَعَ الْعَدُوِّ كِلَاهُمَا ... فِي السِّرِّ عِنْدَ أُولِي النُّهَىٰ شَكْلَانِ

٤١٨- لَا يَبْدُ مِنْكَ إِلَىٰ صَدِيقِكَ زَلَّةٌ ... وَاجْعَلْ فُؤَادَكَ أَوْثَقَ الْخِلَّانِ

❁ احفظ سرك، لا تفضحن نفسك في أمورك الخاصة التي تتطلب الكتمان. وجاء في الحديث: «**استعينوا علىٰ إنجاح الحوائج بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود**»[(١)]، ولعله حسن. فالمحافظة علىٰ السر أمر متحتم، وسواء كان متعلقا بخاصتك أم بغيرك.

إذا ما المرء أخطأه ثلاث ... فبعه ولو بكف من رماد[(٢)]

سلامة صدره والصدق منه ... وكتمان السرائر في الفؤاد

وإذا كان السر من الأمور التي يستحيىٰ من ذكرها كالأمور التي تكون بين الرجل وأهله مثلًا، فإن الذي يتحدث بها كالشيطان، قال ﷺ: «**فإنما مثل ذلك شيطان لقي شيطانة فغشيها والناس ينظرون**»[(٣)]، وذلك مما يدخل في قوله تعالىٰ: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء: ٢١].

فحافظ علىٰ سرك، وإياك وإفشاءه لعدو أو صديق كما قال الناظم: «وادفنه في الأحشاء أي دفان».

وبين الناظم أنه يجمل بالمرء أن يحذر من زلات اللسان وعثراته حتىٰ لا يستغلها الأعداء من الإنس والجن حتىٰ ولو بعد حين، ولهذا قال: «واجعل فؤادك أوثق الخلان»،

---

(١) أخرجه ابن حبان في «روضة العقلاء» ص: [١٨٧]، والسهمي في «تاريخ جرجان» ص: [١٨٢] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وقال: فالحديث بهذا الإسناد جيد عندي. والله أعلم.

(٢) الأبيات لمحمد بن عبد الله البغدادي كما في «روضة العقلاء»، ص: [٥٣].

(٣) أخرجه أحمد [٢٧٥٨٣]، والطبراني [٤١٤] من حديث أسماء بنت يزيد رضي الله عنها. وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» [٤٠٠٨].

أي: لا يتجاوز سرك قلبك. فما تفوه به اللسان لا يمكن تداركه، وما خرج ذاع وللسر أضاع، وكما قال ابن عبدوس:

إذا ما كتمت السر عمن أوده ... توهم أن الودّ غير حقيقي

ولم أخف عنه السر من ظنة به ... ولكنما أخشىٰ صديق صديقي

وهذا لا يتنافىٰ مع بثّ الشكوىٰ لأهل العلم والعقل الراجح والرأي السديد فيما يحتاج إلىٰ مشاورة، فما خاب من استشار؛

ولا بد من شكوىٰ إلىٰ ذي مروءة ... يواسيكَ أو يسليك أو يتوجَّع

وقال آخر:

إذا كنت في حاجة مرسلا ... فأرسل حكيما ولا توصه

وإن بال حزم عليك توىٰ ... فشاور لبيبا ولا تعصه





التهاون في الصغيرة قد يوقع في الكبيرة

٤١٩- لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الذُّنُوبِ صِغَارَهَا ... فَالْقَطْرُ مِنْهُ تَدَفُّقُ الْخِلْجَانِ

❁ يبين الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ خطورة الذنوب مهما صغرت؛ لأن معظم النار من مستصغر الشرر. فلا تستصغر - يا عبد الله - الصغائر لأنها مع الإصرار قد تتحول إلىٰ كبائر، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين: ١٤]، وقد فسر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الآية بقوله: «**إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه فإن زاد زادت فذلك الران الذي ذكره الله في كتابه: ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾**»(١)، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إياكم ومحقرات الذنوب، فإنهن يجتمعن علىٰ الرجل حتىٰ يهلكنه**»(٢).

قال الإمام البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واحذر صغار المحدثات من الأمور فإن صغار البدع تعود حتىٰ تصير كبارًا»، وقال الشاعر:

خلّ الذنوب صغيرها ... وكبيرها ذاك التّقىٰ
واصنع كماش فوق أر ... ض الشّوك يحذر ما يرىٰ
لا تحقرنّ صغيرة ... إنّ الجبال من الحصىٰ

---

(١) أخرجه أحمد [٧٩٥٢]، والترمذي [٣٣٣٤]، وابن ماجه [٤٢٣٤]، والحاكم [٣٨٦٩] من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» [٣١٤١].

(٢) أخرجه أحمد [٣٨١٨]، والطبراني [١٠٥٠٠] من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» [٢٤٧٠]: صحيح لغيره.

فالمرء إذا استمر علىٰ الذنوب وتساهل فيها استمرأها وتعود عليها وفقد الإحساس بخطورتها، فكثرة الإمساس تزيل الإحساس؛

مـن يـهـن يـسـهـل الهــوان عليه   مــــا لجــــرح بمـــيــت إيـــلام



النذر عهد، وأن العهد كان مسؤولا

٤٢٠- وَإِذَا نَذَرْتَ فَكُنْ بِنَذْرِكَ مُوفِيًا ... فَالنَّذْرُ مِثْلُ الْعَهْدِ مَسْئُولَانِ

* يقول الله تَعَالَىٰ في سياق مدحه لعباده المؤمنين: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧]، ويقول عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٧٠]، ويقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه»**(١).

والنصوص في الباب كثيرة؛ فينبغي للمسلم أن لا يلجأ إلىٰ النذر؛ لأن «النذر لا يرد شيئًا، وإنما يستخرج به من البخيل»(٢)، كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكن إذا حصل منه النذر فإما أن يكون نذر طاعة فيجب الوفاء به، وإما أن يكون نذر معصية فيحرم الوفاء به، وكفارته كفارة يمين. قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **«لا نذر في معصية وكفارته كفارة يمين»**(٣)، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أوف بنذرك فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم»**(٤).

وتشبيه الناظم النذر بالعهد لجامع وجوب الوفاء في كل منهما ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].



(١) أخرجه البخاري [٦٦٩٦] من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) أخرجه البخاري [٦٦٠٨]، ومسلم [٤٣٢٦] من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه أبو داود [٣٢٩٢]، والترمذي [١٥٢٤]، والنسائي [٣٨٣٤]، وابن ماجه [٢١٢٥] من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وصححه الألباني في «الإرواء» [٢٥٩٠].

(٤) أخرجه أبو داود [٣٣١٥]، والترمذي [١٥٢٤]، والبيهقي [١٩٩٢٦] من حديث ثابت بن الضحاك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في «المشكاة» [٣٤٣٧].

ليشغلك عيبك عن عيوب الناس

٤٢١- لَا تُشْغَلَنَّ بِعَيْبِ غَيْرِكَ غَافِلا ... عَنْ عَيْبِ نَفْسِكَ إِنَّهُ عَيْبَانِ

❁ ذم الناظم الذين يتتبعون عيوب الآخرين وينقبون عن مثالب الناس وينسون عيوبهم ولو أنهم شُغِلوا بإصلاح عيوبهم لما عابوا غيرهم؛

لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم(١)

وقد حذر الله عَزَّوَجَلَّ من ذلك فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، وقال تعالى: ﴿۞ وَكَذَّبُواْ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته**»(٢).

فالواجب على المسلم أن يحفظ نفسه ولسانه من تتبع عورات المسلمين؛ لأن هذا يدخل في الغيبة المحرمة ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢]، وقد قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الغيبة: «**هي ذكرك أخاك بما يكره قيل أفرأيت إن كان في أخي ما أقول قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته**»(٣).

---

(١) انظر: «ديوان أبو الأسود الدؤلي»، تحقيق: محمد حسن آل ياسين بيروت ١٩٧٤، (١٦٥ - ١٦٦).

(٢) أخرجه أحمد [١٩٧٧٦]، وأبو داود [٤٨٨٢]، والترمذي [١٥٢٤] من حديث أبي برزة الأسلمي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٧٩٨٤].

(٣) أخرجه مسلم [٢٥٨٩] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وكما ذكر الناظم فإن الانشغال بعيب الناس عيبان: فعيبهم عيب وانشغالك عن عيب نفسك عيب؛

عجبت لمن يبكي علىٰ فقد غيره ... دموعا ولا يبكي علىٰ فقده دما
وأعجب من ذا أن يرىٰ ذنب غيره ... عظيما وفي عينيه عن ذنبه عمى

وقال الآخر:

إذا رمتَ أن تحيا سليمًا منَ الرَّدىٰ ... وَدِيُنكَ مَوفُورٌ وَعِرْضُكَ صَيِّنُ
فَلاَ يَنْطقنْ مِنْكَ اللسَانُ بِسوأة ... فَكلُّكَ سَوءاتٌ وَلِلنَّاسِ أعْيُنُ
وَعَاشِرْ بمَعْرُوفٍ، وَسَامِحْ مَنِ اعتَدَىٰ ... ودافعْ ولكن بالتي هي أحسنُ

ولا يستثنىٰ من ذلك إلا ست حالات استقرأها النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من كلام أهل العلم وذكرها مفصلة في رياض الصالحين، لا يذم صاحبها ولا تعدّ من الغيبة المحرمة فانظرها فيه، فإنها مهمة.

وقد نظمها بعضهم اختصارًا فقال:

القدح ليس بغيبة في ستة ... متظلم ومعرف ومحذر
ومجاهر فسقا ومستفت ومن ... طلب الإعانة في إزالة المنكر



آداب الجدال والمناظرة

٤٢٢ـ لا تُفْنِ عُمْرَكَ في الْجِدَالِ مُخَاصِمًا ... إِنَّ الْجِدَالَ يُخِلُّ بِالأَدْيَانِ

٤٢٣ـ وَاحْذَرْ مُجَادَلَةَ الرِّجَالِ فَإِنَّهَا ... تَدْعُو إِلَىٰ الشَّحْنَاءِ وَالشَّنَآنِ

٤٢٤ـ وَإِذَا اضْطُرِرْتَ إِلَىٰ الْجِدَالِ وَلَمْ تَجِدْ ... لَكَ مَهْرَبًا وَتَلَاقَتِ الصَّفَّانِ

٤٢٥ـ فَاجْعَلْ كِتَابَ اللهِ دِرْعًا سَابِغًا ... وَالشَّرْعَ سَيْفَكَ وَابْدُ فِي الْمَيْدَانِ

٤٢٦ـ وَالسُّنَّةَ الْبَيْضَاءَ دُونَكَ جُنَّةً ... وَارْكَبْ جَوَادَ الْعَزْمِ فِي الْجَوَلَانِ

٤٢٧ـ وَاثْبُتْ بِصَبْرِكَ تَحْتَ أَلْوِيَةِ الْهُدَىٰ ... فَالصَّبْرُ أَوْثَقُ عُدَّةِ الإِنْسَانِ

٤٢٨ـ وَاطْعَنْ بِرُمْحِ الْحَقِّ كُلَّ مُعَانِدٍ ... لِلَّهِ دَرُّ الْفَارِسِ الطَّعَّانِ

٤٢٩ـ وَاحْمِلْ بِسَيْفِ الصِّدْقِ حَمْلَةَ مُخْلِصٍ ... مُتَجَرِّدٍ لِلَّهِ غَيْرِ جَبَانِ

٤٣٠ـ وَاحْذَرْ بِجُهْدِكَ مَكْرَ خَصْمِكَ إِنَّهُ ... كَالثَّعْلَبِ الْبَرِّيِّ فِي الرَّوَغَانِ

٤٣١ـ أَصْلُ الْجِدَالِ مِنَ السُّؤَالِ وَفَرْعُهُ ... حُسْنُ الْجَوَابِ بِأَحْسَنِ التِّبْيَانِ

٤٣٢ـ لَا تَلْتَفِتْ عِنْدَ السُّؤَالِ وَلَا تُعِدْ ... لَفْظَ السُّؤَالِ كِلَاهُمَا عَيْبَانِ

٤٣٣ـ وَإِذَا غَلَبْتَ الْخَصْمَ لَا تَهْزَأْ بِهِ ... فَالْعُجْبُ يُخْمِدُ جَمْرَةَ الإِحْسَانِ

٤٣٤ـ فَلَرُبَّمَا انْهَزَمَ الْمُحَارِبُ عَامِدًا ... ثُمَّ انْثَنَىٰ فَسَطَا عَلَىٰ الْفُرْسَانِ

٤٣٥ـ وَاسْكُتْ إِذَا وَقَعَ الْخُصُومُ وَقَعْقَعُوا ... فَلَرُبَّمَا أَلْقَوْكَ فِي بُحْرَانِ

٤٣٦ـ وَلَرُبَّمَا ضَحِكَ الْخُصُومُ لِدَهْشَةٍ ... فَاثْبُتْ وَلَا تَنْكُلْ عَنِ الْبُرْهَانِ

٤٣٧ـ فَإِذَا أَطَالُوا فِي الْكَلَامِ فَقُلْ لَهُمْ ... إِنَّ الْبَلَاغَةَ لُجِّمَتْ بِبَيَانِ

٤٣٨ـ لَا تَغْضَبَنَّ إِذَا سُئِلْتَ وَلَا تَصِحْ ... فَكِلَاهُمَا خُلُقَانِ مَذْمُومَانِ

٤٣٩ـ وَإِذَا انْقَلَبْتَ عَنِ السُّؤَالِ مُجَاوِبًا ... فَكِلَاهُمَا لَا شَكَّ مُنْقَطِعَانِ

٤٤٠ـ وَاحْذَرْ مُنَاظَرَةً بِمَجْلِسِ خِيفَةٍ ... حَتَّىٰ تُبَدَّلَ خِيفَةٌ بِأَمَانِ

....

٤٤١- نَاظِرْ أَدِيبًا مُنْصِفًا لَكَ عَاقِلا وَانْصِفْهُ أَنْتَ بِحَسْبِ مَا تَرَيَانِ

٤٤٢- وَيَكُونُ بَيْنَكُمَا حَكِيمٌ حَاكِمًا عَدْلًا إِذَا جِئْتَاهُ تَحْتَكِمَانِ

❁ يحذر الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الأبيات من خطورة الجدال والخصومة بالباطل؛ لأن ذلك يقلب الحقائق، ويظهر الباطل في صورة الحق، والحق في صورة الباطل، ويؤدي إلىٰ تضييع الحقوق وتضليل القضاة، وأكل أموال الناس بالباطل، والأيمان الفاجرة، والحماقات والسفاهات فضلًا عن ما قد يصاحبه من شتائم ولعن وربما قدح - والعياذ بالله -.

فإن الجدال غالبًا ما يفضي إلىٰ الشر بكل ما تحمله تلك الكلمة من معنىٰ؛ ولذلك نهىٰ الله عَزَّوَجَلَّ عن الجدال إلا بالتي هي أحسن، قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]؛ ونهىٰ عن الخصومة، ووصف الإنسان بأنه أكثر شيء جدلًا، قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا﴾ [الكهف: ٥٤]، وقال سُبۡحَانَهُ في ذم أولئك الذين يجادلون بالباطل: ﴿ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [غافر: ٥].

فلا تفن عمرك - يا عبد الله - في الجدال والخصومة بالباطل، فإن ذلك يفضي إلىٰ عواقب وخيمة، يندم عليها المرء ساعة لا ينفع الندم.

وما ضل قوم وانهمكوا في البدع - والعياذ بالله - إلا أوتوا الجدل، ففي الحديث: «**ما ضل قوم بعد هدىً كانوا عليه إلا أوتوا الجدل**» ثم تلا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الآية: ﴿ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴾»(١).

والجدل يؤدي إلىٰ ترك السنة والإعراض عن الحق كما قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أوكلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل إلىٰ محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لجدل

---

(١) أخرجه أحمد [٢٢١٦٤]، والترمذي [٣٢٥٣]، والحاكم [٣٦٧٤] من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: حسن صحيح. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

هؤلاء»[(١)]؛ ولذلك جاء الوعد بالأجر العظيم علىٰ لسان النبي ﷺ لمن ترك الجدال والمراء وإن كان محقًا، قال ﷺ: «**أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًا، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وبيت في أعلىٰ الجنة لمن حسن خلقه**»[(٢)].

وأبغض الناس إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ الألد الخصم كما في الحديث الصحيح[(٣)]، قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾ [البَقَرَة: ٢٠٤ - ٢٠٦] هذا وصف للمجادلين بالباطل.

وقوله:

٤٢٣- وَاحْـذَرْ مُجَادَلَةَ الرِّجَالِ فَإِنَّهَا　　　تَـدْعُـو إِلىٰ الشَّـحْـنَـاءِ وَالشَّـنَـآنِ

بمعنىٰ ما تقدم.

فكثرة الجدال تفضي إلىٰ الشحناء وإلىٰ تفكك الروابط الاجتماعية وإلىٰ البغض، وإمراض القلوب، وإبعاد النفوس، بل ربما أدىٰ ذلك إلىٰ حرب ضروس قد تستمر الأيام والأعوام.

---

(١) «شرح اعتقاد أهل السنة» للالكائي (١/ ١٤٤).

(٢) أخرجه أبو داود [٤٨٠٠]، والطبراني في «الكبير» [٧٤٨٨]، والبيهقي [٢٠٩٦٥] من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال النووي في «رياض الصالحين» [٥]: حديث صحيح، رواه أبو داود بإسناد صحيح. وحسنه الألباني في «الصحيحة» [٢٧٣].

(٣) أخرجه البخاري [٢٤٥٧]، ومسلم [٦٩٥١] من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

ولذلك يروىٰ عن الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قوله: «لو جادلني ألف عالم لغلبتهم، ولو جادلني جاهل لأتعبني».

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني ... أو كنت أعلم ما تقول عذلتكا

لكن جهلت مقالتي فعذلتني ... وعلمت أنك جاهل فعذرتكا

وقال الشاعر:

إياك واحذر مماراة السفيه به ... كذا مباهاة أهل العلم لا ترم

فإن أبغض كل الخلق أجمعهم ... إلىٰ الإله ألد الناس في الخصم

وقوله:

٤٢٤- وَإِذَا اضْطُرِرْتَ إِلىٰ الْجِدَالِ وَلَمْ تَجِدْ ... لَكَ مَهْرَبًا وَتَلَاقَتِ الصَّفَّانِ

٤٢٥- فَاجْعَلْ كِتَابَ اللهِ دِرْعًا سَابِغًا ... وَالشَّرْعَ سَيْفَكَ وَابْدُ فِي الْمَيْدَانِ

٤٢٦- وَالسُّنَّةَ الْبَيْضَاءَ دُونَكَ جُنَّةً ... وَارْكَبْ جَوَادَ الْعَزْمِ فِي الْجَوَلَانِ

٤٢٧- وَاثْبُتْ بِصَبْرِكَ تَحْتَ أَلْوِيَةِ الْهُدَىٰ ... فَالصَّبْرُ أَوْثَقُ عُدَّةِ الْإِنْسَانِ

٤٢٨- وَاطْعَنْ بِرُمْحِ الْحَقِّ كُلَّ مُعَانِدٍ ... لِلّٰهِ دَرُّ الْفَارِسِ الطَّعَّانِ

٤٢٩- وَاحْمِلْ بِسَيْفِ الصِّدْقِ حَمْلَةَ مُخْلِصٍ ... مُتَجَرِّدٍ لِلّٰهِ غَيْرِ جَبَانِ»

كما قال أحدهم:

وإذا جلست إلىٰ الرجال وأشرقت ... في جو باطنك العلوم الشرد

فاحذر مناظرة الحسود فإنما ... تغتاظ أنت ويستفيد ويجحد

وهذه الأبيات بين فيها الناظم طريقة الجدل المحمود التي ينبغي أن تسلك في حال ما إذا اضطررت إليه ولم تجد منه بدا، والحال ما ذكر، فعليك أن تتسلح بسلاح العلم المستمد من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

قال ابن القيم في نونيته:

ويُحكِّم الوحي المبين علىٰ الذي ... قال الشيوخ فعنده حكَمان

لا يَحكُمان بباطل أبدا وكلّ ... العدل قد جاءت به الحكمان

وهما كتاب الله أعدل حاكم ... فيه الشّفا وهداية الحيران

والحاكم الثاني كلام رسوله ... ما ثَمّ غيرهما لذي إيمان

فإذا دعوك لغير حكمهما فلا ... سمعًا لداعي الكفر والعصيان

قل لاَ كرامةَ لاَ ولا نُعمىٰ ولا ... طوعًا لمن يدعو إلىٰ طغيان

والكلّ بعدُ فبدعة أو فِرية ... أو بحث تشكيك ورأي فلان[1]

والذي ينطلق من هذا المنطلق يجعل القرآن درعا والشرع سيفا والسنة جنة والعزم جوادا له والحق رمحا والشجاعة ملجأ يخوض بهذا غمار الجدل المحمود لإحقاق الحق وإزهاق الباطل، والصبر من أعظم الأسلحة لهزيمة العدو والنكاية به سواء أكان صبرا في ساحات الوغىٰ والجهاد أم كان في إقامة الحجج والبراهين لإفحام الخصم وإقامة الحجة عليه. قيل لأحد الشجعان: بم تهزم عدوك دائما؟ قال: بصبر ساعة.

تحالف الناس فيما قد رأوا ورووا ... وكلهم يدّعون الفوز بالظفر

(١) انظر: «توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة ابن القيم لأحمد بن إبراهيم بن عيسى»، (١/ ١٢٩).

فخذ بقول يكون النص ينصره ... إما عن الله أو عن سيد البشر

وقوله:

٤٣٠- وَاحْذَرْ بِجُهْدِكَ مَكْرَ خَصْمِكَ إِنَّهُ ... كَالثَّعْلَبِ الْبَرِّيِّ فِي الرَّوَغَانِ

يحذر الناظم من مكر الخصوم لاسيما أعداء الإسلام من الكفرة والملحدين، أو أعداء أهل السنة من المبتدعة، فيجب على المسلم أن يكون على يقظة من ذلك وانتباه. وقد قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لست بالخِبِّ ولا الخب يخدعني»، فلربما تظاهر الخصم بشيء من الضعف والاستسلام والغلبة والحقيقة أنه يراوغ مراوغة الثعلب الماكر؛ قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

يعطيك من طرف اللسان حلاوة ... ويروغ منك كما يروغ الثعلب[1]

وقوله:

٤٣١- أَصْلُ الْجِدَالِ مِنَ السُّؤَالِ وَفَرْعُهُ ... حُسْنُ الْجَوَابِ بِأَحْسَنِ التِّبْيَانِ

الأصل في الجدال أن يكون السؤال فيه والجواب للاستفادة، ويكون سؤالًا حاجته قائمة والداعي إليه موجود، وأن يكون في قضية واقعة، فلا يكون للافتراضات. ولذلك كره أهل العلم السؤال عن الشيء قبل وقوعه، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١]، وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم**»[2]، ولاسيما إذا كان ذلكم السؤال سؤال تنطع وتعمق وتكلف، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هلك المتنطعون**»[3]؛ ولذلك ينبغي أن يكون أيضًا

(١) انظر: «ديوان علي بن أبي طالب» (١/ ٥٦).

(٢) أخرجه البخاري [٧٢٨٨]، ومسلم [١٣٣٧] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) تقدم تخريجه في ص: [٢١٥].

الجواب بالبيان الشافي، والحجة القاطعة، والبراهين الساطعة من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة رسوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفق فهم السلف الصالح.

وأنبه علىٰ أمر يتعلق بهذه المسألة وهو أنه قد ابتلي بعض الناس في هذه الأزمنة بقولهم: ما العلة في كذا؟ ما الحكمة في كذا؟ ولم قال الله عَزَّوَجَلَّ أو رسوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كذا؟ ولم أمر بكذا أو نهىٰ عن كذا؟ ولم حدد كذا؟ ولم؟ ولم؟... فهذه الأسئلة وأمثالها قد ضل بها الأولون، وتقحّم فيها الآخرون؛ المسلم إن عرف الحكمة من الأمر أو النهي فهذا خير علىٰ خير، وإن لم يدرك الحكمة فعليه أن يستسلم وينقاد ويرجع إلىٰ الحكمة الأولىٰ التي خلق من أجلها، ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وأكثر ما أضل القوم بكيف ولم؟ فيجب أن يكون السؤال سؤال تفقه لا تفكه كما قال الأول.

وقوله:

٤٣٢- لَا تَلْتَفِتْ عِنْدَ السُّؤَالِ وَلَا تُعِدْ   لَفْظَ السُّؤَالِ كِلَاهُمَا عَيْبَانِ

يبين الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا آداب السؤال، وهذا يشمل السؤال عما خفي حكمه من مسائل الدين، وأيضا السؤال عند الحاجة في أمر من أمور الدنيا؛ لأن كثرة الالتفات وكثرة الحركة، وكذا الإلحاح بترداد السؤال وتكراره من غير حاجة، كل ذلك يخل بالآداب، لكن إذا اقتضىٰ الأمر تكرار السؤال للإيضاح أو التشويق أو استعلام فلا حرج.

وقوله:

٤٣٣- وَإِذَا غَلَبْتَ الْخَصْمَ لَا تَهْزَأْ بِهِ   فَالْعُجْبُ يُخْمِدُ جَمْرَةَ الْإِحْسَانِ

❁ إذا غلبت الخصم سواء كان في محاكمة في حق من الحقوق أو محاجة في بيان حق وإزهاق باطل أو بأي شكل من أشكال المغالبة التي يسر الله لك أن تغلب فيها، فإياك أن

تهزأ بالخصم الذي غلبته بقصد التفاخر والعجب والشماتة، فإن ذلك يخل بالآداب وربما عادت عليك الكرة بسبب استهزائك وسخريتك منه؛ فإنه كما تدين تدان. والمسلم إذا من الله عليه بنصر أو غلبة، فإنه لا يغتر ولا يستهزئ، وإنما يشكر الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ ما منّ به عليه.

فالنبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لما دخل مكة فاتحا دخل مطأطئًا رأسه حتىٰ أصاب عثنون لحيته مورك رحله، خافضًا رأسه تواضعًا لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ. نعم نفرح بنصر الله ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يُونُس: ٥٨]؛ لكنه فرح لا يدعو إلىٰ البطر والأشر والاستعلاء، بل ذلك مذموم، قال الله تَعَالَىٰ عن قارون: ﴿۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القَصَص: ٧٦].

وقوله:

٤٣٤- فَلَرُبَّمَا انْهَزَمَ الْمُحَارِبُ عَامِدًا ... ثُمَّ انْثَنَىٰ فَسَطَا عَلَىٰ الْفُرْسَانِ

۞ أي: ربما ذلك الخصم الذي غلبته واغتررت بعددك وعدتك وقوتك وهيبتك، ربما أدىٰ ذلك إلىٰ أمر عكسي، بل إن الله عَزَّوَجَلَّ أرىٰ المسلمين يوم أحد عبرة وعظة وأدبهم بآداب عظيمة، حيث إنهم لما فرحوا واشتغل بعضهم بجمع الغنائم التف العدو خلفهم وأوقع بهم حتىٰ استشهد منهم سبعون رجلًا، وكذلك الحال يوم حنين، وفي ذلك يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التَّوبَة: ٢٥ - ٢٧].

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٤٣٥- وَاسْكُتْ إِذَا وَقَعَ الْخُصُومُ وَقَعْقَعُوا ... فَلَرُبَّمَا أَلْقَوْكَ فِي بُحْرَانِ

٤٣٦- وَلَرُبَّمَا ضَحِكَ الْخُصُومُ لِدَهْشَةٍ ... فَاثْبُتْ وَلَا تَنْكُلْ عَنِ الْبُرْهَانِ

٤٣٧- فَإِذَا أَطَالُوا فِي الْكَلَامِ فَقُلْ لَهُمْ ... إِنَّ الْبَلَاغَةَ لُجِّمَتْ بِبَيَانِ

❁ إذا تحولت المسألة إلىٰ لجاج بين الناس، كل يهرف بما لا يعرف فالزم الصمت.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾ [الفُرقان: ٧٢].

ويقول تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمَان: ١٩].

فعلىٰ المسلم إذا رأىٰ الناس يتلاحون ويتخاصمون ويتجادلون، وليس لديه كلام يفصل في هذا اللجاج، فعليه أن يتجنبه ويبتعد عنه، وأن يلزم الصمت، فإن الصمت والحال هذه خير له؛ لأنه إذا دخل معهم في ذلك أوقعوه في بنيات الطريق ومتاهات كالبحر لا ساحل له من غير نتيجة أو فائدة.

وإذا رأيتهم يهزءون ويضحكون فعليك أن لا تعبأ بذلك وألا يفتّ ذلك في عضدك، بل عليك أن تتسلح بالحجج الشرعية الساطعة والبراهين القاطعة التي تخرس ألسنتهم وتوقفهم عند حدهم.

وقوله: «إن البلاغة ألجمت ببيان»؛ أي: إذا وقع الخصوم في ذلك اللجاج الذي لا نهاية له ولا خير فيه، فعليك أن تلزم الصمت متمثلًا بقول المأمون الخليفة:

والأدب الصالح حسن السمت ... وفي كثير القول بعض المقت

وقول الشاعر:

إذا وقع الذبابُ علىٰ طعامٍ رفعت يدي ونفسي تشتهيه
وتجتنب الأسود ورود ماءٍ إذا كان الكلاب ولغن فيه
ويرتجع الكريم خميص بطنٍ ولا يرضىٰ مساهمة السفيه[1]

وقوله:

٤٣٨- لَا تَغْضَبَنَّ إِذَا سُئِلَتْ وَلَا تَصِحْ فَكِلَاهُمَا خُلُقَانِ مَذْمُومَانِ

❁ إذا سئلت عن أمر ما، فإياك والغضب، فإن الغضب أحد مداخل الشيطان الثلاثة التي هي: الشبهات والشهوات والغضب. وكثيرًا ما ضاعت الحقوق وحصلت الخصومات والحروب بسبب الغضب، وكثيرا ما حصل القتل والهرج بسبب الغضب، وكثيرا ما ندم الغضوب ساعة لا ينفع الندم.

جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله أوصني، قال: «**لا تغضب**»، فردد مرارًا، قال: «**لا تغضب**»[2].

ويقول النبي ﷺ: «**ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**»[3]، بل تمثل بالحلم والرفق وسعة الصدر، يقول رسول الله ﷺ: «**إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم**»[4].

---

(١) انظر: «غذاء الألباب شرح منظومة الألباب» (٢/ ٣٣).
(٢) أخرجه البخاري [٦١١٦] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) أخرجه البخاري [٦١١٤]، ومسلم [٢٦٠٩] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٤) تقدم تخريجه في ص: [١٧].

قال ابن دريد:

لا تدخلنك ضجرة من سائل ... فلخير دهرك أن ترىٰ مسؤولا
تلقىٰ الكريم فتستدل ببشره ... وترىٰ العبوس علىٰ اللئيم دليلا[1]

ويقول الآخر:

وللحلم أوقاتٌ وللجهلِ مثلُها ... ولكنَّ أوقاتي إلىٰ الحلم أقربُ[2]

فإياك - يا عبد الله - والغضب، وإياك والصياح ورفع الصوت، ﴿وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩].

وقد ذم الله أولئك الأعراب الذين جاؤوا إلىٰ النبي ﷺ ووقفوا عند حجرات أمهات المؤمنين وهم ينادونه باسمه المجرد: يا محمد، يا محمد اخرج إلينا فأنزل الله هذه الآيات تعليمًا للأمة وتأديبًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات: ٢ - ٣]، ثم قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [الحجرات: ٤].

وقوله:

٤٤٠- وَاحْذَرْ مُنَاظَرَةً بِمَجْلِسِ خِيفَةٍ ... حَتَّىٰ تُبَدَّلَ خِيفَةٌ بِأَمَانِ

❁ ما زال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ يبين بعض آداب المناظرة، فيُحذر من المناظرة بمجلس يخاف فيه أو يخشىٰ من عدم الأمن فيه علىٰ الدين أو الدنيا حتىٰ يبدل ذلك الخوف

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (٣/ ٣٠٩).
(٢) «جواهر الأدب» لأحمد الهاشمي (١/ ٤٣٢).

بالأمان؛ لأن المسلم مأمور بألا يلقي نفسه في التهلكة، ومأمور بأن يحافظ علىٰ كل ما من شأنه أن يحفظ له أمر دينه ودنياه. وفي الحديث «**لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه**»[١]، فإنه إذا ناظر وهو خائف، فربما انغلقت عليه الأدلة والحجج، وربما شمت الخصوم به ونحو ذلك من أحوال قد تؤدي إلىٰ إضعاف جانب الحق وتقوية الباطل.

وقوله:

٤٤١- نَاظِرْ أَدِيبًا مُنْصِفًا لَكَ عَاقِلا ... وَانْصِفْهُ أَنْتَ بِحَسْبِ مَا تَرَيَانِ

٤٤٢- وَيَكُونُ بَيْنَكُمَا حَكِيمٌ حَاكِمًا ... عَدْلًا إِذَا جِئْتَاهُ تَحْتَكِمَانِ

❁ إذا كان المناظر لك عاقلًا، أديبًا فاهمًا واعيًا، مدركًا لما تقول، وأنت مدرك لما يقول، وكل منكما، ناقد بصير، يرجع إلىٰ الحق إذا ظهر له، فلا بأس من المناظرة والحالة هذه، بل هذا هو الأصل في أهل المناظرة. أما مناظرة الجهال وضعاف العقول الذين لا يدرون ولا يدرون أنهم لا يدرون، ولا يعلمون ولا يعلمون أنهم لا يعلمون، ولا يستطيعون إقناعك بدليل عندهم؛ لأن فاقد الشيء لا يعطيه، كما أنك لا تستطيع إقناعهم؛ لأنه ليس لديهم الاستعداد لقبول الحق ممن جاء به. قال الخليل بن أحمد الفراهيدي:

لو كنتَ تعلم ما أقول عذرتني ... أو كنتَ تعلم ما تقول عذلتكا

لكن جهلتَ مقالتي فعذلتني ... وعلمتُ أنك جاهل فعذرتكا[٢]

ومما تعلمته من حال مشايخي: الشيخ ابن باز، الشيخ ابن عثيمين، الشيخ حماد، الشيخ صالح الفوزان، الشيخ عبد المحسن العباد وغيرهم من مشايخ العلم والهدىٰ

---

(١) أخرجه الترمذي [٢٢٥٤]، وابن ماجه [٤٠١٦] من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: «حسن غريب». وحسنه الألباني في «الصحيحة» [٦١٣].

(٢) «لباب الآداب» لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري (١/ ١٦١).

عـدم الدخول في مجـادلات أو مهاترات مع الجهال؛ لأن مجادلة الجاهل عقيمة، وضررها أكثر من نفعها.

ومما يـروىٰ عن الإمام الشـافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **قولـه**: «لو جادلني ألف عـالم لغلبتهم، ولـو جادلنـي جاهل لأتعبني» أو قـال: لغلبني؛ لأن العـالم إما أن تقنعه وإمـا أن يقنعك بالدليل الشرعي أو العقلي، أما الجاهل فليس لديه استعداد أن يصل معك إلىٰ نتيجة.

وإذا اختلفتـما في تلـك المناظـرة، ولم تتوصـلا إلىٰ اتفـاق أو نتيجـة مـع أن رائد كل منكما طلب الحق فحكّما حاكما عادلا يحكم بينكما في ضوء كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسـنة رسـوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ نزلوا علىٰ حكم الله ورضوا أن يتحاكموا إلىٰ حكم الله مع من هو أقل منهم شـأنًا، وأقل إدراكا ومنزلة، فالمسـلم يتواضع لحكـم الله عَزَّوَجَلَّ ويقبله. هذا هو طريق المؤمنين الخلص، الذين يبحثون عن الحق ويتعلقون به، وأين ما وجدوه اتبعوه.





فضل التواضع

٤٤٣- كُنْ طُولَ دَهْرِكَ سَاكِتًا مُتَوَاضِعًا ... فَهُمَا لِكُلِّ فَضِيلَةٍ بَابَانِ

٤٤٤- وَاخْلَعْ رِدَاءَ الْكِبْرِ عَنْكَ فَإِنَّهُ ... لَا يَسْتَقِلُّ بِحَمْلِهِ الْكَتِفَانِ

---

* التواضع من صفات المؤمنين المتقين؛ يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ [الفرقان: ٦٣]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ٣٧ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا﴾ [الإسراء: ٣٧]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ﴾ [لقمان: ١٨].

وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان»**[١]، وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة خردل من كبرياء»**[٢] - والعياذ بالله -.

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إن الله أوحىٰ إلي أن تواضعوا حتىٰ لا يفخر أحد علىٰ أحد ولا يبغ أحد علىٰ أحد»**[٣]، وقال: **«آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد، إنما أنا عبد»**[٤].

والكبر من صفات إبليس، ومن صفات فرعون وقارون وأبي جهل وسائر الكفار ﴿فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٠].

---

(١) أخرجه أحمد [٦٦٧٧]، والترمذي [٢٤٩٢] من حديث معاوية بن حيدة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: هذا حديث صحيح. وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» [٨٠٤٠] ونقل عن الترمذي تحسينه كذلك.

(٢) أخرجه مسلم [٩٠] من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم [٢٨٦٥] من حديث عياض بن حمار رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات (١/ ٣٨١)، وأبو يعلىٰ [٤٩٢٠] من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٥٤٤].

قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البَقَرَة: ٣٤].

فإياك - يا عبد الله - أن تكون من المتشبهين بهؤلاء الممقوتين عند الله تَعَالَى، وإنما عليك التواضع لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، «**فمن تواضع لله رفعه**»(١). واقتد في هذا بخير البشرية صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أكثر الناس تواضعًا وحلمًا وأدبًا وأحسنهم أخلاقًا.

فيحذر رَحِمَهُ اللَّهُ من الكبر وما يترتب عليه من آثار خطيرة في الدنيا والآخرة؛

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر ... على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تك كالدخان يعلو بنفسه ... إلى طبقات الجو وهو وضيع(٢)



(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٤٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في «الصحيحة» [٢٣٢٨].

(٢) «جواهر الأدب» (١/ ٢٨٥).

وافعلوا الخير لعلكم تفلحون

٤٤٥- كُنْ فَاعِلًا لِلْخَيْرِ قَوَّالًا لَهُ	فَالْقَوْلُ مِثْلُ الْفِعْلِ مُقْتَرِنَانِ
٤٤٦- مِنْ غَوْثِ مَلْهُوفٍ وَشَبْعَةِ جَائِعٍ	وَدِثَارِ عُرْيَانٍ وَفِدْيَةِ عَانِ
٤٤٧- فَإِذَا عَمِلْتَ الْخَيْرَ لَا تَمْنُنْ بِهِ	لَا خَيْرَ فِي مُتَمَدِّحٍ مَنَّانِ

❁ يحثّ الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ على الجد والاجتهاد في قول الخير وفعله، قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [الحج: ٧٧]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴾ [الأحزاب: ٧٠]، وقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»**(١).

ثم ضرب الناظم أمثلة لفعل ذلك الخير من إغاثة ملهوف أو إطعام جائع أو كسوة عار أو فكاك أسير، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ۝١٤ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ۝١٥ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ﴾ [البلد: ١١ - ١٦]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ﴾ [الإنسان: ٨ - ٩]، وقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: **«لأَنْ أمشي مع أخي المسلم في حاجةٍ أحبُّ إِلَيَّ من أن أعتكفَ في هذا المسجدِ شهرًا»**(٢)، وقال: **«كل سلامي من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس قال تعدل بين الاثنين صدقة وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة»**(٣)، وسئل صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أي الرقاب أفضل؟ فقال: **«أعلاها ثمنًا وأنفسها عند أهلها»** قلت: فإن لم أفعل قال: **«تعين**

---

(١) تقدم تخريجه في ص: [٤٠٣].

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب «قضاء الحوائج» [٣٦] من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [١٧٦].

(٣) أخرجه البخاري [٢٨٩١]، ومسلم [١٠٠٩] من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

ضائعا أو تصنع لأخرق» قال: فإن لم أفعل قال: «تدع الناس من الشر فإنها صدقة تصدق بها على نفسك»(١).

ثم حذر من المنّ بعد فعل الخير، قال تعالى: ﴿ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾

[البقرة: ٢٦٣ - ٢٦٤]

قال أبو الفتح الببغاء:

أفسدت بالمن ما قدّمت من حسن ... ليس الكريم إذا أعطى بمنّان(٢)

فعلى المسلم أن يخلص فيما يقول أو يفعل من خير، بعيدًا عن المن والرياء والسمعة.



(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب «قضاء الحوائج» [٣٦] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [١٧٦].
(٢) «مجمع الحكم والأمثال» لأحمد قبش.

أركان السعادة

٤٤٨- اشْكُرْ عَلَىٰ النَّعْمَاءِ وَاصْبِرْ لِلْبَلا فَكِلاهُمَا خُلُقَانِ مَمْدُوحَانِ

٤٤٩- لا تَشْكُوَنَّ بِعِلَّةٍ أَوْ قِلَّةٍ فَهُمَا لِعِرْضِ الْمَرْءِ فَاضِحَتَانِ

* يحث الناظم علىٰ خصلتين عظيمتين يجب أن يتحلىٰ بهما المؤمن، وهما الشكر عند النعماء والصبر علىٰ البلاء. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧]، وقال رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له**»(١).

وقال العلماء: إن الإيمان نصفان؛ نصفه شكر، ونصفه صبر. وعلامة السعادة للمؤمن ثلاثة: إذا أعطي شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر.

ثم نبه رَحِمَهُ اللهُ علىٰ ما يناقض الصبر من التشكي الناتج عن قلة الصبر سواء كان من مرض أو قلة ذات يد أو نحو ذلك، حيث إن ذلك يفضي إلىٰ المذلة والهوان، بل يجب أن يعلق المؤمن شكواه بالله وحده.

لا تكثر الشكوىٰ إلىٰ الصديق وارجع إلىٰ الخالق لا المخلوق

لا يخرج الغريق بالغريق.

وقد سبق التنبيه إلىٰ أن عرض الأمور المعضلة علىٰ ذوي الرأي والحكمة لا يعارض النهي عن الشكوىٰ لغير الله، فالشكوىٰ المحظورة هي التي تكون بقصد الجزع والتسخط من أقدار الله، قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوىٰ الجاهلية**»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم [٢٩٩٩] من حديث صهيب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري [١٢٩٧]، ومسلم [٣٥١٩] من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

٤٥٠- صُنْ حُرَّ وَجْهِكَ بِالْقَنَاعَةِ إِنَّمَا ... صَوْنُ الْوُجُوهِ مُرُوءَةُ الْفِتْيَانِ

❁ في هذا البيت يبين الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أهمية القناعة بما قسم الله عَزَّوَجَلَّ والرضىٰ بذلك. وفي الحكمة: القناعة كنز لا يفنىٰ، فيجب علىٰ المرء صون وجهه عن كل ما يشينه بما في ذلك مذلة السؤال، قال رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«ما يزال الرجل يسأل الناس حتىٰ يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم»**[1]، وفي الصحيح من حديث قبيصة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **«إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتىٰ يصيبها ثم يمسك ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتىٰ يصيب قوامًا من عيش - أو قال سدادًا - من عيش ورجل أصابته فاقة حتىٰ يقوم ثلاثة من ذوي الحجا من قومه لقد أصابت فلانًا فاقة فحلت له المسألة حتىٰ يصيب قوامًا من عيش - أو قال سدادًا من عيش - فما سواهن من المسألة يا قبيصة سحتا يأكلها صاحبها سحتا»**[2].

فعدم القناعة بالكفاف والتعرض للمسألة من غير ضرورة أو حاجة فيه عذاب وإهانة للنفس في الدنيا ناهيك عما في ذلك من محذور شرعي كما أنشد عبد الله بن الزبير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا:

بَلَوْتُ النَّاسَ قرنا بَعْدَ قَرْنٍ ... فلم أر غير ختال وقال
وَذُقْتُ مَرَارَةَ الأشياءِ طُرّا ... فَمَا طَعْمٌ أَمَرُّ مِنَ السؤالِ
وَلَمْ أرَ في الخُطُوْبِ أشدَّ هولا ... وأصعب من معادات الرجالِ[3]

ومما ينسب إلىٰ إبراهيم بن حفصة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا المعنىٰ قوله:

---

(١) أخرجه البخاري [١٤٧٤]، ومسلم [١٠٤٠] من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه مسلم [١٠٤٤] من حديث قبيصة بن مخارق الهلالي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) «المستطرف في كل فن المستظرف» (١/ ٣٥١)، وورد أيضًا في ديوان علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، (١/ ١٢٥).

هي القناعة فلزمها تكن ملكا ... لو لم يكن لك إلا راحة البدن

فانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها ... هل راح منها بغير القطن والكفن؟[1]

وقال الشاعر البستي في «عنوان الحكم»:

صن حر وجهك لا تهتك غلالته ... فكل حر لحر الوجه صوان

❁ فإن صون الوجه بالقناعة من كمال المروءة وراحة للنفس، أيما راحة؛

من كلفته النفس فوق كفافها ... فما ينقضي حتىٰ الممات عناؤه



(١) «المستطرف في كل فن المستظرف» (١/ ١٦١).

العبادة القلبية

٤٥١- بِـاللهِ ثِقْ وَلَـهُ أَنِـبْ وَبِـهِ اسْتَعِنْ فَــإِذَا فَـعَـلْـتَ فَـأَنْـتَ خَـيْـرُ مُـعَـانِ

❁ ذكـر الناظـم هنا ثلاثة أمور من أمـور العبادة: الثقة بالله والاسـتعانة به والإنابة إليه، فإذا توفرت في المرء هذه الأمور فهو خير معانٍ من الله عَزَّوَجَلَّ.

فعلىٰ المـرء أن يوثق صلتـه بربه عَزَّوَجَلَّ، مسـتعينًا بـه، ومنيبًـا إليه، ومتـوكلًا عليه، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وقـال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر: ٥٤]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١]، وقـال رسـول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**احفـظ الله يحفظـك، احفـظ الله تجده تجاهك، إذا سـألت فاسـأل الله، وإذا اسـتعنت فاسـتعن بـالله**»[1]، وقـال: «**يقـول الله تَعَالَىٰ أنـا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسـه ذكرته في نفسـي وإن ذكرني في ملء ذكرته في ملء خير منهم**»[2].

وقال الشاعر:

إذا لم يكن عـون مـن الله للفتىٰ فـأول ما يجني عليه اجتهاده[3]

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

واصـدع بمـا قـال الله ولاتخـف مـن قـلـة الأنـصـار والأعـوان
والله نـاصـر جـنـده وكـتـابـه والله كـاف عـبـده بـأمـان

---

(١) تقدم تخريجه في ص: [١٠٨].

(٢) أخرجه البخاري [٧٤٠٥]، ومسلم [٢٦٧٥] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) «فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء» لابن عرباشه (١/ ١٠٧).

الحض على التوبة

٤٥٢- وَإِذَا عَصَيْتَ فَتُبْ لِرَبِّكَ مُسْرِعًا ... حَذَرَ الْمَمَاتِ وَلَا تَقُلْ لَمْ يَانِ

* «**كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون**»(١)؛ فإذا ابتلي العبد بارتكاب معصية فعليه المسارعة إلىٰ التوبة، والحذر من التسويف إذ أنه لا يدري ماذا يعرض له، فلعله يسوف فيباغته الأجل، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١١].

وقد تفضل الله علىٰ عباده، ممن فرط منهم في جنب الله بدعوته إلىٰ الإسراع بالتوبة والإنابة وعدم اليأس من روح الله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر: ٥٣ - ٥٤]، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله عَزَّ وَجَلَّ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتىٰ تطلع الشمس من مغربها**»(٢)، وقال: «**إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**»(٣)، وفي الصحيح عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: «أخذ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمنكبي فقال: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**»(٤)، وكان ابن عمر يقول: «إذا أمسيت

(١) أخرجه أحمد [١٣٠٧٢]، والدارمي [٢٧٢٧] والترمذي [٢٤٩٩]، وابن ماجه [٢٤٥١]، والحاكم [٧٦١٧] من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي: علي بن مسعدة لين. وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» [٤٥١٥].

(٢) أخرجه مسلم [٧١٦٥] من حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أحمد [٦١٦٠]، والترمذي [٣٥٣٧]، وابن ماجه [٤٢٥٣]، والحاكم [٧٦٥٩] من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي: صحيح. وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» [١٩٠٣].

(٤) تقدم تخريجه في ص: [٣٥٤].

فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك»[(١)]، وفي الحديث: «**اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك**»[(٢)]، وكان يزيد بن الطفرية صعلوكًا، شديد المنعة والقوة حتىٰ ذاع صيته، واشتهر أمره في قطع الطريق، وكان لا يأخذ إلا النفائس من مخائض الإبل ونحوها، فيقال: إنه بينما هو علىٰ تلك الحال إذ سمع قارئًا يقرأ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ [الزمر: ٥٣ - ٥٦]، فأدركته مخافة الله وبغتة الموت فأنشد تائبًا:

ألا قل لأرباب المخائض هملوا … لقد تاب مما تعلمون يزيد

إن امرأ ينجو من النار بعد ما … تزود من أعمالها لسعيد



(١) تقدم تخريجه في ص: [٣٥٤].

(٢) أخرجه الحاكم [٧٨٤٦]، والبيهقي في «شعب الإيمان» [١٠٢٤٨] من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وقال الحاكم: «صحيح علىٰ شرط الشيخين». وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [١٠٧٧].

لن يغلب عسر يسرين

٤٥٣- وَإِذَا ابْتُلِيتَ بِعُسْرَةٍ فَاصْبِرْ لَهَا ... فَالْعُسْرُ فَرْدٌ بَعْدَهُ يُسْرَانِ

❁ قد يضيق على الإنسان عيشه وتتنغص عليه حياته من حصول مرض أو فاقة أو فقد محبوب أو نحو ذلك من الشدائد والابتلاءات، فعليه أن يصبر ويحتسب ولا يجزع ولا يتسخط وأن يؤمل خيرًا، وأن يعلم أن كل شيء يجري بقضاء الله وقدره، ولعل ذلك له خير، وأن يوقن بأن الله سيجعل له من كل هم فرجا، ومن كل ضيق مخرجًا، ومن كل بلاء عافية إذا هو التجأ إلىٰ ربه وآمن واتقىٰ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ [الشرح: ٥ - ٦]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ [الطلاق: ٧]، وجاء في الأثر توضيح هذا المعنىٰ: «لن يغلب عسر يسرين»(١)، وإلىٰ هذا أشار الناظم بقوله: «فالعسر فرد بعده يسران».

قال القاسم بن محمد:

عسىٰ فرج يأتي به الله إنّه ... له كلّ يوم في خليقته أمر
إذا لاح عسرٌ فارج يسرًا فإنّما ... قضىٰ الله أنّ العسر يتبعه يسر(٢)

وقال إبراهيم بن العباس الصولي:

ولرب نازلة يضيق بها الفتىٰ ... ذرعًا وعند الله منها المخرجُ
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها ... فرجت وكنت أظنها لا تفرج(٣)

---

(١) أخرجه مالك [١٦٢١]، والحاكم [٣١٧٦]، والبيهقي في «شعب الإيمان» [٩٥٣٨] موقوفا علىٰ عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي.

(٢) «الفرج بعد الشدة» لابن أبي دنيا، أثر رقم [١١٤].

(٣) «زهر الأكم في الأمثال والحكم» (١/ ١٧٨).

وقال هدبة بن خشوم العذري:

عسىٰ الكرب الّذي أمسيت فيه ... يكون وراءه فرج قريب
فيأمن خائف ويفكّ عانٍ ... ويأتي أهله النائي الغريب[(١)]

وقال آخر:

ألا بالصبر تبلغ ما تريد ... وبالتقوىٰ يلين لك الحديد

وقال آخر:

بالصبر تبلغ ما ترجوه من أمل ... فاصبر فلا ضيق إلا بعده فرج



(١) «أخبار النساء» لابن الجوزي (١/ ٣٧).



الحذر من شهوات النفس والبطن والفرج وتوجيهات نفيسة في الصحة والحمية

٤٥٤- لَا تَحْشُ بَطْنَكَ بِالطَّعَامِ تَسَمُّنًا ... فَجُسُومُ أَهْلِ الْعِلْمِ غَيْرُ سِمَانِ

٤٥٥- لَا تَتَّبِعْ شَهَوَاتِ نَفْسِكَ مُسْرِفًا ... فَاللهُ يُبْغِضُ عَابِدًا شَهْوَانِي

٤٥٦- أَقْلِلْ طَعَامَكَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّهُ ... نَفْعُ الْجُسُومِ وَصِحَّةُ الْأَبْدَانِ

٤٥٧- وَامْلِكْ هَوَاكَ بِضَبْطِ بَطْنِكَ إِنَّهُ ... شَرُّ الرِّجَالِ الْعَاجِزُ الْبَطْنَانِ

٤٥٨- وَمَنِ اسْتَذَلَّ لِفَرْجِهِ وَلِبَطْنِهِ ... فَهُمَا لَهُ مَعَ ذَا الْهَوَىٰ بَطْنَانِ

٤٥٩- حِصْنُ التَّدَاوِي الْمَجَاعَةُ وَالظَّمَا ... وَهُمَا لِفَكِّ نُفُوسِنَا قَيْدَانِ

٤٦٠- أَظْمِئْ نَهَارَكَ تَرْوَ فِي دَارِ الْعُلَا ... يَوْمًا يَطُولُ تَلَهُّفُ الْعَطْشَانِ

٤٦١- حُسْنُ الْغِذَاءِ يَنُوبُ عَنْ شُرْبِ الدَّوَا ... سِيمَا مَعَ التَّقْلِيلِ وَالْإِدْمَانِ

٤٦٢- إِيَّاكَ وَالْغَضَبَ الشَّدِيدَ عَلَىٰ الدَّوَا ... فَلَرُبَّمَا أَفْضَىٰ إِلَىٰ الْخِذْلَانِ

٤٦٣- دَبِّرْ دَوَاءَكَ قَبْلَ شُرْبِكَ وَلْيَكُنْ ... مُتَأَلِّفَ الْأَجْزَاءِ وَالْأَوْزَانِ

٤٦٤- وَتَدَاوَ بِالْعَسَلِ الْمُصَفَّىٰ وَاحْتَجِمْ ... فَهُمَا لِدَائِكَ كُلِّهِ بُرْءَانِ

٤٦٥- لَا تَدْخُلِ الْحَمَّامَ شَبْعَانَ الْحَشَا ... لَا خَيْرَ فِي الْحَمَّامِ لِلشَّبْعَانِ

٤٦٦- وَالنَّوْمُ فَوْقَ السَّطْحِ مِنْ تَحْتِ السَّمَا ... يُفْنِي وَيُذْهِبُ نَضْرَةَ الْأَبْدَانِ

٤٦٧- لَا تُفْنِ عُمْرَكَ فِي الْجِمَاعِ فَإِنَّهُ ... يَكْسُو الْوُجُوهَ بِحُلَّةِ الْيَرَقَانِ

٤٦٨- أُحْذِرْكَ مِنْ نَفَسِ الْعَجُوزِ وَبُضْعِهَا ... فَهُمَا لِجِسْمِ ضَجِيعِهَا سُقْمَانِ

٤٦٩- عَانِقْ مِنَ النِّسْوَانِ كُلَّ فَتِيَّةٍ ... أَنْفَاسُهَا كَرَوَائِحِ الرَّيْحَانِ

❁ يوجه رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الأبيات بجمل نافعة في التداوي والصحة؛ وكما قيل: العقل السليم في الجسم السليم، ويبين أن المؤمن لا ينبغي أن يحشو ويملأ بطنه بالطعام مما يؤدي به إلىٰ الكسل والتعب والتثاقل عن طاعة الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن دوام الامتلاء يورث

الكسـل والتعب وكثرة النوم، بل يورث الأمراض والأسـقام المردية، وفي الحكمة: «كل كثيرًا تشرب كثيرًا تنم كثيرًا»، قال الراجز:

في الجـوع صحـة وعـقـل وفَـهـم وقـلـة لـلـنـوم عِـفـة أتم

والأعـدل في هـذا كلـه مـا وجـه الله سُبْحَانَهُ إليـه في كتابـه ورسـوله ﷺ في سنته.

قـال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ۝٣١ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِ﴾ [آل عمران: ٣١ - ٣٢]، وقال رسـول ﷺ: **«كل واشـرب والبس وتصدق في غـير سـرف ولا مخيلة»**(١)، وكان يسـتعيذ بـالله من الجوع فيقـول: **«اللهم إني أعوذ بـك من الجـوع فإنه بئس الضجيع»**(٢)، وقال: **«إن الله يحـب أن يرىٰ أثر نعمته علىٰ عبـده»**(٣)، ولكـن تجـاوز الحد في كل ذلـك هو المذموم، يقـول ﷺ: **«ما ملأ ابن آدم وعـاء شـرًّا مـن بطن، حسـب ابـن آدم أكلات يقمن صلبه، فـإن كان لا محالة، فثلـث لطعامه، وثلث لشـرابه، وثلث لنفسـه»**(٤)، وكان النبي ﷺ يربط حجرًا علىٰ بطنه من الجوع.

---

(١) أخرجه الطيالسي [٢٢٦١]، وأحمد [٦٦٩٥] من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» [٤٥٠٥].

(٢) أخرجه أبو داود [١٥٤٩]، والنسائي [٥٤٦٨]، وابن ماجه [٣٣٥٤] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وحسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» [١٣٨٣].

(٣) أخرجه الترمذي [٢٨١٩]، والحاكم [٧١٨٨] من حديث عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. قال الترمذي: هذا حديث حسن. وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وقال الذهبي: صحيح.

(٤) أخرجـه أحمـد [١٧١٨٦]، والترمـذي [٢٣٨٠]، وابـن ماجـه [٣٣٤٩]، وابـن حبـان [٦٧٤]، والحاكـم [٧١٣٩] مـن حديـث المقدام بـن معدي كرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قـال الترمذي: حسـن. وصححه الذهبي. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٥٦٧٤].

فكل واشرب وتمتع بما أباحه الله لك، ولكن في حدود ما تتقوىٰ به علىٰ طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وما العيش إلا ما يلذّ به الفتىٰ إذا لم يجُزْ يوما سبيل ذوي القصد

والمقصود أن المسلمين عامة، وطلاب العلم خاصة لا يتسمنون، فجسوم أهل العلم غير سمان، وليس معنىٰ ذلك مذمة من حصلت له السمنة مطلقًا، فربما حصل ذلك بسبب تعاطي بعض الأدوية أو كان وراثيا ونحو ذلك.

وكأن الناظم لحظ هذا المعنىٰ فأشار إلىٰ أن المحظور في ذلك ما كان عن إسراف فقال:

لا تتبع شهوات نفسك مسرفا فالله يبغض عابدا شهواني

تتبع شهوات النفس قد لا يقف بها عند الحلال، بل قد يتجاوز بها إلىٰ ما حرم الله عَزَّوَجَلَّ فعليك أن تحدّ من شهواتها وأن لا تطلق لها العنان في ملذاتها وأن لا تكون أسيرًا لنزواتها فتلقي بك في متاهات لا تحمد عقباها؛ فقد «**حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات**»[1] كما أخبر الصادق المصدوق صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فعلىٰ المسلم أن لا ينجر خلف شهواته ونزواته، فإنه حينئذ قد تلقي به الشهوات في مهاوي الردىٰ، ويندم ساعة لا ينفع الندم. فالله يبغض متبعي الشهوات، لأن مداخل الشيطان إنما هي الشهوات والشبهات والغضب، ولذلك أيضًا ذم متبعي الهوىٰ؛ لأن متبع الشهوات من متبعي الهوىٰ، قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ [النجم: ٢٣]، وقال: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦].

---

(١) تقدم تخريجه في ص: [٩٠].

ومـن الـبـلاء ولـلـبـلاء علامة أن لا يُـرىٰ لـك عـن هـواك نزوع

العبد عبد النفس في شهواتها والحـــر يـشـبـع تـــارة ويجـوع

وقوله:

«أقلل طعامك ما استطعت فإنه نفـع الجسـوم وصحـة الأبـدان»

تقليـل الطعـام بقدر مـا تحتاجه ينفعك في أمـر دينك ودنياك؛ أما نفعـه الديني فقد تقدمت الإشـارة إليه من كونه امتثالًا للتوجيه الرباني، وأما نفعه الدنيوي فقد أشـار إليه الناظم بقوله: (فإنه نفع الجسوم وصحة الأبدان».

فحافظ علىٰ تقليل طعامك، قال رسـول الله ﷺ: «**حسـب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث طعام، وثلث شراب، وثلث لنفسه**»(١).

وفي قوله:

٤٥٧- وَامْلِكْ هَوَاكَ بِضَبْطِ بَطْنِكَ إِنَّهُ شَـرُّ الـرِّجَـالِ الْـعَـاجِـزُ الْـبَـطْـنَـانِ

---

(١) تقدم تخريجه في ص: [٥٣٩]. قال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» ص: [٤٢٦]: «وهذا الحديث أصل جامع لأصول الطب كلها وقد روي أن ابن أبي ماسويه الطبيب لما قرأ هذا الحديث في كتاب أبي خيثمة قال: لو استعمل الناس هذه الكلمات لسلموا من الأمراض والأسقام ولتعطلت المارشايات ودكاكين الصيادلـة وإنـما قال هذا لأن أصل كل داء التخم كما قال بعضهم أصل كل داء البردة، وروىٰ مرفوعًا ولا يصح رفعه وقال الحارث بن كلدة طبيب العرب: الحمية رأس الدواء والبطنة رأس الداء ورفعه بعضهم ولا يصـح أيضًـا وقـال الحارث أيضًـا الذي قتل البريـة وأهلك السـابع في البرية إدخـال الطعام علىٰ الطعـام قبـل الانهضام وقال غيره لو قيل لأهل القبور ما كان سـبب آجالكم لقالوا التخم فهذا بعض منافـع تقليـل الغذاء وترك التملؤ من الطعام بالنسـبة إلىٰ صـلاح البدن وصحته وأما منافعه بالنسـبة إلىٰ القلـب وصلاحه فإن قلة الغـذاء توجب رقة القلب وقوة الفهم وانكسـار النفس وضعف الهوىٰ والغضـب وكثـرة الغذاء يوجب ضد ذلك قال الحسـن يا ابن آدم كل في ثلـث بطنك واشرب في ثلثه ودع ثلث بطنك يتنفس ويتفكر».

إشارة إلىٰ ما جاء في الحديث الصحيح في ذكر صفات البعض ممن يجيء بعد القرون المفضلة علىٰ وجه الذم: «**خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**» قال عمران: لا أدري أذكر النبي ﷺ بعد قرنين أو ثلاثة؟ قال النبي ﷺ: «**إن بعدكم قومًا يخونون ولا يؤتمنون ويشهدون ولا يستشهدون وينذرون ولا يفون ويظهر فيهم السمن**»(١).

قال غانم بن وليد المالقي:

ثلاث هن مهلكة الأنام وداعية الصحيح إلىٰ السقام
دوام مدامة ودوام وطء وإدخال الطعام علىٰ الطعام(٢)

وقوله:

«ومن استذل لفرجه ولبطنه فهما له مع ذا الهوىٰ بطنان»

قال الشاعر:

وإنك إن أعطيت بطنك همه وفرجك نالا منتهىٰ الذم أجمعا

وقد ذكر الناظم هنا أمرين خطيرين: البطن والفرج؛ من أطلق لبطنه العنان فملأه بالمحرمات ولم يفرق بين الحلال والحرام، وكذلك فعل بفرجه ليقع في الزنا أو في المحرمات أيا كانت فإن ذلك من أخطر ما يكون علىٰ المسلم. ولذلك قال النبي ﷺ: «**من ضمن لي ما بين لحييه ورجليه ضمنت له الجنة**»(٣)؛ **فقوله: «من**

---

(١) أخرجه البخاري [٢٦٥١]، ومسلم [٦٦٣٨] من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما.

(٢) «مجمع الحكم والأمثال».

(٣) أخرجه أبو يعلىٰ [٢١٠٩]، والطبراني في «الأوسط» [٤٩٨١]، والبيهقي في «شعب الإيمان» [٤٥٧١]، والقضاعي في «مسند الشهاب» [٥٤٦] من حديث جابر رضي الله عنه. قال الألباني في «الضعيفة» =

ضمن لي ما بين لحييه» يعني: لسانه، فلم يتكلم بها يكتب عليه، «وما بين رجليه» يعني: فرجه، فلم يستعمله فيما لا يحل له «ضمنت له الجنة».

قال الله تَعَالَىٰ في وصف عباده المؤمنين المفلحين: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥ – ٧].

وقوله:

٤٥٩- حِصْنُ التَّدَاوِي الْمَجَاعَةُ وَالظَّمَا	وَهُمَا لِفَكِّ نُفُوسِنَا قَيْدَانِ
٤٦٠- أَظْمِئْ نَهَارَكَ تُرْوَ فِي دَارِ الْعُلا	يَوْمًا يَطُولُ تَلَهُّفُ الْعَطْشَانِ
٤٦١- حُسْنُ الْغِذَاءِ يَنُوبُ عَنْ شُرْبِ الدَّوَا	سِيمَا مَعَ التَّقْلِيلِ وَالإِدْمَانِ
٤٦٢- إِيَّاكَ وَالْغَضَبَ الشَّدِيدَ عَلَىٰ الدَّوَا	فَلَرُبَّمَا أَفْضَىٰ إِلَىٰ الْخِذْلَانِ
٤٦٣- دَبِّرْ دَوَاءَكَ قَبْلَ شُرْبِكَ وَلْيَكُنْ	مُتَأَلِّفَ الأَجْزَاءِ وَالأَوْزَانِ
٤٦٤- وَتَدَاوَ بِالْعَسَلِ الْمُصَفَّىٰ وَاحْتَجِمْ	فَهُمَا لِدَائِكَ كُلِّهِ بُرْءَانِ
٤٦٥- لَا تَدْخُلِ الْحَمَّامَ شَبْعَانَ الْحَشَا	لَا خَيْرَ فِي الْحَمَّامِ لِلشَّبْعَانِ
٤٦٦- وَالنَّوْمُ فَوْقَ السَّطْحِ مِنْ تَحْتِ السَّمَا	يُفْنِي وَيُذْهِبُ نَضْرَةَ الأَبْدَانِ
٤٦٧- لَا تُفْنِ عُمْرَكَ فِي الْجِمَاعِ فَإِنَّهُ	يَكْسُو الْوُجُوهَ بِحُلَّةِ الْيَرَقَانِ

هذه الأبيات تتضمن نصائح طبية بيَّنها الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والتي منها تقليل الطعام والشراب وعدم الإفراط في ذلك. وذكر بعد ذلك أن من أظمأ نهاره بالصوم والعبادة فإنه يحصل له الري الكامل يوم القيامة عندما يطول المكث في الموقف ويتلهف الناس

= [٢١٠٢]: وهو بهذا اللفظ صحيح.

لشرب الماء. ثم وضح أن اختيار الأغذية الجيدة الغنية بجميع الفوائد الصحية تغنيك أيها المسلم عن كثير من الأدوية التي قد تكون لها آثارٌ سلبية. ثم حذر من الغضب الشديد عند استعمال الأدوية مما ينتج عنه الندم. ومعلوم أن الغضب قد يُفضي إلى أمور خطيرة. ولذا حذر النبي ﷺ منه بقوله: «**لا تغضب، لا تغضب، لا تغضب**» كررها ثلاث مرات لمن طلب منه أن يوصيه. وقال ﷺ: «**ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب**». ثم حث على حسن التدبير والتنظيم في اختيار الدواء وتأليفه من أجزاء متناسبة ومتناسقة وفق المعايير الطبية والقوانين الصحية. ثم حث على التداوي بما دل عليه الكتاب والسنة مثل العسل والحجامة. قال الله تَعَالَىٰ في العسل: «**فيه شفاء للناس**».

وقال رسول الله ﷺ: «**الشفاء في ثلاث شربة عسل أو كيَّة نار أو شرطة بحجم**». وقد احتجم رسول الله ﷺ وأذن في الحجامة.

ثم وجه رحمه الله المسلم إلى عدم دخول الحمام حال الشبع والمقصود به الحمام الذي فيه بخار وحرارة فإنه يُربك الجهاز الهضمي، وعلى من أراد دخوله أن لا يكون شبعانًا ولا جائعًا. ثم حذر الناظم من النوم تحت أديم السماء على سطح غير محجَّر أي ليس له سترة؛ لأنه قد يُفضي إلى خطر من جراء سقوط النائم لو قام دون أن يتنبه، أما لو كان للسطح ساتر فلا حرج في ذلك. وقد ورد في النهي عن ذلك حديث حسنه بعض أهل العلم بمجموع طرقه وهو ما رواه الترمذي عن جابر بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «نهى رسول الله ﷺ أن ينام الرجل على سطح ليس بمحجور». وانظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» للألباني [٨٢٨].

ثم حذر الناظم من الإفراط في الجماع وعلل ذلك بأنه قد يؤدي إلى الإصابة باليرقان ويقال إنه يضعف البر وهنا مثل مشهور وهو مروي عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «إن هو إلا مخ ساقيك ونور عينيك».

وقوله:

٤٦٨-أُحْذِرْكَ مِنْ نَفَسِ الْعَجُوزِ وَبُضْعِهَا	فَهُمَا لِجِسْمِ ضَجِيعِهَا سُقْمَانِ
٤٦٩- عَانِقْ مِنَ النِّسْوَانِ كُلَّ فَتِيَّةٍ	أَنْفَاسُهَا كَرَوَائِحِ الرَّيْحَانِ

❁ واضح المعنىٰ.

ومما يستظرف في هذا المقام قول الراجز:

فبنت عشر لذة للناظر	شهية دونكها فبادر
وبنت عشرين إلىٰ المعانق	حبيبة شافية للعاشق
بنت الثلاثين بشحمها ولين	موصوفةٌ فلا تُرِد لغير ذَين
وبالبنين والبنات توصف	بنت لأربعين يا من يعِرف
وبنت خمسين عجوز في الزمن	فوطؤها داء مضِرّ للبدن
وبنت ستين سموم قاتلة	ضجيعها يَرىٰ أمورا هائله

... إلخ

لا خير في صور المعازف كلها	والرقص والإيقاع في القضبان
إن التقي لربه متنزه	عن صوت أوتار وسمع أغان
وتلاوة القرآن من أهل التقىٰ	سيما بحسن شجا وحسن بيان
أشهىٰ وأوفىٰ للنفوس حلاوة	من صوت مزمار ونقر مثان

وحنينه في الليل أطيب مسمع ... من نغمة النايات والعيدان

❁ التقي هو من امتثل أوامر الله تَعَالَىٰ واجتنب محارمه، وهو الولي، هو المؤمن، هو المسلم، هو صاحب السنة، هو السلفي...؛ ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٣].

وقد ذكر الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأن التقي هو الذي يتنزه عن سماع الغناء والمزامير؛ لأن ذلك محرم بالكتاب والسنة وإجماع من يعتد بقوله من أهل السنة. قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ [لقمان: ٦]؛ وقد نص المفسرون رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ وعلىٰ رأسهم ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ علىٰ أن المقصود بلهو الحديث الغناء، سواء صحبته معازف أو لم تصحبه، وقد أقسم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ علىٰ ذلك.

ويقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف**»[1].

والمقصود بالحر هنا الفرج المحرم وهو كناية عن الزنا، وعبر عنه بمكانه. والحرير تحريمه خاص بالرجال كما تقدم. **والخمر**: من الناس الآن من يسميها بغير اسمها ويستحلها. **والمعازف**: أدوات الطرب أيا كانت.



(١) أخرجه البخاري معلقًا في ترجمة باب: «ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه».

وقوله:

٤٧٢- وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ مِنْ أَهْلِ التُّقَىٰ	سِيمَا بِحُسْنِ شَجًا وَحُسْنِ بَيَانِ
٤٧٣- أَشْهَىٰ وَأَوْفَىٰ لِلنُّفُوسِ حَلَاوَةً	مِنْ صَوْتِ مِزْمَارٍ وَنَقْرِ مَثَانِ
٤٧٤- وَحَنِينُهُ فِي اللَّيْلِ أَطْيَبُ مَسْمَعٍ	مِنْ نَغْمَةِ النَّايَاتِ وَالْعِيدَانِ

❁ في هذه الأبيات الثلاثة تحذير من الغناء والمغنين والمزمرين والمطبلين، وحث للمسلم بالاستعاضة عن ذلك بتلاوة القرآن وسماعه الذي هو أشهىٰ وأجمل من كل مسموع؛ «**ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت بالقرآن يجهر به**»(١)، ولما سمع النبي ﷺ أبا موسىٰ الأشعري وهو يقرأ القرآن أعجب به وأثنىٰ عليه وقال له: «**يا أبا موسىٰ لو رأيتني الليلة أسمع قراءتك، لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود**»(٢)، فقال له أبو موسىٰ: «يا رسول الله لو علمت مكانك لحبرته لك تحبيرًا»(٣)؛ أي: لزينته أكثر من ذلك. وفي هذا دليل علىٰ مشروعية تزيين وتحسين الصوت بالقرآن بكل ما أوتي المسلم من قوة بشرط ألا يخرج ذلك عن آداب القرآن وتلاوته. وقال ﷺ: «**زينوا القرآن بأصواتكم**»(٤).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «قال لي النبي ﷺ: «**اقرأ عليَّ**»، قلت: آقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «**فإني أحب أن أسمعه من غيري**»، فقرأت عليه سورة

---

(١) أخرجه البخاري [٧٥٤٤] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري [٥٠٤٨] من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه.

(٣) هذه الزيادة أخرجها ابن حبان [٧١٩٧]، والحاكم في «المستدرك» [٥٩٦٦]. وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وصححه الذهبي.

(٤) أخرجه أحمد [١٨٤٩٤]، وأبو داود [١٤٧٠]، والنسائي [١٠١٥]، وابن ماجه [١٣٤٢] من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما. وصححه الألباني في «الصحيحة» [٧٧١].

النساء حتىٰ بلغت ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١]، قال: «**حسبك الآن**»، فنظرت إليه فإذا عيناه تذرفان»[(١)].

فعلينا أن نكثر من تلاوة القرآن، وأن نعطر أفواهنا بقراءته، وأن نشنف الآذان بسماعه لتلين قلوبنا وتخشع جوارحنا ونزداد إيمانًا؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾ [البقرة: ١٢١].

والذي يستفيد من القرآن ومن تلاوته هو الذي يتلوه بخشوع وخضوع وتدبر؛ ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤]، ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٤٨].

وقول **الناظم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنه أشهىٰ من القيثار والعيدان، ومن كذا ومن كذا... لا يعني المقارنة – حاشا لله –.

ألم تر أن السيف ينقص قدره إذا قيل إن السيف أمضىٰ من العصا

وإنما المقصود أن القرآن هو وحده الشهي، فكيف نلجأ إلىٰ الدني مع وجود العلي؟ ﴿ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ﴾ [البقرة: ٦١].

فعشنا علىٰ سنة المصطفىٰ وماتوا علىٰ تنتنا تنتنا[(٢)]

فهذا كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ بين أيدينا، اجتهد في تلاوته والعمل به، واترك العيدان والمزامير والرباب وأصوات الماجنين والماجنات، واحفظ من القرآن ما تستطيع، واتله

(١) أخرجه البخاري [٤٥٨٢]، ومسلم [٨٠٠] من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٢) «إغاية اللهفان من مصايد الشيطان» لابن القيم (١/ ٢٢٦).

آنـاء الليل وأطـراف النهار يلن قلبك، ويصْفُ فؤادك، وينطلقْ لسـانك، ويكن شـاهدا وحجـة لـك، وترتق به في درجات الجنة يوم لا ينفع مـال ولا بنون إلا من أتىٰ الله بقلب سليم؛ السليم من الشرك، الخالص من البدعة، المطمئن إلىٰ السنة.

والـشيء بالشيء يذكر؛ فقـد ذكر الزمخشري كذلك أن ما يوجد من اللذة والنشـوة في تحصيل وتنقيح العلم أشد مما يجده أهل الغناء والخمر في لهوهم، فقال:

سَهَـرِي لِتَـنْقِـيحِ الـعُـلُـومِ أَلَــذُّ لي ... مِــنْ وَصْــلِ غَـانِـيـة وَطـيـبِ عِـنَـاقِ

وتمـايـلـي طـربـا لحـل عـويـصـة ... أحلىٰ وأشهىٰ من مدامة ساقي[1]

ويشبه هذا وذاك ما قاله الشيخ حافظ الحكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقال:

العلم أغلىٰ وأحلىٰ ما له استمعت ... أذن، وأعــرب عـنـه نـاطـق بفم



(١) «ديوان الإمام الشافعي» (١/ ٧٤).



حقيقة الزهد

٤٧٥- أَعْرِضْ عَنِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ زَاهِدًا   فَالزُّهْدُ عِنْدَ أُولِي النُّهَىٰ زُهْدَانِ

٤٧٦- زُهْدٌ عَنِ الدُّنْيَا وَزُهْدٌ فِي الثَّنَا   طُوبَىٰ لِمَنْ أَمْسَىٰ لَهُ الزُّهْدَانِ

❁ يبين الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أهمية الإعراض عن الدنيا ومفاتنها والاهتمام بما عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وما أعدّه للمؤمنين في الآخرة؛ إن الدنيا دار معبر وممر وليست دار مستقر. فإذا علم المسلم ذلك زهد فيها وفي حطامها الزائل، واكتفىٰ فيها بالكفاف وما يستعين به علىٰ طاعة الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنها ظل زائل؛ قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا**»(١)؛

قال الرشيد في حوار له مع أبي العتاهية:

ومن كلفته النفس فوق كفافها   لم ينقطع حتىٰ الممات عناؤه(٢)

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا﴾ [الكهف: ٤٥ - ٤٦]، وقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقىٰ كافرا منها شربة ماء**»(٣)،

---

(١) أخرجه مسلم [٢٤٧٤] من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) «المحاضرات في اللغة والأدب» (١/ ١٣٤).

(٣) أخرجه الترمذي [٢٣٢٠]، وابن ماجه [٤١١٠] من حديث سهل بن سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: «هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه». وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٥٢٩٢].

وقال: «ألا الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم»(١)، وقال ﷺ: «تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة إن أعطي رضي وإن لم يعط لم يرض»(٢).

وقال الشاعر:

ألا إنما الدنيا كظل سحابة ... أظلتك يومًا ثم عنك اضمحلت

فلا تك فرحانًا بها حين أقبلت ... ولا تك جزعانًا إذا هي ولت

وقال أبو العتاهية:

ألا إنَّما الدُّنيا نَضَارةُ أَيْكةٍ ... إذا اخْضَرَّ مِنْهَا جَانِبٌ جَفَّ جَانبُ(٣)

وقال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذمّ الدّنيا والافتتان بها:

فيا باغي الدنيا فإني طعمتها ... وسيق إلي عذبها وعَذابها

فما هي إلا جيفة مستحيلة ... عليها كلاب همّهنّ اجتذابها

فإن تجتنبها كنت سلما لأهلها ... وإن تجتذبها نازعتك كلابها(٤)

وقال أبو العلا المعري:

ومن كانت الدنيا مناه وهمه ... سبته المنىٰ واستعبدته المطامع(٥)

---

(١) أخرجه الترمذي [٢٣٢٢]، وابن ماجه [٤١١٢] من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: حديث حسن غريب. وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» [٧٤].

(٢) أخرجه البخاري [٢٨٨٦] من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) «العقد الفريد» (١/ ٣١٦).

(٤) «ديوان الإمام الشافعي»، ص: [٩].

(٥) «ديوان أبي العتاهية» (١/ ١٠٥).

وقال أبو العتاهية:

تجرد من الدنيا فإنك إنما … خرجت إلى الدنيا وأنت مجرد

وقال أحمد بن عبد ربه صاحب العقد:

ألا إنَّما الدنيا كأحْلام نَائِم … وَكُلُّ نعيمٍ ليسَ فيها بِدائِم

تَذَكَّرْ إذا ما نِلْتَ بالأمس لَذَّةً … فأفْنَيْتَها هل أنتَ إلا كحَالِم[1]

فإذا علم المرء أن هذه الدنيا ليست دار مقر، فعليه ألا يغتر بها: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣].

فخذ - يا عبد الله - من دار الممر إلىٰ دار المقر، ومن دار المعبر إلىٰ دار المستقر: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

قال الأعشى وهو ميمون بن قيس بن جندل:

إذَا أَنْتَ لَمْ تَرْحَلْ بِزادٍ مِنَ التُّقَىٰ … وَلاقَيْتَ بَعْدَ المَوْتِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدَا

نَدِمتَ عَلَىٰ أَلاَّ تَكُونَ كَمِثْلِهِ … وَأَنَّكَ لَمْ تُرْصِدْ كَمَا كَانَ أَرْصَدَا[2]

وليس المراد بالزهد في الدنيا تحريم ما أحل الله، قال الله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ٨٧ - ٨٨]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَـٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢]، كمن يحرمون أنفسهم التمتع بما أحل الله لهم ويضيقون علىٰ أنفسهم وعلىٰ أولادهم ومن جعلهم الله تحت أيديهم بدعوىٰ الزهد البارد، فإن ذلك مخالف لهدي النبي صلى الله عليه وسلم فإن النبي صلى الله عليه وسلم

(١) «ديوان أحمد بن عبد ربه الأندلسي» (١/ ٢٧٣).

(٢) «ديوان الأعشىٰ» هو ميمون بن قيس بن جندل (٤/ ١).

أخبرنـا بـأن الله يحب أن يرىٰ أثر نعمته علىٰ عباده، بـل أنكر النبي ﷺ علىٰ الرهط الذين أرادوا ترك بعض المباحات بقصد التزهد، فقال: «**ما بال أقوام قالوا كذا وكذا لكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني**»(١).

قال الشاعر:

وما العيش إلا ما يلذ به الفتىٰ ... إذا لم يجز يوما سبيل ذوي القصد

وقوله: «وزهد في الثنا» إلخ؛ يعني: أنه ينبغي للمسلم أن لا يلتفت إلىٰ ثناء الناس ومدحهم، لأنه يريد بأعماله وجه الله والدار الآخرة ولا يريد جزاء ولا شكورًا، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٩]؛ ولهذا بوب الإمام الدارمي في سننه: «باب من كره الشهرة والمعرفة».

فإذا أخلص في كل شؤونه لله وحصل من الناس ثناء أو ذكر حسن، فذلك عاجل بشرىٰ المؤمن كما في الحديث الصحيح(٢)، أما أنه يعمل ليثنىٰ عليه ويمدح فهذا قد يحبط عمله - والعياذ بالله - لأنه من الشرك؛ فيجب علىٰ المسلم ملاحظة هذه المعاني وإلا فكما قال الشاعر عن عامة الناس:

حب الثناء طبيعة الإنسان ... يهوىٰ الثناء مبرِّزٌ ومقصرٌ

وقد قال الإمام المنذري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا المعنىٰ:

اعمل لنفسك صالحا لا تحتفل ... بظهور قيل في الأنام وقال

فالناس لا يرجىٰ اجتماع قلوبهم ... لا بد من مثن عليك وقالي

---

(١) أخرجه البخاري [٥٠٦٣]، ومسلم [١٤٠١] من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه مسلم [٦٨٩١] من حديث أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

التحذير الشديد من ظلم اليتامى وأكل الربا

٤٧٧- لَا تَنْتَهِبْ مَالَ الْيَتَامَىٰ ظَالِمًا ... وَدَعِ الرِّبَا فَكِلَاهُمَا فِسْقَانِ

❁ أكل المحرمات من أخطر الأمور التي توبق المرء في دنياه وأخراه، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ [النساء: ٢٩].

فاجتنب أكل جميع الأموال المحرمة بما في ذلك أكل مال اليتيم وأكل الربا وجميع المحرمات.

قال الله تَعَالَىٰ في التحذير من أكل مال اليتيم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]، ويقول تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، ويقول تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ﴾ [النساء: ٦].

وقد رخص الله عَزَّوَجَلَّ في الأكل من مال اليتيم عند الحاجة مقابل القيام عليه وتنميته، قال عَزَّوَجَلَّ في ذلك: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ٦].

ويجب أن يُعنىٰ كافل اليتيم بتنمية ماله له والتجارة فيه كما قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ابتغوا بأموال اليتامىٰ لا تأكلها الصدقة»[1].

وقد حرم الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكل الربا وكلما يتعلق بتعاطيه، بل سدّ جميع الوسائل الموصلة إليه فقال تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ

---

(١) البيهقي [٧٥٩٠]. وقال: «هذا إسناد صحيح وله شواهد عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ».

ﭐلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝٢٧٨ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٨ - ٢٧٩]، وورد في الأثر: «الربا بضعة وسبعون بابا أهونها كمن أتىٰ أمه في الإسلام»[(١)].

وفيما أحل الله عَزَّوَجَلَّ غنية عما حرم لمن كان له قلب أو ألقىٰ السمع وهو شهيد.

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**» وذكر منها: «**وأكل الربا وأكل مال اليتيم**»[(٢)].

وقد وصف الله آكل الربا يوم القيامة فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٢٧٥ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة: ٢٧٥ - ٢٧٦] - والعياذ بالله -.



(١) أخرجه عبد الرزاق [١٥٣٤٦] موقوفا علىٰ ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري [٢٧٦٦]، مسلم [٨٩] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

حقوق الجار

٤٧٨- وَاحْفَظْ لِجَارِكَ حَقَّهُ وَذِمَامَهُ ... وَلِكُلِّ جَارٍ مُسْلِمٍ حَقَّانِ

❁ تحدث رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن حق الجار وذكر أن له حقين، والصحيح أن الجيران ثلاثة أصناف: فجار له ثلاثة حقوق وهو الجار القريب المسلم، وجار له حقان وهو الجار المسلم البعيد، وجار له حق واحد وهو الجار الكافر.

يقول النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه**»(١)، وفي رواية: «**فليكرم جاره**»(٢).

وقد عظم الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حق الجار وتعاهده، والتنويه بقدره، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ [النساء: ٣٦]، وقال صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتىٰ ظننت أنه سيورثه**»(٣)، بل كان أهل الجاهلية يهتمون بالجار، ويعتنون به أيما عناية حتىٰ قال شاعرهم:

وأغض طرفي إن بدت لي جارتي ... حتىٰ يواري جارتي مأواها

فلما جاء الإسلام زاد ذلك شدة وقوة، بل ذهب بعض أهل العلم إلىٰ القول بالشفعة للجار.

وفي الصحيح أن النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه**»(٤). و ثبت عند أحمد وغيره بزيادة: «قيل: وما بوائقه؟ قال: «**شره**».

---

(١) أخرجه البخاري [٦١٣٦] من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري [٦٠١٩] من حديث أبي شريح العدوي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري [٦٠١٥]، ومسلم [٢٦٢٥] من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٤) أخرجه البخاري [٦٠١٦]، ومسلم [٤٦] من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

حق الضيف

٤٧٩-وَاضْحَكْ لِضَيْفِكَ حِينَ يُنْزِلُ رَحْلَهُ ‏ ‏ ‏ ‏ إِنَّ الْكَرِيمَ يُسَرُّ بِالضِّيفَانِ

❁ أشار هنا إلىٰ ما يتعلق بالضيف من حقوق، والضيف له حقوق علىٰ مضيفه؛ يقول النبي ﷺ: **«ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»**(١).

فإكرام الضيف من أعظم مبادئ الإسلام التي حث عليها ورغب فيها، وهو من سنن الأنبياء والمرسلين، فقد قص الله علينا ما كان من إبراهيم أبي الأنبياء عَلَيْهِ السَّلَامُ مع ضيوفه، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات: ٢٤ - ٢٧]، بل وكان من شيم العرب في الجاهلية.

فينبغي للمرء المسلم إذا أقبل ضيفه أن يتحلىٰ بطلاقة الوجه والكرم والإيثار وحلو الكلام والترحيب به وإعطائه حقه؛ لأن هذا مما يتقرب به إلىٰ الله.

قال يعقوب الخزيمي:

أُضاحِكُ ضَيفِيَ قَبلَ إِنزالِ رَحلِهِ ‏ ‏ ‏ ‏ ويُخصِبُ عِندي وَالمَحَلّ جَديبُ
وَما الخِصبُ لِلأَضيافِ أَن يَكثُر القِرىٰ ‏ ‏ ‏ ‏ وَلَكِنَّما وَجهُ الكريم خَصيبُ(٢)

وقال آخر:

الله يعلم أنه ما سرني ‏ ‏ ‏ ‏ شيء كطارقة الضيوف النزل
ما زلت بالترحيب حتىٰ خلتني ‏ ‏ ‏ ‏ ضيفا له والضيف رب المنزل(٣)

---

(١) أخرجه البخاري [٦١٣٦] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) «بهجة المجالس وأنس المجالس» لابن عبد البر (١/ ٦٣).
(٣) «المستطرف في كل فن المستطرف» (١/ ٣٩٥).

وبالغ بعضهم فقال:

يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتنا نحن الضيوف وأنت رب المنزل

واعتدل بعضهم فقال سيف الدولة بن حمدان:

منزلنا رحب لمن زاره نحن سواء فيه والطارق

وكل ما فيه حلال له إلا الذي حرمه الخالق[(١)]



(١) «المستطرف في كل فن مستطرف» (١/ ٣٩٥).

صلة الرحم

٤٨٠- وَاصِلْ ذَوِي الْأَرْحامِ مِنْكَ وَإِنْ جَفَوْا ... فَوِصَالُهُمْ خَيْرٌ مِنَ الْهِجْرَانِ

❁ يتحدث هنا عن وجوب صلة الأرحام وإن قطعوك. ومن وصايا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن تصل من قطعك وأن تعطي من حرمك، وأن تعفو عمن ظلمك(١). والله عَزَّوَجَلَّ ذمّ قاطع الرحم بقوله: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۝٢٢ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴾ [محمد: ٢٢ - ٢٣].

ويقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه**»(٢)، وقال في حديث آخر: «**من سره أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه**»(٣).

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن، فقالت له: مه، قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال: ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت: بلى يا رب قال: فذاك**» قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اقرءوا إن شئتم ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٢٢]»(٤)؛ فمن وصل الرحم وصله الله، ومن قطعها - والعياذ بالله - قطعه الله، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قال الله: أنا الرحمن وهي الرحم شققت لها اسمًا من اسمي من وصلها وصلته ومن قطعها بتته**»(٥).

---

(١) أخرجه أحمد [١٧٣٣٤]، والبيهقي في الشعب [٧٧٢٣] من حديث عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» [٢٥٣٦].

(٢) أخرجه البخاري [٦١٣٨] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري [٢٠٦٧]، ومسلم [٢٥٥٧] من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه البخاري [٤٨٣٠] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) أخرجه أحمد [١٠٤٦٩]، وأبو داود [١٦٩٦]، والحاكم [٧٢٦٧] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الذهبي في «التلخيص».

والرحم يشمل جميع الأقارب من الإخوة والأعمام والأخوال وبنيهم، وكل من يمتّ إليك بنسب أو بسبب، فيجب عليك أن تصلهم وإن قطعوك.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلًا قال: «يا رسول الله، إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني وأحسن إليهم ويسيئون إلي وأحلم عنهم ويجهلون علي فقال: «**لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المَلَّ ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت علىٰ ذلك**»[1].

وصلة الرحم تكون بالزيارة وبالسؤال وتفقد الحال، وتكون بالإحسان إليهم بالمال والجاه، وبأي لون من ألوان الصلة.



(١) أخرجه مسلم [٢٥٥٨] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

اليمين وآثاره

٤٨١- وَاصْدُقْ وَلَا تَحْلِفْ بِرَبِّكَ كَاذِبًا وَتَحَــرَّ في كَــفَّـارَةِ الأَيْمَـانِ
٤٨٢- وَتَوَقَّ أَيْمَانَ الْغَمُوسِ فَإِنَّهَا تَـدَعُ الدِّيَارَ بَلَاقِعَ الْحِيطَانِ

❁ يبين رَحِمَهُ ٱللَّهُ أهمية لزوم الصدق؛ والمؤمن يجب أن يكون صادقا في أقواله وأفعاله وجميع أموره؛ قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ [التَّوۡبَة: ١١٩]، ويقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلىٰ البر وإن البر يهدي إلىٰ الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرىٰ الصدق حتىٰ يكتب عند الله صديقًا وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلىٰ الفجور وإن الفجور يهدي إلىٰ النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرىٰ الكذب حتىٰ يكتب عند الله كذابًا**»(١).

وما شيء إذا فكرت فيه بأذهب للمروءة والجمال
من الكذب الّذي لا خير فيه وأبعد بالبهاء من الرّجال

وعلىٰ المسلم أن يلتزم الصدق دائما في أيمانه وفي عهوده وعقوده، في أمور دينه ودنياه؛ فإن الصدق منجاة، والكذب مهلكة.

وهنا بعض الآداب والأحكام المتعلقة بالأيمان، منها أن لا تجعل الله عرضة لأيمانك؛ ﴿ وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةً لِّأَيۡمَـٰنِكُمۡ ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٤]، ومنها أنه لا يؤاخذ بلغو اليمين ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَـٰنِكُمۡ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَـٰنَ ﴾ [المَائـِدَة: ٨٩].

والأيمان أنواع، منها: اليمين الغموس وهي أن يحلف المرء علىٰ أمر وهو يعلم أنه كاذب فيه، وسميت بالغموس؛ لأنها تغمس صاحبها في الإثم الذي يجره إلىٰ النار، وقد جاء التحذير منها في قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**من حلف علىٰ يمين يقتطع بها**

---

(١) أخرجه البخاري [٦٠٩٤]، ومسلم [٢٦٠٧] من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

مال امرئ مسلم هو عليها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان»[١]، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم»** وذكر منهم: المنفق سلعته بالحلف الكاذب[٢].

والثانية- اليمين المنعقدة، وهي أن يحلف المرء أن يفعل شيئًا في المستقبل، فإن كان الأمر مشروعًا أو مباحًا استحب له أن يبر بيمينه، وإن كان غير ذلك يكفر عن يمينه ولا يفعل ما حلف عليه، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«وإني والله - إن شاء الله - لا أحلف علىٰ يمين فأرىٰ غيرها خيرًا منها إلا كفرت عن يميني وأتيت الذي هو خير»**[٣].

والثالثة- لغو اليمين كقول المسلم: لا والله، وبلىٰ والله، وهو غير منعقد ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ﴾ [المائدة: ٨٩].

فإذا كانت اليمين منعقدة فكفارتها علىٰ الترتيب كما قال الله تَعَالَىٰ: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة: ٨٩].

فهو أولًا مخير بين ثلاثة أمور: العتق أو الإطعام أو الكسوة، فإن عجز عن واحد من هذه الثلاث صام ثلاثة أيام.

وقوله: «تدع الديار بلاقع الحيطان» أي: أنها قد تكون سببًا في فناء الناس وهلاكهم وفي إهلاك الحرث والنسل، بل وفي وقوع العقوبة العاجلة والآجلة.

(١) أخرجه البخاري [٢٣٥٦]، ومسلم [١٣٨] من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه مسلم [١٠٦] من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) أخرجه البخاري [٦٦٢٣]، ومسلم [١٦٤٩] من حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

من أحكام النكاح

٤٨٣- حَدُّ النِّكَاحِ مِنَ الْحَرَائِرِ أَرْبَعٌ   فَاطْلُبْ ذَوَاتِ الدِّينِ وَالْإِحْصَانِ

❁ بين في هذا البيت الحد الأقصىٰ الذي يحل للمسلم أن يجمعه من النساء، وهو الاقتصار علىٰ أربع نسوة كما قال الله تَعَالَىٰ: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ﴾ [النساء: ٣].

ثم حث علىٰ التزوج من ذات الدين والعفة والإحصان، قال رسول الله ﷺ: **«تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك»**[1]؛ هذا فيما يتعلق بالحرائر أما غيرهن فله التسري بمن شاء من إمائه المملوكات له ملكا تاما أو التزوج بإماء الغير عند الضرورة من غير حد في ذلك، قال الله تعالىٰ: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المؤمنون: ٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [النساء: ٢٥].



---

(١) أخرجه البخاري [٥٠٩٠]، ومسلم [١٤٦٦] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



أحكام العدة والاستبراء

٤٨٤- لَا تَنْكِحَنَّ مُحِدَّةً فِي عِدَّةٍ ... فَنِكَاحُهَا وَزِنَاؤُهَا شِبْهَانِ

٤٨٥- عِدَدُ النِّسَاءِ لَهَا فَرَائِضُ أَرْبَعٌ ... لَكِنْ يَضُمُّ جَمِيعَهَا أَصْلَانِ

٤٨٦- تَطْلِيقُ زَوْجٍ دَاخِلٍ أَوْ مَوْتُهُ ... قَبْلَ الدُّخُولِ وَبَعْدَهُ سِيَّانِ

٤٨٧- وَحُدُودُهُنَّ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْرُؤٍ ... أَوْ أَشْهُرٍ وَكِلَاهُمَا جِسْرَانِ

٤٨٨- وَكَذَاكَ عِدَّةُ مَنْ تُوُفِّيَ زَوْجُهَا ... سَبْعُونَ يَوْمًا بَعْدَهَا شَهْرَانِ

٤٨٩- عِدَدُ الْحَوَامِلِ مِنْ طَلَاقٍ أَوْ فَنَا ... وَضْعُ الْأَجِنَّةِ صَارِخًا أَوْ فَانِي

٤٩٠-وَكَذَاكَ حُكْمُ السِّقْطِ فِي إِسْقَاطِهِ ... حُكْمُ التَّمَامِ كِلَاهُمَا وَضْعَانِ

٤٩١-مَنْ لَمْ تَحِضْ أَوْ مَنْ تَقَلَّصَ حَيْضُهَا ... قَدْ صَحَّ فِي كِلْتَيْهِمَا الْعَدَدَانِ

٤٩٢- كِلْتَاهُمَا تَبْقَى ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ ... حُكْمَاهُمَا فِي النَّصِّ مُسْتَوِيَانِ

٤٩٣- عِدَدُ الْجَوَارِ مِنَ الطَّلَاقِ بِحَيْضَةٍ ... وَمِنَ الْوَفَاةِ الْخَمْسُ وَالشَّهْرَانِ

٤٩٤- فَبِطَلْقَتَيْنِ تَبِينُ مِنْ زَوْجٍ لَهَا ... لَا رَدَّ إِلَّا بَعْدَ زَوْجٍ ثَانِ

٤٩٥- وَكَذَا الْحَرَائِرُ فَالثَّلَاثُ تُبِينُهَا ... فَيُحِلُّ تِلْكَ وَهَذِهِ زَوْجَانِ

٤٩٦- فَلْتَنْكِحَا زَوْجَيْهِمَا عَنْ غِبْطَةٍ ... وَرِضًا بِلَا دَلْسٍ وَلَا عِصْيَانِ

٤٩٧- حَتَّىٰ إِذَا امْتَزَجَ النِّكَاحُ بِدُلْسَةٍ ... فَهُمَا مَعَ الزَّوْجَيْنِ زَانِيَتَانِ

❁ لا يصح أن تنكح المعتدة سواء المعتدة من وفاة أو من طلاق، وسواء كان الطلاق بائنا أم كان رجعيا، ليس لها أن تنكح إلا بعد انقضاء عدتها. فمن نكحها في عدتها فعقده فاسد؛ ولذلك قال الناظم: «فنكاحها وزناؤها شبهان» أي: كله سفاح.

وللعدة سببان: الطلاق مطلقًا والموت، سواء كان قبل الدخول أو بعده. فالمطلقة إن كانت من ذوات الحيض فعدتها ثلاثة قروء كما قال الله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٨].

وإن كانت صغيرة لم تحض أو آيسة قد انقطع حيضها فعدتها ثلاثة أشهر، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَ﴾ [الطَّلَاق: ٤].

وإن كانت حاملًا فعدتها بوضع حملها، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّ﴾ [الطَّلَاق: ٤].

وأما المطلقة غير المدخول بها فلا عدة عليها، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا﴾ [الأَحۡزَاب: ٤٩]؛ والخلوة تأخذ حكم الدخول في أصح أقوال أهل العلم لقضاء عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بذلك.

وأما المتوفى عنها زوجها فلا تخلو إما أن تكون حاملًا أو حائلًا، فإن كانت حائلًا فعدتها أربعة أشهر وعشرًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗا﴾ [البَقَرَة: ٢٣٤]، وإن كانت حاملا فعدتها تنتهي بوضع حملها لحديث سبيعة الأسلمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أنها كانت تحت سعد بن خولة وهو من بني عامر بن لؤي وكان ممن شهد بدرا فتوفي عنها في حجة الوداع وهي حامل فلم تنشب أن وضعت حملها بعد وفاته فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها أبو السنابل بن بعكك رجل من بني عبد الدار فقال لها ما لي أراك تجملت للخطاب ترجين النكاح فإنك والله ما أنت بناكح حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشر قالت سبيعة فلما قال لي ذلك جمعت علي ثيابي حين أمسيت وأتيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسألته عن ذلك فأفتاني بأني قد حللت

حين وضعت حملي وأمرني بالتزوج إن بدا لي»(١)؛ والحمل المعتبر هو ما أتم أربعة أشهر، سواء نزل حيًّا أو ميتًا.

أما عِدد الإماء فكالحرائر في حال الحمل، سواء كان السبب من طلاق أو وفاة. والأمة المطلقة من ذوات الحيض عدتها حيضتان، ومن الصغيرات والآيسات عدتها شهران، والمتوفىٰ عنها زوجها تعتد بشهرين وخمسة أيام علىٰ النصف من عدة الحرة.

وقوله:

٤٩٤- فَبِطَلْقَتَيْنِ تَبِينُ مِنْ زَوْجٍ لَهَا	لَا رَدَّ إِلَّا بَعْدَ زَوْجٍ ثَانِ
٤٩٥- وَكَذَا الْحَرَائِرُ فَالثَّلَاثُ تُبِينُهَا	فَيُحِلُّ تِلْكَ وَهَذِهِ زَوْجَانِ
٤٩٦- فَلْتَنْكِحَا زَوْجَيْهِمَا عَنْ غِبْطَةٍ	وَرِضًا بِلَا دَلْسٍ وَلَا عِصْيَانِ
٤٩٧- حَتَّىٰ إِذَا امْتَزَجَ النِّكَاحُ بِدُلْسَةٍ	فَهُمَا مَعَ الزَّوْجَيْنِ زَانِيَتَانِ

الأمة تبين بينونة كبرىٰ بطلقتين، لا تعود إليه إلا بعد نكاح صحيح من آخر، أما الحرائر فبثلاث تطليقات، فإذا طلق الطلقة الثالثة فلا تحل له من بعد حتىٰ تنكح زوجا غيره، أما الطلقة الأولىٰ والثانية فطلاق رجعي، يراجعها ما دامت في العدة، ويستحب لها أن تتجمل وتتعرض له لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا؛ لأنها لا زالت زوجة ما دامت في العدة.

ولابد أن يكون زواج الثاني معتبرًا شرعيًّا ليس فيه تحليل ولا تحايل علىٰ التحليل.

---

(١) أخرجه أحمد [٦٦٠]، وأبو داود [٢٠٧٦]، والترمذي [١١١٩]، وابن ماجه [١٩٣٥] من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الألباني في «صحيح سنن أبي داود» [١٨١١]: «حديث صحيح، رواه جمع آخر من الصحابة، وحسن البخاري بعض أسانيده، وكذا عبد الحق الإشبيلي، وصححه ابن السكن والحاكم والذهبي وابن القطان وابن دقيق العيد وابن الجارود».

فإذا حصل نكاح قبل انقضاء العدة فهو والزنىٰ سيان، ولذلك قال:

حَتَّىٰ إِذَا امْـتَـزَجَ الـنِّـكَـاحُ بِدُلْسَةٍ ... فَـهُـمَـا مَـعَ الـزَّوْجَـيْنِ زَانِـيَـتَـانِ



التيس المستعار

٤٩٨- إِيَّاكَ وَالتَّيْسَ الْمُحَلِّلَ إِنَّهُ ... وَالْمُسْتَحِلَّ لِرَدِّهَا تَيْسَانِ

٤٩٩- لَعَنَ النَّبِيُّ مُحَلِّلًا وَمُحَلَّلا ... فَكِلَاهُمَا فِي الشَّرْعِ مَلْعُونَانِ

۞ يحذر الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الحيل علىٰ النكاح المحرم ومن ذلك نكاح التحليل كما إذا اتفق المطلق طلاقا بائنا مع أجنبي علىٰ أن يتزوج مطلَّقَته ويدخل بها لفترة معينة ثم يطلقها له لتحل له، وهذا هو المسمىٰ بنكاح التحليل، وقد ثبت فيه حديث «**لعن الله المحلل والمحلل له**»[1]، ويشتهر ذلك المحلل عند أهل العلم بالتيس المستعار؛ لذا وصف الناظم المحلل والمحلل له بالتيسين، ومعلوم أن نكاح التحليل باطل، وجوده وعدمه سواء، وتدخل المرأة في هذا الوعيد الشديد إن كانت متمالئة معهما أو مع أحدهما، والله أعلم.



---

(١) أخرجه البخاري [٣٩٩٠]، ومسلم [١٤٨٤].

إخوانكم خولكم

٥٠٠ـ لَا تَضْرِبَنْ أَمَـةً وَلَا عَبْدًا جَنَىٰ   فَـكِـلَاهُـمَـا بِـيَـدَيْـكَ مَــأْسُــورَانِ

❁ يشير رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ قول النبي ﷺ: «**إخوانكم خولكم**[(١)] **جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم**»[(٢)]، وقد حذر الناظم من ضرب المملوكين ولو جنوا؛ لأنهم عوان مأسورون، فإذا احتاجوا إلىٰ التأديب فليكن ذلك بغير الضرب كالنصح والتوجيه والتهديد، وهذا هو هدي النبي ﷺ، قال أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «خدمت النبي ﷺ عشر سنين فما قال لي أف ولا لم صنعت ولا ألا صنعت»[(٣)]، والصحابي الذي لطم عبده ثم ندم وأعتقه، فقال له النبي ﷺ: «**أما لو لم تفعل للفحتك النار أو لمستك النار**»[(٤)].

كما ينبغي التحذير من ضرب الأطفال دون العاشرة لأي سبب كان، بل يكتفىٰ بما دون الضرب «**مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين وإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها**»[(٥)].

فدل الحديث علىٰ أنهم لا يضربون إلا بعد العاشرة ولمصلحة شرعية راجحة كالصلاة وما في معناها كالتأديب علىٰ العلم والأدب.

---

(١) **الخول**: حشم الرجل وأتباعه، وأحدهم خائل. وقد يكون واحدًا، ويقع علىٰ العبد والأمة، وهو مأخوذ من التخويل: التمليك. وقيل من الرعاية. «النهاية» (٢/ ٨٨).

(٢) أخرجه البخاري [٣٠] من حديث أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري [٦٠٣٨]، ومسلم [٢٣٠٩] من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه مسلم [١٦٥٩] من حديث أبي مسعود الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٥) أخرجه أبو داود [٤٩٤]، والترمذي [٤٠٧]، والحاكم [٧٢١] من حديث أَبِي ثُرَيَّةَ سَبْرَةَ بن معبد الجُهَنِيِّ. وقال الترمذي: حسن صحيح. وقال الحاكم: علىٰ شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

الضرب ينفعهم والعلم يرفعهم ... لولا المخافة ما خطوا ولا كتبوا

وإن احتيج إلىٰ الضرب فإنه يجب أن يكون غير مبرح.

وأنبه هنا إلىٰ ظاهرة خطيرة، ألا وهي سوء معاملة العمال الذين سخرهم الله لخدمتك، فيلاحظ أن البعض يهينونهم أو لا يعطونهم حقوقهم كاملة أو يعتدون عليهم بالضرب أو بالتوبيخ والاستهزاء ونحو ذلك مما هو محرم شرعا، وذاك أمر منكر.

فعليك يا عبد الله أن تستشعر نعمة الله عليك بأن سخرهم لك بالعمل والخدمة كما سخرك لهم بالمال:

النَّاسُ لِلْناسِ مِنْ بَدْوٍ وحاضرة ... بَعْضٌ لبعضٍ وإن لم يشعروا خَدَمُ

وكذلك الحال في ضرب النساء كما يفعل بعض ضعاف الإيمان وقليلي الخيرية؛ لسبب أو لغير سبب يضرب امرأته أو يقبحها أو يكسر عظما منها ويرىٰ أن هذه شجاعة، وبئست الشجاعة هذه؛ يقول النبي ﷺ: «**يعمد أحدكم فيجلد امرأته جلد العبد فلعله يضاجعها من آخر يومه**»[(١)]، وقد اجتمع عند بيوت النبي ﷺ نساء كثير يشكون أزواجهم، فقال ﷺ: «**ليس أولئك بخياركم**»[(٢)].

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه البخاري [٤٩٤٢]، ومسلم [٢٨٥٥] من حديث عبد الله بن زمعة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه الدارمي [٢٢٦٥]، وأبو داود [٢١٤٨] من حديث إياس بن عبد الله بن أبي ذباب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. وقال الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٦/ ٣٦٣): «إسناده صحيح، وإياس مختلف في صحبته، لكن الراجح صحبته كما قال الحافظ، وصحح الحديث: ابن حبان والحاكم والذهبي».

في الحلال غنية عن الحرام

٥٠١- أَعْرِضْ عَنِ النِّسْوَانِ جُهْدَكَ وَانْتَدِبْ ... لِعِنَاقِ خَيْرَاتٍ هُنَاكَ حِسَانِ

٥٠٢- فِي جَنَّةٍ طَابَتْ وَطَابَ نَعِيمُهَا ... مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ بِهَا زَوْجَانِ

٥٠٣- أَنْهَارُهَا تَجْرِي لَهُمْ مِنْ تَحْتِهِمْ ... مَحْفُوفَةً بِالنَّخْلِ وَالرُّمَّانِ

٥٠٤- غُرُفَاتُهَا مِنْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ ... وَقُصُورُهَا مِنْ خَالِصِ الْعِقْيَانِ

٥٠٥- قُصِرَتْ بِهَا لِلْمُتَّقِينَ كَوَاعِبٌ ... شُبِّهْنَ بِالْيَاقُوتِ وَالْمَرْجَانِ

٥٠٦- بِيضُ الْوُجُوهِ شُعُورُهُنَّ حَوَالِكٌ ... حُمْرُ الْخُدُودِ عَوَاتِقُ الأَجْفَانِ

٥٠٧- فُلْجُ الثُّغُورِ إِذَا ابْتَسَمْنَ ضَوَاحِكًا ... هِيفُ الْخُصُورِ نَوَاعِمُ الأَبْدَانِ

٥٠٨- خُضْرُ الثِّيَابِ ثُدِيُّهُنَّ نَوَاهِدٌ ... صُفْرُ الْحُلِيِّ عَوَاطِرُ الأَرْدَانِ

٥٠٩- طُوبَىٰ لِقَوْمٍ هُنَّ أَزْوَاجٌ لَهُمْ ... فِي دَارِ عَدْنٍ فِي مَحَلِّ أَمَانِ

٥١٠- يُسْقَوْنَ مِنْ خَمْرٍ لَذِيذٍ شُرْبُهَا ... بِأَنَامِلِ الْخُدَّامِ وَالْوِلْدَانِ

٥١١- لَوْ تَنْظُرِ الْحَوْرَاءَ عِنْدَ وَلِيِّهَا ... وَهُمَا فُوَيْقَ الْفُرْشِ مُتَّكِئَانِ

٥١٢- يَتَنَازَعَانِ الْكَأْسَ فِي أَيْدِيهِمَا ... وَهُمَا بِلَذَّةِ شُرْبِهَا فَرِحَانِ

٥١٣- وَلَرُبَّمَا تَسْقِيهِ كَأْسًا ثَانِيًا ... وَكِلَاهُمَا بِرُضَابِهَا حُلْوَانِ

٥١٤- يَتَحَدَّثَانِ عَلَىٰ الأَرَائِكِ خَلْوَةً ... وَهُمَا بِثَوْبِ الْوَصْلِ مُشْتَمِلَانِ

٥١٥- أَكْرِمْ بِجَنَّاتِ النَّعِيمِ وَأَهْلِهَا ... إِخْوَانُ صِدْقٍ أَيُّمَا إِخْوَانِ

٥١٦- جِيرَانُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَحِزْبُهُ ... أَكْرِمْ بِهِمْ فِي صَفْوَةِ الْجِيرَانِ

٥١٧- هُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَهُ وَيَرَوْنَهُ ... وَالْمُقْلَتَانِ إِلَيْهِ نَاظِرَتَانِ

٥١٨- وَعَلَيْهِمُ فِيهَا مَلَابِسُ سُنْدُسٍ ... وَعَلَىٰ الْمَفَارِقِ أَحْسَنُ التِّيجَانِ

٥١٩- تِيجَانُهُمْ مِنْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ ... أَوْ فِضَّةٍ مِنْ خَالِصِ الْعِقْيَانِ

....

٥٢٠- وَخَــوَاتِمٌ مِنْ عَسْجَدٍ وَأَسَــاوِرٌ ... مِــنْ فِضَّــةٍ كُسِيَتْ بِهَا الــزَّنْــدَانِ

٥٢١- وَطَعَامُهُمْ مِنْ لَحْمِ طَيْرٍ نَاعِمٍ ... كَـالْبُـخْـتِ يُطْـعَـمُ سَـائِـرَ الأَلْــوَانِ

٥٢٢- وَصِحَـافُـهُـمْ ذَهَــبٌ وَدُرٌّ فَائِقٌ ... سَـبْـعُـونَ أَلْـفًـا فَـوْقَ أَلْــفِ خِـوَانِ

٥٢٣- إِنْ كُنْتَ مُشْتَاقًا لَهَا كَلِفًا بِهَا ... شَــوْقَ الْـغَـرِيـبِ لِـرُؤْيَـةِ الأَوْطَــانِ

٥٢٤- كُنْ مُحْسِنًا فِيمَا اسْتَطَعْتَ فَرُبَّمَا ... تُجْــزَىٰ عَـنِ الإِحْـسَـانِ بِـالإِحْـسَـانِ

٥٢٥- وَاعْمَلْ لِجَنَّاتِ النَّعِيمِ وَطِيبِهَا ... فَـنَـعِـيـمُـهَـا يَبْقَىٰ وَلَـيْـسَ بِـفَـانِ

❁ أعرض عن النسوان، أي: عن الأجنبيات نظرا أو لمسا أو نحو ذلك. وعليك أن تحتسب ذلك عند الله لعله يرزقك بالخيرات الحسان في تلك الجنان؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ۝٥٦ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٧ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ۝٥٨ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٩ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ۝٦٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٥٦ - ٦٠] إلىٰ أن قال: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۝٦٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٣ مُدْهَآمَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٢ - ٦٤]، ثم ذكر عدة خيرات فقال: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ۝٧٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٧١ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٠ - ٧٢]؛ فإذا أردت هذا الوعد الكريم فتجنب التعلق بالنساء الأجنبيات؛ ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ٥ - ٧].

فانتبه يا عبد الله ولا تتجاوز ما أحل الله لك فإن من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه.

ويحتمل البيت معنىً آخر قد لا يقصده الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ وهو التزهيد في الزواج، وهذا من الرهبانية المحرمة، قال ﷺ: **«أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له**

....

لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني»[١]، وفي البخاري عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «خير هذه الأمة أكثرها نساء»[٢]، وقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «من دعاكم إلىٰ ترك النكاح فقد دعاكم إلىٰ هدم الدين».

قال الشاعر:

مجانبهن فاقد طيب عيش ومن يعلق بهن هواه ضاعا



(١) تقدم تخريجه في ص: [٥٥٣].

(٢) أخرجه البخاري [٥٠٦٩].



إكرام الله أهل جنته

وقوله: «وانتدب العناق... » إلخ.

❁ بدأ يتكلم علىٰ الجنة وما أكرم الله به أهلها وحباهم من مكارم ونعيم مقيم، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦ - ٥٣]؛ يعني: صنفان، وأصناف وأصناف، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر، فيها فاكهة ونخل ورمان، ولهم فيها ما تشتهي أنفسهم وتلذّ أعينهم؛ قال تعالىٰ: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ [فصلت: ٣٢]، وقال: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الزخرف: ٧١]، وقال: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]، وقوله سُبْحَانَهُ في سورة الواقعة ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ﴾ [الواقعة: ١٠ - ٤٠]، وقال رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قال الله: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر فاقرءوا إن شئتم:** ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ

أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧]»(١)، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴾ [الرحمن: ٦٨ - ٧٤]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾ [محمد: ١٥]، وغير ذلك كثير مما في كتاب الله تَعَالَىٰ وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أوصاف الجنة وما أعد الله لأهلها من الكرامة.

وقوله:

٥٠٤- غُرُفَاتُهَا مِنْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ ... وَقُصُورُهَا مِنْ خَالِصِ الْعِقْيَانِ

❁ يصف غرفات الجنة، تلك القصور العظيمة التي هي من الذهب والفضة والزبرجد.

وفي الحديث أن «**الجنة بناؤها لبنة من فضة ولبنة من ذهب وملاطها المسك الأذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وتربتها الزعفران من يدخلها ينعم لا يبأس ويخلد لا يموت لا تبلىٰ ثيابهم ولا يفنىٰ شبابهم**»(٢).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ [الحج: ٢٣]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا

(١) أخرجه البخاري [٣٢٤٤]، ومسلم [٢٨٢٤] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه أحمد [٩٧٤٤]، والترمذي [٢٥٢٦] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٣١١٦].

﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ [الإنسان: ٢١ - ٢٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾ [النبأ: ٣١ - ٣٦].

ويذكر مزيدًا من أوصاف نساء الجنة فيقول: «فلج الثغور... عواطر الأردان»، ومن يقرأ هذه النونية ونونية ابن القيم يجد بينهما تشابها في الأوصاف عظيمًا، ولو أنك تأملت: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ [النبأ: ٣١ - ٣٤].

ولو تأملت قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [المرسلات: ٤١ - ٤٤].

ولو تأملت قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية: ٨ - ١٦].

ولو تأملت قوله تبارك وتعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ [الانشقاق: ٧ - ٩].

ولو تأملت قوله تبارك وتعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ١٩ - ٢٤].

ولو تأملت قوله تبارك وتعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ

عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ [الواقعة: ١٧ - ٢٦].

وغير ذلك من الآيات العظيمة التي تصف الجنان وما فيها مما يُبهر العقول لزهدت في الدنيا وحطامها واقتصرت علىٰ ما أحل الله لك، وابتعدت عما حرمه الله عليك رجاء أن تفوز بهذا النعيم المقيم الذي لا ينتهي أبد الآباد.

وقوله:

٥١٠- يُسْقَوْنَ مِنْ خَمْرٍ لَذِيذٍ شُرْبُهَا	بِأَنَامِلِ الْخُدَّامِ وَالْوِلْدَانِ
٥١١- لَوْ تَنْظُرِ الْحَوْرَاءَ عِنْدَ وَلِيِّهَا	وَهُمَا فُوَيْقَ الْفُرْشِ مُتَّكِئَانِ
٥١٢- يَتَنَازَعَانِ الْكَأْسَ فِي أَيْدِيهِمَا	وَهُمَا بِلَذَّةِ شُرْبِهَا فَرِحَانِ
٥١٣- وَلَرُبَّمَا تَسْقِيهِ كَأْسًا ثَانِيًا	وَكِلَاهُمَا بِرُضَابِهَا حُلْوَانِ
٥١٤- يَتَحَدَّثَانِ عَلَىٰ الْأَرَائِكِ خَلْوَةً	وَهُمَا بِثَوْبِ الْوَصْلِ مُشْتَمِلَانِ
٥١٥- أَكْرِمْ بِجَنَّاتِ النَّعِيمِ وَأَهْلِهَا	إِخْوَانُ صِدْقٍ أَيُّمَا إِخْوَانِ
٥١٦- جِيرَانُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَحِزْبُهُ	أَكْرِمْ بِهِمْ فِي صَفْوَةِ الْجِيرَانِ

❁ كما قال الله تَعَالَىٰ: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [الواقعة: ١٧-١٨]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الطور: ٢٤]، وقال: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ [الصافات: ٤٥ - ٤٧]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ [الإنسان: ٢١ - ٢٢].

هل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟

يصف نعيم الجنة ويصف المؤمن الذي ينال هذا الجزاء العظيم وهو في ألذّ متعة - لا تقارن بمتعة الدنيا - مع تلك الحور العين اللاتي هن رهن إشارة أزواجهنّ.

ووصف أوصافًا دقيقة عظيمة تجعل المؤمن الخالص يزهد في كل شيء في هذه الدنيا الزائلة ويطمع فيما عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ من ذلك: كونهما يتنازعان الكأس لا لغو فيها ولا تأثيم.

ومن ذلك تبادلهم الحب، واشتمالهما بثياب الوصل وغير ذلك من الأمور التي يجلّ عنها الوصف ويقصر دونها الحصر؛ فذلك نعيم الجنة العظيم، كيف وهي جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين.

وقوله:

٥١٧- هُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَهُ وَيَرَوْنَهُ وَالْمُقْلَتَانِ إِلَيْهِ نَاظِرَتَانِ

❁ يقرر الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا البيت القول الحق في مسألتين هامتين قد تقدم الكلام مفصلًا عليهما.

الأولى- صفة من صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وهي صفة الكلام.

والثانية- ثبوت رؤية المؤمنين ربهم في الجنة، وذكر أن أهل الجنة يسمعون كلام ربهم إذا كلمهم ويرونه بأعينهم، وفي ذلك من النعيم وقرة العين لهم ما الله به عليم، وهذا محل إجماع بين أهل السنة كما تقدم.

وقوله:

٥١٨- وَعَلَيْهِمُ فِيهَا مَلَابِسُ سُنْدُسٍ ... وَعَلَى الْمَفَارِقِ أَحْسَنُ التِّيجَانِ

٥١٩- تِيجَانُهُمْ مِنْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ ... أَوْ فِضَّةٍ مِنْ خَالِصِ الْعِقْيَانِ

٥٢٠- وَخَوَاتِمٌ مِنْ عَسْجَدٍ وَأَسَاوِرٌ ... مِنْ فِضَّةٍ كُسِيَتْ بِهَا الزَّنْدَانِ

٥٢١- وَطَعَامُهُمْ مِنْ لَحْمِ طَيْرٍ نَاعِمٍ ... كَالْبُخْتِ يُطْعَمُ سَائِرَ الأَلْوَانِ

٥٢٢- وَصِحَافُهُمْ ذَهَبٌ وَدُرٌّ فَائِقٌ ... سَبْعُونَ أَلْفًا فَوْقَ أَلْفِ خِوَانِ

٥٢٣- إِنْ كُنْتَ مُشْتَاقًا لَهَا كَلِفًا بِهَا ... شَوْقَ الْغَرِيبِ لِرُؤْيَةِ الأَوْطَانِ

٥٢٤- كُنْ مُحْسِنًا فِيمَا اسْتَطَعْتَ فَرُبَّمَا ... تُجْزَى عَنِ الإِحْسَانِ بِالإِحْسَانِ

٥٢٥- وَاعْمَلْ لِجَنَّاتِ النَّعِيمِ وَطِيبِهَا ... فَنَعِيمُهَا يَبْقَى وَلَيْسَ بِفَانِ

❁ فذكر ما أعد الله لهم من التيجان ومن لباس السندس والإستبرق، بل يلبسون الحرير والذهب والفضة واللؤلؤ مما كان محرمًا عليهم في الدنيا.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ [الحج: ٢٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴾ [الإنسان: ١٥]، والآيات في هذا كثيرة.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ [الواقعة: ٢١].

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [الزخرف: ٧١].

وقوله:

٥٢٣- إِنْ كُنْتَ مُشْتَاقًا لَهَا كَلِفًا بِهَا ... شَوْقَ الْغَرِيبِ لِرُؤْيَةِ الأَوْطَانِ

٥٢٤- كُنْ مُحْسِنًا فِيمَا اسْتَطَعْتَ فَرُبَّمَا　　تُجْزَىٰ عَنِ الْإِحْسَانِ بِالْإِحْسَانِ

❁ يعني إذا كنت تريد هذا الفضل العظيم الذي أعده الله للمتقين وما جاء في وصف الجنات في القرآن والسنة - والذي ذكر الناظم بعضه - يقول: إن كنت تريد هذا الخير والحصول عليه وأن تجازىٰ بالإحسان فعليك أن تكون من أهل الإحسان، وأهل الإحسان هم السابقون إلىٰ الخيرات. يقول الله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]. والإحسان حقيقته أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. يعني: من أراد الظفر بهذه الجنان فعليه بالإحسان.

وقوله:

٥٢٥- وَاعْمَلْ لِجَنَّاتِ النَّعِيمِ وَطِيبِهَا　　فَنَعِيمُهَا يَبْقَىٰ وَلَيْسَ بِفَانِ

❁ نعيم الجنة باق عند أهل السنة والجماعة، أبديًا سرمديًا، لا يزول ولا يحول، وهم دائما في شغل فاكهون؛ ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾

[يس: ٥٥ - ٥٨]

فمن أراد هذا الخير وأن ينال هذا الفضل فليبادر ويسارع إلىٰ الأعمال الصالحة التي تقربه إلىٰ الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ [الصافات: ٦١].



المداومة على القيام والصيام وآثار تلاوة القرآن

٥٢٦- أَدِمِ الصِّيَامَ مَعَ الْقِيَامِ تَعَبُّدًا ... فَكِلَاهُمَا عَمَلَانِ مَقْبُولَانِ

٥٢٧- قُمْ فِي الدُّجَىٰ وَاتْلُ الْكِتَابَ وَلَا تَنَمْ ... إِلَّا كَنَوْمَةِ حَائِرٍ وَلْهَانِ

٥٢٨- فَلَرُبَّمَا تَأْتِي الْمَنِيَّةُ بَغْتَةً ... فَتُسَاقُ مِنْ فُرُشٍ إِلَىٰ الأَكْفَانِ

٥٢٩- يَا حَبَّذَا عَيْنَانِ فِي غَسَقِ الدُّجَىٰ ... مِنْ خَشْيَةِ الرَّحْمَنِ بَاكِيَتَانِ

❁ هنا يحثّ علىٰ الصيام والقيام، وذلك يشمل الفرض والنفل. والصوم سماه النبي ﷺ جنة، أي: يجتنّ ويستتر به من النار، فعلىٰ المؤمن أن يكثر منه.

يقول النبي ﷺ: «**من صام يومًا في سبيل الله بعد الله وجهه عن النار سبعين خريفًا**»(١).

فإن الصيام مع القيام من خيرة الأعمال التي يتقرب بها إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، والقاسم المشترك بينهما أنهما سر بين العبد وبين ربه.

فالصيام إمساك عن المفطرات ولا يعلم حقيقة هذا الإمساك وصدق صاحبه إلا الله عَزَّوَجَلَّ.

والقيام الذي يتعاهده صاحبه آخر الليل أيضًا فيه شيء من السرية، ومن البعد عن المظاهر والرياء والسمعة، قال الله في وصف عباده الأخيار: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٧ - ١٨]، وقال تعالىٰ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝١٦ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٦ - ١٧]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩].

---

(١) أخرجه البخاري [٢٨٤٠]، ومسلم [١١٥٣] من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لبست ثوب الدجىٰ والناس قد رقدوا	**وقمت أشكو إلىٰ مولاي ما أجد**
وقلت يا رغبتي لكل نائبة	**ومن عليه لكشف الضر أعتمد**
أشكو إليك أمورا أنت تعلمها	**ما لي علىٰ حملها صبر ولا جلد**
وقد مددت يدي بالضر معترفا	**إليك يا خير من مُدت إليه يد**
فلا تردنها يا رب خائبة	**فبحر جودك يروي كل من يرد**

والمداومة علىٰ الصوم جنة للمؤمن يجتن بها من النار؛ قال رسول الله ﷺ في حديث معاذ الطويل: «**والصوم جنة**» ثم قال: «**وصلاة الرجل من جوف الليل، ثم تلا** قوله تعالىٰ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦]»[(١)].

فحري بمن داوم علىٰ صوم النفل وصلاة الليل أن يرزق الإخلاص، وأن يستجيب الله دعاءه، وأن ييسر الله أمره، وأن يجعل له من كل ضيق فرجًا ومن كل همّ مخرجًا.

ويحث الناظم رحمه الله علىٰ قيام الليل وكثرة تلاوة القرآن فيه، وقد تقدم بعض الأدلة الدالة علىٰ فضل ذلك.

وقوله: «ولا تنم إلا كنومة حائر ولْهان» يشير بهذا إلىٰ أهمية طول القيام، وأكمل الهدي في ذلك هدي النبي ﷺ وهدي نبي الله دواد عليه السلام، قال ﷺ: «**أحب الصلاة إلىٰ الله صلاة داود عليه السلام وأحب الصيام إلىٰ الله صيام داود وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ويصوم يوما ويفطر يومًا**»[(٢)].

(١) رواه أحمد [٢٢٠١٦]، وابن ماجه [٣٩٧٣]، والترمذي [٢٦١٦]، والنسائي في «السنن الكبرى» [١١٣٣٠]، من حديث معاذ بن جبل، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير».
(٢) أخرجه البخاري [١١٣١]، ومسلم [١١٥٩] من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

ولا أقـول لـك كما قال الناظم: «ولا تنم إلا كنومـة حائر الولهان»، ولكن إن لربك عليك حقًّا، ولنفسـك عليك حقًّا، ولأهلك عليك حقًّا، ولزورك عليك حقًّا، فأعط كل ذي حق حقه، ولا تدع حقًّا يطغىٰ علىٰ حق.

وقوله:

٥٢٨- فَلَرُبَّمَا تَأْتِي الْمَنِيَّةُ بَغْتَةً ... فَتُسَاقُ مِنْ فُرُشٍ إِلىٰ الأَكْفَانِ

تذكـر هـذه الحال؛ فإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، والأعمال بالخواتيم، قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

ومما ينسب إلى ابن القاسم العتقي:

تُؤمِّل في الدنيا طويلا و لا تدري ... إذا جنّ الليل هل تعيش إلىٰ الفجر

فكم من صحيح مات من غير علة ... وكم من عليل عاش حينا من الدهر

وكم من فتىٰ يمسي ويصبح آمنا ... وقد نسجت أكفانه وهولا يدري[1]

وقوله:

٥٢٩- يَا حَبَّذَا عَيْنَانِ فِي غَسَقِ الدُّجَىٰ ... مِنْ خَشْيَةِ الرَّحْمَنِ بَاكِيَتَانِ

في هذا حث علىٰ قيام الليل بحضور قلب وخشوع، إذا قام العبد في الليل وخلا مع نفسـه يناجي ربه لا رقيب ولا حسـيب إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، عندها يخشع ويخضع ويتذكر المـوت ونعيم القبر وعذابه والآخرة والجنة والنار وأهـوال القيامة والميزان والصراط... فتزرف عيناه من خشـية الله؛ «**عينان لا تمسـهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين**

---

(١) «ديوان علي بن أبي طالب» (١/ ٨٥).

باتت تحرس في سبيل الله»[١]، وقد عدّ النبي ﷺ من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «**ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه**»[٢].

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه الترمذي [١٦٣٩]، وابن أبي عاصم في «الجهاد» [١٤٦] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وقال الترمذي: حديث حسن. وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» [١٢٢٩]: صحيح لغيره.

(٢) تقدم تخريجه في ص: [٩٨].

قذف المحصنات

٥٣٠- لَا تَقْذِفَنَّ الْمُحْصَنَاتِ وَلَا تَقُلْ　　مَا لَيْسَ تَعْلَمُهُ مِنَ الْبُهْتَانِ

❁ يبين رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن قذف المحصنات، وهو رميهن بالفاحشة من غير بينة من كبائر الذنوب، بل من الموبقات - والعياذ بالله - قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٣ - ٢٤]، وقال النبي ﷺ: **«اجتنبوا السبع الموبقات»** وذكر منها **«وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»**(١).

ثم حذر رَحِمَهُ ٱللَّهُ من القول علىٰ الله بغير علم، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

ويقول تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]، وقذف المحصنات من القول بالبهتان.



(١) تقدم تخريجه في ص: [٥٥٥].

الاستئذان

٥٣١- لَا تَدْخُلَنَّ بُيُوتَ قَوْمٍ حُضَّرٍ إِلَّا بِنَحْنَحَةٍ أَوِ اسْتِئْذَانِ

❁ أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالاستئذان في كتابه حيث قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النور: ٢٧]، فحرم دخول بيوت الناس الحُضّر من غير استئذان. وقال النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنما جعل الاستئذان من أجل البصر**»(١).

وقوله: «إلا بنحنحة أو استئذان» فيه تفصيل؛ النحنحة خاصة باستئذانك علىٰ أهل بيتك «إذا دخل تنحنح»، وأما بيوت الغير فلا تدخل إلا باستئذان، ومن الاستئذان طرق الباب والسلام.

وللاستئذان آداب يجب مراعاتها، ومنها:

أن الاستئذان ثلاثًا فلا يزاد عليها كما هو هدي النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «كنت في مجلس من مجالس الأنصار إذ جاء أبو موسىٰ كأنه مذعور فقال: استأذنت علىٰ عمر ثلاثًا فلم يؤذن لي فرجعت، فقال: ما منعك قلت: استأذنت ثلاثًا فلم يؤذن لي فرجعت، وقال رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا استأذن أحدكم ثلاثًا فلم يؤذن له فليرجع**» فقال: والله لتقيمن عليه ببينة أمنكم أحد سمعه من النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال أُبي بن كعب: والله لا يقوم معك إلا أصغر القوم فكنت أصغر القوم فقمت معه فأخبرت عمر أن النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال ذلك»(٢).

ومنها: أن يكون الطرق بلطف لئلا ينزعج من في البيت، وصح في الأدب المفرد للإمام البخاري أن طرق حجرات النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان بالأظفار.

(١) أخرجه البخاري [٦٢٤١] من حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه البخاري [٦٢٤٥]، ومسلم [٢١٥٣].

ومنها: الرجوع إذا لم يؤذن لك بلسان الحال أو المقال دون وجود ضيق في صدرك؛ امتثالًا لقول الله تَعَالَى: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٨].



التحلي بالصبر

٥٣٢- لَا تَجْزَعَنَّ إِذَا دَهَتْكَ مُصِيبَةٌ ... إِنَّ الصَّبُورَ ثَوَابُهُ ضِعْفَانِ
٥٣٣- فَإِذَا ابْتُلِيتَ بِنَكْبَةٍ فَاصْبِرْ لَهَا ... اللهُ حَسْبِي وَحْدَهُ وَكَفَانِي

❁ علىٰ المسلم إذا قدر الله عليه مصيبة من المصائب أن يصبر ويحتسب.

وقد ذكر الله الصبر وجزاء الصابرين في كتابه الكريم في أكثر من تسعين موضعًا: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧]، وقال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٦]، وقال سُبحانهُ: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾

[البقرة: ١٥٥ - ١٥٧]

فعلىٰ المسلم أن يتحلىٰ بالصبر عند المصيبة ولا يجزع ولا يتسخط بل يصبر ويرضىٰ ويسلم، وليقل: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرًا منها؛ يقول النبي ﷺ: «**ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾؛ اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرًا منها إلا أخلف الله له خيرًا منها**»[١].

وقال رسول الله ﷺ: «**عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له**»[٢]. وليس للمؤمن من خيار عند المصائب إلا الصبر: «**... فمن رضي فله الرضىٰ، ومن سخط فله السخط**»[٣].

---

(١) أخرجه مسلم [٩١٨] من حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) تقدم تخريجه في ص: [٥٣٠].

(٣) أخرجه الترمذي [٢٣٩٦]، وابن ماجه [٤٠٣١] من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: «هذا =

فاصبر علىٰ طاعة الله، واصبر عن معاصي الله، واصبر علىٰ أقدار الله المؤلمة، واعلم أن الظفر مع الصبر، وأن مع العسر يسرًا، وأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملًا، وذلك هو شأن المؤمن.

وهذا لا يتعارض مع الرقة والرحمة التي أسكنها الله في قلوب عباده وما يظهر من أثرها من الحزن والدمع والبكاء عند المصيبة بفقد محبوب مثلًا بدون نياحة، فإن النبي ﷺ لما توفي إبراهيم قال: «**إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضىٰ ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون**»(١).



= حديث حسن غريب من هذا الوجه».

(١) أخرجه البخاري [١٣٠٣] من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



عليك بالعلوم النافعة

٥٣٤- وَعَلَيْكَ بِالْفِقْهِ الْمُبَيِّنِ شَرْعَنَا	وَفَرَائِضِ الْمِيرَاثِ وَالْقُرْآنِ
٥٣٥- عِلْمُ الْحِسَابِ وَعِلْمُ شَرْعِ مُحَمَّدٍ	عِلْمَانِ مَطْلُوبَانِ مُتَّبَعَانِ
٥٣٦- لَوْلَا الْفَرَائِضُ ضَاعَ مِيرَاثُ الْوَرَىٰ	وَجَرَىٰ خِصَامُ الْوُلْدِ وَالشِّيبَانِ
٥٣٧- لَوْلَا الْحِسَابُ وَضَرْبُهُ وَكُسُورُهُ	لَمْ يَنْقَسِمْ سَهْمٌ وَلَا سَهْمَانِ

❁ معرفة الفقه والتفقه في الدين أمر لا بد منه حتىٰ تعبد الله تَعَالَىٰ عبادة صحيحة؛ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يُوسُف: ١٠٨]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التَّوْبَة: ١٢٢].

ويقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**»(١). ولا يكفي مجرد حفظ النصوص، بل لابد معه من الفهم الذي يُميز به بين الأشياء، وقد قال عمر في كتابه المشهور إلىٰ أبي موسىٰ الأشعري: «الفهم الفهم»(٢).

والفقه هو: معرفة الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإجماع علماء الأمة والاعتبار والنظر الصحيح.

والتعبد بدون الفقه أمر في غاية الخطورة تجعل المرء يتخبط ولا يعرف كيف يؤدي عبادته أداء صحيحًا علىٰ الوجه الذي يرضي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مثل ما بعثني الله به من الهدىٰ والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصابت منها طائفة أخرىٰ إنما هي قيعان لا تمسك**

(١) أخرجه البخاري [٣١١٦]، ومسلم [١٠٣٧] من حديث معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البيهقي في «سنن الكبرىٰ» (١/ ١١٥) رقم [٢٠١٣٤].

ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدىٰ الله الذي أرسلت به»(١)، وطريق ذلك هو التلمذ علىٰ العلماء الربانيين الذين ينفون عن الدين تأويل الجاهلين وانتحال المبطلين وتحريف الغالين، والتلقي عنهم، وثني الركب عندهم.

أولئك الذين وصفهم النبي ﷺ بقوله: «**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين**»(٢).

وقوله:

٥٣٥- عِلْمُ الْحِسَابِ وَعِلْمُ شَرْعِ مُحَمَّدٍ عِلْمَانِ مَطْلُوبَانِ مُتَّبَعَانِ

❁ فعلم الحساب وعلم الشرع متلازمان؛ لأن علم الحساب يُعرَف به قسمة المواريث، والأنصباء والفيء والغنيمة ونحو ذلك، وتعرف به الأهلة والسنين والشهور، ويعرف به ما يحتاجه المسلمون في أمر دينهم ودنياهم - وإن كان هو يعني حسابًا معينا وهو ما يتعلق بالفرائض ونحوه -، لكن لا شك أن ذلك يشمل كل علم ينفع الأمة من ألوان الحساب المختلفة المتطورة علىٰ مرّ العصور والأيام.

فهذا لا بد أن يتعلمه من المسلمين من يسقط عنهم به الإثم لأنه فرض كفائي.

وعلم الفرائض من أهم العلوم وأشرفها وأدقها، وقد وردت آثار تشير إلىٰ أنه أول علم يفقد من الأرض وهو معرفة كيفية المواريث والأنصباء وقسمتها علىٰ أهلها بإعطاء كل ذي حق حقه ومستحقه.

(١) أخرجه البخاري [٧٩] من حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ..

(٢) أخرجه الطحاوي في «مشكل الآثار» [٣٨٨٤]، والبيهقي [٢١٤٣٩] من حديث إبراهيم بن عبد الرحمن العذري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في «المشكاة» [٢٤٨].

وقد يحتاج الفرضي إلىٰ معرفة دقائق مسائل الحساب وكسوره كما قال الناظم.

لولا ما منّ الله به علىٰ الأمة من معرفة علم الحساب ما استطاع أحد أن يقسم مسائل المواريث وأن يعطي كل ذي حق حقه.



البدع والأهواء والضلال والضياع
نتيجة حتمية لأهل الكلام والفلسفة

٥٣٨- لَا تَلْتَمِسْ عِلْمَ الْكَلَامِ فَإِنَّهُ ... يَدْعُو إِلَىٰ التَّعْطِيلِ وَالْهَيَمَانِ

٥٣٩- لَا يَصْحَبُ الْبِدْعِيُّ إِلَّا مِثْلَهُ ... تَحْتَ الدُّخَانِ تَأَجُّجُ النِّيرَانِ

٥٤٠- عِلْمُ الْكَلَامِ وَعِلْمُ شَرْعِ مُحَمَّدٍ ... يَتَغَايَرَانِ وَلَيْسَ يَشْتَبِهَانِ

٥٤١- أَخَذُوا الْكَلَامَ عَنِ الْفَلَاسِفَةِ الْأُلَىٰ ... جَحَدُوا الشَّرَائِعَ غِرَّةً وَأَمَانِ

٥٤٢- حَمَلُوا الْأُمُورَ عَلَىٰ قِيَاسِ عُقُولِهِمْ ... فَتَبَلَّدُوا كَتَبَلُّدِ الْحَيْرَانِ

٥٤٣- مُرْجِيُّهُمْ يُزْرِي عَلَىٰ قَدَرِيِّهِمْ ... وَالْفِرْقَتَانِ لَدَيَّ كَافِرَتَانِ

٥٤٤- وَيَسُبُّ مُخْتَارِيُّهُمْ دَوْرِيَّهُمْ ... وَالْقَرْمَطِيُّ مُلَاعِنُ الرُّفْضَانِ

٥٤٥- وَيَعِيبُ كَرَّامِيُّهُمْ وَهْبِيَّهُمْ ... وَكِلَاهُمَا يَرْوِي عَنِ ابْنِ أَبَانِ

٥٤٦- لِحِجَاجِهِمْ شُبَهٌ تُخَالُ وَرَوْنَقٌ ... مِثْلُ السَّرَابِ يَلُوحُ لِلظَّمْآنِ

٥٤٧- دَعْ أَشْعَرِيَّهُمُ وَمُعْتَزِلِيَّهُمْ ... يَتَنَاقَرُونَ تَنَاقُرَ الْغِرْبَانِ

٥٤٨- كُلٌّ يَقِيسُ بِعَقْلِهِ سُبُلَ الْهُدَىٰ ... وَيَتِيهُ تَيْهَ الْوَالِهِ الْهَيْمَانِ

٥٤٩- فَاللهُ يَجْزِيهِمْ بِمَا هُمْ أَهْلُهُ ... وَلَهُ الثَّنَا مِنْ قَوْلِهِمْ بَرَّانِي

٥٥٠- مَنْ قَاسَ شَرْعَ مُحَمَّدٍ فِي عَقْلِهِ ... قَذَفَتْ بِهِ الْأَهْوَاءُ فِي غُدْرَانِ

❁ يحذر رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الاشتغال بعلم الكلام الذي هو في عامته من المنطق والفلسفة، وهو علم أضل الأولين من أتباع جهم والجعد بن درهم حينما انصرفوا عن هدي الكتاب والسنة، وتعلقوا بأدرانه، وظنوا أنهم أرادوا بذلك أن ينزهوا الله عما لا يليق به، فوقعوا في شر مما فروا منه.

واحذر قوانين أرباب الكلام فما ... بها من العلم غير الشك والتُّهم

قاموس فلسفةٍ مفتاح زندقةٍ ... كم من مُلمّ به قد باء بالندم

رامـوا بـهـا عـزل حكم الله واقترحوا	لـلـحـق رَدًّا وإنـقـاذا لحُـكـمِـهِـم
يُـرُوك أن تـزِن الـوحـيـين مجترئا	عليهما بعقول المُغفِل العجَم
وأن تُحكِّمها في كل مشتجَر	إذ ليس في الوحي مِن حُكم لمُحتكِم
أما الكتاب فحرِّف عن مواضعه	إذ ليس يُعجزك التحريف للكَلِم
كذا الأحاديث آحاد وليس بها	بُرهان حقٌّ ولا فصل لمختصم
وقد أبىٰ الله إلا نصرَ ما خذلوا	وكسر ما نصروا منهم علىٰ رَغَم

فعلم الكلام والمنطق من أخطر العلوم علىٰ المسلمين، وقد اختلف أهل العلم في حكم تعلمه علىٰ ثلاثة أقوال:

الأول- ذهب قوم إلىٰ تحريم علم المنطق مطلقًا لما فيه من خطورة ولما فيه من لبس الحق بالباطل.

الثاني- وقال قوم بجوازه مطلقًا دون استثناء.

الثالث- ذهب آخرون إلىٰ التفصيل؛ وهو إن احتيج إليه وكان متعلمه في مأمن من أن تزل قدمه وذلك بعد أن يتفقه في دين الله ويتضلع في فهم العقيدة الصحيحة ويجتهد في ذلك، ويخضعه للشرع ولا يخضع الشرع له، ويخضعه للنصوص ولا يخضع النصوص له، ويعتبره آلة إن احتاج إليه في الرد علىٰ الخصوم وإلا فلا حاجة له، وهذا هو الراجح. وقد اقتبس له شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ من حديث أم زرع وصفًا دقيقًا فقال: «كلحم جمل غث علىٰ رأس جبل وعر لا سهل فيرتقىٰ ولا سمين فينتقىٰ»[1].

والقول بهذا التفصيل في تعلم المنطق هو الراجح.

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» لابن تيمية (٧/ ٥٨٧).

وقوله:

٥٣٩- لَا يَصْحَبُ الْبِدْعِيُّ إِلَّا مِثْلَهُ تَحْتَ الدُّخَانِ تَأَجُّجُ النِّيرَانِ

كما يقال: الطيور علىٰ أشكالها تقع؛ وفي الحديث «**الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف**»(١)؛ فأصحاب البدع تجد بعضهم حول بعض، ولا يأنسون لأحد من أهل السنة؛ فـ«**المرء علىٰ دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**»(٢)، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]، ولذلك قال الناظم: البدعي لا يصحب إلا مثله.

ثم إن تلك البدع قد تكون خفية مستترة كالجمر تحت الرماد فتشبه تأجج النيران تحت الدخان، فلنحذر منها، صغيرها وكبيرها، دقيقها وجليلها، مركبها وبسيطها، كليها وجزئيها، حقيقيها وإضافيها؛ لأنها في غاية الخطورة.

والمبتدع غالبًا لا يمكَّن من التوبة لبعده من السنة وإعراضه عن الحق؛ لأنه يرىٰ نفسه علىٰ حق وهو علىٰ باطل.

يقضىٰ علىٰ المرء في أيام محنته حتىٰ يرىٰ حسنا ما ليس بالحسن(٣)

وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله حجز -أو قال حجب- التوبة عن كل صاحب بدعة**»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري [٣٣٣٦] من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

(٢) تقدم تخريجه في ص: [١٧].

(٣) للشاعر الأمير يحيىٰ بن علي باشا الأحسائي المدني، انظر: «قصائد من عيون الشعر» (١/ ٢).

(٤) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٥٩) رقم [٣٧]، ورواه ابن عدي في «الكامل» (٩/ ٣٥٦)رقم [١٥٥٤٨]، وابن وضاع في «ما جاء في البدع» ص: [١١٩]، رقم [١٥٧]، والبيهقي في «الشعب» =

والبدع بريد الكفر، وهي أخطر من المعاصي. يقول سفيان الثوري: «البدعة أحب إلىٰ إبليس من المعصية؛ لأن المعصية قد يتاب منها والبدعة لا يتاب منها»[1].

فلنحذر من أهل الكلام والبدع ما ظهر منها وما بطن ولا نتساهل فيها، ولنبتعد عن أهلها، ولا نجالسهم؛ لأن الأجرب يجرب من حوله، والمرء علىٰ دين خليله، والمرء مع من أحب؛ فإذا تساهل المرء في مجالسة أهل البدع فإنه قد يصل الأمر به في نهاية المطاف إلىٰ أن لا يراهم مبتدعة، بل ربما ارتكس في حبائلهم، وإن بدت بدعتهم صغيرة فمعظم النار من مستصغر الشرر.

لا تصحب الكسلان في حالاته ... كم صالح بفساد آخر يفسد
عدوىٰ البليد إلىٰ الجليد سريعة ... كالجمر يوضع في الرماد فيخمد

وقوله:

٥٤٠- عِلْمُ الْكَلَامِ وَعِلْمُ شَرْعِ مُحَمَّدٍ ... يَتَغَايَرَانِ وَلَيْسَ يَشْتَبِهَانِ

= (٩/ ٣٩١) رقم [٦٨٤٦]، وأيضًا في (١٢/ ٥٤) رقم (٩٠١٠-٩٠١١)، وأبو الشيخ الأصبهاني في «طبقات المحدثين بأصبهان» (٣/ ٦٠٩) رقم [٧٥٣]، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١/ ١٤٥) رقم (٢١١-٢١٢)، والطبراني في «المعجم الأوسط» طبعة مكتبة المعارف (٥/ ١١٣) رقم [٤٢١٤]، وفي طبعة دار الحرمين (٤/ ٢٨١) رقم [٤٢٠٢]، وكذلك هو في «مجمع البحرين في زوائد المعجمين» (٨/ ٦٢) رقم [٤٧١٣]، وانظر: «مجمع الزوائد» للهيثمي (١٠/ ١٨٩)، قلت وإنما ذكرت هذا ليُعلم خطأ الإمام المنذري رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث زاد - في نهاية هذا الحديث- : «**حتى يدع بدعته**» ثم عزاه للطبراني وحسنه ،وتابعه من تابعه ، والذي أرى أنَّ هذا بسبب انتقال البصر اثناء النقل من حديث إلى حديث فإنَّ هذه الزيادة قد جاءت في حديث آخر عند ابن ماجه برقم [٥٠]، وابن أبي عاصم [٣٩]، من حديث ابن عباس مرفوعًا بلفظ: «**أبى الله أن يقبل عمل صاحب بدعة ،حتى يدع بدعته**» وهو حديث ضعيف جدا كما قرر الأئمة .

(١) انظر: «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» للأصبهاني (٧/ ٢٦)، «شعب الإيمان» للبيهقي (١٢/ ٥٣)، «شرح السنة» للبغوي (١/ ٢١٦).

* النقيضـان لا يجتمعان ولا يرتفعان؛ فعلـم الكلام إما أن يكون من الضدين علىٰ الأقل وإما أن يكون من النقيضين بالنسـبة للشرع. والنقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان، والضدان لا يجتمعان وقد يرتفعان.

فالعمـل بعلم المنطـق والكلام وعلم الشرع لا يجتمع في قلب مسـلم إلا كما يجتمع الماء والنار.

وقوله:

٥٤١- أَخَذُوا الْكَلَامَ عَنِ الْفَلَاسِفَةِ الأُلَىٰ	**جَحَدُوا الشَّرَائِعَ غِرَّةً وَأَمَانِ**
٥٤٢- حَمَلُوا الأُمُورَ عَلَىٰ قِيَاسِ عُقُولِهِمْ	**فَتَبَلَّدُوا كَتَبَلُّدِ الحَيْرَانِ**

* لو تأمل الفطن في مصادر أهل علم الكلام لوجد عامتها ترجع إلىٰ أربعة مصادر: إما اليهود، أو النصارىٰ أو الفلاسفة اليونانيين أو بعض طوائف الهنادك وبخاصة السمنية، منهم الذين يكفرون بما سـوىٰ الحسيات، ومعلوم أن الفلاسفة الذين هم أهم مصادر أهل الكلام كفروا بجميع الشرائع وجحدوا الرسـالات والمرسـلين، وجعلوا العقل وحده هو المـلاذ والمرجع، وجعلوا القياس العقلي هو المحكّم في كل الأمور، وقلدهم أهل الكلام في ذلك، فأخضعوا النصوص الشرعية لهذا القياس المنطقي.

فـإذا قيـل لهم: دلـت النصوص علىٰ إثبات الأسـماء والصفـات لله عَزَّوَجَلَّ، **أجابوا بقولهم:** ولكن العقل ينفي ذلك حتىٰ أدىٰ بهم ذلك إلىٰ تبلد الإحساس.

ولذلـك أهـل الكلام لما أرادوا أن يجادلوا الفلاسـفة غلبهم الفلاسـفة لأنهم أقوىٰ منهـم، فأفـضىٰ الحـال بالبعـض منهم إلىٰ إنـكار المعاد فضـلا عن إنكار قواعد الإسـلام الرئيسة ومبادئه العظيمة.

وأكثر الانحراف الذي حصل هو من جراء الانهماك في علمي الكلام والفلسفة. فلنحذر منهما، فإنهما علمان فاسدان خطيران.

أخضعوا كل شي للعقول، وأي عقول تلك؟ إنها العقول التي تضرجت بأوضار الفلسفة وأدران المنطق؛ ولذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فيا ليت شعري بأي عقل يوزن الكتاب والسنة؟»[(١)].

هؤلاء وزنوا الكتاب والسنة بعقولهم الفاسدة وآرائهم الكاسدة، ونحن لا نقول: عطلوا عقولكم، بل إن العقل السليم لا يعارض النص الصحيح.

بل قد نبه الله علىٰ أهمية العقول المستنيرة؛ ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٢١].

لكن العقول المريضة التي تأثرت بالفلسفة والكلام لا يعول عليها ولا يصح الأخذ عن أهلها.

وقوله:

«مرجيهم يزري علىٰ قدريهم — والفرقتان لدي كافرتان

ويسب مختاريهم[(٢)] دوريهم[(٣)] — والقرمطي[(٤)] ملاعن الرفضان

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٥/ ٢٩).

(٢) المختارية: هم أتباع المختار بن أبي عبيد الثقفي وهي الفرقة التي اشتهرت بالقول بالبداء والاهتمام به، والتزامه عقيدة، ويقولون بنبوة المختار بن أبي عبيد الثقفي.

(٣) الدورية: هم الفلاسفة المنكرون للصانع المعتقدون في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلىٰ ما كان عليه.

(٤) القرامطة: هم فرقة من الشيعة الفاطمية الباطنية، وأشهرهم أربع طوائف: القرامطة والدروز =

ويعيب كراميهم(١) وهبيهم(٢) وكلاهما يروي عن ابن أبان
لحجاجهم شبه تخال ورونق مثل السراب يلوح للظمآن
دع أشعريهم ومعتزليهم يتناقرون تناقر الغربان
كل يقيس بعقله سبل الهدىٰ ويتيه تيه الواله الهيمان
فالله يجزيهم بما هم أهله وله الثنا من قولهم براني
من قاس شرع محمد في عقله قذفت به الأهواء في غدران»

❁ تعلمون رحمني الله وإياكم أنه بعد مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ظهر كثير من الفرق الضالة مما قد يفوق الاثنتين والسبعين، مما حدىٰ ببعض أهل العلم إلىٰ القول بأن العدد غير مقصود لذاته، وإنما المقصود بقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وستفترق هذه الأمة علىٰ ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة**»(٣) إشارة إلىٰ كثرة الفرق وتعددها، والذي عليه التحقيق أن العدد مراد، فالاثنتان والسبعون فرقة أصول لفرق أخرىٰ قد تبلغ المئات!

= والإسماعلية والنصيرية. وهم من الزنادقة الملاحدة أتباع الفلاسفة من الفرس الذين يعتقدون بنبوة زرادشت ومزدك.

(١) **الكرامية**: فرقة تقول بأن المنافق مؤمن وهو مخلد في النار؛ لأنه آمن ظاهرًا لا باطنًا ويدخل الجنة من آمن ظاهرًا وباطنًا.

(٢) **الوهبية**: نسبة لعبد الوهاب بن رستم إمام الإباضية بالمغرب حين ثار عليه أبو قدامة يزيد بن فندين.

(٣) أخرجه أحمد [٨٣٩٦]، وأبو داود [٤٥٩٨]، والترمذي [٢٦٤٠]، وابن ماجه [٣٩٩١]، وابن حبان [٦٧٣١]، والحاكم [٨٤٤٣] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. وقال الحاكم: صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه. وصححه الألباني في «الصحيحة» [٢٠٤].

وقد بين الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ حال المبتدعة بأنهم يكفر بعضهم بعضا، ويبدع ويفسق بعضهم بعضا، ويزري بعضهم علىٰ بعض، أي: يعيب عليه، فكل منهم يطعن في الآخر؛ لأن مناهجهم من عند غير الله، وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٤٨].

والخلاصة أن المعرضين عن الكتاب والسنة علىٰ اختلاف طوائفهم ومشاربهم، أهل البدع والإلحاد دائمًا - وإن انتسب بعضهم إلىٰ الإسلام - فإنه يكفر بعضهم بعضًا:

فالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله.

وقوله: «وكلاهما يروي عن ابن أبان» إشارة منه إلىٰ أن مصدر علم تلك الفرق المتباينة يرجع إلىٰ أبان بن سمعان اللاحقي، فأبان وبنوه وأتباعه هم الذين أسسوا مذهب المعطلة وسائر الفرق، وهو من شيوخ الجعد بن درهم، مؤسس مذهب الجهمية؛ فإن الجهم يروي عن الجعد، والجعد عن أبان وبنيه، وأبان عن طالوت بن أخت لبيب بن الأعصم اليهودي، عن لبيد بن الأعصم نفسه؛ فهي سلسلة الكذب والدجل والكفر والإلحاد - والعياذ بالله -.

وقد ضحّىٰ بالجعد هذا خالد بن عبد الله القسري يوم الأضحىٰ حيث خطب الناس وقال: «أيها الناس، ضحوا، تقبل الله ضحاياكم، فإني اليوم مضحٍ بالجعد بن درهم، حيث زعم أنّ الله لم يكلم موسىٰ تكليمًا، ولم يتخذ إبراهيم خليلًا» ثم نزل وذبحه عند أصل المنبر - كما أشار إلىٰ ذلك ابن القيم في نونيته -:

ولأجل ذا ضحىٰ بجعد خالد الـ ... ـقسري يوم ذبائح القربان

إذ قال إبراهيم ليس خليله ... كلا ولا موسىٰ الكليم الداني

شكر الضحية كل صاحب سنة   لله درّك من أخي قربان[(١)]

وقوله:

٥٤٦- لِحِجَاجِهِمْ شُبَهٌ تُخَالُ وَرَوْنَقٌ   مِثْلُ السَّرَابِ يَلُوحُ لِلظَّمْآنِ

❁ المتأمل في حجج هؤلاء يجد أنها: كما قال الخطابي:

حجج تهافت كالزجاج تخالها   حقا وكل كاسر مكسور[(٢)]

والمقصود أنهم قد يلبسون علىٰ بعض الناس ببهرجتهم ولبسهم الحق بالباطل، وتأويلهم لبعض النصوص، واعتمادهم علىٰ العقل المجرد، واعتمادهم علىٰ المنطق والفلسفة وعلم الكلام الذي أفسد كلّ كلام إلا من عصم الله، فيظنهم السامع علىٰ شيء وهم ليسوا علىٰ شيء، فهو ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ [النور: ٣٩].

فالفرق المخالفة لمنهج أهل السنة كلها علىٰ ضلال وفي ضياع.

وقوله:

٥٤٧- دَعْ أَشْعَرِيَّهُمُ وَمُعْتَزِلِيَّهُمْ   يَتَنَاقَرُونَ تَنَاقُرَ الْغِرْبَانِ

٥٤٨- كُلٌّ يَقِيسُ بِعَقْلِهِ سُبُلَ الْهُدَىٰ   وَيَتِيهُ تَيْهَ الْوَالِهِ الْهَيْمَانِ

٥٤٩- فَاللهُ يَجْزِيهِمْ بِمَا هُمْ أَهْلُهُ   وَلَهُ الثَّنَا مِنْ قَوْلِهِمْ بَرَّانِي

٥٥٠- مَنْ قَاسَ شَرْعَ مُحَمَّدٍ فِي عَقْلِهِ   قَذَفَتْ بِهِ الْأَهْوَاءُ فِي غُدْرَانِ

❁ أي أن كلا من فرقتي المعتزلة والأشعرية يعيب بعضهم بعضا ويرد بعضهم علىٰ بعض، وعبر عن ذلك بتناقر الغربان، ومرد ذلك كله إلىٰ أن كلا منهما يقيس بعقله الفاسد،

(١) انظر: «متن القصيدة النونية» لابن القيم، ص: [٨].

(٢) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» لابن تيمية (٤/ ٢٨).

والعقول متباينة ومختلفة، فلا يمكن الوصول إلىٰ الحق الذي يؤلف بين القلوب من خلال قياسات تلك العقول المتنافرة، مما أدىٰ بهم إلىٰ التيهان والضياع والحيرة والتناقض.

وهذا لا محالة، شأن أولئك الذين يعرضون عن النصوص في معرفة الهدىٰ، ويعتمدون علىٰ أقيسة منطقية وقواعد عقلية فلسفية صاغتها عقول مريضة مريدة، واتبعوا المتشابه فحادوا عن هدي الكتاب والسنة فصاروا كالتائه الذي لا يدري أين يتجه، يهيم علىٰ وجهه لا يدري ما الطريق السوي الذي يوصله إلىٰ بَرّ النجاة، نتيجة حتمية لكل من أعرض عن الكتاب والسنة، وأخذ بعلم الكلام، والمعرض عن التوحيد مشرك شاء أم أبىٰ، والمعرض عن السنة مبتدع ضال شاء أم أبىٰ كما قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ولو كانت الأهواء هوىٰ واحدا لقيل إنه الحق ولكنها أهواء

قال ابن القيم في «المدارج»: «فليس بعد القرآن وأخبرنا وحدثنا إلا شبهات المتكلمين، وآراء المنحرفين، وخيالات المتصوفين، وقياس المتفلسفين»(١)، ومن فارق الدليل وحاد عن التنزيل ضل السبيل ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧].

قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمىٰ الله فاحذروهم**»(٢)، وفي الحديث التحذير من مخالطة أهل البدع والزيغ ومن يتبع مشكلات العلم والمتشابه للفتنة.

وقوله:

٥٤٩- فَاللهُ يَجْزِيهِمْ بِمَا هُمْ أَهْلُهُ وَلَهُ الثَّنَا مِنْ قَوْلِهِمْ بَرَّانِي

---

(١) انظر: «مدارج السالكين» لابن القيم (٢/ ٤٦٨).

(٢) أخرجه البخاري [٤٥٤٧]، ومسلم [٢٦٦٥] من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

❁ وهذا منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ من باب تلطيف العبارة، حيث أحالهم علىٰ ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هو الذي يتولاهم ويجزيهم بما شاء، والله سُبْحَانَهُ عفو غفور.

ثم حمد الله أن نجاه وبرأه مما وقع فيه أولئك.

وقوله:

٥٥٠- مَنْ قَاسَ شَرْعَ مُحَمَّدٍ فِي عَقْلِهِ قَذَفَتْ بِهِ الأَهْوَاءُ فِي غُدْرَانِ

❁ من استعمل القياس في الشرع معرضًا عن هدي الكتاب والسنة متبعًا هواه أودىٰ به ذلك إلىٰ أودية الضلال السحيق ولجج غدران الشر العميقة ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه: ١٢٤].





من عقيدة أهل السنة والأثر التفكر في آلاء الله لا في ذات الله

٥٥١- لَا تَفْتَكِرْ فِي ذَاتِ رَبِّكَ وَاعْتَبِرْ ... فِيمَا بِهِ يَتَصَرَّفُ الْمَلَوَانِ

٥٥٢- وَاللهُ رَبِّي مَا تُكَيِّفُ ذَاتُهُ ... بِخَوَاطِرِ الْأَوْهَامِ وَالْأَذْهَانِ

---

* لا تتفكر في كيفية ذات الله عَزَّوَجَلَّ فتقحم نفسك فيما لا علم لك به، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ﴾ [الإسراء: ٣٦]، وجاء في الأثر «تفكروا في آيات الله ولا تتفكروا في الله»(١).

وإذا وسوست لك نفسك في أن تفكر في ذات الله فانته وقل: آمنت بالله وحده وكفرت بالذين من دونه - كما ثبت ذلك في الحديث - واستحضر ضعفك وضعف عقلك وإدراكك، وأنك لن تدرك كنه الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإنما عليك أن تعرفه بأسمائه وصفاته وآياته الشرعية والكونية.

والملوان: الليل والنهار، **يعني:** تفكر في هذه المخلوقات، من خلقها؟ من صورها؟ من أبدعها؟ من أوجدها من العدم؟ ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ [الغاشية: ١٧ - ٢٠]، ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٥]، ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢١]، ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤]،

---

(١) انظر: «شعب الإيمان» للبيهقي [١٢٠].

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ [غافر: ٨٢].

فلا يعلم كيف هو إلا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا يعلم كيفية صفاته إلا هو.



أمروها كما جاءت بلا كيف

٥٥٣- أَمْرِرْ أَحَادِيثَ الصِّفَاتِ كَمَا أَتَتْ ... مِـنْ غَـيْرِ تَـأْوِيـلٍ وَلَا هَـذَيَـانِ

٥٥٤- هُوَ مَذْهَبُ الزُّهْرِي وَوَافَقَ مَالِكٌ ... وَكِـلَاهُـمَـا فِي شَـرْعِـنَـا عَـلَـمَـانِ

❁ كان السلف إذا أنزلت آيات تتعلق بأسماء الله وصفاته واليوم الآخر، أو سمعوها قالوا: سمعنا وأطعنا، ولا يسألون عن الكيفيات، ولا يقحمون أنفسهم فيما لا طاقة لهم به، بل يقفون عند الحدود التي حد الله لهم، ولا يسألون عما لا يعنيهم.

أهل السنة يقفون عند حدود النصوص، ولذلك إذا جاءتهم آيات وأحاديث الصفات أمروها كما جاءت بعد الإيمان بمعانيها مع تفويض العلم بكيفيتها إلىٰ الله كما قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ عندما سئل عن الاستواء: «الاستواء معلوم والكيف مجهول، والإيمان به واجبٌ والسؤال عنه بدعة»[1].

وقال الزهري والأوزاعي ومكحول وسفيان وغيرهم في آيات الصفات: «أمروها كما جاءت بلا كيف»[2].

فلذلك يجب على كل مسلم أن يلاحظ في باب الإيمان بالأسماء والصفات ثمانية أمور:

١- الاقتصار علىٰ ما جاء في الكتاب والسنّة بلا زيادة ولا نقصان.

٢- أن نؤمن بمعانيها، وأنّها ليست جوفاء بلا معنىٰ، فالله لم يتعبّدنا بالألغاز ولا بالأحاجي.

٣- الإيمان بتلك المعاني علىٰ الوجه الذي يليق بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

---

(١) تقدم تخريجه، ص: [١٤٠].

(٢) تقدم، ص: [١٣٩].

....

٤- عدم التّعطيل، أي: لا ننفيها.

٥- عدم التّأويل، أي: لا نحرّفها عن مدلولها.

٦- عـدم التكييـف لا نقول إنّ كيفيتها كذا وكذا، فلها كيف لا يعلمه إلّا الله، وهو معنىٰ قول السّلف «أمرّوها كما جاءت بلا كيف».

٧- عدم التّشبيه؛ لا نشبه الله بخلقه ولا نشبه خلقه به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

٨- عدم التّمثيل.

وهذا يتطلب منا الوقوف عند ثلاثة أسس:

الأول- تقديـم النقـل علىٰ العقل ومعلوم أن العقل الصريـح لا يتعارض مع النص الصحيح.

ثانيًا- قطع الطمع عن إدراك الكيفية.

ثالثًا- رفض التأويل.

فعـدم التأويـل والتكييـف والتعطيل وإمرار آيـات الصفات كما جـاءت بلا كيف مـع الإيمان بمعانيها اللائقة بجلال الله هو مذهب السـلف والأئمة، ومنهم الزهري من كبـار التابعين وتلميـذه الإمام مالك، وهو قـول مكحول والأوزاعي والشـافعي وأحمد والدارمي وابن أبي شيبة والبخاري والآجري وابن خزيمة وسائر أئمة الهدىٰ والدين.

❁ ❁ ❁

إثبات صفة الوجه والعينين لله سُبْحَانَهُ

٥٥٥- لِلهِ وَجْـهٌ لَا يُحَـدُّ بِـصُـورَةٍ   وَلِـرَبِّـنَـا عَـيْـنَـانِ نَـاظِـرَتَـانِ

❁ بـدأ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يذكـر بعض الصفات الذاتيـة فبدأ بصفة الوجه، ومعنىٰ: «لا يُحد» أي: لا يُـدرك كيفيتـه وكنهـه، وأما صفة الوجـه فإنها صفة حقيقيـة تليق به ،سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرَّحْمَٰن : ٢٦ - ٢٧]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [القَصَص : ٨٨].

وقال رسـول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه مـا انتهـىٰ إليه بصـره من خلقـه**»(١)، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيـما يقال عند دخول المسـجد - وحسـنه بعض أهل العلم -: «**أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسـلطانه القديم من الشيطان الرجيم**»(٢).

والآيات والأحاديث واضحة الدلالة علىٰ إثبات صفة الوجه لله سُبْحَانَهُ علىٰ الوجه الذي يليق به جَلَّ وَعَلَا.

ثـم أثبت بعـد ذلك صفـة العينـين لله سُبْحَانَهُ، قـال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾ [طه : ٣٩]، وَقَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ [القَمَر : ١٤].

وجاء في حديث الدجال: «وإن ربكم ليس بأعور»(٣). وقد استدل السلف بهذا الحديث وغيره علىٰ أن لله عينين تليقان بجلاله وعظمته، من غير تكييف ولا تشبيه.

---

(١) أخرجه مسلم [١٧٩] من حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أبو داود [٤٦٦] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.
قال النووي في «الأذكار»، ص: [٣١]: «حديث حسن، رواه أبو داود بإسناد جيد».
وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» [٧٤٩].

(٣) أخرجه البخاري [٧١٣١]، ومسلم [٢٩٣٣].

إثبات صفة اليدين لله تعالى

٥٥٦- وَلَهُ يَدَانِ كَمَا يَقُولُ إِلَهُنَا ... وَيَمِينُهُ جَلَّتْ عَنِ الْأَيْمَانِ

٥٥٧- كِلْتَا يَدَيْ رَبِّي يَمِينٌ وَصْفُهَا ... وَهُمَا عَلَى الثَّقَلَيْنِ مُنْفِقَتَانِ

❁ يقرر الناظم رحمه الله ما عليه السلف من أن لله يدين تليقان بعظمته وجلاله. وقد دلّ علىٰ ذلك الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة.

فمن الكتاب قول الله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وقوله جلّ وعلا: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ [يس: ٧١]، وقوله جلّ وعلا: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

ومن السنة قول النبي صلى الله عليه وسلم: **«احتج آدم وموسىٰ فقال له موسىٰ: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة قال له آدم: يا موسىٰ اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده أتلومني علىٰ أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة فحج آدم موسىٰ فحج آدم موسىٰ ثلاثا»**(١).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: **«إن يمين الله ملأىٰ لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم ينقص ما في يمينه وعرشه علىٰ الماء وبيده الأخرىٰ الفيض أو القبض يرفع ويخفض»**(٢)، وما جاء في معنىٰ ذلك من الآيات والأحاديث.

---

(١) أخرجه البخاري [٦٦١٤]، ومسلم [٢٦٥٢] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري [٧٤١٩]، ومسلم [٩٩٣] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وأجمع أهل السنة والجماعة علىٰ أن لله تَعَالَىٰ يدين تليقان بجلاله وعظمته، لا تشبه أيدي المخلوقين، ونثبت صفة اليدين علىٰ نحو ما جاء عن الإمام مالك في الاستواء، فيقال: اليدان معلومتان، والعلم بكيفيتهما مجهول، والإيمان بحقيقتهما واجب، والسؤال عن الكيفية بدعة.

وكما قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الاستواء: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»، وهكذا القول في سائر الصفات كما تقدم.

وقوله:

٥٥٧- كِلْتَا يَدَيْ رَبِّي يَمِينٌ وَصْفُهَا   وَهُمَا عَلَىٰ الثَّقَلَيْنِ مُنْفِقَتَانِ

❁ يشير بهذا إلىٰ قول النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وكلتا يديه يمين**»[(١)].

والجمع بين هذا وما ورد في أحاديث أخرىٰ من ذكر الشمال أن يقال: إنه لا تعارض بينهما إذا أخذنا في الاعتبار أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يقاس بخلقه لا قياس شمولي ولا تمثيلي ولا إلحاقي ولا غير ذلك حتىٰ في اللغة عند الناس الآن – ولله المثل الأعلىٰ – عندما يتفاهمون بينهم يقول قائلهم: شمالك يمين، لفهمهم أن اليمين صفة مدح، وأن الله عَزَّ وَجَلَّ هو الذي وصف نفسه بأنّ كلتا يديه يمين، وهو الذي وصف نفسه بأن له يمينًا وشمالًا فنحمل كلًا علىٰ الوجه اللائق بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مع الوقوف حيث وقف السلف من إثبات ذلك كله بلا تأويل ولا تشبيه ولا تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ولا يتعارض ذلك من تسمية الشمال باليمين لأن ذلك أدعىٰ وأقوىٰ في باب التنزيه وما وصف الله به نفسه نثبته علىٰ الوجه اللائق به مع الأخذ في الاعتبار أن ذات الله عَزَّ وَجَلَّ لا تشبه ذوات المخلوقين.

فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ينفق بهما علىٰ الخلق كيف يشاء، وهو أكرم الأكرمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

---

(١) أخرجه مسلم [١٨٢٧] من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

معنى الكرسي

٥٥٨- كُرْسِيُّهُ وَسِعَ السَّمَوَاتِ الْعُلا وَالْأَرْضَ وَهْوَ يَعُمُّهُ الْقَدَمَانِ

❁ الكرسي ثبت تفسيره عن حبر الأمة عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بأنه موضع القدمين[1]؛ قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥].

وما السماوات والأرض بالنسبة للكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، فما بالكم بالعرش الذي هو أعظم المخلوقات.

فإن قال قائل كون الكرسي موضع القدمين ليس مرفوعًا إلىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فالجواب عن هذا أن يقال: إن له حكم الرفع لأنه مما لا مجال للرأي فيه.

وثبت ذكر القدمين في قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **«فأما النار فلا تمتلئ فيضع قدمه عليها فتقول قط قط فهنالك تمتلئ ويزوىٰ بعضها إلىٰ بعض»**[2].



---

(١) أخرجه الطبراني [٩١٢٤٠٤]، والدارقطني في «الصفات» [٣٦]، والحاكم [٣١١٦]. وصححه الألباني في «تَخْرِيجِ الطَّحَاوِيَّة»، ص: [٣١١].

(٢) أخرجه البخاري [٤٨٤٨]، ومسلم [٢٨٤٨] من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

إثبات صفة الضحك لله جَلَّ وَعَلَا

٥٥٩- وَاللهُ يَضْحَكُ لَا كَضِحْكِ عَبِيدِهِ ۝ وَالْكَيْفُ مُمْتَنِعٌ عَلَىٰ الرَّحْمَنِ

❁ يشير بهذا رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ أن الله تَعَالَىٰ يضحك ضحكًا يليق بجلاله وعظمته، وقد ثبت في الحديث أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يضحك الله إلىٰ رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل ثم يتوب الله علىٰ القاتل فيُستشهد**»(١)، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ضحك ربنا عَزَّ وَجَلَّ من قنوط عباده، وقرب غيره، فقال أبو رزين: أويضحك الرب عَزَّ وَجَلَّ؟ قال: نعم، فقال: لن نعدم من رب يضحك خيرًا**»(٢).

ومذهب أهل السنة أن الله يضحك كما يليق بجلاله وعظمته. وقد أول أهل الكلام صفة الضحك بالثواب، وهذا تأويل فاسد وباطل، وصرف للفظ عن ظاهره، فيجب الإيمان بتلك الصفات، ولا يلزم من إثباتها مشابهة المخلوقين.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري [٢٨٢٦]، ومسلم [١٨٩٠] من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الطيالسي [١١٨٨]، وأحمد [١٦١٨٧]، وابن ماجه [١٨١] من حديث أبي رزين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وحسنه الألباني في «الصحيحة» [٢٨١٠].

مسألة نزول الرب سُبْحَانَهُ

٥٦٠- وَاللهُ يَـنْـزِلُ كُـلَّ آخِـرِ لَيْلَةٍ ... لِسَمَـائِـهِ الـدُّنْـيَـا بِـلَا كِـتْـمَـانِ

٥٦١- فَيَقُولُ هَـلْ مِـنْ سَائِلٍ فَأُجِيبَهُ ... فَـأَنَـا الْـقَـرِيـبُ أُجِـيـبُ مَـنْ نَـادَانِـي

٥٦٢- حَاشَا الْإِلَـهَ بِـأَنْ تُـكَـيَّـفَ ذَاتُـهُ ... فَـالْـكَـيْـفُ وَالـتَّـمْـثِـيـلُ مُنْتَفِيَانِ

٥٦٣- وَالْأَصْـلُ أَنَّ اللهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ ... شَـيْءٌ تَعَالَىٰ الـرَّبُّ ذُو الْإِحْـسَـانِ

❁ هنا تكلم عن صفة النزول، وهي صفة ثابتة لله عَزَّوَجَلَّ، دلت عليها السنة الصحيحة المتواترة، وأجمع عليها سلف الأمة كما تقدم تفصيله.

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ينزل ربنا إلىٰ السماء الدنيا حين يبقىٰ الثلث الأخير من الليل؛ فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يستغفرني فأغفر له، من يسألني فأعطيه**»[(١)]، فيجب الإيمان به، وعدم تكييفه أو تفويضه أو تمثيله، قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]؛ نقول: ينزل نزولا يليق بجلاله وعظمته، شأنه شأن الاستواء وسائر الصفات.

فعلىٰ المسلم أن يقوم آخر الليل ويتعرض لهذه النفحات الربانية كما قال الله تَعَالَىٰ: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٧ - ١٨].



---

(١) تقدم تخريجه في ص: [٢٤٣].

تابع لمسألة كلام الله جَلَّجَلَالُهُ

٥٦٤- وَحَدِيثُهُ الْقُرْآنُ وَهْوَ كَلَامُهُ	صَوْتٌ وَحَرْفٌ لَيْسَ يَفْتَرِقَانِ
٥٦٥- لَسْنَا نُشَبِّهُ رَبَّنَا بِعِبَادِهِ	رَبٌّ وَعَبْدٌ كَيْفَ يَشْتَبِهَانِ
٥٦٦- فَالصَّوْتُ لَيْسَ بِمُوجِبٍ تَجْسِيمَهُ(١)	إِذْ كَانَتِ الصِّفَتَانِ تَخْتَلِفَانِ
٥٦٧- حَرَكَاتُ أَلْسُنِنَا وَصَوْتُ حُلُوقِنَا	مَخْلُوقَةٌ وَجَمِيعُ ذَلِكَ فَانِ

❁ في هذه الأبيات تقرير بأن القرآن كلام الله الذي تكلم به حقيقة بحرف وصوت مسموعين، سواء كان محفوظًا في الصدور أو مكتوبًا في المصاحف أو متلوا بالألسن لفظه ومعناه، كل ذلك كلام الرب سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ولا يلزم من ذلك كله مشابهة المخلوقين إذ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وقد تقدم تفصيل القول في الجسم والجهة والتحيز.



(١) الجسم لا يثبت ولا ينفىٰ؛ لأنه لم يرد نفيه ولا إثباته..



إثبات صفة الحياة لله عَزَّوَجَلَّ

٥٦٨- وَكَمَا يَقُولُ اللهُ رَبِّي لَمْ يَزَلْ — حَيًّا وَلَيْسَ كَسَائِرِ الْحَيَوَانِ

٥٦٩- وَحَيَاةُ رَبِّي لَمْ تَزَلْ صِفَةً لَهُ — سُبْحَانَهُ مِنْ كَامِلٍ ذِي الشَّانِ

٥٧٠- وَكَذَاكَ صَوْتُ إِلَهِنَا وَنِدَاؤُهُ — حَقًّا أَتَىٰ فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ

٥٧١- وَحَيَاتُنَا بِحَرَارَةٍ وَبُرُودَةٍ — وَاللهُ لَا يُعْزَىٰ لَهُ هَذَانِ

٥٧٢- وَقِوَامُهَا بِرُطُوبَةٍ وَيُبُوسَةٍ — ضِدَّانِ أَزْوَاجٌ هُمَا ضِدَّانِ

٥٧٣- سُبْحَانَ رَبِّي عَنْ صِفَاتِ عِبَادِهِ — أَوْ أَنْ يَكُونَ مُرَكَّبًا جِسَدَانِي

❁ يتحدث الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن صفة الحياة للرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو حي لا كحياة المخلوقين. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر: ٦٥]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وحياته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بلا ابتداء وبلا انتهاء، لم يتقدمه حدوث وليس له انتهاء، فهو الأول فليس قبله شيء، وهو الآخر فليس بعده شيء كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدعاء المأثور الثابت «**أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء**»[1] بخلاف حياة المخلوقين، فهي حياة محدودة ضعيفة. فالمقصود أن صفة الحياة الأبدية التي ليس لها ابتداء ولا انتهاء هي صفة له سُبْحَانَهُ وحده، بل هذه الصفة يقر بها حتىٰ بعض المتكلمين كالأشاعرة والماتريدية، لكنهم لا يقرون بها اعتمادا علىٰ النصوص الشرعية، وإنما يثبتونها بناء علىٰ القواعد العقلية. نعم العقل يثبت، لكن لابد أن يكون تابعا للنص؛ فالعقل مع النص كالفرع مع الأصل.

---

(١) أخرجه مسلم [٢٧١٣] من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ثم نزهه بقوله: «سبحانه من كامل ذي الشان»، فيجب أن ينزه الله عن كل ما لا يليق به، وأن ينزه عن جميع صفات النقائص.

تابع لانتصار الناظم لعقيدة السلف وتقريره بأن القرآن هو كلام الله حقيقة

وقوله:

٥٧٠- وَكَذَاكَ صَوْتُ إِلَهِنَا وَنِدَاؤُهُ حَقًّا أَتَىٰ فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ

❁ رجع إلىٰ الحديث عن صفة الكلام، وهو إثبات الصوت والحرف والنداء لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خلافا لما يزعمه المتكلمون. حتىٰ الأشاعرة والماتريدية ينكرون الحرف والصوت والنداء، وشبهتهم علىٰ هذا المعتقد الباطل بيت شعري مصنوع ينسب لشاعر نصراني يدعىٰ الأخطل.

وهو قوله:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان علىٰ الفؤاد دليلا[1]

وهذا كما قال الشاعر:

ومَن جعل الغراب له دليلا يَمر به علىٰ جيَف الكلاب[2]

والرد علىٰ هذه الدعوىٰ قد تقدم.

وقوله:

٥٧١- وَحَيَاتُنَا بِحَرَارَةٍ وَبُرُودَةٍ وَاللهُ لَا يُعْزَىٰ لَهُ هَذَانِ

(١) «جواهر الأدب» لأحمد الهاشمي (٢/ ٦٥).
(٢) «المستطرف في كل فن مستظرف» (١/ ٧٩).

٥٧٢- وَقِوَامُهَا بِرُطُوبَةٍ وَيُبُوسَةٍ ضِدَّانِ أَزْوَاجٌ هُمَا ضِدَّانِ

* مقومات الحياة في البشر أو في أي مخلوق أربعة - وهي التي يسمونها الطبائع الأربعة التي بها اعتدال الصحة -: الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة(١). فإذا اختلت واحدة من هذه الأربعة اختلت صحة المخلوق. ولذلك يقول بعض الفلاسفة: إن الروح عبارة عن اعتدال الطبائع الأربعة المذكورة، وهذا كلام ساقط، والروح أمرها إلىٰ الله، نؤمن بأنها موجودة، وأنها تسعد وتشقىٰ وتفارق وتعود، أما ما وراء ذلك فنقول: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

فالناظم هنا يقول: إنه لا تقاس حياة الله بحياة خلقه التي تتطلب هذه الأشياء الأربعة أو غيرها. فالله عَزَّوَجَلَّ منزه عن ذلك كله؛ لأن ذاته لا تشبه الذوات فكذا صفاته لا تشبه الصفات.

وقوله:

٥٧٣- سُبْحَانَ رَبِّي عَنْ صِفَاتِ عِبَادِهِ أَوْ أَنْ يَكُونَ مُرَكَّبًا جِسَدَانِي

* يعني يجب أن ننزه الله عَزَّوَجَلَّ عما لا يليق: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٨٠]

فكل وصف يحتمل نقصا بأي وجه من الوجوه فالله منزه عنه.

وأما التركيب والجسمان فلم يرد في نفيهما ولا إثباتهما شيء، فلا نثبتهما ولا ننفيهما، أو يقال: إن أريد بالتركيب والتجسيم إثبات الأسماء والصفات فنحن نثبتها لله، وإن أريد بهما مشابهة المخلوق فنحن ننفي ذلك كما نفاه عن نفسه.

(١) انظر: «الروح» لابن القيم (١/ ١٧٦)، «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز (١/ ٣٠).

انتصار الناظم لأهل الهدى والسنة برده على المذهب المؤولة والمعطلة لكشف الشبه عندهم، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة

٥٧٤- إِنِّي أَقُولُ فَأَنْصِتُوا لِمَقَالَتِي ... يَا مَعْشَرَ الْخُلَطَاءِ وَالإِخْوَانِ

٥٧٥- إِنَّ الَّذِي هُوَ فِي الْمَصَاحِفِ مُثْبَتٌ ... بِأَنَامِلِ الأَشْيَاخِ وَالشُّبَّانِ

٥٧٦- هُوَ قَوْلُ رَبِّي آيُهُ وَحُرُوفُهُ ... وَمِدَادُنَا وَالرَّقُّ مَخْلُوقَانِ

٥٧٧- مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ ضِدَّ مَقَالَتِي ... فَالْعَنْهُ كُلَّ إِقَامَةٍ وَأَذَانِ

٥٧٨- هُوَ فِي الْمَصَاحِفِ وَالصُّدُورِ حَقِيقَةً ... أَيْقِنْ بِذَلِكَ أَيَّمَا إِيقَانِ

٥٧٩- وَكَذَا الْحُرُوفُ الْمُسْتَقِرُّ حِسَابُهَا ... عِشْرُونَ حَرْفًا بَعْدَهُنَّ ثَمَانِ

٥٨٠- هِيَ مِنْ كَلَامِ اللهِ جَلَّ جَلَالُهُ ... حَقًّا وَهُنَّ أُصُولُ كُلِّ بَيَانِ

٥٨١- حَاءٌ وَمِيمٌ قَوْلُ رَبِّي وَحْدَهُ ... مِنْ غَيْرِ أَنْصَارٍ وَلَا أَعْوَانِ

يقول الشيخ محمد بن عبد الله القحطاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اسمعوا منظومتي هذه التي أقرر فيها عقيدة السلف فلا تحيدوا عنها والزموها، فإنها تستند إلىٰ هدي الكتاب والسنة، وابتعدوا عما يخالفها من آراء الرجال والفلسفة وعلم الكلام.

وهنا قد يقول قائل: أليس في هذا شيء من التفاخر؟ والجواب أن المذموم هو التفاخر الذي يقصد به التعالي علىٰ الناس والتكبر، أما إذا كان المرء حاذقًا في أمر معين والناس بحاجة إليه، فإنه يتعين عليه بيان ذلك. فهذا يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يقول للملك: ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥]، وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«قد علمتم أني أتقاكم لله وأصدقكم وأبركم»(١)، وقوله ﷺ: **«أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب»**(٢).

وقوله:

٥٧٥- إِنَّ الَّذِي هُوَ فِي الْمَصَاحِفِ مُثْبَتٌ ... بِأَنَامِلِ الأَشْيَاخِ وَالشُّبَّانِ

٥٧٦- هُوَ قَوْلُ رَبِّي آيُهُ وَحُرُوفُهُ ... وَمِدَادُنَا وَالرَّقُّ مَخْلُوقَانِ

❁ الكلام في هذه المسألة تقدم مفصلا، ويعني بقوله: «ومدادنا والرق مخلوقان» أن الآلة التي كتب بها القرآن وكتب عليها مخلوقة، فالحبر والورق مخلوقان.

وقوله:

٥٧٧- مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ ضِدَّ مَقَالَتِي ... فَالْعَنْهُ كُلَّ إِقَامَةٍ وَأَذَانِ

❁ **يعني**: من خالف منهج السلف، لأنه في الحقيقة لم ينفرد بمقالة، وإنما قرر منهج أهل السنة والجماعة. وهذا من شدته في الحق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لكن الناظم لما رأىٰ القوم يحرفون ويبدلون ويؤولون كلام الله جَلَّ وَعَلَا، ورأىٰ أنهم خرجوا عن الجادة، عن هدي الكتاب والسنة، واستبدلوا الذي هو أحسن وخير بآراء الفلاسفة والمناطقة، عند ذلك أخذته الحمية والحماس للدين والحق، حتىٰ إنه قال: من قال بخلاف هذا المقالة التي هي مقالة أهل السنة والجماعة، فالعنه كل إقامة وأذان.

وقوله:

٥٧٨- هُوَ فِي الْمَصَاحِفِ وَالصُّدُورِ حَقِيقَةً ... أَيْقِنْ بِذَلِكَ أَيَّمَا إِيقَانِ

---

(١) أخرجه البخاري [٧٣٦٧]، ومسلم [١٢١٦] من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري [٢٨٦٤]، ومسلم [١٧٧٦] من حديث البراء بن عازب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

* يعني: هذا الذي في المصاحف وفي السطور المقروء المتلو المكتوب المنّزل المسموع هو كلام الله فاحفظه حفظًا وأيقن بها فيه، واعتقده ولا تحد عن ذلك يمنة أو يسرة فتضل.

وقوله:

٥٧٩- وَكَذَا الْحُرُوفُ الْمُسْتَقِرُّ حِسَابُهَا — عِشْرُونَ حَرْفًا بَعْدَهُنَّ ثَمَانِ

٥٨٠- هِيَ مِنْ كَلَامِ اللهِ جَلَّ جَلَالُهُ — حَقًّا وَهُنَّ أُصُولُ كُلِّ بَيَانِ

* هذه الحروف الثابتة التي يشتمل عليها القرآن هي حروف تكلم بها الله عَزَّوَجَلَّ حقيقة لا مجازًا. والله عَزَّوَجَلَّ تكلم بالقرآن كلاما يليق به سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ. وهذا هو الذي حمل السجزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ أن يؤلف رسالة «الحرف والصوت» - كما تقدم -.

وقوله:

٥٨١- حَاءٌ وَمِيمٌ قَوْلُ رَبِّي وَحْدَهُ — مِنْ غَيْرِ أَنْصَارٍ وَلَا أَعْوَانِ

* **يعني:** لما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿حمٓ﴾، ﴿نٓ﴾، ﴿قٓ﴾، ﴿صٓ﴾، ﴿يسٓ﴾.

هذه الحروف تكلم الله بها حقيقة، فهي من كلامه تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، ولا نفسرها بغير ذلك وإن كان كثير من أهل العلم يقولون: إن الله عَزَّوَجَلَّ تحدىٰ بها العرب الذين هم أهل هذه اللغة وأهل هذه الحروف؛ كأنه يقول لهم: إن هذا القرآن الذي أنكرتموه مكون من هذه الحروف التي تسمعونها، فتحداهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا﴾ [الإسراء: ٨٨].

❁❁❁

٥٨٢- مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ مَا قَدْ قَالَهُ … عَبْدُ الْجَلِيلِ وَشِيعَةُ اللِّحْيَانِ

٥٨٣- فَقَدِ افْتَرَىٰ كَذِبًا وَإِثْمًا وَاقْتَدَىٰ … بِكِلَابِ كَلْبِ مَعَرَّةِ النُّعْمَانِ

٥٨٤- خَالَطْتُهُمْ حِينًا فَلَوْ عَاشَرْتُهُمْ … لَضَرَبْتُهُمْ بِصَوَارِمِي وَلِسَانِي

٥٨٥- تَعِسَ الْعَمِيُّ أَبُو الْعَلَاءِ فَإِنَّهُ … قَدْ كَانَ مَجْمُوعًا لَهُ الْعَمَيَانِ

٥٨٦- وَلَقَدْ نَظَمْتُ قَصِيدَتَيْنِ بِهَجْوِهِ … أَبْيَاتُ كُلِّ قَصِيدَةٍ مِئَتَانِ

❁ يشير إلىٰ بعض من قال: إن القرآن ليس كلام الله من الجهمية ومن تفرع عنهم مثل رجل يقال له: عبد الجليل وآخر يقال له: اللحياني، فإن هذين ومن تقدمها ومن تأخر عنها ممن هو علىٰ شاكلتها كلهم قد ضلّ سواء السبيل في صفة الكلام لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أو نسبة القرآن أن يكون كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فمن أنكر أن يكون القرآن كلام الله فهو من شيعة هؤلاء، ولهذا قال:

٥٨٣- فَقَدِ افْتَرَىٰ كَذِبًا وَإِثْمًا وَاقْتَدَىٰ … بِكِلَابِ كَلْبِ مَعَرَّةِ النُّعْمَانِ

❁ فالذي يعطل ويؤول كلام الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فإنه يكون قد افترىٰ وتعدىٰ وتجاوز وظلم؛ لأنه كذب علىٰ الله تَعَالَىٰ وقلد في ذلك من أسماهم الناظم بكلاب كلب معرة النعمان، وهم أتباع أبي العلاء المعري الفيلسوف الملحد، فهو معروف بإلحاده وزندقته وإغراقه في الفلسفة وإنكاره لكلام الله جَلَّ وَعَلَا واعتقاده أن القرآن مخلوق، بل هو الذي يهزأ بأحكام القرآن في مثل قوله:

يد بخمس مئين عسجدٍ وديت … ما بالها قطعت في ربع دينار

تناقض ما لنا إلا السكوت له … ونستجير بمولانا من النار

وفي رواية:

حكم مضىٰ ما لنا إلا السكوت له … ونستعيذ بمولانا من النار

يعني: يعترض علىٰ حكم الله في قطع يد السارق، فيقول: كيف هذه اليد التي ديتها بخمسمائة دينار عسجد - أي: من الذهب - كيف تقطع إذا سرق صاحبها ربع دينار؟ وهذا اعتراض علىٰ حكم الله، ولذلك رد علىٰ هذا الملحد بعضهم بقوله:

قل للمعري عار أيما عاري — جهل الفتى وهو من ثوب التقى عاري
عز الأمانة أغلاها وأرخصها — ذلّ الخيانة فافهم حكمة الباري[1]

وفي رواية:

حماية النفس أغلاها وأرخصها — حماية المال فافهم حكمة الباري

ومن إلحاده أيضًا قوله:

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه — وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذي ترك الأفهام حائرة — وصيّر العالم النحرير زنديقا

وهذا اعتراض علىٰ أقدار الله، وقد تقدم ما يغني عن الرد علىٰ هذا الإلحاد في الكلام علىٰ القدر كقول الله تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾ [الفجر: ١٥ - ١٦]، وتقدم ذكر حديث الصادق المصدوق «**ثم يؤمر بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد**».

وقال الشاعر:

ينالُ الفتىٰ من عيشهِ وهو جاهلٌ — ويُكْدِي الفَتَىٰ في دَهْرِهِ وَهْوَ عَالِمٌ
ولو كانت الأرزاق تجري علىٰ الحجا — هلكن إذًا من جهلهن البهائم

وقوله:

٥٨٤- خَالَطْتُهُمْ حِينًا فَلَوْ عَاشَرْتُهُمْ — لَضَرَبْتُهُمْ بِصَوَارِمِي وَلِسَانِي

(١) «معاهد التنصيص علىٰ شواهد التلخيص» (١/ ١٤٣).

❁ يقول: لو أني ظفرت بهم لجاهدتهم بصوارمي ولساني، أي: بالسيف واللسان.

وقوله:

٥٨٥- تَعِسَ الْعَمِيُّ أَبُو الْعَلَاءِ فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ مَجْمُوعًا لَهُ الْعَمَيَانِ

٥٨٦- وَلَقَدْ نَظَمْتُ قَصِيدَتَيْنِ بِهَجْوِهِ أَبْيَاتُ كُلِّ قَصِيدَةٍ مِئَتَانِ

❁ **تعس**: هلك، يقصد بالعمي: أبا العلاء المعري(١)، وأخبر أنه قد جُمِع له العموان: عمىٰ البصر وعمىٰ البصيرة؛ لأنه ملحد، فهو ممن يتنكّر للشريعة.

ويخبر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قد نظم في هجائه قصيدتين، كل واحدة منهما مائتا بيت، وهجو أهل البدع والشر والأهواء إذا لم يترتب علىٰ ذلك فتنة أو ضرر لأهل السنة مطلوب بالطرق المشروعة، فدرء المفاسد مقدم علىٰ جلب المصالح.

ولذلك أذن النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لحسان أن يهجو كفار قريش، وقال: «**اهجهم وجبريل معك**»(٢).

وأنبه هنا علىٰ أن العيب في عمىٰ البصيرة لا في عمىٰ البصر كما قال الله تَعَالَىٰ: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]؛ وقال الشاعر:

إذا أبصر المرء المروءة والتقىٰ فإن عمىٰ العينين ليس يضير(٣)

---

(١) هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان الفيلسوف الملحد المتوفىٰ سنة ٤٤٩هـ، انظر: «تاريخ بغداد»، (٤/ ٢٤٠).

(٢) أخرجه البخاري [٣٢١٣]، ومسلم [٦٥٤٢] من حديث البراء بن عازب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) «ديوان بشار بن برد» لأبي معاذ بشار بن برد بن يرجوخ العقيلي ٩٥/ ١٦٧هـ.

بل قد يكون ابتلاء وإكرامًا من الله عَزَّوَجَلَّ لعبده المؤمن إذا صبر واحتسب، قال رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن ربه عَزَّوَجَلَّ أنه قال: «**من أذهبت حبيبتيه فصبر واحتسب لم أرض له ثوابًا دون الجنة**»[(١)].

وكان ابن عباس رَضِيَالِلَّهُعَنْهُمَا لما عمي يستشهد دائمًا بقول حسان رَضِيَالِلَّهُعَنْهُ:

إن أذهب الله من عيني نورهما ... ففي فؤادي وقلبي منهما نور

عقلي ذكي وقلبي ما حوىٰ دخلا ... وفي فمي صارم كالسيف مشهور

وقال الشاطبي إمام القراءات رَحِمَهُاللَّهُ لمن عابه بالعمىٰ:

وقالوا قد عميت فقلت لا ... وإني اليوم أبصر من بصير

سواد العين زار سواد قلبي ... ليجتمعا علىٰ فهم الأمور



(١) أخرجه الترمذي [٢٤٠١]، والنسائي في «الكبرىٰ» [١١٤٤٦] من حديث أبي هريرة رَضِيَالِلَّهُعَنْهُ. وقال الترمذي: «حسن صحيح».

هجوه الأشاعرة واعتماده على الكتاب والسنة في الرد عليهم واعتزازه بالله في رد أباطيلهم وحمايته منهم بأسلوب لا يخلو من تحد وسخرية

٥٨٧- وَالآنَ أَهْجُو الْأَشْعَرِيَّ وَحِزْبَهُ ... وَأُذِيعُ مَا كَتَمُوا مِنَ الْبُهْتَانِ

٥٨٨- يَا مَعْشَرَ الْمُتَكَلِّمِينَ عَدَوْتُمُ ... عُدْوَانَ أَهْلِ السَّبْتِ فِي الْحِيتَانِ

٥٨٩- كَفَّرْتُمُ أَهْلَ الشَّرِيعَةِ وَالْهُدَىٰ ... وَطَعَنْتُمُ بِالْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ

٥٩٠- فَلَأَنْصُرَنَّ الْحَقَّ حَتَّىٰ أَنَّنِي ... أَسْطُو عَلَىٰ سَادَاتِكُمْ بِطِعَانِي

٥٩١- اللهُ صَيَّرَنِي عَصَا مُوسَىٰ لَكُمْ ... حَتَّىٰ تَلَقَّفَ إِفْكَكُمْ ثُعْبَانِي

٥٩٢- بِأَدِلَّةِ الْقُرْآنِ أُبْطِلُ سِحْرَكُمْ ... وَبِهِ أُزَلْزِلُ كُلَّ مَنْ لَاقَانِي

٥٩٣- هُوَ مَلْجَئِي هُوَ مَدْرَئِي هُوَ مُنْجِئِي ... مِنْ كَيْدِ كُلِّ مُنَافِقٍ خَوَّانِ

٥٩٤- إِنْ حَلَّ مَذْهَبُكُمْ بِأَرْضٍ أَجْدَبَتْ ... أَوْ أَصْبَحَتْ قَفْرًا بِلَا عُمْرَانِ

٥٩٥- وَاللهُ صَيَّرَنِي عَلَيْكُمْ نِقْمَةً ... وَلَهَتْكِ سِتْرِ جَمِيعِكُمْ أَبْقَانِي

٥٩٦- أَنَا فِي حُلُوقِ جَمِيعِكُمْ عُودُ الشَّجَا ... أَعْيَا أَطِبَّتَكُمْ غُمُوضُ مَكَانِي

٥٩٧- أَنَا حَيَّةُ الْوَادِي أَنَا أَسَدُ الشَّرَىٰ ... أَنَا مُرْهَفٌ مَاضِي الْغِرَارِ يَمَانِي

٥٩٨- بَيْنَ ابْنِ حَنْبَلٍ وَابْنِ إِسْمَاعِيلِكُمْ ... سَخَطٌ يُذِيقُكُمُ الْحَمِيمَ الْآنِي

٥٩٩- دَارَيْتُمُ عِلْمَ الْكَلَامِ تَشَزُّرًا ... وَالْفِقْهُ لَيْسَ لَكُمْ عَلَيْهِ يَدَانِ

٦٠٠- الْفِقْهُ مُفْتَقِرٌ لِخَمْسِ دَعَائِمٍ ... لَمْ يَجْتَمِعْ مِنْهَا لَكُمْ ثِنْتَانِ

٦٠١- حِلْمٌ وَإِتْبَاعٌ لِسُنَّةِ أَحْمَدٍ ... وَتُقًى وَكَفُّ أَذًى وَفَهْمُ مَعَانِ

٦٠٢- آثَرْتُمُ الدُّنْيَا عَلَىٰ أَدْيَانِكُمْ ... لَا خَيْرَ فِي دُنْيَا بِلَا أَدْيَانِ

٦٠٣- وَفَتَحْتُمُ أَفْوَاهَكُمْ وَبُطُونَكُمْ ... فَبَلَعْتُمُ الدُّنْيَا بِغَيْرِ تَوَانِ

....

٦٠٤- كَذَّبْتُمُ أَقْوالَكُمْ بِفِعالِكُمْ ... وَحَمَلْتُمُ الدُّنْيا عَلَىٰ الأَدْيانِ

٦٠٥- قُرَّاؤُكُمْ قَدْ أَشْبَهُوا فُقَهاءَكُمْ ... فِئَتانِ لِلرَّحْمَنِ عاصِيَتانِ

٦٠٦- يَتَكالَبانِ عَلَىٰ الْحَرامِ وَأَهْلِهِ ... فِعْلَ الْكِلابِ بِجِيفَةِ اللُّحْمانِ

٦٠٧- يا أَشْعَرِيَّةُ هَلْ شَعَرْتُمْ أَنَّني ... رَمَدُ الْعُيُونِ وَحِكَّةُ الأَجْفانِ

٦٠٨- أَنا في كُبُودِ الأَشْعَرِيَّةِ قَرْحَةٌ ... أَرْبُو فَأَقْتُلُ كُلَّ مَنْ يَشْناني

٦٠٩- وَلَقَدْ بَرَزْتُ إِلَىٰ كِبارِ شُيُوخِكُمْ ... فَصَرَفْتُ مِنْهُمْ كُلَّ مَنَ ناواني

٦١٠- وَقَلَبْتُ أَرْضَ حِجاجِهِمْ وَنَثَرْتُها ... فَوَجَدْتُها قَوْلًا بِلا بُرْهانِ

٦١١- وَاللهُ أَيَّدَني وَثَبَّتَ حُجَّتي ... وَاللهُ مِنْ شُبُهاتِهِمْ نَجَّاني

٦١٢- وَالْحَمْدُ للهِ الْمُهَيْمِنِ دائِمًا ... حَمْدًا يُلَقِّحُ فِطْنَتي وَجَناني

٦١٣- أَحَسِبْتُمُ يا أَشْعَرِيَّةُ أَنَّني ... مِمَّنْ يُقَعْقَعُ خَلْفَهُ بِشِنانِ

٦١٤-أَفَتُسْتَرُ الشَّمْسُ الْمُضِيئَةُ بِالسُّها ... أَمْ هَلْ يُقاسُ الْبَحْرُ بِالْخُلْجانِ

٦١٥- عُمْري لَقَدْ فَتَّشْتُكُمْ فَوَجَدْتُكُمْ ... حُمُرًا بِلا عَنَنٍ وَلا أَرْسانِ

٦١٦- أَحْضَرْتُكُمْ وَحَشَرْتُكُمْ وَقَصَدْتُكُمْ ... وَكَسَرْتُكُمْ كَسْرًا بِلا جُبْرانِ

٦١٧-أَزَعَمْتُمُ أَنَّ الْقُرانَ عِبارَةٌ ... فَهُما كَما تَحْكُونَ قُرْآنانِ

٦١٨-إِيمانُ جِبْرِيلٍ وَإِيمانُ الَّذي ... رَكِبَ الْمَعاصِيَ عِنْدَكُمْ سِيَّانِ

٦١٩- هَذا الْجُوَيْهِرُ وَالْعُرَيْضُ بِزَعْمِكُمْ ... أَهُما لِمَعْرِفَةِ الْهُدَىٰ أَصْلانِ

٦٢٠- مَنْ عاشَ في الدُّنْيا وَلَمْ يَعْرِفْهُما ... وَأَقَرَّ بِالإِسْلامِ وَالْفُرْقانِ

٦٢١- أَفَمُسْلِمٌ هُوَ عِنْدَكُمْ أَمْ كافِرٌ ... أَمْ عاقِلٌ أَمْ جاهِلٌ أَمْ وانِ

٦٢٢- عَطَّلْتُمُ السَّبْعَ السَّمَواتِ الْعُلا ... وَالْعَرْشَ أَخْلَيْتُمْ مِنَ الرَّحْمَنِ

٦٢٣- وَزَعَمْتُمُ أَنَّ الْبَلاغَ لأَحْمَدٍ ... في آيَةٍ مِنْ جُمْلَةِ الْقُرْآنِ

....

٦٢٤- هَذِي الشَّقَاشِقُ وَالْمَخَارِقُ وَالْهَوَىٰ ... وَالْمَذْهَبُ الْمُسْتَحْدَثُ الشَّيْطَانِي
٦٢٥- سَمَّيْتُمُ عِلْمَ الْأُصُولِ ضَلَالَةً ... كَاسْمِ النَّبِيذِ لِخَمْرَةِ الْأَدْنَانِ
٦٢٦- وَنَعَتْ مَحَارِمُكُمْ عَلَىٰ أَمْثَالِكُمْ ... وَاللهُ عَنْهَا صَانَنِي وَحَمَانِي
٦٢٧- إِنِّي اعْتَصَمْتُ بِحَبْلِ شَرْعِ مُحَمَّدٍ ... وَعَضَضْتُهُ بِنَوَاجِذِ الْأَسْنَانِ
٦٢٨- أَشْعَرْتُمُ يَا أَشْعَرِيَّةُ أَنَّنِي ... طُوفَانُ بَحْرٍ أَيُّمَا طُوفَانِ
٦٢٩- أَنَا هَمُّكُمْ أَنَا غَمُّكُمْ أَنَا سُقْمُكُمْ ... أَنَا سُمُّكُمْ فِي السِّرِّ وَالْإِعْلَانِ
٦٣٠- أَذْهَبْتُمُ نُورَ الْقُرْآنِ وَحُسْنَهُ ... مِنْ كُلِّ قَلْبٍ وَالِهٍ لَهْفَانِ
٦٣١- فَوَحَقِّ جَبَّارٍ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ... مِنْ غَيْرِ تَمْثِيلٍ كَقَوْلِ الْجَانِي
٦٣٢- وَوَحَقِّ مَنْ خَتَمَ الرِّسَالَةَ وَالْهُدَىٰ ... بِمُحَمَّدٍ فَزَهَا بِهِ الْحَرَمَانِ
٦٣٣- لَأُقَطِّعَنَّ بِمِعْوَلِي أَعْرَاضَكُمْ ... مَا دَامَ يَصْحَبُ مُهْجَتِي جُثْمَانِي
٦٣٤- وَلَأَهْجُوَنَّكُمُ وَأَثْلِبُ حِزْبَكُمْ ... حَتَّىٰ تُغَيِّبَ جُثَّتِي أَكْفَانِي
٦٣٥- وَلَأَهْتِكَنَّ بِمَنْطِقِي أَسْتَارَكُمْ ... حَتَّىٰ أُبَلِّغَ قَاصِيًا أَوْ دَانِي
٦٣٦- وَلَأَهْجُوَنَّ صَغِيرَكُمْ وَكَبِيرَكُمْ ... غَيْظًا لِمَنْ قَدْ سَبَّنِي وَهَجَانِي
٦٣٧- وَلَأُنْزِلَنَّ بِكُمْ أَلِيمَ صَوَاعِقِي ... وَلَتُحْرِقَنَّ كُبُودَكُمْ نِيرَانِي
٦٣٨- وَلَأَقْطَعَنَّ بِسَيْفِ حَقِّي زُورَكُمْ ... وَلَيُخْمِدَنَّ شُوَاظَكُمْ طُوفَانِي
٦٣٩- وَلَأَقْصِدَنَّ اللهَ فِي خِذْلَانِكُمْ ... وَلَيَمْنَعَنَّ جَمِيعَكُمْ خِذْلَانِي
٦٤٠- وَلَأَحْمِلَنَّ عَلَىٰ عُتَاةِ طُغَاتِكُمْ ... حَمْلَ الْأُسُودِ عَلَىٰ قَطِيعِ الضَّانِ
٦٤١- وَلَأَرْمِيَنَّكُمُ بِصَخْرِ مَجَانِقِي ... حَتَّىٰ يَهُدَّ عُتُوَّكُمْ سُلْطَانِي
٦٤٢- وَلَأَكْتُبَنَّ إِلَىٰ الْبِلَادِ بِسَبِّكُمْ ... فَيَسِيرُ سَيْرَ الْبُزْلِ بِالرُّكْبَانِ
٦٤٣- وَلَأُدْحِضَنَّ بِحُجَّتِي شُبُهَاتِكُمْ ... حَتَّىٰ يُغَطِّيَ جَهْلَكُمْ عِرْفَانِي

....

٦٤٤- وَلأَغْضَبَنَّ لِقَوْلِ رَبِّي فِيكُمُ ... غَضَبَ النُّمُورِ وَجُمْلَةِ الْعُقْبَانِ

٦٤٥- وَلأَضْرِبَنَّكُمُ بِصَارِمِ مِقْوَلِي ... ضَرْبًا يُزَعْزِعُ أَنْفُسَ الشُّجْعَانِ

٦٤٦- وَلأُسْعِطَنَّ مِنَ الْفُضُولِ أُنُوفَكُمْ ... سَعْطًا يُعَطِّسُ مِنْهُ كُلُّ جَبَانِ

٦٤٧- إِنِّي بِحَمْدِ اللهِ عِنْدَ قِتَالِكُمْ ... لَمُحْكِمٌ فِي الْحَرْبِ ثَبْتَ جَنَانِ

٦٤٨- وَإِذَا ضَرَبْتُ فَلَا تَخِيبُ مَضَارِبِي ... وَإِذَا طَعَنْتُ فَلَا يَرُوغُ طِعَانِي

٦٤٩- وَإِذَا حَمَلْتُ عَلَىٰ الْكَتِيبَةِ مِنْكُمُ ... مَزَّقْتُهَا بِلَوَامِعِ الْبُرْهَانِ

٦٥٠- الشَّرْعُ وَالْقُرْآنُ أَكْبَرُ عُدَّتِي ... فَهُمَا لِقَطْعِ حِجَاجِكُمْ سَيْفَانِ

٦٥١- ثَقُلَا عَلَىٰ أَبْدَانِكُمْ وَرُءُوسِكُمْ ... فَهُمَا لِكَسْرِ رُءُوسِكُمْ حَجَرَانِ

٦٥٢- إِنْ أَنْتُمُ سَالَمْتُمُ سُولِمْتُمُ ... وَسَلِمْتُمُ مِنْ حَيْرَةِ الْخِذْلَانِ

٦٥٣- وَلَئِنْ أَبَيْتُمْ وَاعْتَدَيْتُمْ فِي الْهَوَىٰ ... فَنِضَالُكُمْ فِي ذِمَّتِي وَضَمَانِي

٦٥٤- يَا أَشْعَرِيَّةُ يَا أَسَافِلَةَ الْوَرَىٰ ... يَا عُمْيُ يَا صُمٌّ بِلَا آذَانِ

٦٥٥- إِنِّي لأُبْغِضُكُمْ وَأُبْغِضُ حِزْبَكُمْ ... بُغْضًا أَقَلُّ قَلِيلِهِ أَضْغَانِي

٦٥٦- لَوْ كُنْتُ أَعْمَىٰ الْمُقْلَتَيْنِ لَسَرَّنِي ... كَيْ لَا يَرَىٰ إِنْسَانَكُمْ إِنْسَانِي

٦٥٧- تَغْلِي قُلُوبُكُمُ عَلَيَّ بِحَرِّهَا ... حَنَقًا وَغَيْظًا أَيَّمَا غَلَيَانِ

٦٥٨- مُوتُوا بِغَيْظِكُمُ وَمُوتُوا حَسْرَةً ... وَأَسًىٰ عَلَيَّ وَعَضُّوا كُلَّ بَنَانِ

٦٥٩- قَدْ عِشْتُ مَسْرُورًا وَمِتُّ مُخَفَّرًا ... وَلَقِيتُ رَبِّي سَرَّنِي وَرَعَانِي

٦٦٠- وَأَبَاحَنِي جَنَّاتِ عَدْنٍ آمِنًا ... وَمِنَ الْجَحِيمِ بِفَضْلِهِ عَافَانِي

٦٦١- وَلَقِيتُ أَحْمَدَ فِي الْجِنَانِ وَصَحْبَهُ ... وَالْكُلُّ عِنْدَ لِقَائِهِمْ أَدْنَانِي

٦٦٢- لَمْ أَدَّخِرْ عَمَلًا لِرَبِّيَ صَالِحًا ... لَكِنْ بِإِسْخَاطِي لَكُمْ أَرْضَانِي

٦٦٣- أَنَا تَمْرَةُ الأَحْبَابِ حَنْظَلَةُ الْعِدَا ... أَنَا غُصَّةٌ فِي حَلْقِ مَنْ عَادَانِي

....

٦٦٤- وَأَنَا الْمُحِبُّ لِأَهْلِ سُنَّةِ أَحْمَدٍ وَأَنَـا الأَدِيـبُ الشَّـاعِرُ الْقَحْطَانِي

تقـدم بيان أن أبا الحسـن الأشـعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بريء ممـا عليه الأشـاعرة الآن كبراءة الشيخ عبد القادر الجيلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ مما تنسبه إليه غلاة المتصوفة؛ فإن أبا الحسن ختم الله له بالعودة إلىٰ مذهب السلف في باب الأسماء والصفات في الجملة، ونص في آخر كتبه وهو كتـاب «الإبانة» بأنه عـلىٰ مذهب الإمام أحمد في الاعتقاد، فـلا يوافق الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ هجوه والنيل منه كما تقدمت الإشـارة إلىٰ عذر الناظم في شـدته هذه علىٰ الأشـعري بأنه لم يبلغه رجوعه إلىٰ منهج أهل السنة.

وقوله:

٥٨٨- يَا مَعْشَرَ الْمُتَكَلِّمِينَ عَدَوْتُمُ عُـدْوَانَ أَهْـلِ السَّبْتِ فِي الْحِيتَانِ

٥٨٩- كَفَّرْتُمُ أَهْلَ الشَّرِيعَةِ وَالْهُدَىٰ وَطَعَنْتُمُ بِالْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ

❁ وصـف الناظـم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أهل الكلام بالعـدوان والتكفير والطعن في أهل السـنة بالبغـي والعـدوان، وذلك في نفيهم أو تأويلهم أسـماء الله وصفاته مع نبزهم أهل السـنة بالتجسيم والتشبيه.

وشبه حالهم بحال اليهود في اعتدائهم وتحيلهم علىٰ الصيد في يوم السبت.

ولا غرو فقلوبهم منكوسة، وعقولهم معكوسة - والعياذ بالله - عن الحق.

وقوله:

٥٩٠- فَلَأَنْصُرَنَّ الْحَقَّ حَتَّىٰ أَنَّنِي أَسْطُو عَلَىٰ سَادَاتِكُمْ بِطِعَانِي

٥٩١- اللهُ صَيَّرَنِي عَصَا مُوسَىٰ لَكُمْ حَتَّىٰ تَلَقَّفَ إِفْكَكُمْ ثُعْبَانِي

٥٩٢- بِأَدِلَّةِ الْقُرْآنِ أُبْطِلُ سِحْرَكُمْ وَبِهِ أُزَلْزِلُ كُلَّ مَنْ لَاقَانِي

٥٩٣- هُوَ مَلْجَئِي هُوَ مَدْرَئِي هُوَ مُنْجِئِي مِنْ كَيْدِ كُلِّ مُنَافِقٍ خَوَّانِ

٥٩٤- إِنْ حَلَّ مَذْهَبُكُمْ بِأَرْضٍ أَجْدَبَتْ ... أَوْ أَصْبَحَتْ قَفْرًا بِلَا عُمْرَانِ

٥٩٥- وَاللهُ صَيَّرَنِي عَلَيْكُمْ نِقْمَةً ... وَلِهَتْكِ سِتْرِ جَمِيعِكُمْ أَبْقَانِي

٥٩٦- أَنَا فِي حُلُوقِ جَمِيعِكُمْ عُودُ الْحَشَا ... أَعْيَا أَطِبَّتَكُمْ غُمُوضُ مَكَانِي

٥٩٧- أَنَا حَيَّةُ الْوَادِي أَنَا أَسَدُ الشَّرَىٰ ... أَنَا مُرْهَفٌ مَاضِي الْغِرَارِ يَمَانِي

❁ عاهد الله بنصرته لمذهب أهل السنة، وذلك بمطاعنة أعداء أهل السنة من أهل الكلام بسلاح الحق، فوصف انتصاره عليهم بأن الله جعله مثل عصىٰ موسىٰ مع عصيّ السحرة، وجعله بمثابة حية الوادي وأسد الشرىٰ وعود الشجا وهتك سترهم معتمدًا علىٰ الله في ذلك وملتجأ إليه، بإقامة الحجة والبراهين من كتاب الله تَعَالَىٰ وسنة رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الأمر الذي أظهر الله به الحق وأزهق به باطلهم.

وقوله: «أنا مرهف ماضي الغرار يماني» أي: أن الله جعله سيفًا مصلتًا من سيوف الله المسلولة علىٰ أهل الباطل.

ويقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأنه مرهف الإحساس، لين الطبع والعريكة مع أهل السنة، لكنه مع المبتدعة سيف يماني قاطع، والسيوف اليمانية يضرب بها المثل في الحدة والقوة كما قال الشاعر:

وهل ينفع الفتيان حسن وجوههم ... إذا كانت الأخلاق غير حسان

فلا تجعل الحسن الدليل علىٰ الفتىٰ ... فما كل مصقول الحديد يماني[1]

وقوله:

٥٩٨- بَيْنَ ابْنِ حَنْبَلِ وَابْنِ إِسْمَاعِيلِكُمْ ... سَخَطٌ يُذِيقُكُمُ الْحَمِيمَ الْآنِي

---

(١) «المستطرف في كل فن مستظرف» (١/ ٢٥٩).

❁ يعني بابن إسماعيليكم الشيخ علىٰ بن إسماعيل أبو الحسن الأشعري الذي ينتهي نسبه إلىٰ أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقد نبهت غير مرة أن أبا الحسن الأشعري رجع إلىٰ مذهب الإمام أحمد في الاعتقاد في الجملة و بينت عذر الناظم في ذلك.

وقوله:

٥٩٩- دَارَيْتُمُ عِلْمَ الْكَلَامِ تَشَزُّرًا ... وَالْفِقْهُ لَيْسَ لَكُمْ عَلَيْهِ يَدَانِ

٦٠٠- الْفِقْهُ مُفْتَقِرٌ لِخَمْسِ دَعَائِمٍ ... لَمْ يَجْتَمِعْ مِنْهَا لَكُمْ ثِنْتَانِ

٦٠١- حِلْمٌ وَاِتْبَاعٌ لِسُنَّةِ أَحْمَدٍ ... وَتُقًىٰ وَكَفُّ أَذًىٰ وَفَهْمُ مَعَانِ

❁ وصف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أهل الكلام باعتمادهم علىٰ أدران الفلسفة وأوضار المنطق وإعراضهم عن نصوص الوحيين، الأمر الذي أفقدهم الفقه في علوم الشريعة المبنية علىٰ النصوص، فتشعبت بهم الأهواء وتفرقت بهم الآراء نتيجة لمسلكهم المشين.

عليك ببكر الفكر إن كنت كفأها ... وإلا تنح عن ذرىٰ المجد واقعد

فمن قلّد الآراء ضل عن الهدىٰ ... ومن قلد المعصوم في الدين يهتدي

فما الدين إلا الاتباع لما أتىٰ ... عن الله والهادي البشيرمحمد

قال مطرف بن عبد الله بن الشخير العامري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لو كانت الأهواء هوًىٰ واحدًا لقيل: إنه لحق ولكنها أهواء»[1].

ثم وضح دعائم الفقه الصحيح الخمس وهي الحلم والاتباع والتقىٰ وكف الأذىٰ وفهم معاني النصوص ومقاصد الشرع وأنه ليس لأهل الكلام من هذه الدعائم نصيب، وقد صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك.

(١) «الاعتصام» للشاطبي (١/ ٦٢).

وقوله:

٦٠٢- آثَـرْتُمُ الـدُّنْيَـا عَلَىٰ أَدْيَانِكُمْ لَا خَـيْـرَ فِي دُنْـيَـا بِـلَا أَدْيَـانِ

٦٠٣- وَفَتَحْتُمُ أَفْوَاهَكُمْ وَبُطُونَكُمْ فَبَلَعْتُمُ الـدُّنْـيَـا بِـغَـيْرِ تَـوَانِ

٦٠٤- كَـذَّبْتُمُ أَقْـوَالَـكُمْ بِفِعَالِكُمْ وَحَمَلْتُمُ الـدُّنْيَـا عَلَىٰ الْأَدْيَـانِ

٦٠٥- قُرَّاؤُكُمْ قَدْ أَشْبَهُوا فُقَهَاءَكُمْ فِـئَـتَـانِ لِـلـرَّحْمَـنِ عَـاصِـيَـتَـانِ

٦٠٦- يَتَكَالَبَانِ عَلَىٰ الْحَـرَامِ وَأَهْلِهِ فِـعْـلَ الْـكِـلَابِ بِجِيفَـةِ اللُّحْمَانِ

❁ ما زال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ يتكلم عن أهل الكلام والفلسفة وما وصلوا إليه من انحراف وإعراض عن كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد يكون السبب في ذلك إعراضهم عن الدين وإقبالهم علىٰ الدنيا؛ ولذلك فإنك إذا أتيتهم بأي دليل من كتاب أو سنة أو أثر سلفي قابلوه بقواعدهم الفلسفية وآرائهم المنطقية الفاسدة، لأن قلوبهم قد أشربت البدع وعلم الكلام الذي أبعدهم عن الله وأقسىٰ قلوبهم وأصم آذانهم وأعمىٰ أبصارهم عن سماع ورؤية الحق فافتتن فقهاؤهم وقراؤهم بالتكالب علىٰ الدنيا ومزاحمة أهلها وإيثارها علىٰ الآخرة والدين، فإذا وصل المرء إلىٰ هذه الحال فلا خير في حياته.

ولاخير في عيش امرء لم يكن له من الله في دار القرار نصيب

وقال آخر:

حياة بلا علم حياة ذميمة وعلم بلا تقوىٰ كلام مضيّع

يقول الله تَعَالَىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلى: ١٦ - ١٧].

وقوله:

٦٠٧- يَا أَشْعَرِيَّةُ هَلْ شَعَرْتُمْ أَنَّنِي رَمَدُ الْعُيُونِ وَحِكَّةُ الْأَجْفَانِ

٦٠٨- أَنَا فِي كُبُودِ الْأَشْعَرِيَّةِ قَرْحَةٌ أَرْبُو فَأَقْتُلُ كُلَّ مَنْ يَشْنَانِي

❁ هذا مثل ما تقدم من أنّ مقصود الشيخ ليس هو التفاخر ولا التعالي وإنما مقصوده الرد علىٰ هؤلاء لأنهم أعرضوا عن الكتاب والسنة فقال: إنني قذىٰ في أعينكم وشوكة في جفونكم فلتستعدوا للنزال إن كنتم صادقين يا من تركتم كتاب الله وراءكم ظهريًا وأقبلتم علىٰ علم الكلام والفلسفة الذي أضلكم وأعمىٰ قلوبكم وأبصاركم.

ويشبه نفسه رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكونه يقرعهم بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة من كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالقرحة التي تكبر في البطن شيئًا فشيئًا حتىٰ تقضي علىٰ صاحبها. والمقصود أنه قد وفقه الله وأعانه ليزيف أقوالهم وليدحض شبههم التي يلبسون بها علىٰ العامة.

ويقول: إنني دمغتكم بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة من الكتاب والسنة حتىٰ قلبت أمركم رأسا علىٰ عقب؛ فالذي تحتجون به يعود حجة عليكم، والشبه التي تتعلقون بها هي عليكم لا لكم.

ويقول: إن الله عَزَّوَجَلَّ بناء علىٰ وعده أن ينصر عباده المؤمنين وأن ينجي عباده المخلصين، فمهما كاد المتكلمون لأتباع السلف فإنهم سيبوؤون بالخسران حتىٰ إذا كان لهم صولة وجولة في فترة من الفترات فإن نهايتهم ستكون وخيمة، إذ أن العاقبة للمتقين.

وقوله:

٦١٢- وَالْحَمْدُ لِلهِ الْمُهَيْمِنِ دَائِمًا ... حَمْدًا يُلَقِّحُ فِطْنَتِي وَجَنَانِي

❁ يحمد الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ الذي يلهمه الصواب؛ لأن من توكل علىٰ الله كفاه: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

ومن اعتمد علىٰ هدي الكتاب والسنة فإنه لا يمكن لأحد أن يقف في طريقه أبدًا ﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ﴾ [الأنبياء: ١٨].

٦١٣- أَحَسِبْتُمُ يَا أَشْعَرِيَّةُ أَنَّنِي ... مِمَّنْ يُقَعْقَعُ خَلْفَهُ بِشِنَانِ

٦١٤- أَفَتُسْتَرُ الشَّمْسُ الْمُضِيئَةُ بِالسُّهَا ... أَمْ هَلْ يُقَاسُ الْبَحْرُ بِالْخُلْجَانِ

٦١٥- عَمْرِي لَقَدْ فَتَّشْتُكُمْ فَوَجَدْتُكُمْ ... حُمُرًا بِلَا عَنَنٍ وَلَا أَرْسَانِ

٦١٦- أَحْضَرْتُكُمْ وَحَشَرْتُكُمْ وَقَصَدْتُكُمْ ... وَكَسَرْتُكُمْ كَسْرًا بِلَا جُبْرَانِ

٦١٧- أَزَعَمْتُمُ أَنَّ الْقُرَانَ عِبَارَةٌ ... فَهُمَا كَمَا تَحْكُونَ قُرْآنَانِ

٦١٨- إِيمَانُ جِبْرِيلٍ وَإِيمَانُ الَّذِي ... رَكِبَ الْمَعَاصِيَ عِنْدَكُمْ سِيَّانِ

٦١٩- هَذَا الْجُوَيْهِرُ وَالْعُرَيْضُ بِزَعْمِكُمْ ... أَهُمَا لِمَعْرِفَةِ الْهُدَىٰ أَصْلَانِ

٦٢٠- مَنْ عَاشَ فِي الدُّنْيَا وَلَمْ يَعْرِفْهُمَا ... وَأَقَرَّ بِالْإِسْلَامِ وَالْفُرْقَانِ

٦٢١- أَفَمُسْلِمٌ هُوَ عِنْدَكُمْ أَمْ كَافِرٌ ... أَمْ عَاقِلٌ أَمْ جَاهِلٌ أَمْ وَانِ

٦٢٢- عَطَّلْتُمُ السَّبْعَ السَّمَوَاتِ الْعُلا ... وَالْعَرْشَ أَخْلَيْتُمْ مِنَ الرَّحْمَنِ

٦٢٣- وَزَعَمْتُمُ أَنَّ الْبَلَاغَ لِأَحْمَدٍ ... فِي آيَةٍ مِنْ جُمْلَةِ الْقُرْآنِ

٦٢٤- هَذِي الشَّقَاشِقُ وَالْمَخَارِقُ وَالْهَوَىٰ ... وَالْمَذْهَبُ الْمُسْتَحْدَثُ الشَّيْطَانِي

٦٢٥- سَمَّيْتُمُ عِلْمَ الْأُصُولِ ضَلَالَةً ... كَاسْمِ النَّبِيذِ لِخَمْرَةِ الْأَدْنَانِ

٦٢٦- وَنَعَتْ مَحَارِمُكُمْ عَلَىٰ أَمْثَالِكُمْ وَاللهُ عَنْهَا صَانَنِي وَحَمَانِي
٦٢٧- إِنِّي اعْتَصَمْتُ بِحَبْلِ شَرْعِ مُحَمَّدٍ وَعَضَضْتُهُ بِنَوَاجِذِ الأَسْنَانِ

❁ يقال: يقعقع خلفه بالشنان لمن ضعف عقله، وغالبًا يستخدم في حق المجانين عندما يؤذيهم الأطفال ويقعقعون خلفهم بالشنان، والشنان جمع شنة، وهي القربة اليابسة البالية. فيقول: أنا لست من ضعاف العقول الذين تهزؤون بهم وتقعقعون خلفهم بالشنان والقرب، وتضحكون عليهم، وتلبسون عليهم بشبه وقواعد ما أنزل الله بها من سلطان، ومن ذلك قولكم: لو كان كذا لكان كذا، ولو كان كذا لكان كذا وكذا....؛ لأني أتكلم من منطق متين، وآوي إلىٰ ركن شديد، علىٰ نور من الله.

وقوله:

٦١٤- أَفَتُسْتَرُ الشَّمْسُ الْمُضِيئَةُ بِالسُّهَا أَمْ هَلْ يُقَاسُ الْبَحْرُ بِالْخُلْجَانِ

❁ **السُّها**[1]: كوكب خافت الضوء، والشمس معروفة، **والخليج**: الفرع الممتد من البحر.

يقول: إنه لا يمكن أن تقارن الشمس بالسها ولا يمكن أن يقارن الصبح بالدجىٰ ولا يمكن أن يقارن الثَّرىٰ بالثريا ولا يمكن ان يقارن البحر بالخليج؛ **يعني**: أن النصوص من الكتاب والسنة البينة الواضحة لا يمكن سترها ولا ردها بحجج أهل الكلام الواهية وآرائهم الضعيفة الكاسدة.

إذا عيّر الطائي بالبخل مادر وعيرّ قسا بالفهاهة باقل

(١) في «لسان العرب» (١٤/ ٤٠٦): السُّها: كُوَيكِبٌ صغير خَفِيٌّ الضَّوء في بنات نَعْش الكبرىٰ والناس يَمْتَحِنون به أَبصارَهم يقال إنه الذي يُسَمَّىٰ أَسْلَم مع الكوكبِ الأَوسط من بنات نعْشٍ وفي المثل أُرِيها السُّها وتُرِيني القمر.

وقـال السهىٰ للشمس أنـت ضئيلة ... وقـال الدجىٰ للصبح لونك حائل
وطـاولـت الأرض الـسـمـاء سفاهة ... وفـاخـرت الشهب الحصىٰ والجنادل
فـيـا مـوت زُرْ إِنَّ الـحَـيَـاةَ ذَمِيمةٌ ... ويَـا نَفسُ جِـدِّي إِنَّ دهْـرَكِ هـازِلُ[1]

ومن شعر القاضي عبد الوهاب البغدادي:

متىٰ تـصـل الـعـطـاش إلىٰ ارتـواء ... إذا اسـتـقـت الـبـحـار مـن الـركـايا
وإنّ تـرفـع الـوضـعـاء يـومـا ... علىٰ الـرفـعـاء مـن إحـدىٰ البلايا
إذا اسـتـوت الأسـافـل والأعـالـي ... فـقـد طـابـت مـنـادمـة المـنـايـا

وقوله:

٦١٥- عُمْرِي لَقَدْ فَتَّشْتُكُمْ فَوَجَدْتُكُمْ ... حُمُـــرًا بِـلَا عَـنَـنٍ وَلَا أَرْسَـانِ

* يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنه بسبب إعراضكم عن الكتاب والسنة فالذي يخبركم ويفتش عن حقيقتكم يجد أنكم كالحمر التي ليس لها أزمة تقاد بها ولا خطم تكبح جماحها؛ فشبههم بالحمر، وقد شبه الله الكفار بالحمر المستنفرة: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝٥٠ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر: ٥١]؛ فالذي يدين بعلم الكلام ويعرض عن الوحي يكاد يكون كالحمار يحمل أسفارًا، ويستبدل الذي هو أدنىٰ بالذي هو خير.

وقوله:

٦١٦- أَحضَرْتُكُمْ وَحَشَرْتُكُمْ وَقَصَدْتُكُمْ ... وَكَـسَـرْتُـكُـمْ كَـسْـرًا بِـلَا جُـبْرَانِ

* يقول: إنه جمع مقالاتهم وردها وقضىٰ عليها فكسرها كسرا لا يكون بعده جبران كالقلوب إذا تنافرت؛

إِنّ الـقُـلـوبَ إذا تـنـافـر ودُّهـا ... شِبْـهُ الـزُجَـاجَـةِ كـسْـرُهـا لا يُـشْعَبُ

(١) «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد (١/ ٤٥٤).

لأنه ليس عندهم حجة ولا برهان يعتمد فكانت حججهم أوهىٰ من بيت العنكبوت.

وقوله:

٦١٧- أَزَعَمْتُمُ أَنَّ الْقُرَانَ عِبَارَةٌ فَهُمَا كَمَا تَحْكُونَ قُرْآنَانِ

❁ الأشعرية والماتريدية هم القائلون: إن القرآن عبارة أو حكاية عن كلام الله؛ إذ أن كلام الله عندهم هو الكلام النفسي.

وعليه فكأنهم بهذا يقولون بأن هناك قرآنين: قرآن في نفس الله وهو الكلام القائم بالنفس وقرآن يعبر به عن ذلك وهو الذي بين أيدينا.

فيا ترىٰ من الذي عبر عن الله سُبْحَانَهُ؟ أهو جبريل أم محمد ﷺ؟ أم أنهم يهذون بكلام لا يعلمون حقيقة ما يترتب عليه من اللوازم الفاسدة - تعالىٰ الله عما يقولون علوًّا كبيرًا -.

وقوله:

٦١٨- إِيمَانُ جِبْرِيلٍ وَإِيمَانُ الَّذِي رَكِبَ الْمَعَاصِيَ عِنْدَكُمْ سِيَّانِ

❁ يقول عن المرجئة الأشاعرة عندما تقولون إن الإيمان هو مجرد التصديق، فإنه حينئذ لا فرق عندكم بين إيمان جبريل وإيمان أفسق الناس، وبين إيمان أبي بكر وإيمان أفجر الناس...

يعني أنكم تسوون بين الإيمان المطلق ومطلق الإيمان، فلا فرق عندكم والحال هذه بين المطيع والعاصي، وهؤلاء هم المرجئة الذين يقولون لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع

مع الكفر طاعة؛ وهذه هي عقيدة الأشعرية والماتريدية وقبلهم الجهمية، فاستحل غلاتهم بذلك المعاصي واستباحوا المحرمات.

وقوله:

٦١٩- هَذَا الْجُوَيْهِرُ وَالْعُرَيْضُ بِزَعْمِكُمْ — أَهُمَا لِمَعْرِفَةِ الْهُدَىٰ أَصْلَانِ

٦٢٠- مَنْ عَاشَ فِي الدُّنْيَا وَلَمْ يَعْرِفْهُمَا — وَأَقَرَّ بِالْإِسْلَامِ وَالْفُرْقَانِ

٦٢١- أَفَمُسْلِمٌ هُوَ عِنْدَكُمْ أَمْ كَافِرٌ — أَمْ عَاقِلٌ أَمْ جَاهِلٌ أَمْ وَانِ

٦٢٢- عَطَّلْتُمُ السَّبْعَ السَّمَوَاتِ الْعُلَا — وَالْعَرْشَ أَخْلَيْتُمْ مِنَ الرَّحْمَنِ

٦٢٣- وَزَعَمْتُمُ أَنَّ الْبَلَاغَ لِأَحْمَدٍ — فِي آيَةٍ مِنْ جُمْلَةِ الْقُرْآنِ

٦٢٤- هَذِي الشَّقَاشِقُ وَالْمَخَارِقُ وَالْهَوَىٰ — وَالْمَذْهَبُ الْمُسْتَحْدَثُ الشَّيْطَانِي

٦٢٥- سَمَّيْتُمُ عِلْمَ الْأُصُولِ ضَلَالَةً — كَاسْمِ النَّبِيذِ لِخَمْرَةِ الْأَدْنَانِ

٦٢٦- وَنَعَتْ مَحَارِمُكُمْ عَلَىٰ أَمْثَالِكُمْ — وَاللهُ عَنْهَا صَانَنِي وَحَمَانِي

❁ يشير رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ بعض مصطلحات أهل الكلام، ومن ذلك: الجوهر والعرض اللذان هما أصل كل شيء عندهم.

والجوهر: هو الجسم الذي يقوم بنفسه. والعرض: هو ما يقوم بغيره ولا يقوم بنفسه.

فمن كلامهم المرتب علىٰ هذه الاصطلحات الخبيثة: أن الله لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل ولا منفصل ولا فوق ولا تحت ولا جوهر ولا عرض... إلخ، ويزعمون بهذا أنهم يريدون التنزيه، وإنما وقعوا بذلك أولا في التشبيه حيث ظنوا أن صفات الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تشبه صفات خلقه. فلما وقعوا في ذلك وجدوا أنفسهم

مضطريـن إلىٰ التعطيل، ثم إنهم لما تبين لهـم أن التعطيل قد يؤخذ عليهم لأنه لا مدح فيه ولا كمال لجأوا إلىٰ التأويل - تعالىٰ الله عما يقولون علوًّا كبيرًا -.

ويقـول الناظـم ملزمًا إياهـم: أرأيتم من تقدم من الصحابة والتابعين ومن سـار علىٰ نهجهم ممن لم يعـرف الجوهر ولا العرض ولا غيرهما مـن مصطلحاتكم، هل كانوا مسـلمين عندكم أم كفارا؟ أم علماء عندكم أم جهالا؟ أم كانوا متوانين عن الوصول إلىٰ الحق بزعمكم لكونهم لم يعلموا المصطلحات المنطقية.

وقوله:

٦٢٢- عَطَّلْتُمُ السَّبْعَ السَّمَوَاتِ الْعُلا وَالْـعَـرْشَ أَخْـلَـيْـتُـمْ مِـنَ الـرَّحْمَـنِ

* يقول: إنكم عطلتم السبع السماوات العلا التي ذكر الله أنه فوقها جميعًا، بل فوق عرشـه سُبْحَانَهُ وزعمتم أن الله لم يسـتو علىٰ عرشـه، وأنـه ليس في العلـو، وعبر عن ذلك بقوله: «والعرش أخليتم من الرحمن»، **يعني:** أنكم كذبتم القرآن من حيث تشعرون أولًا تشـعرون، حيث جاءت أدلة الاسـتواء في سـبعة مواضع من القرآن، ويقال لكم والحال هذه: إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل.

وقوله:

٦٢٣- وَزَعَـمْـتُـمُ أَنَّ الْـبَـلَاغَ لِأَحْمَـدٍ فِي آيَـــةٍ مِـــنْ جُـمْـلَـةِ الْـقُـرْآنِ

* **يعني:** أعرضتم عن آيات القرآن وتمسكتم بالقواعد الفلسفية والمنطقية، وتدعون أنكم تنزهون الله وتدعون أنكم تؤمنون بـ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ولكنكم عطلتم ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. مع أن الآية التي تدعون أنكم تسـتدلون بها عندما تعطلون صفات الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أولها تسـتدلون بـه بينما تعطلون آخرها، فآمنوا

بالآية كلها، أما أن تؤمنوا بصدرها وتكفروا بآخرها، فهذا لا يعقل؛ فالذي قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ هو الذي قال: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، والذي قال: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] هو الذي قال: ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، وهو الذي قال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤]، وهو الذي قال: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦ - ٢٧]. فلا تؤمنوا ببعض الكتاب وتكفروا ببعض.

وقوله:

٦٢٤- هَذِي الشَّقَاشِقُ وَالْمَخَارِقُ وَالْهَوَىٰ وَالْمَذْهَبُ الْمُسْتَحْدَثُ الشَّيْطَانِي

❁ يعني هذا الذي تدْعون إليه يا أهل الكلام والفلسفة، لا يعدو أن يكون شقشقة في الكلام ومخاريق واتباعا للهوىٰ ومذهبا شيطانيا يتنزه عنه العقلاء:

أعيذها نظرات منك صادقة أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

وشقشقة الكلام أصلًا من شقشقة الطيور ويتوسع فيها فيقال للذي يكثر الكلام دونما فائدة إنه يشقشق، المخاريق والحماقات والكلام العاري عن الحجة والدليل.

لكل داء دواء يستطب له إلا الحماقة أعيت من يداويها

فيقول: إن هؤلاء حمقىٰ وإلا لما رغبوا عن هدي الكتاب والسنة واستعاضوا عنه بالمنطق والفلسفة.

عن سالم بن عبد الله قال سمعت عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا خير له من أن يمتلئ شعرا**»(١).

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» [٦١٥٤]، وأحمد [٤٩٧٥].

وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والله الذي لا إله غيره لأن ألقىٰ الله بعمل غير الشرك أحب إلي من أن ألقاه بعلم الكلام».

وقوله:

٦٢٥- سَمَّيْتُمُ عِلْمَ الأُصُولِ ضَلالَةً ... كَاسْمِ النَّبِيذِ لِخَمْرَةِ الأَدْنَانِ

❁ يقول إنكم ترون الهدىٰ ضلالا والضلال هُدىٰ فتسمون الأشياء بغير اسمها بإعراضكم عن مصادر التشريع إلىٰ الأصول الفلسفية، معتبرين أنه طريق الهدىٰ وهو محض الضلال كمن يستحل الخمر فيشربها ويسميها بغير اسمها، وهذا دليل علىٰ انتكاس الفطرة عندكم وانعكاس المفاهيم ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [فَاطِر: ٨].

يقضىٰ علىٰ المرء في أيام محنته ... حتىٰ يرىٰ حسنًا ما ليس بالحسن

❁ لذلك تجد أهل البدع يعرضون عن السنة، وقد يسمونها بدعة ويغرقون في البدع ويعتبرونها سننا، فكلما أوغلوا في ارتكاب البدع تركوا من السنن مثل ذلك - والعياذ بالله - حتىٰ إنك في نهاية المطاف لا تجد عندهم من معالم السنن شيئًا.

يقول حسان بن عطية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها ثم لا يعيدها عليهم إلي يوم القيامة»[(١)].

وقوله:

٦٢٦- وَنَعَتْ مَحَارِمُكُمْ عَلَىٰ أَمْثَالِكُمْ ... وَاللهُ عَنْهَا صَانَنِي وَحَمَانِي

---

(١) أخرجه الدارمي في سننه (١/ ٥٨).

* يقول: من البدع التي ارتكستم فيها أن نساءكم ينعينكم بأصوات منكرة وبالنياحة ولطم الخدود وشق الجيوب، ويحمد الله أن صانه وحصنه من هذه البدع والخزعبلات والخرافات بلزومه السنة واتباعه منهج السلف الصالح - فمن عوفي فليحمد الله -.

وقوله:

٦٢٧- إِنِّي اعْتَصَمْتُ بِحَبْلِ شَرْعِ مُحَمَّدٍ ... وَعَضَضْتُهُ بِنَوَاجِذِ الأَسْنَانِ

٦٢٨- أَشَعَرْتُمُ يَا أَشْعَرِيَّةُ أَنَّنِي ... طُوفَانُ بَحْرٍ أَيُّمَا طُوفَانِ

٦٢٩- أَنَا هَمُّكُمْ أَنَا غَمُّكُمْ أَنَا سُقْمُكُمْ ... أَنَا سُمُّكُمْ فِي السِّرِّ وَالإِعْلَانِ

٦٣٠- أَذْهَبْتُمُ نُورَ الْقُرْآنِ وَحُسْنَهُ ... مِنْ كُلِّ قَلْبٍ وَالِهٍ لَهْفَانِ؛

* أي: أنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ يعتصم ويحتمي بشرع محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فبه يصول وبه يجول، وهو الملجأ والركن الشديد لا غيره، من لجأ إليه فاز ونجا، ومن حاد عنه يمينًا أو شمالًا انهزم وهلك.

ويشير بقوله:

٦٣٠- أَذْهَبْتُمُ نُورَ الْقُرْآنِ وَحُسْنَهُ ... مِنْ كُلِّ قَلْبٍ وَالِهٍ لَهْفَانِ

* إلىٰ أن من يعتقد أن القرآن حكاية أو عبارة عن كلام الله وشطح عن الحق في ذلك لا يمكن له أن يتلذذ بكلام الله ولا أن يشتاق إلىٰ سماعه وقراءته؛ لأن القرآن ليس كلام الله في الحقيقة عنده - والعياذ بالله - والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إني أحب أن أسمعه من غيري**»... الحَدِيث، ويقول الله جَلَّ وَعَلَا منوها ومادحا لمن يتأثر بسماع القرآن: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المَائدة: ٨٣].

قال الشيخ حافظ الحكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كفىٰ وحسبك بالقرآن معجزة ... دامت لدينا دوما غير منصرم
لم يعتره قط تبديل ولا غير ... وجلّ في كثرة الترداد عن سأم
مهيمنا عربيا غير ذي عوج ... مصدقا جاء في التنزيل في القدم
لم تلبث الجن إذ أصغت لتسمعه ... أن بادروا نذرا منهم لقومهم
الله أكبر ما قد حاز من عبر ... ومن بيان وإعجاز ومن حكم
والله أكبر إذ أعيت بلاغته ... وحسن تركيبه للعرب والعجم
كم ملحد رام أن يبدي معارضة ... فعاد بالذل والخسران والرغم
أنىٰ وكيف ورب العرش قائله ... سبحانه جلّ عن شبه له وسَمي
ما كان خَلقا ولا فيضا تصوره ... نبينا لا ولا تعبير ذي نسم
بل قاله ربنا قولا وأنزله وحيا ... علىٰ قلبه المستيقظ الفهم
والله يشهد والأملاك شاهدة ... والرسل مع مؤمني العربان والعجم[1]

وقوله:

٦٣١- فَوَحَقِّ جَبَّارٍ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ... مِنْ غَيْرِ تَمْثِيلٍ كَقَوْلِ الْجَانِي
٦٣٢- وَوَحَقِّ مَنْ خَتَمَ الرِّسَالَةَ وَالْهُدَىٰ ... بِمُحَمَّدٍ فَزَهَا بِهِ الْحَرَمَانِ

❁ أقسم الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالله الذي علىٰ العرش استوىٰ وبين أن هذا القسم قسم حق خلافا لما ذكره الجاني ممن يؤول صفات الله جَلَّ وَعَلَا أو يعطلها أو ينفيها أو يفوضها أو يشبه الله بخلقه في صفاته؛ فهؤلاء كلهم جناة، سواء في ذلك المشبهة أو المعطلة.

وقوله «علىٰ العرش استوىٰ» هو نص القرآن، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، استوىٰ استواء يليق بجلاله وعظمته.

(١) «المنظومة الميمية» للشيخ حافظ الحكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ثم كرر القسم بحق من ختم الرسالة بالنبي ﷺ، وهو الله عَزَّوَجَلَّ، فنبينا محمد ﷺ هو الذي ختمت به الرسالات؛ ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وقال رسول الله ﷺ: «**كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وإنه لا نبي بعدي**»[١].

وقوله: «فزها به الحرمان» أي: أن الحرمين الشريفين ازدانا برسول الله ﷺ، فقد أم بهما وتعبد الله فيهما فازدادا جمالا علىٰ جمال بذلك.

وقوله:

٦٣٣- لَأُقَطِّعَنَّ بِمِعْوَلِي أَعْرَاضَكُمْ مَا دَامَ يَصْحَبُ مُهْجَتِي جُثْمَانِي

هذا جواب القسم لأنه أقسم بالله أيمانا مغلظة: لأقطعن أوصالكم ما دامت روحي في جسدي.

والمقصود بكلامه هذا، أي: لأقطعنّ كلامكم وآراءكم بدمغها بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ [الأنبياء: ١٨].

وقوله:

٦٣٤- وَلَأَهْجُوَنَّكُمُ وَأَثْلِبُ حِزْبَكُمْ حَتَّىٰ تُغَيِّبَ جُثَّتِي أَكْفَانِي

❁ معطوف علىٰ جواب القسم؛ يقول: لأشتغلنّ بهجائكم ولأشتغلنّ بتصحيح آراءكم حتىٰ تفارق روحي جسدي وحتىٰ أكفنّ بأكفاني وأدفن في قبري.

---

(١) أخرجه البخاري [٣٤٥٥]، ومسلم [١٨٤٢] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والمقصود أنه سيستمرّ في الرد عليهم، وليس المراد بالهجو مجرد السب هنا وإن كان هجاء الكفار والمبتدعة يجوز إذا لم يترتب عليه مفسدة أعظم. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

وقوله:

٦٣٥- وَلَأَهْتِكَنَّ بِمَنْطِقِي أَسْتَارَكُمْ ... حَتَّىٰ أُبَلِّغَ قَاصِيًا أَوْ دَانِي

٦٣٦- وَلَأَهْجُونَّ صَغِيرَكُمْ وَكَبِيرَكُمْ ... غَيْظًا لِمَنْ قَدْ سَبَّنِي وَهَجَانِي

❁ أيضًا يقول إنه سيهتك عوَارهم ويكشف مخازيهم بالرد عليهم ودحض شبههم وبيان الحق بدليله. لا فرق عنده في ذلك بين صغيرهم وكبيرهم إذ الكل سادر في الضلال لإيذائهم لأهل السنة وإعراضهم عن قبول الحق.

يقول: بما أنكم سببتموني من أجل نصرتي لدين الله ونصرتي لتوحيد الله عَزَّوَجَلَّ وإثبات أسمائه وصفاته فلأهجونّ صغيركم وكبيركم ببيان الحق بدليله وبدحض شبهكم وبقمع بدعكم وبإحياء السنة التي تقمع بها بدعكم التي أحدثتموها في دين الله. والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أذن لحسان بهجاء المشركين وكذلك الحال في المبتدعة إذا لم يترتب عليه فتنة، بل قد يتعين ذلك لإيقافهم عند حدهم وليحذر المسلمون شرهم.

وقوله:

٦٣٧- وَلَأُنْزِلَنَّ بِكُمْ أَلِيمَ صَوَاعِقِي ... وَلَتُحْرِقَنَّ كُبُودَكُمْ نِيرَانِي

❁ كلّ هذا كما تقدم يعني به ردّ شبههم بالكتاب والسنة وإقامة الأدلة والبراهين القاطعة التي تقطع أوصال شبههم.

وقوله:

٦٣٨- وَلأَقْطَعَنَّ بِسَيْفِ حَقِّي زُورَكُمْ وَلَيُخْمِدَنَّ شُوَاظَكُمْ طُوفَانِي

❁ أيضًا كذلك عبر بهذه العبارة العظيمة؛ يقول: إني أقطع بسيفي - أي: بلساني - زوركم وبهتانكم؛ فهو يشبه دمغه للباطل بالطوفان الذي يطفئ النيران مهما عظمت.

وقوله:

٦٣٩- وَلأَقْصِدَنَّ اللهَ فِي خِذْلَانِكُمْ وَلَيَمْنَعَنَّ جَمِيعَكُمْ خِذْلَانِي

❁ هذا كله رجاء في الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لأنه يبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة، لذلك فإنه واثق من نصر الله له وخذلان أعدائه من أهل الكلام، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الرُّوم: ٤٧].

وقال سُبْحَانَهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [مُحَمَّد: ٧].

ويقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتىٰ يأتيهم أمر الله وهم علىٰ ذلك»**[1].

وقوله:

٦٤٠- وَلأَحْمِلَنَّ عَلَىٰ عُتَاةِ طُغَاتِكُمْ حَمْلَ الأُسُودِ عَلَىٰ قَطِيعِ الضَّانِ

٦٤١- وَلأَرْمِيَنَّكُمْ بِصَخْرِ مَجَانِقِي حَتَّىٰ يَهُدَّ عُتُوَّكُمْ سُلْطَانِي

❁ فهو في معنىٰ ما تقدم، يقول: سوف أحمل عليكم بكل ما آتاني الله من قوة وبرهان حتىٰ أقضي علىٰ باطلكم كما تقضي الأسود علىٰ الضأن والغنم.

---

(١) أخرجه البخاري [٣٥٣٢]، ومسلم [٢٣٥٤] من حديث جبير بن مطعم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وقوله:

٦٤٢- وَلَأَكْتُبَنَّ إِلَىٰ الْبِلَادِ بِسَبِّكُمْ فَيَسِيرُ سَيْرَ الْبُزْلِ بِالرُّكْبَانِ

❁ سأرسل إلىٰ جميع الأمصار والأقطار بفضيحتكم وتسفيه عقولكم وآرائكم بما وقعتم فيه من تأويل لصفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وخوض في الإيمان بلا دليل ولا برهان حتىٰ يسير به الركبان في كل مكان فيدحض ما أضللتم به الناس.

والبزل: جمع بازل، وهو الجمل الكبير القوي.

قال الشاعر:

عذرت البزل إذ هي صاولتني فما بالي وبال ابن اللبون[1]

وقوله:

٦٤٣- وَلَأُدْحِضَنَّ بِحُجَّتِي شُبُهَاتِكُمْ حَتَّىٰ يُغَطِّيَ جَهْلَكُمْ عِرْفَانِي

❁ نعم! لأن الإسلام يعلو ولا يعلىٰ والحق يعلو ولا يعلىٰ، والحق أبلج، والباطل لجلج، فإذا أقمت عليكم الحجة فعندها تنهد قواعدكم من البنيان، وشبهكم من الأساس حتىٰ تبدد تلك الشبه فتصبح سرابا بقيعة أو هباء تذروه الرياح.

وقوله:

٦٤٤- وَلَأَغْضَبَنَّ لِقَوْلِ رَبِّي فِيكُمُ غَضَبَ النُّمُورِ وَجُمْلَةِ الْعُقْبَانِ

❁ يقول: لأغضبنّ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حتىٰ أبدد آراءكم الفاسدة. وإن من أوثق عرىٰ الإسلام - كما تقدم - الحب في الله والبغض في الله.

(١) «معاهد التنصيص علىٰ شواهد التلخيص» (١/ ٣٤٠).

وشبه شدة غضبه لله عَزَّوَجَلَّ بغضب أعتىٰ الكواسر والجوارح من السباع والطيور.

وقوله:

٦٤٥- وَلَأَضْرِبَنَّكُمُ بِصَارِمِ مِقْوَلِي ... ضَرْبًا يُزَعْزِعُ أَنْفُسَ الشُّجْعَانِ

٦٤٦- وَلَأُسْعِطَنَّ مِنَ الْفُضُولِ أُنُوفَكُمْ ... سَعْطًا يُعَطِّسُ مِنْهُ كُلُّ جَبَانِ

المقول هنا: هو اللسان، والمقصود بذلك: أنني سأحمل عليكم بما وهبني الله من الآيات القاطعة والبراهين الساطعة حتىٰ اقضي علىٰ جميع معتقداتكم الفاسدة.

وقوله:

٦٤٧- إِنِّي بِحَمْدِ اللهِ عِنْدَ قِتَالِكُمْ ... لَمُحْكِمٌ فِي الْحَرْبِ ثَبْتَ جَنَانِ

٦٤٨- وَإِذَا ضَرَبْتُ فَلَا تَخِيبُ مَضَارِبِي ... وَإِذَا طَعَنْتُ فَلَا يَرُوغُ طِعَانِي

٦٤٩- وَإِذَا حَمَلْتُ عَلَىٰ الْكَتِيبَةِ مِنْكُمُ ... مَزَّقْتُهَا بِلَوَامِعِ الْبُرْهَانِ

٦٥٠- الشَّرْعُ وَالْقُرْآنُ أَكْبَرُ عُدَّتِي ... فَهُمَا لِقَطْعِ حِجَاجِكُمْ سَيْفَانِ

٦٥١- ثَقُلَا عَلَىٰ أَبْدَانِكُمْ وَرُءُوسِكُمْ ... فَهُمَا لِكَسْرِ رُءُوسِكُمْ حَجَرَانِ

٦٥٢- إِنْ أَنْتُمُ سَالَمْتُمُ سُولِمْتُمُ ... وَسَلِمْتُمُ مِنْ حَيْرَةِ الْخِذْلَانِ

٦٥٣- وَلَئِنْ أَبَيْتُمْ وَاعْتَدَيْتُمْ فِي الْهَوَىٰ ... فَنِضَالُكُمْ فِي ذِمَّتِي وَضَمَانِي

❁ بين الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه عند مجادلته للمبتدعة رابط الجأش، ثابت الجنان؛ لأنه إنما يقرع شبههم الواهية بأعظم حجة وأبلغ برهان وأفضل دليل وأقوىٰ ركن، وهو الوحي: كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة رسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومن كان هذا أساس دعوته فهو المنتصر بحول الله وقوته، ومن حاد عن هذا القبيل ضلّ السبيل، وجانب الدليل، وخالف التنزيل، ووقع في حبائل الشياطين التي

تـؤزه أزًّا؛ ولـذا تجدهم في أمر مريج، وشـقاق بعيد، واختـلاف عظيم، قَالَتَعَالَىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

أما من اعتصم بحبل الله المتين، وصراطه المستقيم، وسـلك سبيل المؤمنين، وسار علىٰ الجادة التي هي منهج الأنبياء والمرسلين فإنه المنصور بإذن الله تَعَالَىٰ عاجلًا أو آجلًا: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

ويقـول أيضًا بأن الله يسـدد سـهامه وطعانه بالحـق بالأدلة الصحيحـة، والبراهين الدامغة: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨].

ويقـول لهـم: إذا كانـت سـيوفكم قال سـقراط، وقال بقـراط، وقال جهـم، وقال واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد وقال، وقال... فإن عدتي وسيفي كتاب الله تَعَالَىٰ وسنة رسوله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ ذانكم السيفان اللذان لن يغمدا، ولن يهزم من قارع وتسلح بهما.

يـا نـاطـح الجـبـل الـعـالـي ليوهنه   أشفق علىٰ الرأس لا تشفق علىٰ الجبل

وقوله:

٦٥٢- إِنْ أَنْـتُـمُ سَالَـمْـتُـمُ سُولِمْتُمُ   وَسَـلِـمْـتُـمُ مِـنْ حَـيْـرَةِ الْخِـذْلَانِ

٦٥٣- وَلَئِنْ أَبَيْتُمْ وَاعْتَدَيْتُمْ فِي الْهَوَىٰ   فَـنِـضَـالُـكُـمْ فِي ذِمَّـتِي وَضَـمَـانِـي

❁ **يعـرض** رَحِمَهُٱللَّهُ **عليهـم خيارين:** إما خيار طريق المسالمة والرجوع إلىٰ الحق، إذ الرجـوع إلىٰ الحـق خير من التـمادي في الباطل، وهـذا خـير لكم يا أيها المؤولـة في دنياكم وأخراكـم وعاقبـة أمركم، وهو طريـق إنقاذكم من حيرة التعطيـل والتأويل، وإن كانت الأخـرىٰ بأن تماديتـم في العدوان والضلال؛ فاستعدوا لنزال من لا طاقـة لكم ولا قِبل لكم به.

وقوله:

٦٥٤- يَا أَشْعَرِيَّةُ يَا أَسَافِلَةَ الْوَرَىٰ	يَا عُمْيُ يَا صُمٌّ بِلاَ آذَانِ
٦٥٥- إِنِّي لأُبْغِضُكُمْ وَأُبْغِضُ حِزْبَكُمْ	بُغْضًا أَقَلُّ قَلِيلِهِ أَضْغَانِي
٦٥٦- لَوْ كُنْتُ أَعْمَىٰ الْمُقْلَتَيْنِ لَسَرَّنِي	كَيْ لَا يَرَىٰ إِنْسَانَكُمْ إِنْسَانِي
٦٥٧- تَغْلِي قُلُوبُكُمُ عَلَيَّ بِحَرِّهَا	حَنَقًا وَغَيْظًا أَيَّمَا غَلَيَانِ
٦٥٨- مُوتُوا بِغَيْظِكُمُ وَمُوتُوا حَسْرَةً	وَأَسًىٰ عَلَيَّ وَعَضُّوا كُلَّ بَنَانِ
٦٥٩- قَدْ عِشْتُ مَسْرُورًا وَمِتُّ مُخَفَّرًا	وَلَقِيتُ رَبِّي سَرَّنِي وَرَعَانِي
٦٦٠- وَأَبَاحَنِي جَنَّاتِ عَدْنٍ آمِنًا	وَمِنَ الْجَحِيمِ بِفَضْلِهِ عَافَانِي
٦٦١- وَلَقِيتُ أَحْمَدَ فِي الْجِنَانِ وَصَحْبَهُ	وَالْكُلُّ عِنْدَ لِقَائِهِمْ أَدْنَانِي
٦٦٢- لَمْ أَدَّخِرْ عَمَلًا لِرَبِّيَ صَالِحًا	لَكِنْ بِإِسْخَاطِي لَكُمْ أَرْضَانِي
٦٦٣- أَنَا تَمْرَةُ الْأَحْبَابِ حَنْظَلَةُ الْعِدَا	أَنَا غُصَّةٌ فِي حَلْقِ مَنْ عَادَانِي

❁ الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ قسا عليهم هنا لأنهم بعدوا عن الجادة حتىٰ صاروا في ذيل القافلة.

يقول: إنكم جئتم بأمر لم يأت به الأوائل، فصمت آذانكم عن الحق، وعميت أعينكم عن إبصار الهدىٰ، وقست قلوبكم عن الاهتداء بهدي الكتاب والسنة، واعتمدتم علىٰ آراء الفلاسفة والمتكلمين الذين أوقعوكم في حبائل الشيطان وضلالاته.

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في العشائر والأسواق، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة إلىٰ علم الكلام»[١].

(١) «شرح الطحاوية»، ص: [٧٢].

ويبين رَحِمَهُ اللَّهُ أنه يبغض أهل البدع وخاصة أهل الكلام، وأنه يمتلئ قلبه غيظا عليهم، وهذا من البغض في الله - ونحن مأمورون بالحب في الله والبغض في الله، بل إن هذا هو أوثق عرىٰ الإيمان.

يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن أوثق عرىٰ الإيمان أن تحب في الله وتبغض في الله**»[1].

ويقول: إن النظر إليكم لا يسر لبعدكم عن هدي الكتاب والسنة، وهذا كله من باب البغض للبدع وأهلها.

وإنكم إن لم ترتدعوا من غيكم وحقدكم وبغضكم لأهل السنة الذي بلغ حدًّا لا يطاق حيث تجهّلونهم وتسمونهم بالحشوية، وتسمونهم بالنابتة، وتسمونهم بالنواصب، وبعلماء الحيض والنفاس... يقول: هذا من الحقد الكامن في قلوبكم علىٰ أهل السنة، ولكن كما قال الشاعر:

مَا يضر البَحرَ أمسَىٰ زَاخِرًا أن رَمَىٰ فيهِ غُلامٌ بِحَجَر[2]

وإنه لأحرىٰ بكم قول الله تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١١٩]، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يرويه عن ربه عَزَّ وَجَلَّ: «**من عادىٰ لي وليًّا فقد آذنته بالحرب**»[3].

---

(١) أخرجه الطيالسي في مسنده [٧٤٧]، وأحمد [١٨٥٤٧]، وابن أبيٰ شيبة [٣٤٣٣٨] من حديث البراء ابن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» [٢٠٠٩].

(٢) «البيت ينسب» للأخطل، ديوانه: ص [٤٧٢].

(٣) أخرجه البخاري [٦٥٠٢] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثم وصف الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ قوة رجائه في الله عَزَّوَجَلَّ لدفاعه عن السنة وثباته علىٰ عقيدة التوحيد، فيرجو من ربه ما يرجوه كل موحد سني من السرور والحبور والفوز بالجنة والنجاة من النار كما يرجو ربه أن يجعله في كلاءته ورعايته لحفظه دين الله عَزَّوَجَلَّ في نفسه، والدعوة والصبر علىٰ الأذىٰ فيه، قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابن عباس: «**احفظ الله يحفظك**»(١)، وقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يرويه عن الله تَعَالَىٰ: «**من عادىٰ لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتىٰ أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه**»(٢).

ويبين أنه يرجو الله بهذا العمل الطيب الذي هو نصر السنة وقمع البدعة أن يجمعه ربه بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحبه في الجنة. وهذه أمنية كل مسلم - نسأل الله أن يجعلنا وإياكم كذلك -.

ثم بين أن الله قد سلطه عليهم فهو بالنسبة للمؤمنين كالتمرة النافعة التي يطيب أكلها، وللمبتدعة والمعتدين كالحنظلة الضارة التي لا تستساغ.

والمقصود بذلك أنه يحمد الله عَزَّوَجَلَّ أن جعله ناصرا لدينه معرضًا عن البدع وأهلها، رادا لشبهاتهم وقامعا لأباطيلهم ومقيما للحجة عليهم.

---

(١) تقدم تخريجه في ص: [١٠٨].

(٢) تقدم تخريجه في ص: [٤٠٩].

وفي الأبيات الإشارة إلىٰ الحديث في وصف المؤمن الموحد والمنافق، قال رسول الله ﷺ: «**مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر**»(١).



(١) أخرجه البخاري [٥٠٢٠] من حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



اعتزاز الناظم بقومه في نصرة دين الله عَزَّوَجَلَّ

٦٦٤- وَأَنَا الْمُحِبُّ لِأَهْلِ سُنَّةِ أَحْمَدٍ ... وَأَنَا الْأَدِيبُ الشَّاعِرُ الْقَحْطَانِي

٦٦٥- سَلْ عَنْ بَنِي قَحْطَانَ كَيْفَ فِعَالُهُمْ ... يَوْمَ الْهِيَاجِ إِذَا الْتَقَىٰ الزَّحْفَانِ

٦٦٧- سَلْ كَيْفَ نَثْرُهُمُ الْكَلَامَ وَنَظْمُهُمْ ... وَهُمَا لَهُمْ سَيْفَانِ مَسْلُولَانِ

٦٦٨- نُصِرُوا بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ سُلَّقٍ ... مِثْلَ الْأَسِنَّةِ شُرِّعَتْ لِطِعَانِ

٦٦٩- سَلْ عَنْهُمُ عِنْدَ الْجِدَالِ إِذَا الْتَقَىٰ ... مِنْهُمْ وَمِنْ أَضْدَادِهِمْ خَصْمَانِ

٦٧٠- نَحْنُ الْمُلُوكُ بَنُو الْمُلُوكِ وِرَاثَةً ... أُسْدُ الْهِيَاجِ وَأَبْحُرُ الْإِحْسَانِ

٦٧١- لَا قَوْمُنَا بُخَلَا وَلَا بِأَذِلَّةٍ ... عِنْدَ الْحُرُوبِ وَلَا النِّسَا بِزَوَانِ

❁ قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**المرء مع من أحب**»(١)، وقال: «**المرء على دين خليله**»(٢)؛ فهو يقول: إنني محب لأهل السنة، ناصر لهم وأنا فخور بذلك، وهذا فخر وعز لي في الدنيا والآخرة، وأنه سلق اللسان وشاعر ألهمه الله تَعَالَى قول الحق وقمع الباطل.

ويشير رَحِمَهُ اللَّهُ إلى جهوده وجهود قومه في الذب عن السنة، ويفخر بذلك فخر المؤمن المعتز بدينه حيث ينصره الله بنصره للدين ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

ومما يروى أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمع النابغة الجعدي يقول:

بَلَغْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وَسَنَاؤُنَا ... وَإِنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرَا

---

(١) تقدم تخريجه في ص: [١٧].

(٢) تقدم تخريجه في ص: [١٧].

فقال النبي ﷺ: «**لا يفضض الله فاك**»، فعُمّر طويلًا ولم تسقط له سن. وقال له: «**إلىٰ أينَ يا أبا ليلىٰ؟**» قال: «إلىٰ الجنة»[(١)]، وأقره ﷺ علىٰ ذلك، وقال: إن شاء الله.

وكان حسان يفاخر بنفسه وقبيلته في ذبهم عن دين الله عَزَّوَجَلَّ، وكل ذلك في ذات الله عَزَّوَجَلَّ كقوله:

لساني صارم لا عيب فيه ... وبحري لا تكدره الدلاء

بل إن النبي ﷺ قال: «**أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب**»[(٢)]، ولا علاقة لهذا بالفخر بالأنساب الجاهلي المذموم.



(١) أخرجه ابن قانع في «المعجم» (٢/ ٣٤٥)، وابن عساكر في تاريخه [٧٣٠٢].
(٢) أخرجه البخاري [٢٨٧٤]، ومسلم [١٧٧٦] من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

٦٧٢- يَا أَشْعَرِيَّةُ يَا جَمِيعَ مَنِ ادَّعَىٰ بِدَعًا وَأَهْوَاءً بِلَا بُرْهَانِ

٦٧٣- جَاءَتْكُمُ سُنِّيَّةٌ مَأْمُونَةٌ مِنْ شَاعِرٍ ذَرِبِ اللِّسَانِ مُعَانِ

٦٧٤- خَرَزَ الْقَوَافِي بِالْمَدَائِحِ وَالْهِجَا فَكَأَنَّ جُمْلَتَهَا لَدَيَّ عَوَانِ

٦٧٥- يَهْوِي فَصِيحُ الْقَوْلِ مِنْ لَهَوَاتِهِ كَالصَّخْرِ يَهْبِطُ مِنْ ذُرَىٰ كَهْلَانِ

٦٧٦- إِنِّي قَصَدْتُ جَمِيعَكُمْ بِقَصِيدَةٍ هَتَكَتْ سُتُورَكُمُ عَلَىٰ الْبُلْدَانِ

٦٧٧- هِيَ لِلرَّوَافِضِ دِرَّةٌ عُمَرِيَّةٌ تَرَكَتْ رُءُوسَهُمُ بِلَا آذَانِ

٦٧٨- هِيَ لِلْمُنَجِّمِ وَالطَّبِيبِ مَنِيَّةٌ فَكِلَاهُمَا مُلْقَانِ مُخْتَلِفَانِ

٦٧٩- هِيَ فِي رُءُوسِ الْمَارِقِينَ شَقِيقَةٌ ضُرِبَتْ لِفَرْطِ صُدَاعِهَا الصُّدْغَانِ

٦٨٠- هِيَ فِي قُلُوبِ الْأَشْعَرِيَّةِ كُلِّهِمْ صَابٌ وَفِي الْأَجْسَادِ كَالسَّعْدَانِ

٦٨١- لَكِنْ لِأَهْلِ الْحَقِّ شَهْدًا صَافِيًا أَوْ تَمْرُ يَثْرِبَ ذَلِكَ الصَّيْحَانِي

❁ هنا كرّ علىٰ الأشعرية مرّة أخرىٰ لرد باطلهم وحملهم علىٰ الحق والسنة، ويقول: إنكم قد ارتكستم في البدع فسلط الله عليكم قوارع أهل السنة وألسنتهم.

وقوله:

٦٧٤- خَرَزَ الْقَوَافِي بِالْمَدَائِحِ وَالْهِجَا فَكَأَنَّ جُمْلَتَهَا لَدَيَّ عَوَانِ

❁ يقول: إن الله عَزَّوَجَلَّ سخر له القوافي، وفعلا سخر له القوافي في نصرة السنة، وهذا من فضل الله، فقد يكون الجهاد بالسنان وقد يكون بالبيان وقد يكون بالقلم.

قال أحد النظام:

جهاد قلب وجهاد باليد وبلسانك وبالمهند

وقوله: «يهوِي فصيح القول من لهواته كالصخر يهبط من ذرىٰ كهلان».

كهلان: قبيلة مشهورة باليمن، والمقصود أنه ينحت الشعر نحتا وتتسابق إليه الكلمات الفصيحة القوية كما تتهاوىٰ الصخور التي تنحدر من الجبال عندما يجرفها السيل «كجلمودِ صخرٍ حطَّهُ السيلُ من علِ»؛ وكأنما يتمثل بقول علي بن الجهم:

أهز بالشعر أقواما ذوي وسن ... في الجهل لو ضربوا بالسيف ما شعروا

عليّ نحت القوافي من مقاطعها ... وما علي لهم أن تفهم البقر[1]

وقوله:

٦٧٦- إِنِّي قَصَدْتُ جَمِيعَكُمْ بِقَصِيدَةٍ ... هَتَكَتْ سُتُورَكُمُ عَلَىٰ الْبُلْدَانِ

❁ يعني: إن قصيدتي هذه ردت عليكم ودحضت شبهكم فلم يبق إلا الحق لمن أراد أن يعتنقه ويسلكه ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣٢].

وقوله:

٦٧٧- هِيَ لِلرَّوَافِضِ دِرَّةٌ عُمَرِيَّةٌ ... تَرَكَتْ رُءُوسَهُمُ بِلَا آذَانِ

❁ يبين الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنّ هذه القصيدة العظيمة التي نظمها في عقيدة السلف هي لكل من انحرف عن الجادة - وعلىٰ رأسهم الروافض - درة عمرية.

والدرة العمرية هي عصا عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ التي كان يقمع بها من يخالف أمر الله جَلَّ وَعَلَا.

وهي الدرة التي يضرب بها من يخالفون أمر الله من المبتدعة وأصحاب المعاصي، وكانت مشهورة.

---

(١) «الزهرة» لابن داوود الأصبهاني (١/ ١٨٣).



وهـي التـي أدب بهـا صبيغا لما بلغه أنه يسـأل عن المتشـابه؛ فبينما عمـر يخطب قام فسـأله عـن ﴿...وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا﴾ [الذاريات: ١ - ٢]، وما بعدها فنزل عمر فقال ما اسـمك قال أنا عبد الله صبيغ قال عمر وأنا عبد الله عمر اكشـف رأسك فكشفه فـرأىٰ عليه شـعرا فقـال له لو وجدتك محلوقـا لضربت الذي فيه عيناك بالسيف - لأنه لـو كان خارجيـا لكان محلوق الرأس؛ لأن الخوارج سـيماهم التحليـق - ثم علاه بالدرة وأمر فضرب ضربًا شـديدًا وبعث به إلىٰ البصرة وأمرهم أن لا يجالسـوه فكان بها كالبعير الأجـرب لا يأتي مجلسـا إلا قالوا عزمة أمير المؤمنين فتفرقوا عنـه حتىٰ تاب وحلف بالله ما بقي يجد مما كان في نفسه شيئًا فأذن عمر في مجالسته[١].

فهذه الدرة لولي الأمر ومن ينيبه في إقامة حدود الله والتعزيرات الشرعية.

فهو يبين أن هذه القصيدة نقضت أصول المبتدعة؛ فهي بمثابة درة عمر رَضِّيَٱللَّهُعَنْهُ، فهي تضربهـم وتترك رؤوسـهم كأنهـا بـدون آذان؛ بمعنىٰ أنهـا دمغت حججهـم ودحضت شبههم وقوضت أركان باطلهم.

وقوله:

٦٧٨- هِـيَ لِلْمُنَجِّمِ وَالطَّبِيبِ مَنِيَّةٌ ... فَـكِـلَاهُـمَـا مُـلْـقَـانِ مُخْـتَـلِـفَـانِ

❁ المنجـم المقصود به الذي يتعاطىٰ علم التأثير المحرم من نوعي علم النجوم الذي تقدم الكلام عليه. ويقصد بالطبيب: الذي يتعاطىٰ السحر ويدعي علم الغيب وقد يطلق عليه المهندس، والمراد ليس الطبيب والمهندس المتعارف عليهما اليوم، وإنما يراد بهما في ذلك الوقت المشعوذون والدجلة والسحرة.

---

(١) انظر: «ذم التأويل» لابن قدامة، ص: [١٠].

وقوله:

٦٧٩- **هِيَ فِي رُءوسِ الْمَارِقِينَ شَقِيقَةٌ ضُرِبَتْ لِفَرْطِ صُدَاعِهَا الصُّدْغَانِ**

❁ **الشقيقة:** صداع يصيب الرأس وفي الغالب يأخذ النصف منه أو جانبه.

يقول: إن هذه القصيدة التي نظمها في الذب عن حياض الإسلام، هي بمثابة الشقيقة لأهل العقائد المنحرفة المخالفة لعقيدة أهل السنة والجماعة، وبخاصة أهل الكلام والروافض ومن نحىٰ نحوهم من الطوائف الضالة.

وقوله:

٦٨٠- **هِيَ فِي قُلُوبِ الأَشْعَرِيَّةِ كُلِّهِمْ صَابٌ وَفِي الأَجْسَادِ كَالسَّعْدَانِ**

٦٨١- **لَكِنْ لِأَهْلِ الْحَقِّ شَهْدًا صَافِيًا أَوْ تَمْرُ يَثْرِبَ ذَلِكَ الصَّيْحَانِي**

❁ **يقول:** إنها في قلوب من انحرف عن الجادة بمثابة مرض يضرب قلوبهم فيشققها ويُقطِّعها ويضعفها، وكشوك السعدان لأجسادهم، والسعدان شجر من أجود مراعي الإبل، له شوك قوي ملتوي؛ يضرب به المثل فيقال: مرعًىٰ ولا كالسعدان.

لكنها لأهل السنة والحق عسلٌ صافٍ، أي: غذاء ودواء. يقول: هذه القصيدة التي سطرتها لأهل الحق، لأهل السنة والجماعة والطائفة المنصورة بمثابة الشهد وهو العسل الذي يتلذذ به شاربه. وهذا تعبير عن انتفاع المؤمنين بها وكونها بلسما لهم يشفيهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بها من أمراض القلوب؛ فلذلك شبهها بالعسل وبتمر المدينة الذين يستشفىٰ بهما.





المنظومة وأثرها على الناس

٦٨٢- وَأَنَا الَّذِي حَبَّرْتُهَا وَجَعَلْتُهَا ... مَنْظُومَةً كَقَلَائِدِ الْمَرْجَانِ

٦٨٣- وَنَصَرْتُ أَهْلَ الْحَقِّ مَبْلَغَ طَاقَتِي ... وَصَفَعْتُ كُلَّ مُخَالِفٍ صَفْعَانِ

٦٨٤- مَعَ أَنَّهَا جَمَعَتْ عُلُومًا جَمَّةً ... مِمَّا يَضِيقُ لِشَرْحِهَا دِيوَانِ

٦٨٥- أَبْيَاتُهَا مِثْلُ الْحَدَائِقِ تُجْتَنَىٰ ... سَمْعًا وَلَيْسَ يَمَلُّهُنَّ الْجَانِي

٦٨٦- وَكَأَنَّ رَسْمَ سُطُورِهَا فِي طِرْسِهَا ... وَشْيٌ تُنَمِّقُهُ أَكُفُّ غَوَانِ

❁ فهو الذي جمعها وحبرها وصاغها بألفاظه الجميلة التي اختارها وشبهها بعقود المرجان المنتظمة، المتساوية في العقد، وهي كما قال.

ويقول: إنه بذل جهده في نصرة الحق ونصرة الدين والعقيدة الصحيحة وأهلها والذب عنها ودحض شبه المخالفين لأهل السنة والجماعة. وعبر عن ذلك بأنه صفعهم صفعانا وألقىٰ بشبهاتهم إلىٰ الحضيض.

والواقع أنها أيضًا كما قال مشتملة علىٰ علوم: عقيدة وفقه وعلوم الطب ونحو ذلك من العلوم النافعة، فهي منظومة جامعة نافعة ماتعة.

فهي للمؤمن المتجرد للحق، صاحب العقيدة الصحيحة، بمثابة الحديقة الغناء التي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

و لجمال نظمها وأسلوبها كأنها منسوج تنمقه أكف الغواني؛ وهن النساء اللاتي يَعملن في التطريز والنسج والتجميل، فهي جمال علىٰ جمال؛ جمعت حسن السبك والتركيب وقوة المعاني.

ما ضرّ حسّانها والطبع صائغها ... ألم يضعها قريع الشعر حسّان

مسك الختام

٦٨٧- وَاللهَ أَسْأَلُهُ قَبُولَ قَصِيدَتِي ... مِنِّي وَأَشْكُرُهُ لِمَا أَوْلَانِي

٦٨٨- صَلَّىٰ الإِلَٰه عَلَىٰ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ... مَا نَاحَ قُمْرِيٌّ عَلَىٰ الْأَغْصَانِ

٦٨٩- وَعَلَىٰ جَمِيعِ بَنَاتِهِ وَنِسَائِهِ ... وَعَلَىٰ جَمِيعِ الصَّحْبِ وَالْإِخْوَانِ

٦٩٠- بِاللهِ قُولُوا كُلَّمَا أَنْشَدْتُمُ ... رَحِمَ الْإِلَٰهُ صَدَاكَ يَا قَحْطَانِي

❁ يدعو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - ونحن ندعو له أيضًا - بأن يتقبّل منه هذه القصيدة، وهذا الجهد المبارك، وأن يجعله خالصا لوجهه؛ لأنه أراد بها الذبّ عن السنّة والعقيدة الصحيحة، وبيان الحق الذي يجب سلوكه، ودحض الباطل الذي يجب البعد عنه، ويشكر الله أن منَّ عليه بذلك.

وقوله:

٦٨٨- صَلَّىٰ الْإِلَٰهُ عَلَىٰ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ... مَا نَاحَ قُمْرِيٌّ عَلَىٰ الْأَغْصَانِ

٦٨٩- وَعَلَىٰ جَمِيعِ بَنَاتِهِ وَنِسَائِهِ ... وَعَلَىٰ جَمِيعِ الصَّحْبِ وَالْإِخْوَانِ

❁ هكذا درج أهل العلم بالبدء بالحمد لله والثناء عليه والصلاة والسلام علىٰ رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والختم بذلك اتباعا للسنة.

فهو يصلي علىٰ النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عدد ما ناح قمري - **والقمري**: نوع من الطيور -.

والمقصود: أنه يصلي علىٰ النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلوات كثيرة لا تقف عند حد ولا عد.

ثم أردف ذلك بالصلاة علىٰ أهل البيت - رضوان الله عليهم - من بناته ونسائه وجميع آل البيت ومن الصحابة وممن كان معهم أو جاء بعدهم، ممن تبعهم بإحسان.

وقوله:

٦٩٠- بِـاللهِ قُـولُـوا كُـلَّـمَـا أَنْـشَـدْتُـمُ رَحِـمَ الإِلَــهُ صَـدَاكَ يَـا قَحْطَانِـي

❁ يناشد إخوانه المسلمين، أهل السنة، الذين يقرأون هذه القصيدة وينتفعون بها أن يسألوا الله له المغفرة والرحمة.

وأنا أقول: أسأل الله أن يتغمده برحمته، وأن يسكنه فسيح جناته، وأن يثقل بهذا العمل المبارك موازين حسناته، وأن ينفعنا بها وكل من قرأها أو حفظها أو نظر فيها أو دعا إلىٰ ما دعت إليه من تحقيق للتوحيد والسنة.

كما نسأله سُبْحَانَهُ العلم النافع والعمل الصالح، إنه جواد كريم.

وكان الفراغ من شرح هذه النونية في اليوم الرابع من شهر صفر، سنة سبع وعشرين وأربعمائة وألف للهجرة بعد صلاة المغرب في مسجد النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد تمّ الانتهاء من تنقيح هذا الشرح وتهذيبه في يوم الاثنين، الثالث من شهر شعبان، سنة ١٤٣٢هـ.

وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه وأتباعهم بإحسان.



فهرس الموضوعات

تم بحمد الله


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com